

new moon

قمر جدید



[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

^RAYAHEEN^

ستی فانی مایر

## قمر جديد

- ملايين القراء ينتظرون بشغف كل جزء من هذه السلسلة. وتيرة التشويق تتصاعد، ولا يريد القراء أن ينتهي كل جزء من هذه الرواية.
- 43 مليون نسخة بلغت مبيعات هذا الكتاب، وُترجم إلى 40 لغة.

\*\*\*

- ينتظر القراء المغامرة الجديدة، ويتوقون للمزيد.

بوك ليست

- استسلم للإغراء...

رواية نيويورك نايمز رقم واحد

- المزيد من التشويق والرومنسية.

يو إس توداي

- توازن يقرب العبقريّة ويوازي بين الرومنسية والتشويق.

فوبيا

- ستخطف هذه القصة أنفاس القراء وتتركهم يشوق للجزء الثالث.

سنكل لايفري جوردان

«كان الأمر بغاية الغرابة، كنت أعلم أن خطراً محدقاً يهدّد حياة كل منا. مع ذلك وفي تلك اللحظة بالذات كنت أشعر بأنّي بخير. أشعر بأنّي كاملة. استطعت أن أشعر بقلبي يخفق بين ضلوعي، وبدلهم يتدفّق حاراً وسريعاً في عروقي. عبأت رثتي حتى المائلة برائحة بشرتك العطرة. بدا وكأنّ الحفرة في صدري ما كانت يوماً. كنت كاملة، ليس أنّي شفيت، بل كأنه لم يكن هناك من جرح أصلاً.»



المركز الثقافي العربي



## المحتويات

7	تمهيد
9	1 الحفلة
35	2 القُطْب
57	3 النهاية
87	4 الاستيقاظ
112	5 المُخاض
128	6 الأصدقاء
148	7 التكرار
169	8 الأدرينالين
189	9 العجلة الثالثة
213	10 المرج
239	11 الجماعة
269	12 الدخيل
285	13 القاتل

يتضمن هذا الكتاب ترجمة عن النص الإنكليزي لكتاب:

Original Title: **New Moon**

Author: **Stephanie Meyer**

This edition published by arrangement with  
Little, Brown and Company, New York, New York, USA.

Hachette Book Group, Inc.

All rights reserved.

© by Arab Cultural Center

يمنع نسخ أو استعمال هذا الكتاب، أو أي جزء منه بأي وسيلة سواء إلكترونية أو ميكانيكية، أو عن طريق الطبع، أو التصوير، أو التسجيل الصوتي دون إذن الناشر.



14	العائلة	307
15	الضغط	326
16	باريس	346
17	الزائر	364
18	الجنائز	386
19	السباق	406
20	فولتيرا	424
21	الحكم	442
22	الرحلة الجوية	464
23	الحقيقة	479
24	التصويت	501
	الخاتمة - المعاهدة	527

## تمهيد

وكأنني أسيرة إحدى تلك الكوابيس المرعبة، حيث لا يسعني سوى الركض بكل ما أوتيت من قوة حتى لتكاد رثائي تنفجران من زخم الهواء وأشعر مع ذلك أنني عاجزة عن دفع جسمي للتحرك بالسرعة الكافية. بدا أنني أجرج قدمي بشاقل وأنا أشق طريقي عبر الزحام، لكن عقارب ساعة البرج الكبيرة لم تبطء ولم تتمهل. كانت العقارب تتسارع بلا كلل وانعدام مبالاة متجهة بجموح نحو النهاية، نهاية كل شيء.

لم يكن حلماً ولا كانت أحداثه تشبه الكابوس الذي كنت أراني فيه راكضة للحفاظ على حياتي، كنت هنا أسبق الوقت لإنقاذ ما هو أضمن وأغلى. لم تكن حياتي لتعني لي الكثير في هذا اليوم بالذات.

ذكرت أليس وجود فرصة سائحة تقينا شر الموت معاً. لعل آمالها كانت لتتحقق لو لم تكن هي نفسها معرضة للوقوع ضحية الضوء الساطع. أنا وحدي كنت أمتع بحرية عبور الساحة المضئية المكتظة بالناس.

لكني لم أتمكن من الركض سريعاً بما يكفي.

ولم أكن آبه لما يحيط بي من أعداء خطرين.

حين بدأت الساعة تدق معلنة الوقت، وينبض معنى دقاتها تحت قدسي المحتضرتين تعباً، أدركت أنني قد تأخرت كثيراً. وشعرت بالسعادة



لوجود شيءٍ متعطشٍ للدماء بانتظاري. ففشلني في إنجاز المهمة قضى  
على كل رغبةٍ لدي بالبقاء على قيد الحياة.  
عادت الساعة تدق مجدداً، والشمس تنوهج مشعةً وقرصها يتوسط  
السماء.

1

## الحفلة

كنت واثقة أنني كنت أحلم.  
الأسباب التي دفعتني إلى أن أكون بهذه الثقة تتلخص أولاً بأني  
كنت أقف تحت الشمس الساطعة، ذاك السطوع الذي لا تنعم به مطلقاً  
فوركس واشنطن، الكثيرة الرذاذ ومكان إقامتي الجديد. ثانياً، أنني كنت  
أنظر إلى جدي ماري، التي مضى على موتها ست سنوات. مما شكّل  
دليلاً دامغاً بما لا يقبل الشك أنني كنت في حلم.  
لم تتغير جذتي كثيراً، وكانت ملامح وجهها كما أتذكرها تماماً.  
كان جلدها الملتصق بعظامها طرياً ناعماً، هرمأً حفرت فيه التجاعيد  
آلاف الشقوق والخطوط الرفيعة. كان أشبه بحبة مشمش مجففة تنزجها  
كتلة شعر أبيض وتحيط بها كغمامة صيف.  
التوت شفتاها المزمومتان وشفتاي، في الوقت نفسه، عن نصف  
إبتسامة تحمل الدهشة. من الواضح أنها لم تكن تتوقع رؤيتي أيضاً.  
كنت على وشك أن أطرح عليها سؤالاً، وكان لدي الكثير من  
الأسئلة؛ ماذا كانت تفعل في حلمي؟ ما الذي كانت تفعله طوال  
السنوات الست؟ هل كان بوب بخير وهل وجدا بعضهما البعض، حيثما  
كانا؟ لكنها فتحت فمها فيما أهم أن أفعل، فصمت لأدعها تتكلم أولاً.  
هي أيضاً توقفت عن الكلام وإبتسم كلانا للمصادفة الغريبة.  
«بيلاً؟»

لم تكن جدتي من نادائي فالتفتنا لشعر من الذي انضم إلى اجتماعنا الصغير. لم يكن عليّ أن أستدير لأتعرف إلى صاحب الصوت، الصوت الذي يمكنني التعرف إليه أينما كان وأتجاوب معه سواء كنت نائمة أو مستيقظة... أو حتى ميتة. الصوت الذي أمشي في النار لأجله، أو لأكون أقل درامية، أتحمل أيام البرد والمطر المتواصل لأجله. إنه إدوارد.

مع أن رؤيته كانت تفرحتني على الدوام سواء في الوعي أو اللاوعي، وعلى الرغم من أنني كنت شبه واثقة أنني كنت أحلم، أصبت بالدعر بينما إدوارد يقترب منا تحت ضوء الشمس.

دب الذعر في أوصالي لأن جدتي لم تكن تعلم أنني مغرمة بمصاص دماء، لم يكن أحد يعلم بالأمر. كيف يفترض بي عندئذ أن أشرح حقيقة أن إشعاعات الشمس المتوهجة المتكسرة على جلده تتحول إلى ألوان قوس قزح وكأنه مصنوع من الكريستال أو الألماس؟

هل أقول لها، حسناً جدتي لعلك لاحظت أن حبيبي يلمع، هذا ما يحصل له تحت أشعة الشمس. لذا لا داعي لأن تقلقي حيال ذلك...

كيف هذا؟ إنه يعيش في فوركس، أكثر أماكن العالم تساقطاً للمطر. ما الذي يفعله كي يتمكن من الخروج في ضوء النهار دون أن يفضح سرّ عائلته؟

مع ذلك كان هنا أمامي يتهاذى في مشيته برشاقة متقدماً مني، ترسم على وجهه الملائكي أجمل الابتسامات وكأنني كنت لوحدي في المكان.

تمنيت في تلك اللحظة ألا أكون الطائر الذي يغرد خارج سرب عالمه الغامض، لطالما شعرت بالإمتنان لكوني الشخص الوحيد الذي يعجز عن سماع أفكاره بوضوح وكأنه يقولها بصوت مرتفع، لكنني تمنيت الآن لو يستطيع سماع صوت التحذير المدوي في رأسي.

استدردت مجدداً نحو جدتي أنظر إليها نظرة ملؤها الرعب لأدرك أن الألوان قد فات. إذ كانت تردّ نظرتي بعينين قلقتين كعيني. أما إدوارد فكانت الابتسامة الساحرة لا تزال تنير ملامحه حيث شعرت بقلبي يكاد يتنفخ وينفجر في صدري، أحاط بكتفيّ والتفت بنظر إلى جدتي.

تفاجأت للتعبير الذي رأيته على وجهها. فبدلاً من أن تبدو مرتعبة، كانت تحديق بي خجلة مرتبكة وكأنها تنتظر توبيخاً ما. كما أنها كانت تتخذ وضعية وقوف غريبة فكانت تمدّ إحدى ذراعيها بعيداً عن جسمها، وكأنها تغمر الهواء، أو تعانق شخصاً لا أراه، شخصاً غير مرئي...

عندما نظرت إلى الصورة الشاملة الكبرى، عندئذ فقط، لاحظت الإطار المذقّب الذي يحيط بصورة جدتي. دون أن أفهم ما الذي يحصل، رفعت اليد الأخرى التي لم تكن تحيط بخاصرة إدوارد لألمسها، لكن حركاتها كانت تقلّد حركاتي تماماً وتعكسها.

وحيث يجب أن تتلاقى يدانا لم يكن هناك شيء سوى الزجاج البارد...

إن هذه الصدمة سببت لي صداعاً مؤلماً وحوّلت حلمي إلى كابوس.

لم يكن هناك أي وجود لجدتي. كنت أنا هناك. صورتي أنا في مرآة. أنا العجوز الهرمة، المتشفقة، الممتلئة بالتجاعيد.

كان إدوارد يقف بجانبني، لكن صورته لم تنعكس، بجماله المعدّب وعمره البالغ دوماً سبعة عشر عاماً أبدية الشبّات.

عصر شفتيه الجليديتين المنحوتتين في عنقي الضعيف، ثم همس: «ميلاداً سعيداً».

استيقظت مفزوعة، وقد اتسعت عيناوي وجحظنا وأنا أشهق. حلّ



الضوء الرمادي الباهت، ضوء الصباح المعتاد، مكان أشعة شمس الحلم المبهر.

قلت لنفسي إن ذلك كان مجرد حلم، حلم وحسب. أخذت نفساً عميقاً وقفزت من مكاني مجدداً حين سكت صوت جرس المنبه. أبلغني التقويم الموجود إلى زاوية شاشة الساعة إلى أن اليوم هو الثالث عشر من شهر أيلول.

لقد كان حلماً نعم لكنه يحمل على الأقل نوعاً من النبوءة.  
اليوم عيد مولدي. أتممت الثامنة عشرة رسمياً.  
منذ أشهر طويلة وأنا أخشى هذا اليوم.

طوال فترة الصيف الأمثل والأكثر سعادة لي، بل أجمل صيف يمكن لأي كان، أينما كان، تمضيته؛ الصيف الأغزر مطراً في تاريخ الجزيرة الألفية، ظل هذا التاريخ الكئيب يتلظى في مكمنه منتظراً الظهور. وها قد دقت ساعته الآن.

الآن بعد أن حلّ ذلك اليوم اكتشيت أنه أسوأ مما خشيت. أشعر به الآن، لقد صرت أكبر سنّاً. إني أكبر بالسن كل يوم، لكن هذا اليوم كان مختلفاً، أكثر سوءاً. لقد بلغت الثامنة عشرة.  
وإدوارد لن يبلغ هذه السنّ أبداً.

عندما ذهبت لأنظف أسناني بالفرشاة أمام المرأة فوجئت أن شيئاً لم يتغيّر. أمعنت النظر في صورتي بحثاً عن أي علامات لظهور تجاعيد على بشرتي الشاحبة. فلم أجد سوى بضع منها على جبينني، كنت أعلم أنها قد تختفي لو تمكنت من الإسترخاء. إلا أنني لم أستطع. إذ بقي حاجباي معقودان قلقاً فوق عينيّ البتيتين القلفتين.

لم يكن إلا حلماً، ذكرت نفسي مرة أخرى. حلم فحسب... لكنه الكابوس الأسوأ.

فوتت طعام الفطور مستعجلة الخروج من المنزل بأسرع ما يمكن. لم أتمكن تماماً من تجنب أبي، فاضطرت لتمثيل دور المبتهجة السعيدة لبضع دقائق. حاولت صدقاً أن أظهر السرور والحماسة حيال مسألة الهدايا التي طلبت إليه عدم إحضارها لي، لكن كل مرة أجبرت فيها نفسي على الابتسام، شعرت أنني أرغب بالبكاء.

جاهدت لكي أتمالك نفسي فيما كنت أقود السيارة متجهة إلى المدرسة. كان يصعب أن أخرج من رأسي صورة جدتي، إذ لم أستطع أن أفكر فيها على أنها صورتي أنا. لم يسعني سوى الشعور بالقنوط، وتملكني يأس وأنا أركن سيارتي في مكانها المعتاد في موقف ثانوية فوركس. سرعان ما وقعت عينا على إدوارد مستنداً إلى سيارته الفولفو الفضية اللامعة كتمثال رخامي يجسد أحد آلهة الجمال الوثنيين المشية. لم يوقه الحلم حقه. كان واقفاً ينتظرني هناك كما جرت العادة كل يوم.

اختفى القنوط للحظة تاركاً مكانه للعجب. حتى بعد مرور نصف سنة على وجودنا معاً، لا زلت لا أصدق أنني أستحق هذا القدر من الحظّ السعيد.

كانت شقيقته آليس تقف بجانبه تنتظرني أيضاً.

بالطبع لم تكن صلات القربى تربط كلاً من إدوارد وآليس (تقول القصة المتداولة في فوركس إن الإخوة كالن تم تبنيهم من قبل الدكتور كارلايل كولن وزوجته إيزمي الذين كانا أكثر شباباً من أن يكون لديهما أولاد بعمر المراهقة)، لكن بشرة الشقيقتين الشاحبة تظهر تشابههما، وعيونهما تتمتعان بالمسحة الذهبية نفسها والجفون السفلى ذات الظلال العميقة الشبيهة بالكدمة. كانت ملامح وجهها خلاصة الجمال كما وجهه. بالنسبة لشخص يعرف الحقيقة مثلي أنا، سيعلم لإلام يعزى هذا التشابه.

قطعت جبينني لرؤية آليس تنتظرني هناك بعينيها الصفراوين المشرقتين الممتلئتين حماسة، وفي يدها علبة فضية صغيرة ملفوفة بورقة



هدايا. كنت قد أخبرت أليس أنني لا أريد شيئاً، لا شيء إطلاقاً، لا هدايا ولا حتى أي اهتمام بقصة عيد مولدي. لكن من الواضح أنها تجاهلت رغبتني.

أغلقتُ باب شاحنة الشيفروليه التي تراقص بقع الصدا على طلائها المبلل - ثم مشيتُ ببطء باتجاههما. قفزت أليس لتقابلني، ووجهها العفريت الصغير يتوهج تحت شعرها الأسود المنفوش.

«ميلاداً سعيداً بيلاً!»

أشرت إليها أن تصمت، والقيت نظرة حولي لأتأكد من أن أحداً لم يسمع أليس. فقد كان الاحتفال بهذه المناسبة التعيية آخر ما أفكر فيه. تجاهلتنني. «هل تريدان أن أقرأ لك الحاضر والمستقبل؟» سألتني بتلهف فيما كنا في طريقنا إلى حيث كان إدوارد لا يزال ينتظر.

«لا أريد هدايا»، تمتعتُ معترضة.

بدا في النهاية أنها تفهمت مزاحي. «حسناً إذا... هل أحببتُ مجلّد الذكريات الذي أرسلته لك أمك؟ وماذا عن الكاميرا التي أهداها لك تشارلي؟»

تنهّدتُ. من المؤكّد أنها تعرف ما هي هدايا عيد ميلادي. لم يكن إدوارد الفرد الوحيد في أسرته الذي يمتلك مهارات غير عادية. كان باستطاعة أليس رؤية ما كان يخطئه والداي حالما يقرّان ذلك.

«أجل. الهديتان رائعتان.»

«أظنّ أنها فكرة جيّدة. لن تكوني الأكبر سنّاً سوى مرة واحدة. يمكنك إذا توثيق التجربة.»

«كم مرّة سبق أن كنتِ الأكبر سنّاً؟»

«إنه أمر مختلف.»

وصلنا إلى إدوارد، فمدّ يده ليصافحني. أمسكتها بتلهف ونسيتُ

كأبتي للحظة. كالعادة، كانت بشرته ناعمة، صلبة وباردة جداً. شدّ على أصابعي بلطف. عُصتُ في لون عينيه الأشبه بالتوباز، فأفلتت إحدى دقات القلب خارج الإيقاع، وابتمت من جديد لسماعها.

أفلت يده وحين تكلم زرع على شفّتي ابتسامة هادئة. «إذن كما قلنا سابقاً، ليس مسموحاً لي أن أتمنى لك ميلاداً سعيداً، أهذا صحيح؟»

«أجل. هذا صحيح.» لم أستطع أبداً تقليد حركاته الرائعة وفصاحته وكمال لفظه. إنه لأمر لا يمكن تعلّمه إلا في قرون سابقة.

مسح يده على شعره البرونزي الأشعث. «أنا أتأكد فحسب، ربّما تبدّلن رأيك. معظم الناس يستمتع بأعياد الميلاد والهدايا.»

ضحكت أليس ضحكة كرنين الفضة وصوت الريح. «بالطبع سوف تستمتعين بعيدك. على كلّ شخص أن يكون لطيفاً معك اليوم ويسمح للأمور أن تجري كما تشائين. هل يمكن أن يكون هناك ما هو أسوأ من ذلك؟»

لكنني أحببتها: «التقدّم في السن». أنت نبرتي متأرجحة خلافاً لما أردت.

على مقربة مني، اشتدت عضلات فك إدوارد وهو يداري ابتسامته قبل أن تظهر على وجهه.

«سنّ الثامنة عشرة ليس بالسن المتقدم»، قالت أليس. «ألا تنتظر النساء بلوغ سنّ التاسعة والعشرين حتّى ينزعجن من أعياد ميلادهن؟»

«لكنّ هذا السن أكبر من عمر إدوارد»، قلتُ على مضض.

تنهّدتُ.

أجابته وهي تحاول أن تحافظ على نبرة صوت عادية، أو غير مكثّرة: «من الناحية العملية الفرق بينكما سنة واحدة فقط.»

فكرتُ آنذاك... لو أنني أستطيع التأكّد من المستقبل الذي أردته،

التأكد من أنني سأنجح في العيش إلى الأبد مع إدوارد وأليس وباقي أفراد عائلة كولن (فهذا أفضل من عجوز متجعدة) فلن أعود أكثر لسنه أو سنتين زيادة أو نقصاناً. لكن إدوارد كان حاسماً في اعتراضه على أي مستقبل قد يغيرني. أي مستقبل يجعلني مثله يصيرني خالدة.

كان يعتبر ذلك ورطة لا رجوع عنها.

صديقاً، لم أكن أنفهم وجهة نظر إدوارد، فأين تكمن عظمة عدم الخلود؟ لم تكن صفة مصاص الدماء بهذه الفظاظة. على الأقل ليس كما تعيشها عائلة كولن.

«متى ستعودين إلى البيت؟». أكملت أليس مغيرة الموضوع. كانت تستعد، من خلال هذه الجملة، للحديث في مسألة كنت أمل أن أجتنبها تماماً.

قلت: «لا أخطط لأن أكون هناك».

تذمرت قائلة: «أوه، كوني عادلة بيلاً! لن تُسدي مناسبة المرح على هذا النحو، أليس كذلك».

«ظننتُ أنه من حقّي أن أقتر ما أريده في عيد ميلادي».

«سأخذها من منزل تشارلي بعد انتهاء دوام المدرسة مباشرة»، قال لها إدوارد متعمداً تجاهلي تماماً.

تذمرت بالقول: «لديّ عمل أنجزه».

«غير صحيح»، قالت أليس واثقة من نفسها. «سبق وتكلمت في هذا الشأن مع السيدة نيوتن. وقد غيرت ساعات مناوبتك. وأوصنتني بأن أتمنى لك ميلاداً سعيداً».

تلعثمتُ باحثة عن عذر. «لن أتمكن من المجيء مع ذلك. لم أشاهد النسخة الانكليزية من روميو وجوليت بعد».

زعمت أليس «أنت تحفظين روميو وجوليت عن ظهر قلب».

«لكن السيد بيرني قال إنه يتوجب علينا مشاهدة الأداء لكي نقيم

العمل بالكامل» ولهذا كتبه شكسبير بطريقة تهينه لكي يكون مثلاً. أدار إدوارد عينيه.

«لقد شاهدت الفيلم من قبل»، أتهمني أليس.

«ولكن ليس نسخة الستينات. قال السيد بيرني إنها الأفضل».

في النهاية، زالت الابتسامة الأنيقة عن وجه أليس وحملت بي بغضب: «يمكن لذلك أن يكون سهلاً، أو صعباً، لكن عليك أن تختاري بين...».

قاطع إدوارد تهديدها. «إهدني يا أليس. إن أردت بيلاً مشاهدة فيلم» فباستطاعتها ذلك. إنه عيد ميلادها.

أضفت: «وهو كذلك».

وتابع إدوارد كلامه: «سأتي لاصطحابها عند الساعة السابعة مساءً وهكذا سيكون أمامك مزيد من الوقت لتتحضري».

رئت ضحكة أليس مجدداً. «يبدو ذلك جيداً. أراكما هذه الليلة، بيلاً! سنقضي وقتاً ممتعاً، سوف ترين ذلك». ابتسمت - ابتسامة عريضة أظهرت أسنانها الرائعة والمتلألئة - ثم قبلتني على خدي وغادرت بخطوات راقصة نحو الصف الأول قبل أن تستلّي لي أي تعليق. «أرجوك إدوارد» بدأت أتوسل إليه، لكنه ضغط بإحدى أصابعه البارزة على شفتي.

«دعينا نناقش ذلك لاحقاً. سوف نتأخر عن الصف».

ما عاد يضايقنا أحد ويحدّق بنا عندما كنّا نجلس في مقعدينا المعتادين في مؤخرة قاعة الصف (صرنا نحضر تقريباً كافة الحصص معاً، وكان الاستحسان الذي يلقاه إدوارد من المديرات النساء مشيراً للدهشة). مضى على علاقتنا أنا وإدوارد وقت طويل بحيث تجاوزنا مرحلة القيل والقال.

حتى أنّ مايك نيوتن لم يعد يزعجني في التحديق بي بتجهّم ممّا



يشعرنني بأنني مذنبية. عوضاً عن ذلك، ابتسم الآن وكنت سعيدة لأنه بحسب ما بدا قد تقلل أن علاقتنا لن تخطف الصدافة. أما مايك فكان قد تغير بعد انقضاء الصيف - لقد فقد وجهه بعضاً من انتفاخه، ما جعل عظام وجنتيه بارزتين أكثر، وصار يسترح شعره الأشقر الباهت تسريحة جديدة؛ قديماً من أن يكون خشناً، كان شعره الآن أطول ومدهوناً بالجل بطريقة غير مبالية. كان من السهل معرفة من أين جاءه هذا الإلهام، غير أن الظهور بمظهر إدوارد لا يمكن التوصل إليه عبر تقليده.

مع تقدم ساعات النهار، فكرت في عدة أمور لكي أنأى بنفسي عما كان سيحصل في منزل عائلة كولن في تلك الليلة. كان من السيئ جداً أن أحتفل والحزن يسيطر عليّ. ولكن الأسوأ من ذلك أن الاحتفال كان يعني أنه ستكون هناك هدايا، وسيكون الاهتمام مركزاً عليّ. لم يكن الاهتمام فكرة جيدة، ويتفق معي في ذلك كل أخوتي كثير التعرض للحوادث. ما من أحد يحبذ أن يركز عليه الآخرون فيما من المحتمل أن يسقط على وجهه، أو يكسر يداً أو رجلاً، كل حين.

كنت قد طلبت، أو بالأحرى أمرت، بالآي قدّم لي أحد هدايا هذا العام. لكن يبدو أن تشارلي وريتبه لم يكونا الرحيذيين اللذين قرّرا التناضاي عن طليبي وأوامري.

لم يكن لدي مال وفي يوماً على الإطلاق، ولم يزعمجني ذلك أبداً. كانت ريتبه قد ربّنتي من مرتبها كمدّسة في روضة أطفال. كما أن عمل تشارلي لم يكن يثريه، إذ كان مسؤول شرطة هنا في فوركس البلدة الصغيرة. كان دخلي الفردي الوحيد يأتي من خلال عملي في متجر للوازم الرياضية مدة ثلاثة أيام في الأسبوع. من حسن حظي أنني وجدت عملاً في بلدة صغيرة كهذه.

كنت أضع كل بنس جنتيه في صندوق الكلية الصغير جداً. (الجامعة كانت بالنسبة إليّ الخطة (ب). كنت ما زلت أحلم بالخطة (ا).

لكن إدوارد لم يتخل عن عناده وإصراره على تركي بشرية وعدم تحويلي...).

كان إدوارد يملك الكثير من المال، مبالغ لا أريد التفكير بها حتى. لم تمن الأموال شيئاً بالنسبة لإدوارد وعائلة كولن. كانت مجرد شيء تكسده حين يكون عندك متسع من الوقت، وعندك شقيقة لديها قدرة خارقة على التنبؤ باتجاهات أسعار الأسهم المالية. لم يكن إدوارد يفهم لم أرفض أن يصرف عليّ أموالاً، لم كنت أشعر بعدم الارتياح من اصطحابه لي إلى أعلى المطاعم في سياتل، لم كنت أتمنعه من أن يشتري لي سيارة تصل سرعتها إلى ما فوق الخمسة والخمسين ميلاً في الساعة، أو لم لم أسمح له بتسديد قسط التعليم: (كان متحسماً بشكل سخيف حيال تنفيذ الخطة ب). كان إدوارد يظن أنني صعبة المراس على نحو غير ضروري.

ولكن كيف لي أن أدعه يقدم لي أشياء لا أملك أن أعطيه مقابلها؟ هو، ولسبب غير مفهوم، أراد أن يكون معي، أي شيء يقدمه لي زيادة على ذلك يستب خلافاً في التوازن بيننا.

لم يفتح أي من إدوارد أو أليس موضوع عيد ميلادي مجدداً مع مرور ساعات النهار، وبدأت أشعر بنوع من الاسترخاء. جلسنا إلى طاولتنا المعتادة للغداء.

هذنة غريبة خيّم على أجواء الطاولة، وعلى كل واحد منا نحن الثلاثة: إدوارد، أليس وأنا حيث جلسنا على طرف الطاولة الجنوبي. الآن، وبعد تخرّج الشقيق الأكبر سنّاً من كولن والأكثر إخافة بعض الشيء (أقصد إيميت طبعاً)، لم يبد كل من أليس وإدوارد مثيرين للرهبة كثيراً، ولم تكن نجلس هنا بمفردنا. فأصدقائي الآخرون، مايك وحبسكا (الذنان كانا يمران في مرحلة صعبة تلت انفصالهما)، أنجيليا وبين (الذنان أنعشا علاقتهما في الصيف)، إضافة إلى إريك، وكوثر،



وتايلر ولورين (مع أنّ هذه الأخيرة لم تكن مصتفةً في خانة الأصدقاء)؛ كانوا جميعهم يجلسون إلى الطاولة نفسها، على خطّ مواز لطاولتنا. هذا الخطّ كان يتلاشى في الأيام المشمسة حين كان إدوارد وآليس يغيبان دوماً عن المدرسة؛ وتدور الأحاديث على نحو أوسع حتى تشملني.

لم يكن إدوارد وآليس يجدان غربة في مثل هذه المقاطعة التي كنت أعاني منها. فهم بالكاد انتبهوا لذلك. لطالما شعرَ الناس دائماً بالحذر والخوف من آل كولن، أحسّوا بذلك لسبب لم يستطيعوا تفسيره لأنفسهم. كنت استثناء نادراً عن القاعدة. ما كان يزعج إدوارد أحياناً هو مدى الارتياح الشديد الذي أشعر به بالقرب منه. كان يعتقد أنّه خاطئٌ على حياتي، اعتقادٌ رفضته بعنف كلما نفّوه به.

مرت فترة بعد الظهر سريعاً. انتهى دوام المدرسة، ورافقني إدوارد إلى سيارتي كما يفعل عادةً. لكنّه في هذه المرّة فتح لي الباب الذي بجانب السائق. لا بد أن آليس قد أخذت سيارته إلى المنزل حتى يمتعني من الهروب.

طويْتُ ذراعيّ ولم آتِ بأيّ حركة للاحتماء من المطر. «إنّه عيد ميلادي، ألا يحقّ لي أن أقود؟»

«أنا أدعي أنّه ليس عيد ميلادك. كما تمثي تماماً».

«إن لم يكن عيد ميلادي، ليس عليّ إذا الذهاب إلى منزلك الليلة...»

«حسناً». أغلق الباب بجانب السائق ومشى أمامي ليفتح باب السائق. وقال: «ميلاداً سعيداً».

طلبتُ منه بفنور أن يصمت. وصعدت من الباب المفتوح، متمتيةً لو أنّه قَبِلَ بالعرض الآخر.

كنت أقود، وكان إدوارد يعبث بالراديو، وهو يهزّ رأسه غير راضٍ عمّا يحصل.

«استقبال هذا الراديو للإذاعات فقط».

عبستُ، إذ لم يعجبني انتقاده لسيّارتي. فالشاحنة كانت ممتازة وقوية. لها شخصيتها.

قلت: «هل تريد الاستماع لإذاعات لا تشويش فيها؟ قد سيّارتك إذناً».

كنتُ احتدم غيظاً من خطّط آليس، وهو ما عكّر مزاجي العكبر أصلاً، ودفعني لقول كلمات أقسى ممّا كنتُ أنصد. كنتُ سريعة الغضب من إدوارد على غير عادة، أمّا نبرتي فجعلته يزمّ شفّتيّ كي لا يفتّر ثغره عن ابتسامة.

عندما أوقفت السيارة أمام منزل تشارلي، مدّ إدوارد يديه حاضناً وجهي. لمسني بعناية بالغة، وضغط بأنامل أصابعه بكلّ رفقٍ على صدغيّ ووجعتي وحكني. وكأنني كنتُ قابلة للكسر. كانت هذه حالتي تماماً مقارنة بحالته على الأقلّ.

«يجب أن تكوني في مزاج طيّب، اليوم من بين كلّ الأيام»، همستُ نائلاً وأنفاساً المنعشة تلفح وجهي.

«ماذا إذا لم أكن في مزاج طيّب؟». سألتُه بأنفاس مضطربة منقطعة.

كانت عيناه الذهبيتان تتقدان وهو يقول: «سيكون هذا بغاية السوء». كنتُ قد بدأتُ أشعر بدوخة في رأسي لحظة مال نحوّي ولستُ شفتيه الباردتين بشفتي. وقد حقّق ما أراده، إذ عندما اقترب مني، تبدّدت كلّ مخاوفي، وتركز اهتمامي في تذكّر كَيْفِيّة الشهيق والزفير.

حطّ فمه البارد والناعم واللطيف على فمي، إلى أن طوّقتُ عنقه بذراعيّ وانغمستُ في قبلةٍ بمزيد من الإثارة. استطعتُ أن أشعر بشفتيه يتعدان حين تركّ وجهي وأمسك بيديّ ليتحرّز من عنائي.

كان إدوارد قد وضّع الكثير من الخطوط الحمر التي تحدّد علاقتنا

الجسدية، قصده من ذلك إبقائي على قيد الحياة. ومع أنني احترمت ضرورة الإبقاء على مسافة آمنة بين بشرتي من جهة وأسمائه الحادة المغطاة بالسّم من جهة أخرى، إلا أنني كنت أميل إلى نسيان أمور تافهة كهذه عندما كان يقبّلني.

شعرت بأنفاسه على وجنتي وهو يقول: «كوني عاقلة أرجوك»، وبلبونة، ضغط يشغته على شفتي مرة أخرى ثم ابتعد، ولفّ ذراعي على بطني.

كان صوت نبضي يخفق في أذني. وضعت يدي على قلبي فشعرت به تحت راحة كفي يدق كالطبل بسرعة فائقة.

قلت متسائلة، موجهة السؤال إلى نفسي أكثر مما قصدت أن أسأله: «هل تظن أنني سأكون أفضل؟ أنظر أن قلبي سيتوقف يوماً ما عن الففز من بين ضلوعي كلما لمستني؟».

«في الواقع لا أتمنى ذلك»، قال مسروراً معجباً من نفسه. أدّرت عيني إلى الناحية الأخرى. قلت: «دعنا نذهب لمشاهدة الصراع بين عائلتَي كابوليت ومونتاجي، يقطّمان بعضهما البعض موافق؟».

«طلبانك أوامر».

تمدد إدوارد على الأريكة بينما بدأت بتشغيل الفيلم مسرّعة أسماء المشاركين في إنتاجه وصولاً إلى المشاهد الأولى. وعندما جلسْتُ على طرف الكنية أمامه، لفّ ذراعيه حول خصرِي وضمتني إلى صدره. لم يكن صدره الصلب، البارد، الرائع والأشبه بمنحوتة جليد مريحاً مثل وسادة الكنية، لكنني كنت بلا شك أفضله. تناول غطاءً صوفياً قديماً من خلف الأريكة ولفني به كي لا أتجمّد بالقرب من جسمه.

مع بداية الفيلم علّق قائلاً: «هل تعلمين، لم أكن شغوفاً بروميو أبداً».

«ما الذي لا يعجبك في روميو؟»، سألتُه، منزعجة قليلاً. كان روميو إحدى الشخصيات التي كنت أحلم بها، إلى أن تعرّفتُ على إدوارد، فبدأت أشعر بشيء تجاهه.

«حسناً، في البداية، هو يحبّ روزالين هذه، ألا تعتقدين أنّ هذا يجعله يبدو متقلّباً؟ وثمّ بعد دقائق معدودة على حفل زواجهما، يُقَدِّم على قتل ابن عمّ جوليت. ليس هذا عملاً ذكياً. فهو يرتكب الخطأ تلو الخطأ. هل من شيء آخر يمكنه فعله لتدمير سعادته كلياً وإلى الأبد؟».

تنهّدت. «هل تريد متي أن أشاهد الفيلم بمفردي؟».

«كلا، سأكون مشغولاً في مشاهدتك أنتِ على أيّ حال». كانت

أصابعه تنحت أشكالاً على ذراعي فيقشعرّ جسمي. «هل ستبكين؟».

«من المحتمل، إن كنتُ مركّزة انتباهي في الفيلم». اعترفتُ.

«لن ألهيّكِ إذا». ولكنني شعرتُ بشغتي على شعري، وهو ما كان

كافياً لأن يشتت انتباهي.

لكن الفيلم عاد يستحوذ على اهتمامي في نهاية المطاف، ويعود

الفضل الأخير في ذلك إلى إدوارد وحسماته في أذني عن أفعال روميو،

ومقارنة بصوت الشاعر الذي لا يقاوم، أصبح صوت الممثلين ضعيفاً

ونظراً، ثم بدأتُ أبكي لحظة نهضت جوليت لتجد الرجل الذي تزوّجته

جديداً جثة هامدة.

«أقرّ أنني أحسده على هذا الموقف»، قال إدوارد وهو يمسح

دموعي بخصلة من شعري.

«إنها بغاية الجمال».

علّق ببررة مُغيظة توحى بالتقرّز: «أنا لا أحسده على الفتاة، بل

أحسد الفتاة على الراحة بعد الانتحار، الأمر سهل جداً بالنسبة لكم أنتم

للمبشرين كلّ ما عليكم فعله هو شرب قتيّنة صغيرة من خلاصة

النبات...».

شهقت قائلة: «ماذا؟».

«إنها مسألة كان عليّ أن أفكر بها لمرة واحدة، وفهمتُ من خلال تجربة كارلايل أن ذلك ليس سهلاً. حتى أنني لست متأكدًا من عدد الوسائل التي لجأت إليها كارلايل في البداية لكي يقتل نفسه... بعدئذٍ حين أدرك ما الذي صار عليه، عاد صوته إلى نعومته بعد أن كان قد نُحِن كثيرًا وهو يقول: «ومن الواضح أنّه ما زال يتمتّع بصحة ممتازة».

أدرث نظري نحوه كي تستنى لي قراءة تعابير وجهه. «ما الذي تتكلّم عنه؟»، سألت. «ماذا تقصد باضطرابك للتفكير في الأمر لمرة واحدة؟».

«في الربيع الفائت، حين كدت تقطين...». توقّف ليأخذ نفساً عميقاً محاولاً بجهد أن يعود إلى نبرته المُغيظة. «كنتُ بالطبع أسعى للعثور عليك حيّة، ولكنّ جزءاً من عقلي كان يفكر في خطط بديلة أخرى. ففكرت أن الأمر عندي ليس بالسهولة ذاتها كما هو عند البشر».

للحظة قصيرة، عبرت في ذهني ذكريات رحلتي الأخيرة إلى فينيكس وجعلتني أشعر بدوار. استطعتُ أن أذكّرها بوضوح - الشمس المتوهجة، وموجات الحرّ التي تتبعث من الزفت بينما كنتُ أركض بسرعة يائسة لأجدّ مضاص دماء سادياً أراد تغذيبي وقتلي. في غرفة المرايا، كان جايمس ينتظر محتجزاً أُمي رهينة - أو هكذا كنتُ قد اعتقدت. لم أكن قد علمتُ أنّ ذلك كلّهُ خدعة. لم يكن جايمس يعلم أنّ إدوارد بصارع من أجل إنقاذي، ففعلها هذا الأخير في الوقت المناسب وبسرّة تامة. على نحو طائش، رسمت أظافري جرحاً في يدي على شكل هلالٍ كان أبود ببيض درجات من باقي أنحاء جلدي.

هزيتُ برأسي، كما لو أنني أردتُ نفّس الذكريات الأليمة منه، وحاولتُ أن أستوعب ما عناء إدوارد. كانت معدتي تؤلمني وتزعجني. «خطط محتملة؟»، كرّرتُ.

«لم أكن أريد أن أعيش معك». حرّك عينيه كما لو أنّ ما قاله كان واضحاً جداً. «لأني لم أكن متأكدًا من كيفية فعل ذلك، كنتُ أعرف أنّ إيميت وجاسبر لن يساعداني أبداً... لذلك كنتُ أفكر بإمكانية السفر إلى إيطاليا وعمل شيءٍ لأحرض الـ«فولتوري»...».

لم أشأ تصديق أنّه كان جدّيًا، لكنّ عينيه الذهبيتين كانتا تتأملان في ما هو بعيد جداً من أجل إيجاد وسائلٍ كفيلة بإنهاء حياته. فجأةً، انتابني الغضب.

«ما هي الـ«فولتوري»؟»، سألته.

«الفولتوري هي عائلة»، شرّح لي وعينه لا تتوقّفان عن التأمل. «أفراد عائلة من جنسنا، قديمة جداً وقويّة جداً. أُظنّ أنّهم الأقرب إلى العائلة الملكية في عالمنا. عاش معهم كارلايل في بداياته لمدة قصيرة في إيطاليا، قبل أن يستقرّ في أميركا، أذكركم القصة؟».

«طبعاً أذكرها».

لم أنس أبداً أول مرة تصدّث فيها منزل آل كولن، وهو قصرٌ ضخم أبيض تكانن في الغابة على ضفاف النهر، حيث علّق كارلايل، والد إدوارد، رسوماتٍ على حائط تعرّف بسيرة حياته. اللوحة الأكثر إشراقاً وإثارةً «رئوساً وضخامةً هناك، كانت عن أيام كارلايل في إيطاليا. تذكّرتُ بالطبع الرجال الأربعة الهادئين، بوجه كلّ منهم الخيالي الرائع، المرسوم على الشرفة التي تطلّ بدورها على مزيج مشكّل من الألوان. ومع أنّ تاريخ الرسومات يعود إلى عقود، غير أنّ كارلايل، الملاك الأشقر لم يتغيّر أبداً. كما أنني أذكر الثلاثة الباقين، وهم من معارف كارلايل القدامى. لم يكن إدوارد قد استخدم اسم فولتوري لهذا الثلاثي الجميل، اثنان منهم شعرهما أسود والثالث شعره أبيض كالثلج. أطلق عليهم أسماءً آرو، كايوس وماركوس، رعاة الفنون في الليل...».

«لن تغضبِ الفولتوري في كافّة الأحوال». أكمل إدوارد مقاطعاً



حلمي، «إلا إذا أردت الموت، أو أي شيء آخر». كان صوته شبه خافت، ممّا جعله يحسّ بالضجر.  
تحول غضبي إلى رعب. أخذت بوجهه الرخامي بين يديّ وأمسكته بإحكام.

قلت له: «ليس عليك أن تفكر بهذه الطريقة مرّة أخرى أبداً أبداً! فمهما قد يحصل معي، لن أدعك تجرح نفسك!».

«لن أعرضك للخطر ثانية، هذا أمر نختلف عليه». «تعرّضني للخطر! ظننت أننا كنا قد اتفقنا على أنّ عيبي هو سوء الحظّ هذا!». كان غضبي يزداد. «كيف تجرؤ على التفكير هكذا؟». لقد كانت فكرة زوال إدوارد من الوجود، حتى لو مُت أنا، مؤلمة للغاية بالنسبة لي.

سألني: «ما الذي ستفعله إذا انقلبت المعادلة؟». «يختلف الأمر هنا». لم يبدو أنّه فهم الفرق. فضحك بصوت خافت. «ماذا لو أصابك مكروه؟». اصفرّ وجهي من تلك الفكرة. «ستطلب منّي ألا أكثرث لنفسي؟».

أحسّ بألم أثّر على قسّات وجهه الجذابة: «أعتقد أنّي فهمت فكرتك... بعض الشيء»، أقرّ. «ولكن ماذا سأفعل من دونك؟».

«ما كنت تفعله قبل أن آتيّ وأعقد حياتك». تنهّد: «أنت تبسّطين الأمر كثيراً». «يجب أن يكون كذلك. لست حقاً بالفاتة المهمة».

كان على وشك أن يجادلني لكنّه سرعان ما تراجع. «أمر نختلف عليه». ذكرّني بهذه العبارة. فجأة، غير وضعيّة جلوسه لتصبح رسميّة أكثر، وأزاحني إلى الناحية الأخرى فلم يعد أحداً يلمس الآخر.

خمت: «إنه تشارلي؟».

ابتسم إدوارد. وبعد لحظات، سمعت صوت سيارّة الشرطة تتوقّف بمحاذاة الشارع. مددت ذراعيّ وأمسكت يده بقوة. قد يروق ذلك كثيراً لأبي.

دخل تشارلي حاملاً علبة بيتزا. «آتيها الأولاد!». ابتسم في وجهي. «فكرت في أن تأخذي قسطاً من الراحة بعد الطبخ وغسل الصحون لعيد ميلادك. هل أنت جائعة؟». «طبعاً جائعة. شكراً يا أبي».

لم يعلّق تشارلي على انعدام شهية إدوارد البادية. مع أنّه أراد منه البقاء لتناول العشاء.

سأل إدوارد بعد أن انتهيت أنا وتشارلي من الأكل: «هل تمنع إذا استعرت بيتاً هذا المساء؟».

نظرت إلى تشارلي مفعمة بالأمل. ربّما لديه مفاهيم تتعلّق بأعياد الميلاد كالمكوث في المنزل والبحث في الشؤون العائلية. كان ذلك عيد ميلادي الأوّل معه، والأوّل منذ أن تزوّجت أمي ربيّة مرّة أخرى وذهبت للعيش في فلوريدا، لذا لم أكن أعرف ماذا سيقوّر.

ولكنني لقدت الأمل، فقد علّق تشارلي: «هذا جيّد، المارينرز سيواجهون السوكس هذه الليلة ولن ألقي إذاً أيّاً من رفاقي».

أحضرت تشارلي الكاميرا التي كان قد جلبها لي بناءً على طلب ربيّة (لكنني سأكون بحاجة إلى صوّر أضعها في دفتر ذكرياتي)، ثمّ رماها لي.

كان عليه أن يعرف أنني لن أستطيع التقاطها، فقد كنت أواجه مثل هذه التحديات بصورة دائمة. انحرقت الكاميرا عن إصبعي وأفلتت من بين يديّ. لكن إدوارد التقطها قبل أن تتحطم على الأرض.

«صدّة موقفة»، قال تشارلي وأكمل: «ينبغي أن تلتقطي بعض الصور يا بيتا إذ قد يقومون بشيء ممتع في سهرة آل كولن اليوم. أنت تعلمين

كيف ستشعر أمك، ستكون بانتظار رؤية الصور حتى قبل أن تلتقطها.

«فكرة سديدة، تشارلي»، قال إدوارد ثم ناولني الكاميرا.

صوّت الكاميرا إلى إدوارد والتقطت الصورة الأولى. «إنها تعمل».

«ممتاز. بلّغي أليس سلامي. لم أرها منذ مدة». تكلم تشارلي

وفمه يميل إلى جهة واحدة.

«انقضت ثلاثة أيام فقط يا أبي»، ذكرته. كان تشارلي مجنوناً

بالكس. تعلّق بها في الربيع الفائت عندما رافقتني طوال فترة نقاهتي

السخيفة؛ سيكون تشارلي ممثلاً لها إلى الأبد لأنها حمتها من الخوف

الذي تسببه له ابنة راشدة كانت تحتاج إلى من يساعدها في الاستحمام.

«سأبلغها سلامك».

«حسنًا أيّها الأولاد، استمتعوا بأسميتكم». من الواضح أنني كنتُ

منبوذة. إذ إن تشارلي قد سبق وتوجّه إلى غرفة الجلوس والتلفاز

ابتسم إدوارد مبتهجاً، أخذ بيدي وجرتني من المطبخ.

عندما وصلنا إلى السيارة، فتح لي الباب بجانب السائق ثانية،

ولكنني لم أجادله هذه المرة. كنتُ قد مررتُ بلحظات عصيبة وأنا

أبحث عن الطريق إلى بيته الغامض في الظلام.

قاد إدوارد شمالاً باتجاه فوركس، وعمد إلى تخطّي حدود السرعة

المتاحة في سيارتي الشيفروليه الأثرية. علا صوت المحرك أكثر من

المعتاد حين تعدّى سرعة الخمسين.

«إمدا قليلاً»، أذنته.

«أنعلمين ماذا ستجيبين؟ سيارتي «أودي» صغيرة. هادئة ولكن قوية

جداً...».

«ليس هناك عيب في سيارتي. وبالحديث عن السخافات الغالية

الثن، إن كنت تعلم ما يجب أن أهتلك عليه، فأنت لم تصرف أيّ مالٍ

لشراء هدايا عيد الميلاد».

«ولا حتى عشرة دولارات»، قال متباهياً.

«عظيم!».

«يمكنك أن تُسدي إليّ خدمة؟».

«بحسب نوعها».

تنهّد، وبدا وجهه الجميل جذياً. «بيلاً، آخر عيد ميلاد حقيقيّ

عاشناه كان لإيميت عام 1935. تخليّ عن مزاجيتك ولا تكوني صعبة

المراس الليلة. فجميعهم متحمّس».

كان يصدمني قليلاً حين يتكلّم بمواضيع كهذه. «حسنًا، سأحسن

النصرف».

«ربّما عليّ أن أنبهك...».

«أرجوك أن تفعل ذلك».

«عندما قلتُ إنّ جميعهم متحمّس... قصدتُ الجميع بدون استثناء».

«الجميع؟»، تفاجأت. «اعتقدتُ أنّ إيميت وروزالي في أفريقيا».

كان لدى بقية الناس في فوركس انطباع بأن الأشقاء الأكبر سنّاً في عائلة

كولن كانوا قد انتقلوا هذا العام من المدرسة إلى دارتموث، لكنني كنتُ

على معرفة بالحقيقة.

«أراد إيميت أن يكون هناك».

«ولكن... ماذا عن روزالي؟».

«أعرف، بيلاً. لا تشغلي بالك، سيكون سلوكها ممتازاً».

لم أجب. كما لو أنني قادرة على عدم الفلق، بكلّ بساطة. بخلاف

أليس، فإنّ شقيقة إدوارد الأخرى «المتبتّاة»، الشقراء، ذات الشعر

الذهبي، رفيعة التهذيب وروزالي، لم تكن تحبني كثيراً. في الواقع، كان

شهورها تجاهي أقوى بقليل من الكراهية. بالنسبة لروزالي، كنتُ دخيلةً

غير مرحّب بها على حياة عائلتها السريّة.

هذا الموقف جعلني أشعر بالذنب والخوف، إذ ظننت أنني السبب في الغياب المطول لروزالي وإيميت، مع أنني استمتعت في أعماقي بعدم رؤيتي لها. أنا إيميت، الشقيق المرح لإدوارد، فاشتقت إليه. كان دوماً بمثابة أخي الأكبر الذي لطالما احتجت إليه... لكنه كان مخيفاً جداً.

قرّر إدوارد تغيير موضوع الحديث. «حسناً، إن منعتني من شراء سيارة الأودي لك، هل سيكون هناك شيء واحد أحببته في عيد ميلادك؟»

خرجت من فمه الكلمات على شكل همسات. «تعرف ما أريد».

نحّت عبوسه بعض التجاعيد العميقة على جبهته الرخامية. تمنّى لو أنه لم يغير الحديث عن روزالي. ونحن كنا نتاولنا هذه المسألة كثيراً هذا اليوم.

«ليس الليلة، ييلاً. من فضلك».

«حسناً، ربّما ستعطيني آليس ما أريد».

أخذ إدوارد يزمجر بصوت خفيض وخطير. «لن يكون هذا عيد ميلادك الأخير يا ييلاً. تعهد لي».

«هذا ليس عدلاً».

اعتقدت أنني سمعت صوت صريف أسنانه.

في ذلك الوقت، كنا نتوقّف قرب المنزل. نور ساطع أضاء كلّ النوافذ في أوّل طابقين. خطّ طويل من المصابيح المتوهّجة تدلّى من الطنّف، عاكساً إشعاعات دقيقة على أشجار الأرز الضخمة التي طوّفت المنزل. أما باقات الزهور الكبيرة والورود الزهرية فامتدت على طول درجات السلالم حتى الأبواب.

أخذ إدوارد بضعة أنفاس عميقة ليهذئ نفسه. «إنها حفلة»، دكّرني. «حاولي أن تكوني مريحة».

«بالطبع»، غمغمتُ.

التفت من الجهة الأخرى ليفتح الباب، ثم بسط يده لي.

«الذي سؤال».

تبهلّ بحذرٍ.

قلتُ بينما كنتُ أعبتُ بالكاميرا: «إذا ظهرت هذا الفيلم هل سأراك في الصورة؟».

راح إدوارد يضحك. ساعدني على الخروج من السيارة وعلى صعود الدرج وكان لا يزال يضحك حين فتح لي باب البيت.

كان الجميع بانتظاري في غرفة الجلوس البيضاء الواسعة. عندما عبرت الباب، حيّوني بصوت موسيقي مرتفع «ميلاداً سعيداً ييلاً»، في حين كنتُ أنظر إلى الأسفل محمّرة خجلاً. كانت آليس، بحسب ما توقّعت، قد زيّنت كلّ مساحة من الغرفة بشموع وردية وعشرات من طاسات الكريستال تجوي مئات الزهور. وكانت هناك طاولة تغطّيها قطعة قماش بيضاء قرب بيانو إدوارد الضخم، وعلى سطحها قالب حلوى ووردي، ومزبلاً من الزهور، صفّ من الصحون الزجاجية إضافةً إلى كومة صغيرة من الهدايا المغلفة الفضّة اللون.

كان ذلك أسوأ ممّا كنتُ قد تخيلتُ بمئة مرة.

حين شعر إدوارد بخجلي، لفّ يده حول خصري ليساعدني وقبّلني في أعلى رأسي.

كان أهل إدوارد، كارلايل وإيزمي، الشيطين للغاية واللطيفين كالعادة، الأقرب إلى الباب. غمّرني إيزمي بعنايتها، وفرك شعرها الأملس بلون الكاراميل وجتتي عندما قبّلت رأسي، ثم وضع كارلايل ذراعه على كتفي.

«نعتذر منك، ييلاً»، همس في أذني. «لم نستطع إيقاف آليس».

روزالي وإيميت كانا خلفهما. لم يتبسّم روزالي لكنها على الأقلّ



لم تحملق بي. أما وجه إيميت فكان غارقاً في ابتسامة عريضة! مرّت أشهرٌ على رؤيتي لهما آخر مرّة. كنتُ قد نسيتُ كم كانت روزالي فائنة، فالنظر إليها كان يجرّح. وهل كان إيميت سميناً إلى هذا الحد؟

«لم تتغيّري أبداً»، قال إيميت بخيبة أمل هازئة. «توقّعتُ تغيّراً ملحوظاً ولكن ها أنتِ أمامي، بوجهك الأحمر المعتاد».

«شكراً، شكراً جزيلاً، إيميت»، قلْتُ له بخجلٍ شديد.

ضحك، «عليّ الخروج لبرهة» - توقّف وغمَزَ أليس على نحو مكشوف - «لا تقومي بأيّ حركة فكاهية أثناء ذهابي».

«سأحاول».

أفلتت أليس من يد جاسبر ووثبت إلى الأمام، وأسنانها تتلألًا تحت النور الساطع. ابتسمَ جاسبر أيضاً لكنه بقيَ بعيداً. اتكأ، بطوله وشفاره، على العمود أسفل الدرج. طوال الأيام التي كان علينا قضاؤها محبوسين في فينيكس، كنتُ قد ظننْتُ أنّه قد تخلّى عن بغضٍ لي. إلا أنّه - محاولاً تجنّبي قدر الإمكان - عاد ليتصرّف معي تماماً كما في الفترة التي سبقَتْ لحظة تحرّره من التزامه المؤقّت في حمايتي. أدركْتُ أنّ الأمر ليس شخصياً، إنّما حذر فحسب، فحاولْتُ ألا أكون حسّاسة أكثر ممّا ينبغي. كان جاسبر الأكثر معاناة من مشاكل التآقلم مع نظام الحماية المتّبع من آل كولن. كان من الصعب جداً عليه أن يقاوم رائحة دم البشر ولم يكن قد جرّب ذلك منذ فترة طويلة.

«حان وقت فتح الهدايا»، صرّحت أليس. وضعت يدها الباردة على معصمي وجرتني إلى الطاولة حيث قالب الحلوى والعُلب اللامعة.

تظاهرتُ بأنني كنتُ متأثرة. «أليس، أعلم أنني أخبرتكِ بأنني لا أريد شيئاً...».

«لكنني لم أسمعكِ»، قاطعتني معتدة بنفسها. «افتحيها». أخذت آلة التصوير من يدي وأعطتني بدلاً منها صندوقاً فضياً كبيراً.

كان وزن الصندوق خفيفاً جداً كما لو أنّه فارغ. أشارت البطاقة الملصوقة عليه أنّه من إيميت وروزالي وجاسبر. مرّقتُ الورقة التي غلّفتها ثم حدّقتُ بالصندوق.

وجدتُ قطعةً كهربائيةً، حملت في اسمها العديد من الأرقام. فتحتُ الصندوق متظرةً إضاءةً أقوى. لكنّه كان فارغاً.

«حسناً... شكراً».

رسمتُ روزالي ابتسامة على شفّتها. وضحك جاسبر. شرح لي: «إنّه ستيريو لسيّارتك، سيركّبها إيميت الآن فلن تتمكّني من إرجاعها».

كانت أليس تقف أمامي على مسافة خطوة واحدة.

«أشكركم جاسبر وروزالي»، قلْتُ لهما مبتسمةً لأنني تذكرتُ نذر إدوارد من راديو سيّارتي عصر ذلك اليوم. كبسةُ زُرّ فحسب، بحسب ما يقال. «شكراً إيميت!»، قلْتُ له بصوتٍ أعلى.

سمعتُ فقهته من سيّارتي، فلم أستطع منع نفسي من الضحك أنا أيضاً.

«افتحي هديتي ثم هدية إدوارد بعدها»، قالت أليس بحماسة شديدة وصوتٍ مرتعشٍ بقوة. حملت بين يديها علبةً صغيرة ومسطحة.

«لنفتّ غاشيةً لأحدق بإدوارد». «لقد تعهّدت».

قبل أن يتمكّن من الإجابة، وثب إيميت من الباب، وصرخ: «جئت في الوقت المناسب!». شقّ طريقه ليقف وراء جاسبر الذي كان قد اقترب أكثر من اللازم لكي يتمكّن من الرؤية بشكل جيّد.

«لم أصرف عشرة دولارات»، أكّد لي إدوارد. أراح خصلةً من الشعر عن وجهي وترك بشرتي تشعر بوخز لمساته.

أخذتُ نفساً عميقاً ولفّفت نحو أليس. تنهّدت وقلْتُ لها: «أعطني العلية».

ابتسمَ إيميت مبتهجاً.

أخذتُ الغلاف، مصوبةً نظري إلى إدوارد عندما غرزتُ ظفري في الورقة ومزقتها من تحت الشريط.

«تبا»، همستُ عندما جرحتُ الورقة إصبعي؛ فسحبته لأفحص درجة الأذى. سالت قطرة دم واحدة من جرح بسيط.

بعد ذلك، حدث كل شيء بسرعة هائلة.

«لا»، هتف إدوارد.

رمى نفسه باتجاهي وطرحني جانباً قرب الطاولة. فهوت الطاولة مثلي وتبعثر قالب الحلوى والهدايا، كذلك الزهور والصحون. ووقعتُ على بقايا الكريستال المحطم.

صقّ جاسبر إدوارد، وكان الصوت أشبه بتحطم البصخور بفعل انهيار جبلي.

كانت هناك ضجة أخرى، زمجرة مروعة بدا أنها صادرة من أعماق صدر جاسبر الذي حاول أن يدفع إدوارد بعنف. وأسنانه تطنطق على بعد إنشاتٍ من وجه إدوارد.

عندها أمسك إيميت بجاسبر من الخلف وقيّده بقبضته الفولاذية الضخمة، لكن جاسبر انتفض بينما كانت عيونه الوحشية مصوبةً نحوي.

فوق هذه الصدمة، كان هناك مزيد من الألم. تعثرتُ بالبيانو ووقعتُ على الأرض ويدي ممدودتان لإراديّاً لتحميني من السقوط على قطع الزجاج المكسرة. الآن فقط شعرتُ بذلك الألم الشديد واللامع من معصمي إلى كوعي.

شعرتُ بدوّارٍ وبعدم تركيز، فرفعتُ بصري عن الدم الأحمر الذي ينزف من ذواعي ووجهته إلى العيون الملتهبة لمصاصي الدماء الستة الذين تحوّلوا فجأةً إلى أشرار.

كان كارلايل الوحيد الذي حافظ على هدوئه. حملتُ قرون من الخبرة في غرفة الطوارئ الهدوء والحزم إلى صوته.

«إيميت، روز، أخرجوا جاسبر من هنا».

أوما إيميت برأسه من دون أن يتسم. «هيا جاسبر».

كافح جاسبر قوة إيميت الجبّارة، فأفلت من قبضته وأتجه نحو أخيه مكشراً عن أنيابه وعينه تقدحان شراً.

كان وجه إدوارد أكثر بياضاً من العاج عندما اندفع ليجثم قربي، متخذاً وضعية دفاعية واضحة. سُيغت هميمته التحذيرية الخافتة من بين أسنانه المطبقة. أكاد أجزم أنه لم يكن يتنفس.

توجّهت روزالي، بوجهها الملانكي البالغ الروعة، نحو جاسبر - محافظاً على مسافة حذرة بينها وبين أنيابه - ثم ساعدت إيميت في دفع جاسبر نحو الباب الزجاجي الذي تركته إيّمي مفتوحاً، بينما هي تضغط بيدها على فمها وأنفها.

احمرّ وجه إيّمي خجلاً. «اعتذر منك كثيراً بيلاً»، قالت بصوت عالٍ فيما كانت تلحق بالآخرين في الحديقة.

«دعنا وحدنا إدوارد». قال كارلايل همساً.

مرت ثانية قبل أن يحني إدوارد رأسه ويستقيم في وقفته.

ركع كارلايل أمامي وأمسك بذراعي. استطعت أن أشعر بالصدمة  
تطبع معالم وجهي، فحاولت استيعابها.

«تفضل كارلايل»، قالت أليس تناوله منشفة.

هز رأسه. «الجرح مليء بالزجاج».

نهض ومزق قصاصة طويلة رقيقة من غطاء المائدة. لقمها حول  
ذراعي فوق مرفقي لكي يوقف النزيف. كانت رائحة الدم تبعث على  
الدوار وترن في أذني.

«بيلاً»، قال كارلايل بنعومة. «هل تريدني متي أن أفلك إلى  
المستشفى، أم تفضلين أن أضمد جرحك هنا؟».

همست أقول، «لنبق هنا من فضلك». إن أخذتني إلى المستشفى،  
ميتعذر إخفاء الأمر عن تشارلي.

«سأجلب حقيبتك»، قالت أليس.

نظر كارلايل إلى إدوارد وقال: «لنضعها فوق طاولة المطبخ».

رفعتني إدوارد دون عناء، في حين لم يتوقف كارلايل عن الضغط  
على الجرح في ذراعي.

سألني كارلايل: «كيف تشعرين بيلاً؟».

«أنا بخير». سررت أن صوتي كان هادئاً بصورة معقولة.

أما وجه إدوارد فكان أشبه بالحجر.

كانت أليس هناك. وكانت حقيبة كارلايل على الطاولة، فيما  
ينعكس على الحائط ضوء مشرق. أجلسني إدوارد على الكرسي بلطف  
وأحضر كارلايل كرسيّاً آخر. ثم باشر العمل فوراً.

جلس إدوارد بجانبني وظلّ حذراً كأنما أنفاسه.

تهدت وقلت: «إرحل إدوارد».

أصرّ يقول: «يمكنني تحمل الأمر». لكن عضلات فكّه كانت

متوترة؛ وعيناه تحترقان عطشاً يفوق عطش الآخرين ويضعه في موقف  
أكثر حرجاً.

قلت له، «لست بحاجة لأن تكون بطلاً، يستطيع كارلايل معالجتني  
من دون مساعدتك. اذهب وتنشق هواءً نقياً».

انكمش وجهي ألماً حين وخز كارلايل ذراعي.

أجاب: «سوف أبقى».

تمتمت: «لماذا تحب تعذيب نفسك إلى هذه الدرجة؟».

قرّر كارلايل التوسط بيننا. «يجدر بك أن تذهب وتجذّ جاسبر قبل  
أن يبتعد كثيراً. أنا واثق أنه مزعج من نفسه، وأشك في أن يصغي إلى  
أحد غيرك الآن».

«نعم»، وافقت بثلثف. «فلتبحث عن جاسبر».

ثم أضفت: «يجب أن تقوم بعمل مفيد».

ضاعت عينا إدوارد حين تحزّنا ضده، ولكن في النهاية، هز رأسه  
مرة واحدة وركض عبر باب المطبخ الخلفي من دون أي صعوبة. كنت  
على يقين من أنه لم يكن قد أخذ نفساً منذ جرح يدي.

كنت أفقد الإحساس بذراعي المخدرة.

مع أن يديّ كارلايل خلصتاني من الألم، غير أنّهما ذكّراني بالجرح  
الساخن، فأمعنت النظر إلى وجهه لكي أصرف الانتباه عما كانت تقوم به  
يدها. كان شعره يومض بلونه الذهبي تحت الضوء المشع عندما انحنى  
فوق ذراعي. استطعت أن أشعر باضطراب في جوف معدتي، لكنني  
كنت «صمّة على ألا تنال متي حساسيتي المقرطة المعتادة. زال الألم  
الآن، ولم يبق سوى إحساس بسيط بوجع حاولت تجاهله. ما من سبب  
لأنصرف كالأطفال».

لم لو تكن واقفة حيث كان بصري مصوّباً، لما انتبهت لها وهي



تستسلم وتُسحب من الغرفة وتبتسم معتذرة بركة، وتخفي عبر باب المطبخ.

تنهدت وقلت، «حسناً، ها قد غادر الجميع، بوسعي إخلاء غرفة على الأقل».

«الذنب ليس ذنبك»، عمد كارلايل إلى مواساتي بضحكة خافتة. «من المحتمل أن يحصل ذلك مع أي شخص».

كررت: «من المحتمل، لكنه عادة لا يحصل إلا معي أنا». ضحك ثانية.

كان هدوؤه مثيراً للذهول ويختلف بوضوح عن رد فعل الجميع. لم أستطع رؤية أي أثر للقلق على وجهه. عمل بحركات سريعة وواثقة. كان الصوت الوحيد، إضافة لأنفاسنا الهادئة، هو «طق.. طق.. طق» الناجم عن سقوط شظايا الزجاج الصغيرة الواحدة بعد الأخرى على الطاولة. سألته: «كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟ حتى اليس اليزمي...». سكث وهزئت رأسي متعجبة.

بالرغم من أن البقية كانوا قد استسلموا لنظام مصاصي الدماء التقليدي كما كان كارلايل قد فعل بالتأكيد، إلا أنه كان الوحيد القادر على تحمّل رائحة دمي من دون أن يعاني من الإغراء الشديد. بكل وضوح، كان ذلك أكثر صعوبة مما كان يتظاهر.

قال لي: «إنها سنوات التجارب الطويلة، بالكاد أنتبه للرائحة».

«هل تظن أنك كنت ستلاقي صعوبة أكبر لو تركت المستشفى لمدة طويلة؟ تبعد فيها عن الدماء؟».

هز كتفيه لكن يديه بقيتا ثابتتين. «ربما. لم أشعر في حياتي برغبة في أخذ عطلة طويلة». ثم توجه إليّ بابتسامة نيرة وجميلة وقال: «أستمتع بعملتي كثيراً».

«طق، طق، طق». صُدمتُ بكثمة الزجاج المتساقطة من ذراعي.

حاولت أن ألقى نظرة على الركام المتزايد، لكي أعرف مقداره فحسب، لكنني أدركت أن هذه الفكرة لن تساعدني على منع التقيؤ.

تساءلت: «ما هذا الذي تستمتع به؟». لم تعن لي شيئاً سنوات الامتناع والرفض التي يُفترض أن يكون قد أمضاها حتى وصل إلى تحمّل ذلك من دون عناء. مع ذلك، أردت أن يتابع الكلام، لأن الحديث انساني الغثيان الذي كنتُ أشعر به.

عندما أجابني، كانت عيناه الداكنتان هادئتين ومركّزتين. «أكثر ما أحبه... براعتي وقدرتي على إنقاذ حياة شخص كان قد فقد الأمل في النجاة. يسرني أنه بفضل ما أستطيع عمله ينعم بعضهم بحياة أفضل. حتى أن رائحة الدم تعتبر وسيلة لتشخيص ناجع في بعض الأوقات». ثم ظهرت نصف ابتسامة على جانب واحد من فمه.

كنتُ أفكر أنه بينما كان يعالج جرحي، كان يتأكد من أنه أخرج كل قطع الزجاج الصغيرة. بعد ذلك، بحث في حقيبته عن أدوات جديدة، فحاول ألا يقع نظري على أي إبرة وخط.

«تحاول جاهداً التعويض عن خطأ لم يكن لك ذنب فيه على الإطلاق». قلتُ في حين بدأ جرحي ينزف من جديد. «أقصد أنك لست أنت من طلب ذلك. أنت لم تختَر هذا النمط من الحياة، ومع ذلك عملت بجهد لتكون صالحاً».

عارضني بصراحة: «لا أعتقد أنني أعوّض عن شيء ما، مثل كل شيء في الحياة، عليّ أن أقر كيفية التصرف مع الحالة التي بين يدي». «هذا يجعل الأمر يبدو سهلاً للغاية».

فحص ذراعي مرة أخرى، وقصّ خيطاً وقال: «ها قد انتهينا». نظف قطعة قطن كبيرة الحجم ووضع عليها سائلاً ملوّناً ثم وضعها مباشرة على مكان الجراحة. كانت الرائحة غريبة وأصابني بدوار في رأسي.

«في البداية»، ألحيتُ عليه بينما كان يثبت بإحكام قطعة من الشاش الطبي على الجرح، «لم فكرت في أن تجرب وسيلة أخرى غير تلك المعروفة؟».

لأحت على ثغره ابتسامة ذات معنى وسألني: «ألم يخبرك إدوارد هذه القصة؟».

«بلى. لكنني أحاول فهم ما كنت تفكر به...».

عاد وجهه ليتخذ فجأة طابعاً جدياً، وتساءلتُ ما إذا كانت أفكاره وأفكارِي قد صبت في المقصد عينه. تساءلتُ كذلك كيف ستكون طريقة تفكيرِي في حال كنت أنا المقصودة، مع أنني رفضت التفكير بذلك. «كان والدي كاهناً»، راح يتحدث وهو يتأمل الطاولة وينظفها بعناية، يفرکہا بإسفنجة مبتلة، ثم يعيد الكرة. لذعت رائحة الكحول أنفي، «كان يملك نظرة قاسية إلى حد ما للحياة التي كنت قد بدأت أتساءل حيالها قبل أن أتغير». وضع كارلايل قطعة القماش الوسخة وشظايا الزجاج في وعاء كريستال فارغ. لم أفهم ما الذي كان يفعله، إلى حين أشعل عود ثقاب. رمى العود على الخيوط المنقوعة بالكحول فقفزتُ جِراءً اللهب المفاجئ.

«عفواً». اعتذر مني ثم تابع: «كنتُ مضطراً لذلك... حسناً، لم أكن أتفق مع أبي في إيمانه الخاص. ولكن على مدار أربعمئة عام منذ أن أبصرْتُ النور، لم أَر مطلقاً أي شيء يجعلني أشك ما إذا كان الرب موجوداً على هذا الشكل أو غيره».

تظاهرتُ بأنني أفحص ضمادة ذراعي لكي أخفي دهشتي من المسار الذي سلكه حديثنا. كان الدين آخر ما أفكر في التحدث فيه. كانت حياتي الخاصة شبه مجرّدة من الإيمان. اعتبر تشارلي نفسه لوثرانياً، لأن أهله كانوا كذلك، لكنه كان يفضل الذهاب إلى النهر أيام الأحاد وييده صتارة السمك على الذهاب إلى الكنيسة. أما رينيه فكانت تجربتها مع

الكنيسة من حين إلى آخر أشبه بممارسة هوايات تكتشف أنها لا تستهويها فعلاً، مثل كرة المضرب، وصناعة الفخار، واليوغا وصفوف اللغة الفرنسية.

«أنا أكيد من أنّ كل هذا الكلام يبدو غريباً بعض الشيء لأنه يصدر عن مصاص دماء». ابتسم ابتسامة عريضة، مدرّكاً كيف أنّ الاستخدام الطارئ لهذه الكلمة ينجح دائماً في أن يصدمني، «ولكنني أمل أنّه ما زال هناك هدف لهذه الحياة، حتى بالنسبة لنا. إنّه مشوار طويل، أقرّ بذلك». تابع بصوت مرتجل. «لا أهمية لنا بكل المقاييس، لقد حلت علينا اللعنة. لكنني أتمنى بسداجة، أن ننال درجة من الثقة لنتمكن من المحاولة».

تمتمت أقول: «لا أظن أن تمتيك ساذج. ولا أظن أن أحداً يراه كذلك».

لم أكن لأتصور أن أحداً، بما في ذلك الآلهة لم تكن تتأثر بكارلايل. ثم إن جنة لا يوجد فيها إدوارد، ليست جنة بالنسبة لي.

«في الواقع، أنتَ أوّل من يوافقني الرأي».

سألتُ متفاجئاً، وفي ذهني شخص واحد لا غير: «ألا يشعر الآخرون بالمثل؟».

عرف كارلايل طريقة تفكيرِي مرّة أخرى.

«إدوارد وأنا متفقان إلى حد ما. الله واللجنة موجودان... وكذلك جهنم. لكنه لا يؤمن بوجود الآخرة لجنسنا... كان صوت كارلايل رقيقاً جداً؛ وهو يحذل بالظلمة عبر النافذة الكبيرة فوق المغسلة. «يعتقد بأننا فقدنا أرواحنا».

تبادرت إلى ذهني فوراً كلمات إدوارد عصر اليوم: ليس إن كنت تريد الموت أو أي شيء من هذا القبيل.

انعكس ضوء المصباح فوق رأسي.

تساءلت: «هذه هي المشكلة الحقيقية، أليس كذلك؟ لهذا السبب أجده صعب المراس معي».

تكلم كارلايل ببطء. «أنظر إلى... ابني. قوته، طيبته، النور الذي يشع منه، فلا يزودني ذلك إلا بالأمل والإيمان، أكثر من أي وقت مضى. فكيف يمكن ألا يحظى شخص كإدوارد بأكثر من مجرد حياة مصاص دماء؟».

أحيت رأسي موافقة بحماسة على حديثه.

نظر إلي بعينين يصعب فهمهما: «ولكن إذا آمنت مثله... إذا آمنت مثله، هل ستمكّنين من انتزاع روحه؟».

الطريقة التي طرح بها السؤال أجبته إجابتي.

لو أنه سألني ما إذا كنت سأخطر بروحي من أجل إدوارد، لكنت الإجابة محسومة. ولكن هل سأجازف بروح إدوارد؟ زينت شفتي بحزن. لم تكن مقايضة عادلة.

«هنا تكمن المشكلة».

هزأت رأسي واعية لحركة ذقني الراضة.

تنهد كارلايل.

أصررت أقول: «إنه خيار».

«وخياره أيضاً».

رفع يديه عندما لاحظ أنني على وشك مجادلته: «إن كان هو المسؤول عما تسبب به لك».

«ليس الوحيد الذي يمكن أن يفعل ذلك». قلت وأنا أحدق ملياً بكارلايل.

ضحك ثم طاب مزاجه فجأة. «سوف تجددين حلاً لهذه المعضلة معه».

لكنه تنهد بعد ذلك. «هذا هو الموضوع الذي لا يمكنني التأكد منه أبداً. أظن أنني بذلت قصارى جهدي في ما يتعلق بما كان علي عمله. ولكن هل يحق لنا أن نحرم الآخرين من الحياة؟ لا أستطيع أن أقرر».

لم أجب. تخيلت ما الذي ستكون عليه حياتي لو أن كارلايل قاوم إغراءه بتبديل إدوارد... ثم ارتجفت.

«والدة إدوارد هي من جعلني أتخذ قراري». كان صوت كارلايل أقرب إلى الهمس. كان ينظر إلى العتمة من النوافذ السوداء.

«والدته؟»، كنت كلما سألت إدوارد عن أهله، اكتفى بالقول إنهم ماتوا منذ زمن بعيد ولم يعد يتذكرهم جيداً. أدركت أنهم لم يمحووا إطلاقاً من ذاكرة كارلايل، على الرغم من معرفته القصيرة بهم.

«نعم. كان اسمها إليزابيث، إليزابيث ماسن. والده إدوارد سنور، لم يستعد وعيه أبداً في المستشفى. توفي في أول موجة أنفلونزا. لكن إليزابيث كانت يقظة حتى نهاية حياتها تقريباً. كان إدوارد يشبهها إلى حد بعيد، إذ كان شعرها برونزي اللون، غريباً يشبه شعر إدوارد، أما عيناها فخضراوين كعيني تيماء».

«كانت عيناها خضراوين؟» قلت بصوت خفيض، محاولة تصورها.

«أجل...»، كانت عينا كارلايل تبحران في ماث من السنين. «فلفت إليزابيث على ابنها بشكل مفرط. ضحت بفرضها في الحياة وهي تسعى من فراش المرض لرعايته. توقعت أن يفارق الحياة قبلها لأن حالته الصحية كانت أشد سوءاً. عندما حلت نهايتها، كان الأمر في غاية السرعة. حصل ذلك بعد المغيب مباشرة، وكنت قد وصلت لأساعد الأطباء المنهكين من العمل طوال النهار. كان وقت صعباً جداً، فكثير من العمل يتعين إنجازه، ولم أكن أحتاج للراحة. كم كرهت العودة إلى منزلي للاختباء في الظلمة وانتظاره بأنني نائم فيما كثر يموتون. ذهب لأطمئن أولاً على إليزابيث وابنها. لقد تعلقتهما بهما».



وهذا أمر خطير نظراً لطبيعة البشر الهشة. استطعت أن ألحظ تدهور صحتها. كانت الحمى تنفث وتخرج عن السيطرة، ولم يعد جسمها الضعيف قادراً على المقاومة. لكنها لم تبدُ ضعيفة حين حملت بي من سريرها.

«أنقذه!» طلبت إلي بصوت مبسوح خرج من حنجرتها بعد جهد جهيد.

«سأبذل جهدي». تعهدت وأنا أمسك بيدها. بلغت الحمى ذروتها، وربما لم تستطع إليزابيث القول كم كانت يداي باردتين. كان كل شيء بارداً بالنسبة لها.

«إنه واجبك أن تفعل». ألحّت وتشبث بيدي بقوة جعلني أعتقد بأنها لن تسلم أمرها للفاوجة رغم كل شيء. كانت عيناها باردتين متصلبتين كقطعتي زمرد.

«يجب أن تبذل فصارى جهبك. عليك أن تقدم لإدوارد ما لا يستطيع الآخرون تقديمه».

«أخافني منظرها. رمقتني بنظرة ثابتة، فتأكدت للحظة أنها تعرف سري. بعد ذلك، تمكنت منها الحمى فلم تستعد وعيها أبداً. فارقت الحياة بعد ساعة من النفوس بطلبها الأخير. كنت قد أمضيت عقوداً وأنا أفكر في إيجاد رفيق لي. مخلوق آخر يعرف حقيقتي فلا أضطر أن أظهار أمامه. لكنني لن أتمكن أن أبرر لنفسي مطلقاً إقدامي على الأمر الذي ارتكبت بحقي. لكن رؤية إدوارد يحتضر على فراش المستشفى!! بدا جلياً أنه لم يبقَ له سوى ساعات فقط. إلى جانبه، استلقت أمه بوجهها الذي لم يعرف السكينة على الرغم من الموت».

كانت الأحداث تمر أمام عيني كارلايل مرة أخرى، وعادت به الذاكرة إلى القرن الماضي. تمكنت من ملاحظة ذلك بوضوح من خلال كلامه، من اليأس في المستشفى إلى الموت القاهر المخيم. إدوارد

يحترق من الحمى، وحياته تنطفئ بمرور اللحظات... ارتجفت ثانية ونزعت المشهد من رأسي.

«كان صوت إليزابيث يدوي في رأسي. كيف استطاعت أن تعرف ما عليّ فعله؟ هل أراد أحد ذلك لابنها فعلاً؟»، نظرت إلى إدوارد. «كان مريضاً لكنه بقيَ وسيماً. في وجهه براءة وجمال. ذلك هو الوجه الذي أردته لابني. بعد سنوات الحيرة التي عشت، لجأت ببساطة إلى التصرف من دون إعادة التفكير في الأمر. وضعتُ أمه أولاً في المشرحة، ثم عدت إليه. لم يلحظ أحد أنه كان لا يزال يتنفس. لم تكن هناك أيدي وعيون كافية لتلبية نصف حاجات المرضى. كان البراد فارغاً... من الحياة على الأقل. سحبته خلسةً عبر الباب الخلفي وحملته عائداً إلى منزلي. لم أكن متأكدًا مما كان ينبغي فعله. قررت أخيراً أن أعيد خلق الجراح التي أصابني، منذ زمن بعيد في لندن. شعرتُ باستياء إزاء ذلك في ما بعد. كان الأمر مؤلماً وبطيئاً أكثر من اللازم. رغم ذلك، لم أندم. لم أشعر أبداً بالندم لإنقاذي إدوارد. هو رأسه وعاد إلى الحاضر وابتم لي يقول: «أعتقد أنه عليّ أن أوصلك إلى البيت الآن».

«سأقوم بذلك»، قال إدوارد ثم دخل من غرفة الطعام المظلمة ومشى نحوه ببطء. كان وجهه ناعماً ومبهماً، لكن نظراته كان فيها حطب ما، نحاول جاهداً إخفاء ذلك. شعرتُ بنوبة من الانقباض في معدتي.

قلت له: «يستطيع كارلايل إيصالي». نظرت أمامي إلى قميصي فوجدتُ قلته الأزرق الرقيق ملطخاً بالدماء. وكان لون كفتي وردياً.

كان صوت إدوارد خالياً من المشاعر وهو يقول: «أنا بخير، يجب أن تبدلي ملابسك. ستسبب هينتك نوبةً قلبية لتشارلي. سوف تُحضر ألبسي شيئاً لك». ثم خرج من باب المطبخ مرة أخرى.

نظرتُ إلى كارلايل بقلق وقلت: «مزاجه سيئ للغاية».

واقفني كارلايل الرأي: «نعم، هذه الليلة بالتحديد هي أكثر ما يخاف منه. أنت تعرّضين للخطر بسبب ما نحن عليه.  
«الذنب ليس ذنبه».  
«ولا ذنبك أيضاً».

تعمّدت ألا أنظر إلى عينيه المنتبھتين الجميلتين. لم أستطع الانسجام مع ما تقوّه به.

أمسك كارلايل بيدي وساعدني على النهوض. تبعته نحو الغرفة الرئيسية. كانت إيزمي قد عادت؛ كانت تمسّح الأرض حيث وقعت بواسطة مادة تنظيف كيميائية لتزيل رائحة الدماء.

شعرت حينئذ بوجهي يحمر مجدداً وأنا أقول: «دعيني أقوم بذلك إيزمي».

ابتسمت لي: «لقد انتهيت. كيف تشعرين؟»  
طمأنئتها «أنا بخير، يقطّب كارلايل أسرع من أي طبيب عرته».  
ضحك كلاهما ضحكة خافتة.

دخلت أليس ثم إدوارد من الباب الخلفي. أسرعت أليس لتقف بقربي لكن إدوارد تراجع إلى الوراء وكان وجهه غامضاً.

قالت أليس: «هيا، جلبت لك شيئاً تلبسيه لا يبعث على الرعب».  
عزّرت لي على قميص لإيزمي لونه مشابه للون القميص الذي كنت ألبسه. لن يتبّه تشارلي لذلك. بالكاد بدت الضمادة البيضاء الطويلة على ذراعي خطيرة حين لم أعد ملطّخة بالدماء. على أيّ حال، لم يكن تشارلي يتفاجأ عندما يراني مضمّدة.

«أليس»، همست فيما كانت متّجهة نحو الباب.

«ماذا!»، حافظت على صوتها خفيضاً أيضاً ثم نظرت إليّ بتعجب تميل برأسها نحوي.

«إلى أيّ حدّ الوضوح سيّئ؟» لم أستطع التأكّد ما إذا كان همسي يضع سدّاً. مع أنّنا كنّا في الطابق العلوي والباب موصد، إلّا أنّه كان من الممكن أن يسمعي.

توتّرت ملامح وجهها: «لست متأكّدة بعد».

«ماذا عن جاسبر؟».

تنهّدت وقالت: «غير راضٍ عن نفسه مطلقاً. إنّّه تحدّ كبير يواجهه، فهو يكره الشعور بالضعف».

«ليس ذنبه. ستقولين له إنني لست مستاءة منه أبداً، أليس كذلك؟».  
«بكل تأكيد».

كان إدوارد يتظرني عند الباب الأمامي ففتحه لي عندما وصلت إلى أسفل السلالم، من دون أن ينطق كلمة واحدة.

«خذني أغراضك!»، صرّخت أليس فيما كنت أمشي بحذر نحو إدوارد. كانت قد أحضرت الهديتين، إحداهما نصف مفتوحة، كما أحضرت كاميرتي من تحت البيانو وسلّمتني الهديتين وهي تقول: «يسكنك أن تشكّري لاحقاً، عندما تفتحينهما».

تمنى لي كلّ من كارلايل وإيزمي ليلة سعيدة. رأيتهما يسترقان النظر إلى ابنيهما الحزين، أكثر مما كنت أفعل أنا.

أراحني التواجد في الخارج. فهرعت بين المصابيح والزهور التي باتت غريبة الآن. ركض إدوارد بمحاذاة صامتة. فتح لي باب السيارة فدخلت دون تدمّر.

كان هناك شريط أحمر كبير على لوحة أجهزة القياس، ملفوفاً على ستيريو جديد. نزعتُه ورميته على الأرض في الشاحنة. وبينما كان إدوارد يدخل من الجهة الأخرى، أخفيت الشريط بقدمي تحت المقعد.

لم ينظر إليّ أو إلى الستيريو. ولم يشغله أحدٌ مثا. كان الصمت



مخيمًا يخرقه دوي صوت المحرك. قاد السيارة بسرعة في الظلام ودخل في ممر ضيق.

كان الصمت المطبق يسبب لي الجنون.

«قُل شيئاً»، توملتُ إليه بعد أن تحول إلى الطريق الرئيسية.

«ماذا تريد مني أن أقول؟»، سألني بصوت مجرد من العاطفة.

شعرتُ بالذلل لبعده عني. «قل لي إنك تسامحتني».

أعاد سؤالي بصيصاً من الحياة إلى وجهه، أو بالأحرى بصيصاً من الغضب. «أسامحك؟ على ماذا؟».

«لو أنني كنتُ أكثر حذراً، لما حصل شيء».

«بيلا، لقد جرحيت، هل يُعقل أن يستحق ذلك الإعدام».

«هذا لا يعفيني من الذنب».

فتحت كلماتي شهيتي على الكلام.

«الذنب؟ إذا جرحيت مرفقك في منزل مايك نيوتن، حيث كنت برفقة جيسيكا وأنجيلا وأصدقائك الآخرين الطبيعيين، ما أسوأ ما قد يحصل حينئذٍ؟ ربما لن يجدوا لك ضماً؟ إذا تعرت واصطدمت بكومة زجاج، من دون أن يدفعك أحد إلى الوقوع، ما أسوأ ما قد يحصل؟ ستلطخين المقاعد بالدماء أثناء نقلك إلى غرفة الطوارئ؟ كان يمكن لمايك نيوتن أن يمسك بيدك بينما يقطبون جرحك، من دون أن يضطر لمقاومة الرغبة في قتلك طيلة وجوده بجانبك. لا تحاولي أن تلومي نفسك على ما حصل، بيلا. فهذا يضاعف اشمزازي من نفسي».

«لماذا أقحمت مايك نيوتن في الحديث؟».

فزمجر، «أقحمتُ مايك نيوتن في الحديث لأنه أكثر أماناً لك أن تبقي معه».

قلتُ بلهجة حاسمة: «أفضل الموت على أن أكون مع مايك نيوتن. أفضل الموت على أن أكون مع أي شخص غيرك».

«أرجوك لا تكوني ميلودرامية».

«حسناً، كفت عن هذا الهراء».

لم يُجب. حدّق عبر زجاج السيارة وكانت تعابير وجهه كثية.

فكرت ملياً بوسيلة تُنقذ ما تبقى من الأمسية. حين توقفتُ أمام منزلي، كنتُ لا أزال عاجزة عن إيجاد أي فكرة.

أطفأ المحرك، لكن يدي بقيتا متشبّتين بالمقود.

سألته: «هل ستبقى معي هذه الليلة؟».

«عليّ العودة إلى البيت».

آخر ما أردته هو أن يذهب ويتخبط بالندم.

الححت: «لأجل عيد ميلادي».

«لا يمكنك أن تستغلي عيد ميلادك لخدمة اتجاهين مختلفين، فإما

أن تطلبي من الناس تجاهله، وإما العكس. خيار واحد من الاثنين».

كان صوته صارماً ولكن ليس جدياً كما في السابق. فتنفستُ الصعداء على مفيض.

«حسناً. قررتُ ألا تتجاهل عيد ميلادي. سأراك في الطابق العلوي».

خرجتُ بسرعة من السيارة، ثم عدتُ إليها لأحمل الهدايا، فعبس إدوارد.

«يجب ألا تأخذي هذه العلب».

«لكنني أريدها»، أجبتُ فوراً متسائلة ما إذا كان يلجأ لطريقة العلاج

النفسي المضاد كي أصر على أخذها، لاسيما عندما أضاف: «لا، لا تريدونها. أنفق كارلايل وإيزمي مالاً لأجلك».

«سأدخل إلى المنزل». وضعت الهدايا تحت ذراعي السليمة بطريقة مضحكة وصفقت الباب خلفي بعنف. فخرج من السيارة ووجدته يمشي بجانبني في أقل من دقيقة.

قال وهو ينتزعها مني: «دعيني أحملها على الأقل، سأكون في غرفتك».

ابتسمت له: «شكراً».

«ميلاداً سعيداً»، تنهد ثم انحنى ليطبع قبلة على شفتي.

وقفت على أصابع قدمي لأطول مدة القبلة حين بدأ يتعبد. افتتح ثغره عن الابتسامة الملتوية التي أعشق واختفى في الظلمة.

لم تنتهِ اللعبة بعد؛ عندما كنت أمشي بمحاذاة الباب الأمامي، استطعت أن أسمع صوت المذيع وسط حشد من الجمهور.

«بيلاً؟»، نادى تشارلي.

ظهرت فجأة أقول: «نعم أبي». ثبتت ذراعي على خاصرتي. ازدادت حدة الألم وتغضن جبيني. بدا أن مفعول المسكن قد انتهى.

«كيف كانت الحفلة؟». استرخى تشارلي على الأريكة ووضع ذراعيه على قدميه الحافيتين. ما تبقى من شعره الأجدد البقي كان مسرّحاً على جانب واحد.

«كانت آليس متحمسة جداً، أحضرت وروداً وقالب حلوى وشموعاً وهدايا وغير ذلك».

«ماذا جلبوا لك؟».

«ستيريو لسيارتي»... وهدايا كثيرة لم أفتحها بعد.

«رائع».

وافقته في انطباعه: «أجل، كانت ليلة حافلة».

«أراك صباحاً».

لوحث بيدي: «أراك صباحاً».

«ما الذي أصاب ذراعك؟».

احمر وجهي وشعرت بالإحراج. «تعثرت. ليس الأمر مهماً».

«بيلاً»، تنهد وهز برأسه.

«طابت ليلتك بابا».

أسرعت إلى الحمام حيث احتفظت بملابس نوم خاصة بليالي كهذه. أحضرت قميصاً وبنطالاً قطنيين لأبدل الثياب التي كنت أرتديها استعداداً للنوم وكانت تؤلمني كلما لامست القطب. غسلت وجهي بيد واحدة ونظفت أسناني وهرعت إلى غرفتي.

كان قابلاً على سريري، يعبث بصندوق من الفضة.

«مرحباً»، وكان صوته حزناً. كان يتمرغ في أفكاره الكثيرة.

صعدت إلى السرير، ونزعت الهدايا من بين يديه واستلقيت في حضنه.

«مرحباً»، التصفت بصدره الحجري. «هل أستطيع أن أفتح الهدايا الآن؟».

«من أين أتيت بهذه الحماسة؟».

«أنت تثير فضولي».

التقطت الصندوق الطويل الذي يُفترض أن يكون من كارلايل ولايزمي.

قال: «اسمحي لي»، أخذ الهدية من يدي ونزع عنها الورقة الفضية بحركة رشيقة. ثم أعاد لي العلبة البيضاء المربعة.

قلت بتدقر: «هل أنت واثق من أنني أستطيع رفع غطائها؟»، لكنه تجاهلني.



في داخل العلبة كانت هناك ورقة سميكة ومطبوعة بأحرف أنيقة.  
فاستغرقت قرابة الدقيقة لكي أحصل على لب المعلومة.

«سوف نذهب إلى جاكسونفيل؟»، تحمست للفكرة. كانت هناك  
تذكرتنا سفر لي ولإدوارد.

«فكرة رائعة».

«أكاد لا أصدق. ستصاب رينيه بالجئون! لكنك لا تمنع؟ أليس  
كذلك؟ سيكون الطقس مشمساً، وسيتعين عليك البقاء في البيت طيلة  
النهار».

«أظن أنه بإمكانني معالجة المسألة»، قال لي ثم عَبرَ: «لو كنتُ  
أعلم أنك سترحبن بالهدية بهذا الشكل، لكانت طلبت منك أن تفتحها  
أمام كارلايل وإيزمي. ظننت أنك ستشكين أنها فكرتي».

«إنها بالطبع مفاجأة كبيرة. وأحسن ما فيها لك ستذهب معي!».  
ضحك ضحكة خافتة: «أتمنى لو أنني كنت قد انصقت مالا على  
هديتك. لم أدرك أنك قادرة على تفعل الأمر».

وضعت التذكريتين جانباً وأمسكت بهديتي، والفضول يملكني.  
أخذها مني وفتحتها كالهدية الأولى.

لقد أحضر لي علبة مذهبة للأقراص المدمجة تحوي أسطوانة  
نظية.

«ما هذا؟»، سأله بارتباك.

لم يتفوه بأي كلمة؛ حمل الأسطوانة والتفت حولي ليضعها في  
المسجلة على الطاولة المحاذية للسرير. شغل الأسطوانة وانتظرنا  
بصمت. ثم بدأت الموسيقى.

أصغيت إليها بصمت وذهل. عرفت أنه كان بانتظار رد فعلي  
لكنني لم أستطع التكلم. انهمرت دموعي، فحاولت مسحها قبل أن  
تسقط.

«هل تؤلمك ذراعك؟»، سألتني قليلاً.

«كلا، ليست ذراعي. إنها جميلة، إدوارد. لم أحب هدية أكثر من  
هذه». سكّ لأتكن من الاستماع.

كانت هذه موسيقاه، وألحانه. كان أول جزء من الأسطوانة تهويده

لي.

«لم أعتقد أنك ستسمحين لي بإحضار بيانو لأعزف لك هنا».

«أنت محق».

«كيف حال ذراعك؟».

«بخير». في الواقع، كانت قد بدأت تلتهب تحت الضمادة. أردت  
بعض الثلج. حاولت أن أرضخ لعرضه في المساعدة، لكن ذلك كان  
سيئني سري.

«سأجلب لك مطهرًا».

«لا أحتاج لشيء»، أكدت له، لكنه أبعدني عن حضنه وتوجه نحو

الباب.

«ماذا عن تشارلي؟»، نادته بغضب. لم يكن تشارلي على علم بأن

إدوارد يمكث عندي بشكل متكرر. في الواقع، سيُصعق إذا أدرك هذه  
الحنينة. لكنني لم أشعر بذنب كبير لخباتي ه. إذ لم تكن تفعل شيئاً  
يشغبي استيائه. ذلك هو إدوارد وقوانينه...

«لن يمسك بي»، تعهد إدوارد واختفى عبر الباب... وأمسك  
به قبل أن يُغلق. عاد يحمل الكأس من الحمام وقارورة الدواء بيد  
واحدة.

تناولت حبوب الدواء التي أحضرها لي بدون مجادلة، وأدركت أن  
حجتي ستسقط. كانت ذراعي قد بدأت تضايقتي بالفعل.

كانت تهويدي تملأ الغرفة بلحنها الناعم الجميل.

«تأخر الوقت»، أشار إدوارد، ثم حملني إلى السرير، وسحب الغطاء بالذراع الأخرى. وضع رأسي على الوسادة وغطاني باللحاف. استلقي بجاني فوق الغطاء لثلا أشعر بالبرد ثم لفني بذراعه.

اسندت رأسي إلى كتفه وتهدت بسعادة.

همست، «شكراً مرة أخرى».

«على الرحب والسعة».

ساد السكون لدقائق طويلة حين كنت أستمع إلى تهويدتي التي كانت على وشك الانتهاء. بدأت أغتية أخرى. فتذكرت أنها المنفصلة لدى إيزمي.

«بم تفكر؟»، تساءلت بصوت خفيض.

تردد قليلاً قبل أن يجيبني: «في الحقيقية، أفكر في الصواب والخطأ».

شعرت بقشعريرة وخزت عمودي الفقري.

«أتذكر حين طلبت منك ألا تتجاهل عيد ميلادي؟»، سأله بسرعة،

ألمة ألا تبدو محاولتي لصرف انتباهه واضحة جداً.

«نعم»، أجابني، ولكن باحتراس.

«حسناً، كنت أفكر في أنني أريدك أن تقبلني ثانية بما أنه عيد

ميلادي».

«أنت جشعة الليلة».

علقت بنبرة استياء، «أجل، أنا كذلك، ولكن أرجوك لا تفعل شيئاً

لا ترغب بفعله».

ضحك، وبعد ذلك تنهد. «لا سمح الله أن أقوم بعمل لا أريد

القيام به»، قال بنبرة يائسة غريبة وهو يضع يده تحت ذقني ويشد وجهي

نحوه.

بدأت القبلة كما جرت العادة، كان إدوارد حذراً كالمتعاد، وأخذت دقائق قلبي تتراقص. بعدئذ، بدا كأن شيئاً ما قد تغير. أصبحت شفتاه فجأة أكثر تطلباً. أما يدها فكانتا تمسدان شعري وتمسكان بوجهي بإحكام. مع أن أصابعي تغلغل في شعره، ومع أنني بدأت أنخطئ بخطوطه الحمر، فإنه لم يوقفني. كان جسمه بارداً على طول اللحاف الرقيق، إلا أنني حشرت نفسي به بتهلف.

توقفت فجأة ودفعني جانباً بيديه اللطيفتين والصلبتين. عدت إلى وسادتي منهاراً. كنت ألثث ورأسي يدور. شيء ما تحرك في ذاكرتي، محير ومثير للأعصاب.

«عذراً»، قال بأنفاس مقطوعة أيضاً. «لقد تخطينا الحدود».

قلت لاهثة: «لا أبه لذلك».

عبر بوجهي في العتمة وقال: «حاولي أن تنامي بيلاً».

«لا. أريدك أن تقبلني مرة جديدة».

«أنت تغالبن في تقدير قدرتي على ضبط نفسي».

تحديته: «ما الذي يغريك أكثر، دمي أم جسدي؟».

«الأمر سيان». اتسم ابتسامة قصيرة ثم عاد لجديته. «لَمْ لا تكفين عن المبالغة في الرهان على حسن حظك وتخلدين للنوم؟».

«حسناً»، رضخت ثم التصقت به. شعرت فعلاً بالإرهاق. كان

يوماً طويلاً وحافلاً، وعلى الرغم من ذلك، لم أشعر بالراحة في نهايته.

كما لو أن حدثاً أسوأ سيحصل غداً. لكنه هاجس خفيف، فهل هناك

أسوأ مما حدث اليوم؟ لا بد أن تلك هي آثار الصدمة.

حاولت أن أنستر على ذراعي المجروحة، فكبستها على كتفه لكي

تسكن به بشرته الباردة وجعي. فتحسنت في الحال.

كنت نصف نائمة أو ربما أكثر حين أدركت ما ذكرتني به قبلته: في

الربيع الفائت، عندما تعين عليه أن يتركني ليلحق بجائمس، قُبِّلني إدوارد  
قبلة الوداع، من غير أن تعلم ما إذا كنا سنلتقي مرة أخرى. كانت قبلة  
مؤلمة لسبب لم أستطع تصوّره. ارتعدتُ غير واعية كما لو أنني خرجتُ  
لنؤي من كابوس مرعب.

3

## النهاية

شعرتُ في الصباح أنني قبيحة جداً. لم أُنم جيداً، كانت ذراعي  
تلتهب ورأسي يؤلمني. لم يساعد وجه إدوارد الناعم النقي، حين قُبِّلني  
على جبیني بسرعة قبل أن يخرج من النافذة، في تحسين مظهري. كنتُ  
خائفةً من الوقت الذي كنتُ قد أمضيته غير واعية، خائفة من أن يكون  
إدوارد قد فكر مجدداً في الصبح والخطأ لحظة رؤيته لي نائمة. كان القلق  
يفاقم حدة الألم في رأسي.

كالعادة، كان إدوارد بانتظاري في المدرسة، لكن وجهه لم يكن  
على ما يرام. كان هناك شيء لم أتأكد منه يشتعل في عينيه. لقد  
أرعبني. لم أشأ أمس التكلّم، لكنني لم أدرك أن نجتّب الحديث في  
الموضوع سيزيد الأمور سوءاً.

فتح لي الباب.

«كيف تشعرين؟»

«في أحسن حال»، كذبتُ مرتعدةً من الخوف فيما ضج صوت  
إغلاق الباب في رأسي.

مشينا صامتتين، وكان يقصّر خطواته كي تنسجم مع خطواتي. أسئلة  
كثيرها أدتُ طرحها، لكن معظم هذه الأسئلة تستوجب الانتظار لأنّها  
كانت موجهة إلى أليس: كيف كان جاسبر هذا الصباح؟ ماذا قالوا بعد



أن رحلت؟ ما الذي قالته روزالي؟ والأهم من ذلك كله، هل تتوقع ما سيحصل في مستقبلها الغريب والغامض؟ هل ستحزّر بماذا كان إدوارد يفكر، لم كان كئيباً إلى هذا الحد؟ هل هناك أساس للمخاوف الفطرية الموهنة التي لم أستطع التخلص منها؟

انقضت ساعات الصباح ببطء. كنت شديدة التوق لرؤية آليس، مع أنني لن أتمكن من محادثتها، بوجود إدوارد. بقي إدوارد بعيداً، أحياناً يسأل عن حال ذراعي وأكذب عليه.

تأتي آليس عادةً لتشاركنا الغداء. كانت تسبقنا في الوصول إذ لم تكن مضطرة لمسايرة ببطء خطوات فتاة خमولة مثلي. لكنها لم تكن اليوم جالسة إلى الطاولة أمام صينية طعام لن تأكلها في النهاية.

لم يقل إدوارد شيئاً عن غيابها. تساءلتُ ما إذا كان صنعها قد بدأ متأخراً، إلى أن رأيتُ كورس وبن اللذين كانا معها في صف اللغة الفرنسية.

«أين آليس؟»، سألتُ إدوارد بقلق.

نظر إلى القنينة التي كان يضغط بأصابعه عليها حين أجاب: «إنها مع جاسبر».

«هل هو بخير؟».

«سيرحل لمدة قصيرة».

«ماذا؟ إلى أين؟».

«عزيز إدوارد كتفيه: ليس إلى مكان محدد».

قلتُ بياس: «وآليس سترحل أيضاً؟».

«أجل. سترحل لفترة وجيزة. كانت تحاول إقناعه بالذهاب إلى

دينالي».

تعيش في دينالي مجموعة أخرى من مصاصي الدماء الأنوياء

والصالحين، على غرار عائلة كولن. تانيا وعائلتها. كنت أسمع عنهم من حين لآخر. كان إدوارد قد قصدهم الشتاء الفائت عندما جعل وجودي حياته صعبة في فوركس. أما لورنت، الفرد الأكثر تحضراً بين أبناء جايمس، فقد ذهب إلى دينالي أيضاً بدل الرقوف في صف جايمس بمواجهة آل كولن. كان يهّم آليس حتّ جاسبر على الذهاب إلى هناك.

سكنت وبلعت ريقِي، محاولةً كبت الجملة المفاجئة داخل حنجرتي. انحني رأسي وهبط كتفائي نتيجة الشعور بالإثم. لقد أخرجتهم من منزلهم، كما فعلت مع روزالي وإيميت. كنت بمثابة مصيبة لهم.

«هل تؤلمك ذراعك؟»، سألتني قلقاً.

«من يابه لذراعي اللعينة؟»، تذمّرت باشمزاز.

لم يجب، فوضعت رأسي على الطاولة.

مع نهاية النهار، أمسى الصمت ثقيلاً. لم أشأ أن أكسره لكنه كان خيارِي الوحيد لأجعله يكلمني من جديد.

«هل ستأتي متأخراً الليلة؟» سألتُه بينما كان يوصلني بصمت إلى

سيارتي.

«متأخراً؟».

أسعدني أنه تفاجأ. أخبرته: «لدي عمل. كان يجب أن أفاوض السيدة بيوتن لأحصل على عطلة البارحة».

«أوه»، همّس.

«الكنك ستأتي عندما أعود إلى البيت أليس كذلك؟»، كرهتُ عدم

تأكدي المفاجئ.

«سوف آت إذا أردت ذلك».

«أريد ذلك دائماً»، ذكرته بنبرة حادة أكثر من اللزوم.

توقعت أن يضحك، أن يتسم، أو يتفاعل مع كلماتي بطريقة ما.

«حسناً إذا»، قال غير مكتوث.

قتل جبهتي ثانية قبل أن يغلق الباب. ثم أدار ظهره وتبختر برشاقة باتجاه السيارة.

تمكنت من الخروج من المراب قبل أن يسيطر عليّ الهلع، لكنني ارتحت كثيراً عندما وصلت إلى السيدة نيوتن.

إنه يريدني، قلتُ لنفسِي. سوف يتغلب على ذلك. لعله يشعر بالحزن لرحيل عائلته. لكنّ أليس وجاسبر سيعودان قريباً، وكذلك روزالي وإيميت، لو أن الأمر يفيد، لبقيتُ بعيدة عن المنزل الأبيض الكبير على ضفاف النهر. لما وضعت قدماً هناك. هذا لا يهم، سوف أرى أليس في المدرسة. سيتعين عليها العودة إلى المدرسة، صبح؟ بكافة الأحوال، كانت تمضي معظم الوقت في منزلي، وستجرح مشاعر تشارلي ببقائها بعيدة، ولن تفعل أليس ذلك.

مما لا شك فيه أنني سألتقي بكارلايل بانتظام في غرفة الطوارئ.

لم يكن لما حصل ليلة أمس أي أهمية، لم يحصل شيء البتة. كنت أدرك أن تلك هي قصة حياتي. وما حصل الليلة الماضية كان تافهاً مقارنة بأحداث الربيع الماضي. تركني جايمس جريحة وعلى وشك الموت جراء فقدان الدم، لكنّ إدوارد عاملني بأفضل الطرق طيلة أسابيع مكوثي في المستشفى. هل يعود السبب إلى أن المسألة هذه المرة لا تتعلق بعدوّ عليه أن يحميني منه؟ أم لأن الأمر يتعلق بأخي؟

كان من الأفضل لو يأخذني إليه بدلاً من أن يشتت أفراد عائلته. أصبحت أقل كتابة حين فكرت في الوقت الطويل الذي قضيته بمفردي. لن يعارض تشارلي لو بقي إدوارد حتى انتهاء العام الدراسي. قد تتمكن بعدئذ من الذهاب إلى الجامعة خارج البلدة أو الادعاء بذلك، كما فعل كل من روزالي وإيميت هذا العام. من المؤكد أنّ بوسع إدوارد الانتظار

سنة. ماذا تعني فترة سنة بالنسبة لشخص خالد؟ حتى أنها لا تعني لي أنا الكثير.

استطعتُ أن أتحملي برباطة جأش كافية لكي أخرج من السيارة وأنوجه إلى المتجر. صادفتني مايك نيوتن هناك في ذلك النهار فابتسم ولوح لي بيده عندما دخلت. خلعتُ سترتي وحنيتُ رأسي باتجاهه من دون أن أفهم السبب. كنت ما زلت أتخيل سيناريوات الهرب المتعددة برفقة إدوارد إلى شتى الأماكن.

قطع مايك حبل تخيلاتي عندما سأل: «كيف كان عيد ميلادك؟».

تتمت: «مسرورة لانقضائه».

رمقتي بطرف عينه كما لو كنت مجنونة.

طالت ساعات العمل. أردتُ رؤية إدوارد مرّة ثانية، أمله أن يكون قد تخطّى الأسوأ، مهما كان، عندما أراه مجدداً. أخذت أضع نفسي أن شيئاً لم يحصل، وأن المياه ستعود إلى مجاريها.

غمرني شعور قويّ من الارتياح عندما ألقيت نظرة إلى الشارع ورأيت سيارة إدوارد الفضية تركن أمام منزلي. وقلقت في الوقت عينه من غربة قوة الإحساس الذي انتابني.

عبرت الباب الأمامي وناديتُ قبل أن أصبح في الداخل.

«أبي؟ إدوارد؟».

بينما أسأل، استطعت أن أسمع الأصوات المنبعثة من غرفة الجلوس للموسيقى المميزة لبرنامج رياضي على شاشة ESPN.

«أنا هنا»، صرخ تشارلي.

علقت معطفي في مكانه وأسرعت باتجاه الغرفة.

كان إدوارد جالساً على كرسيّ بذراعين، وأبي على الأريكة. كانت عيونهما شاخصة في التلفاز. التركيز كان طبيعياً بالنسبة لأبي، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لإدوارد.

«مرحباً»، قلتُ بصوتٍ ضعيف.

«أهلاً بيلاً»، أجاب والدي، من دون أن تتحرك عيناه. «ما زال هناك بيتزا باردة. أظن أنها على الطاولة.»  
«حسناً».

انتظرتُ في المدخل. أخيراً، نظر إدوارد إليّ بابتسامة مهذبة، وهمس: «سألق بك حالاً». ثم عادت عيناه لتشردا في التلفاز. حدقتُ لدقيقة إضافية. شعرتُ بشيء في صدري، ربما كان هلعاً. انسحبْتُ إلى المطبخ.

لم تعني لي البيتزا شيئاً. جلستُ على الكرسي ورفعتُ ركبتيّ ثم لقيتُ ذراعَيّ حولهما. ثمة خطب ما في ما جرى، أكثر مما توقعت ربما. استمر صدور أصوات الرحلين ومزاحهما ممتزجاً بالأصوات الصادرة من التلفاز.

حاولتُ أن أتمالك نفسي لكي أحكم عقلي.

ما الذي قد يحدث في أسوأ الاحتمالات؟ كان من الخطأ طرح هذا السؤال. كنتُ أعاني من صعوبة في التنفس.

حسناً، فكّرتُ مجدداً، ما هي أسوأ الحالات التي سأعيشها؟ لم يرق لي هذا السؤال أيضاً. لكنني فكّرتُ بالاحتمالات التي افترضتها اليوم.

البقاء بعيداً عن عائلة إدوارد!

من المؤكد أنه لا يتوقع أن تكون أليس من ضمن المبعدين. ولكن إن ظل جامسبر علي حاله، سيقلل ذلك من الوقت الذي سأقضيه معها. حيثُ رأسي أفكر أنه يمكنني تقبل ذلك.

أو الرحيل!

ربما لن يريد الانتظار حتى نهاية العام الدراسي، لعله سيرحل الآن.

بقيت الهدايا المقدمة من تشارلي ورينيه أمامي، على الطاولة، حيث تركتها. لم تتسن لي الفرصة لاستعمال الكاميرا أثناء المكوث مع عائلة كولن وكذلك الألبوم. لمست الغلاف الجميل لمجلد الذكريات الذي كانت أمي قد قدّمته لي، وتنهّدت مستذكراً رينيه. إن العيش بدونها طوال هذه الفترة جعلت فكرة استمرار البعد تبدو صعبة. سيبقى تشارلي وحيداً هنا، متروكاً. سيشعر كلاهما بالألم.

لكننا سنعود، أليس كذلك؟ سنزورهما بالطبع! لم أكن متأكدة من الإجابة.

أسندت خدي على ركبتي، ورحتُ أتذكر مدى حب والدي لي. كنتُ أعلم أن الطريق الذي اخترته صعب. وبعيد، وفكرت بعدئذ بالسيناريو الأسوأ الذي قد أعيشه.

لمستُ مجلد الذكريات ثانية وقلبتُ الغلاف. أحاط إطار معدني بالصورة الأولى. كانت فكرة جيدة أن أسجل مقاطع من حياتي هنا. شعرتُ بحافز غريب لكي أبدأ. ربما لم أشعر هكذا طيلة فترة وجودي في فوركس.

عشتُ بشريط الكاميرا، متسائلة عن طبيعة الصورة الأولى. هل ستعكس شيئاً ما قريباً من الأصل؟ انتابني الشك حيال ذلك. لكن إدوارد لم يبدُ قلقاً حيال عدم ظهور ملامحه في الصورة. أطلقت ضحكة خافتة حين تذكرتُ ضحكته الخالية من الهم الليلة الماضية. تبددت الضحكة. تغيرت كثيراً، وبشكل مفاجئ. شعرتُ بالدوار للحظة، كما لو أنني واقفة على حافة شاهقة الارتفاع.

لم أرغب في التفكير بذلك على الإطلاق. أخذتُ الكاميرا وصعدتُ إلى غرفتي.

لم تتغير غرفتي كثيراً منذ سبعة عشر عاماً حين كانت أمي هنا. كان لون الجدران لا يزال أزرق أما الستائر المتدلية على النوافذ فحافظت



على لونها الأصفر. كان هناك سرير كبير بدل سرير الأطفال، لكن والدتي ستعرف أنها غرفتي وأنه اللحاف الذي أهدتني ليّاه جدتي.

مع ذلك صوّرت الغرفة. لم يكن لدي ما أفعله الليلة، فالظلام كان مخيمًا في الخارج. وانتابنتي عواطف جياشة تحوّلت إلى رغبة جامحة بتسجيل كلّ ما له علاقة بفوركس قبل أن أغادرها.

التغيير آت. استطعت أن أشعر به. لم أسرّ لذلك، فالحياة رائعة على النحو الذي تسير عليه الآن.

تمهّلت وأنا أنزل الدرج، محاولة تجاهل آلام معدتي عندما فكّرت بالفطور الغريب الذي لم أكن أتمنى رؤيته في عيني إدوارد. سبتخطي ذلك. لعله يشعر بالقلق إزاء الحزن الذي قد يصيبني حين يطلب إليّ الرحيل معه. سادعه ينشغل بفكرة من دون أن أتدخل. وسأكون حاضرة للإجابة عن مؤاله.

كانت الكاميرا جاهزة للتصوير عندما اقتربت من الزاوية خلسة. كنت متأكدة من أنه يستحيل تصوير إدوارد عن طريق المباشرة، لكنه لم ينظر إليّ. شعرت بارتعاش لشوان حين انقبضت معدتي. تجاهلته والتقطت الصورة.

بعد ذلك نظر إليّ كلاهما. عيس تشارلي. ولم يرتسم على وجه إدوارد أيّ تعبير.

«ماذا تفعلين بيلاً؟»، شكا تشارلي.

«بالله عليك». تظاهرت بالابتسام ودخلت لأجلس على الأرض أمام الكنبه حيث كان تشارلي يجلس. «سوف تتصل أمي قريباً لتسألني ما إذا كنت أستعمل الهدايا. عليّ أن أشرح في العمل قبل أن تُجرّح مشاعرها».

«لَمْ تصوّريني؟»، سأل بتذمر.

أجبتُه بلطف: «لأنك وسيّم جداً ولأنك مجبرّ على أن تكون من صلب اهتماماتي، بما أنّك اشتريت الكاميرا».

تمتم ما لا يمكن فهمه.

«إدوارد!»، قلّت بلا مبالاة. «التقط صورة لي ولأبي معاً».

رميت الكاميرا باتجاهه، متجنّبة النظر في عينيّه، وركعت قرب ذراع الكنبه بجانب وجه تشارلي، الذي أطلق تهيدة.

«ينبغي أن تبتسمي، بيلاً»، همس إدوارد.

ابتسمت قدر الإمكان، ثم التقط الصورة.

«دعوني أصوصركما يا أولاد»، اقترح تشارلي. عرفت أنه أراد فقط ألا توجه إليه عدسة الكاميرا.

وقف إدوارد وأعطاه الكاميرا بخفة.

ذهبت لأقف قرب إدوارد، وبدا لي الاستعداد رسمياً وغريباً. وضع يده برفق على كتفي، ولقيت ذراعي بإحكام حول خصره. أردت النظر إلى وجهه لكنّ الخوف ردعني.

«ابتسمي بيلاً»، فكّرني تشارلي مرّة أخرى.

أخذت نفساً عميقاً وابتسمت. بهورت لوميض آلة التصوير.

«يكفي صوراً لهذه الليلة»، قال تشارلي، ثم وضع الكاميرا بين وسادات الكنبه وهو يضيف: «يجب ألا نستهلّ شريط التصوير بأكمله الآن».

أزاح إدوارد يده عن كتفي وأبعد ذراعي عن خصره. عاد وجلس على الكرسي.

ترددت ثم جلستُ على الكنبه مجدداً. كنت في غاية الخوف لأن يديّ كانتا ترتجفان. ضغطتُهما على بطني لأخفي ارتعاشهما، وضعتُ ذقني على ركبي وحدّقتُ بالتلفاز أمامي من دون أن أرى شيئاً.

عندما انتهى البرنامج، لم أتحرك من مكاني. رأيت إدوارد بطرف عيني يقف.

«من الأفضل أن أذهب إلى البيت».

لم يحول تشارلي نظره عن الإعلان التجاري ثم قال: «نراك لاحقاً».

وقفتُ بارتباك، بعد أن تعبتُ من الجلوس دون حراك، خرجت من الباب وتبعْتُ إدوارد. توجه رأسي إلى سيارته.

«هل ستبقى؟»، سألت بصوت خالٍ من الأمل.

توقعتُ إجابته، لذا لم تجرحني كثيراً.

«ليس الليلة».

لم أسأله عن السبب.

صعد في سيارته وغادر بينما بقيتُ واقفةً من دون حراك. بالكاد انتبهت أنها كانت تمطر. انتظرتُ، من غير أن أعرف ماذا أنتظر، إلى أن فُتح الباب خلفي.

«بيلا، ماذا تفعلين؟»، سأل تشارلي مصدوماً لرؤيتي وحيدةً ومبللة.

«لا شيء». استدرتُ ومشيتُ بتراح وإجهادٍ داخلية إلى البيت.

كانت ليلة طويلة نمتُ فيها قليلاً.

استيقظتُ مع أول بصيص نور خارج النافذة. تحضرتُ للمدرسة بشكل آلي وانتظرتُ شروق الشمس. لاحظتُ عند الانتهاء من تناول الفطور، أن الضوء أصبح كافياً لالتقاط الصور. التقطتُ صورةً لسيارتي ثم لواجهة منزلي. التفتتُ وصورتُ بعض الأشجار المحيطة بمنزل تشارلي. غريبٌ أنها لم تبدُ مربعةً كما كانت. أدركتُ أنني سأشتاق إلى تلك الخضرة، إلى السرمدية ولغز الأحرار... كل شيء.

وضعتُ الكاميرا في حقيبة المدرسة قبل أن أغادر. حاولتُ التركيز

على مخططي الجديد بدلاً من التفكير في ما إذا كان إدوارد قد تغلب على المشاكل أثناء الليل.

إضافةً إلى الخوف، بدأتُ أشعر بنقاد صبري. كم سيطول ذلك؟

تصبرتُ فترة الصباح كلها. مشى إدوارد قربي بهدوء من دون أن ينظر إليّ. حاولتُ التركيز على الدرس، ولكن حتى درس اللغة الإنكليزية لم يشد انتباهي. اضطرَّ الأستاذ بيدي إلى تكرار سؤاله حول السيدة كابوليت مرتين قبل أن أنبه أن كلامه كان موجهاً لي.

همس إدوارد الإجابة الصحيحة ثم عاد ليتجاهلني.

عندما حان وقت الغداء، كان الصمتُ لا يزال سيّد الموقف. أحسستُ برغبة في الصراخ في أي لحظة، وكى أشغل نفسي، انحنيتُ فوق الطاولة وكلمتُ جيسيكا.

«جيس!».

«ما الأمر بيلا؟».

«أيمكنك أن تسلي لي خدمة؟» سألتها، متجهيةً نحو محفوظتي. «تريد أنني مني أن ألتقط بعض الصور لأصدقائي وأضعها في دفتر الذكريات». «التقطي صوراً للجميع من فضلك!».

أعطيتها الكاميرا.

«طبعاً»، قالت مبتسمةً، ثم التفتت وباغت مايلك بصورة عفوية نفمة الممطلي بالطعام.

ساد الهرج والمرج بشكل متوقع. رأيتهم يتناقلون الكاميرا حول الطاولة، يتقهقرون، يغازلون ويعترضون على وجود هذه الصورة في الفيلم. بدا الأمر صبياناً وغريباً. ربما لم أكن بمزاج يناسب السلوك البشري الطبيعي في ذلك اليوم.

«لوه!»، قالت جيسيكا معتدرةً عندما أعادت لي الكاميرا. «أظن أننا صورنا الفيلم كله».

«لا بأس». أعتقد أنه سبق والتقطت صوراً لما أرغب في تصويره».

بعد المدرسة، أعادني إدوارد إلى الموقف بصمت عميق. كان عليّ أن أعود إلى العمل، فشعرت بالبهجة هذه المرة. لم يكن الوقت الذي يمضيه برفقتي يساعد على حل المسائل، ربما من الأفضل أن يبقى بعيداً عني.

في طريقي إلى نيوتن، أخذت فيلم الكاميرا لأظهره، ثم حصلت على الصور المظهرية بعد عشاء. عدت إلى المنزل، سلمت على تشارلي بسرعة، أخذت عصيراً من المطبخ وأسرعته إلى غرفتي أخبئ ملف الصور تحت ذراعي.

جلست على السرير وفتحت الملف بفضول حذر. خبئت قليلاً من أن تكون الصورة الأولى فارغة.

حين سحبته، لهثت بصوت عال. بدا إدوارد وسيماً كما في الحياة الحقيقية، يحدّق بي ويكاد يخرج من الصورة بينه الدافئين التي حرمني نظراتهما في الأيام الأخيرة. كان خارقاً للطبيعة ويغزو الوصف. تعجز آلاف الكلمات عن أن تصفه في هذه الصورة.

قلبت سريعاً ما تبقى من صور ثم اخترت ثلاثاً منها لأضعها على السرير جنباً إلى جنب.

الأولى كانت لإدوارد في المطبخ، حيث كانت عيناه الدافئتان تدلان على التسامح. الصورة الثانية كانت لإدوارد مع تشارلي، يشاهدان محطة ESPN. كان الفرق شاسعاً في تعابير إدوارد. كانت عيناه في الصورة حذرتين ومتيقظتين. مع أنّه حافظ على جماله الأسر، بدا وجهه كالمنحوتة أكثر بروءة وأقل حيوية.

الصورة الأخيرة كانت لإدوارد ولي، جالساً مرتبكاً جنباً إلى جنب. كان وجه إدوارد مماثلاً لوجهه في الصورة السابقة، بارداً وشبهياً بمنحوتة. لكن ذلك لم يكن الجزء الوحيد المقلق في الصورة. كان

الاختلاف بيننا مؤلماً. بدا كالإله فيما بدوت عادية جداً، لا بل فيبحة قياساً بالبشر. قلبت الصورة بسرعة وأحسست باشمئزاز.

بدل أن أنجز واجباتي المدرسية، أمضيت السهرة وأنا أرتب الصور في الألبوم. بقلم جبر جاف، كتبت تعليقات، أسماء وتواريخ على ظهر جميع الصور. أخذت صورتي مع إدوارد، وبدون أن أنظر إليها مطوّلاً، طويّتها نصفيها ولصقتها على نحو ظل إدوارد ظاهراً فيها.

عندما انتهيت، وضعت الصورة الثانية داخل غلاف جديد وبعثت برسالة شكر طويلة إلى رينيه.

لم يكن إدوارد قد أتى بعد. لم أشأ الاعتراف بأنّه كان السبب في سهري المتأخر، لكنّه بالتأكيد كان كذلك. حاولت أن أذكّر آخر مرة بقي فيها بعيداً هكذا، بدون أعذار أو اتصال هاتفي... لم يسبق أن فعلها أبداً.

مرة أخرى، لم أتم جيّداً.

عدت إلى المدرسة بعد يومين من الصمت والإحباط والدعر. شعرت بارتياح حين رأيت إدوارد ينتظرني في الموقف، لكن هذا الشعور سرعان ما تلاشى. لم يكن إدوارد مختلفاً، لكنه كان بعيداً.

كان من الصعب تذكر سبب كلّ هذه الفوضى. أمسى عيد ميلادي من الماضي البعيد. ليت أليس تعود قريباً، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

بيد أنني لم أستطع الاعتماد على ذلك. قررت أن أذهب وأرى كارلايل في القدر في حال عجزت عن التكلّم مع إدوارد اليوم. كان عليّ فعل شيء ما.

قطعت عهداً على نفسي بأن أتحدث إلى إدوارد بعد المدرسة. لم أكن أقبل أي عذر.

اصطحبني إلى السيارة، فاستجمعت قواي لأطرح أسئلتي.



«هل تمنعين إذا فصدتك اليوم؟». سألني قبل أن نركب السيارة.

«بالطبع لا».

«الآن؟»، سألني مجدداً، وهو يفتح لي الباب.

«بالأكيد»، حافظتُ على نبرتي العادية، مع أنني لم أحبذ نبرة الإلحاح في صوته. «سامر لأترك رسالة لربنيه في صندوق البريد. نلتقي في المنزل».

نظر إلى المغلف الكبير على المقعد. وفجأة، انحنى باتجاهي وحمله.

قال بهدوء: «سأتولى الأمر بنفسي وأقابلك هناك». ظهرت الابتسامة الماكرة التي أحبها، لكنها كانت مزيفة لأنها لم تصل إلى عيني.

«حسناً»، وافقتُ، عاجزة عن ردّ الابتسامة. أغلق الباب وتوجه إلى سيارته.

أتى إلى المنزل. أوقف سيارته في موقف تشارلي فيما ركنتُ سيارتي أمام البيت. تلك كانت إشارة سيئة تعني أنه لا ينوي البقاء طويلاً. هزأت رأسي وأخذت نفساً عميقاً محاولة التحلي ببعض الجراءة. خرج من سيارته في اللحظة التي أغلقتُ فيها باب سيارتي وخرجتُ منها، وتوجه لملاقاتي. أخذ مني محفظة الكتب. كان ذلك أمراً طبيعياً. لكنه رماها بعنف على المقعد، وهذا ما لم يكن طبيعياً.

«تعالني نمشي معاً»، طلب مني بصوت خالٍ من العاطفة وأمسك بيدي.

لم أجب. لم أستطع التفكير بطريقة للاعتراض مع أنني أردتُ ذلك في هذه اللحظة. لم أحبذ الأمر. تكرر صوت في رأسي مرات ومرات يقول إن الأمور سيئة، سيئة للغاية.

لكنه لم ينتظر إجابة. إصطحبني واتجه نحو الجانب الشرقي من

الشارع حيث تقع الغابة. تبعته بغير رضا محاولة عدم التفكير بالرعب. كان ذلك ما أردته، ذكرتُ نفسي. إنها الفرصة للحديث عن كل شيء. فلم يكاد هذا الشعور بالرعب يخنقني؟

كنا قد خطونا بضعة خطوات فقط بين الأشجار قبل أن يتوقف إدوارد. لم تكن قد ابتعدنا كثيراً إذ استطعتُ أن أرى المنزل. مشينا بضعة خطوات إضافية.

انكأ إدوارد على شجرة وحدق بي، كانت تعابير وجهه مبهمه.

«حسناً، لننتحدث»، قلتُ بنبرة شجاعة.

أخذ نفساً عميقاً: «بيلاً، علينا ترك المدينة».

أخذت أنا أيضاً نفساً عميقاً. لم يكن الخيار مقبولاً. ظننتُ أنني كنتُ مستعدة. ولكن تبادر إلى ذهني سؤال:

«لَمْ الآن؟ لنؤجل الرحيل إلى سنة أخرى».

«لقد حان الوقت بيلاً. لماذا تبقى في فوركس بعد كل ما حصل؟ إلى متى سيظل كاولايل يدعي أنه يبلغ الثالثة والثلاثين من العمر؟ علينا أن نبدأ من جديد بجميع الأحوال».

أريكني إجابته. اعتقدتُ أنّ هدف رحيلنا هو ترك عائلته لتعيش بسلام. لم يتعين علينا الرحيل إن كانوا هم سيرحلون؟ شخصتُ ببصري إليه محاولة فهم ما قصده.

حدق بي هو أيضاً بفتور.

شعرتُ بغثيان حين أدركتُ أنني أسأت فهم ما تقوّ به.

«حين قلتُ: علينا...»، همستُ.

«أقصد بذلك عائلتي وأنا». أنت كلماته منفصلة... متباعدة...

واضحة.

حرّكتُ رأسي بشكل آلي، محاولة التركيز. انتظر من دون أي إشارة

«مرحباً»، قلتُ بصوتٍ ضعيف.

«أهلاً بيلاً»، أجاب والدي، من دون أن تتحرك عيناه. «ما زال هناك بيتزا باردة. أظن أنها على الطاولة.»  
«حسناً».

انتظرتُ في المدخل. أخيراً، نظر إدوارد إليّ بابتسامة مهذبة، وهمس: «سألق بك حالاً». ثم عادت عيناه لتشردا في التلفاز. حدقتُ لدقيقة إضافية. شعرتُ بشيء في صدري، ربما كان هلعاً. انسحبْتُ إلى المطبخ.

لم تعني لي البيتزا شيئاً. جلستُ على الكرسي ورفعتُ ركبتيّ ثم لقيتُ ذراعَيّ حولهما. ثمة خطب ما في ما جرى، أكثر مما توقعت ربما. استمر صدور أصوات الرحلين ومزاحهما ممتزجاً بالأصوات الصادرة من التلفاز.

حاولتُ أن أتمالك نفسي لكي أحكم عقلي. ما الذي قد يحدث في أسوأ الاحتمالات؟ كان من الخطأ طرح هذا السؤال. كنتُ أعاني من صعوبة في التنفس.

حسناً، فكّرتُ مجدداً، ما هي أسوأ الحالات التي سأعيشها؟ لم يرقُ لي هذا السؤال أيضاً. لكنني فكّرتُ بالاحتمالات التي افترضتها اليوم.

البقاء بعيداً عن عائلة إدوارد!

من المؤكد أنه لا يتوقع أن تكون أليس من ضمن المبعدين. ولكن إن ظل جامسبر علي حاله، سيقلل ذلك من الوقت الذي سأقضيه معها. حيثُ رأسي أفكر أنه يمكنني تقبل ذلك.

أو الرحيل!

ربما لن يريد الانتظار حتى نهاية العام الدراسي، لعله سيرحل الآن.

بقيت الهدايا المقدمة من تشارلي ورينيه أمامي، على الطاولة، حيث تركتها. لم تتسن لي الفرصة لاستعمال الكاميرا أثناء المكوث مع عائلة كولن وكذلك الألبوم. لمست الغلاف الجميل لمجلد الذكريات الذي كانت أمي قد قدّمته لي، وتنهّدت مستذكراً رينيه. إن العيش بدونها طوال هذه الفترة جعلت فكرة استمرار البعد تبدو صعبة. سيبقى تشارلي وحيداً هنا، متروكاً. سيشعر كلاهما بالألم.

لكننا سنعود، أليس كذلك؟ سنزورهما بالطبع! لم أكن متأكدة من الإجابة.

أسندت خدي على ركبتي، ورحتُ أتذكر مدى حب والدي لي. كنتُ أعلم أن الطريق الذي اخترته صعب. وبعيد، وفكرت بعدئذ بالسيناريو الأسوأ الذي قد أعيشه.

لمستُ مجلد الذكريات ثانية وقلبتُ الغلاف. أحاط إطار معدني بالصورة الأولى. كانت فكرة جيدة أن أسجل مقاطع من حياتي هنا. شعرتُ بحافز غريب لكي أبدأ. ربما لم أشعر هكذا طيلة فترة وجودي في فوركس.

عشتُ بشريط الكاميرا، متسائلة عن طبيعة الصورة الأولى. هل ستعكس شيئاً ما قريباً من الأصل؟ انتابني الشك حيال ذلك. لكن إدوارد لم يبدُ قلقاً حيال عدم ظهور ملامحه في الصورة. أطلقت ضحكة خافتة حين تذكرتُ ضحكته الخالية من الهم الليلة الماضية. تبددت الضحكة. تغيرت كثيراً، وبشكل مفاجئ. شعرتُ بالدوار للحظة، كما لو أنني واقفة على حافة شاهقة الارتفاع.

لم أرغب في التفكير بذلك على الإطلاق. أخذتُ الكاميرا وصعدتُ إلى غرفتي.

لم تتغير غرفتي كثيراً منذ سبعة عشر عاماً حين كانت أمي هنا. كان لون الجدران لا يزال أزرق أما الستائر المتدلية على النوافذ فحافظت

على لونها الأصفر. كان هناك سرير كبير بدل سرير الأطفال، لكن والدتي ستعرف أنها غرفتي وأنه اللحاف الذي أهدتني ليّاه جدتي.

مع ذلك صوّرت الغرفة. لم يكن لدي ما أفعله الليلة، فالظلام كان مخيمًا في الخارج. وانتابنتي عواطف جياشة تحوّلت إلى رغبة جامحة بتسجيل كلّ ما له علاقة بفوركس قبل أن أغادرها.

التغيير آت. استطعت أن أشعر به. لم أسرّ لذلك، فالحياة رائعة على النحو الذي تسير عليه الآن.

تمهّلت وأنا أنزل الدرج، محاولة تجاهل آلام معدتي عندما فكّرت بالفطور الغريب الذي لم أكن أتمنى رؤيته في عيني إدوارد. سبتخطي ذلك. لعلّه يشعر بالقلق إزاء الحزن الذي قد يصيبني حين يطلب إليّ الرحيل معه. سادعه ينشغل بفكرة من دون أن أتدخل. وسأكون حاضرة للإجابة عن مؤاله.

كانت الكاميرا جاهزة للتصوير عندما اقتربت من الزاوية خلسة. كنت متأكدة من أنه يستحيل تصوير إدوارد عن طريق المباشرة، لكنه لم ينظر إليّ. شعرتُ بارتعاش لشوان حين انقبضت معدتي. تجاهلته والتقطت الصورة.

بعد ذلك نظر إليّ كلاهما. عيس تشارلي. ولم يرتسم على وجه إدوارد أيّ تعبير.

«ماذا تفعلين بيلاً؟»، شكا تشارلي.

«بالله عليك». تظاهرتُ بالابتسام ودخلتُ لأجلس على الأرض أمام الكنبه حيث كان تشارلي يجلس. «سوف تتصل أمي قريباً لتسألني ما إذا كنتُ أستعمل الهدايا. عليّ أن أشرح في العمل قبل أن تُجرّح مشاعرها».

«لَمْ تصوّريني؟»، سأل بتذمر.

أجبتُه بلطف: «لأنك وسيّم جداً ولأنك مجبرٌ على أن تكون من صلب اهتماماتي، بما أنّك اشتريت الكاميرا».

تمتم ما لا يمكن فهمه.

«إدوارد!»، قلّت بلا مبالاة. «التقط صورة لي ولأبي معاً».

رميتُ الكاميرا باتجاهه، متجنّبة النظر في عينيّه، وركعتُ قرب ذراع الكنبه بجانب وجه تشارلي، الذي أطلق تهيدة.

«ينبغي أن تبتسمي، بيلاً»، همس إدوارد.

ابتسمتُ قدر الإمكان، ثم التقط الصورة.

«دعوني أصوصركما يا أولاد»، اقترح تشارلي. عرفتُ أنّه أراد فقط ألا توجه إليه عدسة الكاميرا.

وقف إدوارد وأعطاه الكاميرا بخفة.

ذهبتُ لأتق قرب إدوارد، وبدا لي الاستعداد رسمياً وغريباً. وضع يده برفق على كتفي، ولقيتُ ذراعي بإحكام حول خصره. أردتُ النظر إلى وجهه لكنّ الخوف ردعني.

«ابتسمي بيلاً»، فكّرني تشارلي مرّة أخرى.

أخذتُ نفساً عميقاً وابتسمت. بهورت لوميض آلة التصوير.

«يكفي صوراً لهذه الليلة»، قال تشارلي، ثم وضع الكاميرا بين وسادات الكنبه وهو يضيف: «يجب ألا نستهلّ شريط التصوير بأكمله الآن».

أزاح إدوارد يده عن كتفي وأبعد ذراعي عن خصره. عاد وجلس على الكرسي.

ترددتُ ثم جلستُ على الكنبه مجدداً. كنتُ في غاية الخوف لأن يديّ كانتا ترتجفان. ضغطتُهما على بطني لأخفي ارتعاشهما، وضعتُ ذقني على ركبتني وحدّقتُ بالتلفاز أمامي من دون أن أرى شيئاً.



عندما انتهى البرنامج، لم أتحرك من مكاني. رأيت إدوارد بطرف عيني يقف.

«من الأفضل أن أذهب إلى البيت».

لم يحول تشارلي نظره عن الإعلان التجاري ثم قال: «نراك لاحقاً».

وقفتُ بارتباك، بعد أن تعبتُ من الجلوس دون حراك، خرجت من الباب وتبعَ إدوارد. توجهَ رأساً إلى سيارته.

«هل ستبقى؟»، سأله بصوت خالٍ من الأمل.

توقعتُ إجابته، لذا لم تجرحني كثيراً.

«ليس الليلة».

لم أسأله عن السبب.

صعد في سيارته وغادر بينما بقيتُ واقفةً من دون حراك. بالكاد انتبهت أنها كانت تمطر. انتظرتُ، من غير أن أعرف ماذا أنتظر، إلى أن فُتح الباب خلفي.

«بيلا، ماذا تفعلين؟»، سأل تشارلي مصدوماً لرؤيتي وحيدةً ومبللة.

«لا شيء». استدرتُ ومشيتُ بتراح وإجهادٍ داخلية إلى البيت.

كانت ليلة طويلة نمتُ فيها قليلاً.

استيقظتُ مع أول بصيص نور خارج النافذة. تحضرتُ للمدرسة بشكل آلي وانتظرتُ شروق الشمس. لاحظتُ عند الانتهاء من تناول الفطور، أن الضوء أصبح كافياً لالتقاط الصور. التقطتُ صورة لسيارتي ثم لواجهة منزلي. التفتتُ وصورتُ بعض الأشجار المحيطة بمنزل تشارلي. غريبٌ أنها لم تبدُ مربعةً كما كانت. أدركتُ أنني سأشتاق إلى تلك الخضرة، إلى السرمدية ولغز الأحرار... كل شيء.

وضعتُ الكاميرا في حقيبة المدرسة قبل أن أغادر. حاولتُ التركيز

على مخططي الجديد بدلاً من التفكير في ما إذا كان إدوارد قد تغلب على المشاكل أثناء الليل.

إضافةً إلى الخوف، بدأتُ أشعر بنقاد صبري. كم سيطول ذلك؟

تصبرتُ فترة الصباح كلها. مشى إدوارد قربي بهدوء من دون أن ينظر إليّ. حاولتُ التركيز على الدرس، ولكن حتى درس اللغة الإنكليزية لم يشد انتباهي. اضطرَّ الأستاذ بيدي إلى تكرار سؤاله حول السيدة كابوليت مرتين قبل أن أنبه أن كلامه كان موجهاً لي.

همس إدوارد الإجابة الصحيحة ثم عاد ليتجاهلني.

عندما حان وقت الغداء، كان الصمتُ لا يزال سيّد الموقف.

أحسستُ برغبة في الصراخ في أي لحظة، وكى أشغل نفسي، انحنيتُ فوق الطاولة وكلمتُ جيسيكا.

«جيس!».

«ما الأمر بيلا؟».

«أيمكنك أن تسلي لي خدمة؟» سألتها، متجهيةً نحو محفظتي.

«تريد أنني مني أن ألتقط بعض الصور لأصدقائي وأضعها في دفتر الذكريات؟» قالتُ صوّراً للجميع من فضلك!».

أعطيتها الكاميرا.

«طبعاً»، قالت مبتسمةً، ثم التفتت وباغت مايلك بصورة عفوية نغمه الممطلي بالطعام.

ساد الهرج والمرج بشكل متوقع. رأيتهم يتناقلون الكاميرا حول الطاولة، يتقهقرون، يغازلون ويعترضون على وجود هذه الصورة في الفيلم. بدا الأمر صبيانياً وغريباً. ربما لم أكن بمزاج يناسب السلوك البشري الطبيعي في ذلك اليوم.

«لوه!»، قالت جيسيكا معتدرةً عندما أعادت لي الكاميرا. «أظن أننا

صوّرنا الفيلم كله».

«لا بأس». أعتقد أنه سبق والتقطت صوراً لما أرغب في تصويره».

بعد المدرسة، أعادني إدوارد إلى الموقف بصمت عميق. كان عليّ أن أعود إلى العمل، فشعرت بالبهجة هذه المرة. لم يكن الوقت الذي يمضيه برفقتي يساعد على حل المسائل، ربما من الأفضل أن يبقى بعيداً عني.

في طريقي إلى نيوتن، أخذت فيلم الكاميرا لأظهره، ثم حصلت على الصور المظهرية بعد عشاء. عدت إلى المنزل، سلمت على تشارلي بسرعة، أخذت عصيراً من المطبخ وأسرعته إلى غرفتي أخبئ ملف الصور تحت ذراعي.

جلست على السرير وفتحت الملف بفضول حذر. خبثت قليلاً من أن تكون الصورة الأولى فارغة.

حين سحبته، لهثت بصوت عال. بدا إدوارد وسمياً كما في الحياة الحقيقية، يحدّق بي ويكاد يخرج من الصورة بينه الدافئين التي حرمني نظراتهما في الأيام الأخيرة. كان خارقاً للطبيعة ويغوق لوصف. تعجز آلاف الكلمات عن أن تصفه في هذه الصورة.

قلبت سريعاً ما تبقى من صور ثم اخترت ثلاثاً منها لأضعها على السرير جنباً إلى جنب.

الأولى كانت لإدوارد في المطبخ، حيث كانت عيناه الدافئتان تدلان على التسامح. الصورة الثانية كانت لإدوارد مع تشارلي، يشاهدان محطة ESPN. كان الفرق شاسعاً في تعابير إدوارد. كانت عيناه في الصورة حذرتين ومتيقظتين. مع أنّه حافظ على جماله الأسر، بدا وجهه كالمنحوتة أكثر برودة وأقل حيوية.

الصورة الأخيرة كانت لإدوارد ولي، جالساً مرتبكاً جنباً إلى جنب. كان وجه إدوارد مماثلاً لوجهه في الصورة السابقة، بارداً وشبهياً بمنحوتة. لكن ذلك لم يكن الجزء الوحيد المقلق في الصورة. كان

الاختلاف بيننا مؤلماً. بدا كالإله فيما بدوت عادية جداً، لا بل فيبحة قياساً بالبشر. قلبت الصورة بسرعة وأحسست باشمئزاز.

بدل أن أنجز واجباتي المدرسية، أمضيت السهرة وأنا أرتب الصور في الألبوم. بقلم جبر جاف، كتبت تعليقات، أسماء وتواريخ على ظهر جميع الصور. أخذت صورتي مع إدوارد، وبدون أن أنظر إليها مطوّلاً، طويّتها نصفيها ولصقتها على نحو ظل إدوارد ظاهراً فيها.

عندما انتهيت، وضعت الصورة الثانية داخل غلاف جديد وبعثت برسالة شكر طويلة إلى رينيه.

لم يكن إدوارد قد أتى بعد. لم أشأ الاعتراف بأنّه كان السبب في سهري المتأخر، لكنّه بالتأكيد كان كذلك. حاولت أن أذكّر آخر مرة بقي فيها بعيداً هكذا، بدون أعذار أو اتصال هاتفي... لم يسبق أن فعلها أبداً.

مرة أخرى، لم أتم جيداً.

عدت إلى المدرسة بعد يومين من الصمت والإحباط والدعر. شعرت بارتياح حين رأيت إدوارد ينتظرني في الموقف، لكن هذا الشعور سرعان ما تلاشى. لم يكن إدوارد مختلفاً، لكنه كان بعيداً.

كان من الصعب تذكر سبب كلّ هذه الفوضى. أمسى عيد ميلادي من الماضي البعيد. ليت أليس تعود قريباً، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

بيد أنني لم أستطع الاعتماد على ذلك. قررت أن أذهب وأرى كارلايل في القدر في حال عجزت عن التكلّم مع إدوارد اليوم. كان عليّ فعل شيء ما.

قطعت عهداً على نفسي بأن أتحدث إلى إدوارد بعد المدرسة. لم أكن أقبل أي عذر.

اصطحبني إلى السيارة، فاستجمعت قواي لأطرح أسئلتي.

«هل تمنعين إذا فصدتك اليوم؟». سألني قبل أن نركب السيارة.

«بالطبع لا».

«الآن؟»، سألني مجدداً، وهو يفتح لي الباب.

«بال تأكيد»، حافظتُ على نبرتي العادية، مع أنني لم أحبذ نبرة الإلحاح في صوته. «سامر لأترك رسالة لربنيه في صندوق البريد. نلتقي في المنزل».

نظر إلى المغلف الكبير على المقعد. وفجأة، انحنى باتجاهي وحمله.

قال بهدوء: «سأتولى الأمر بنفسي وأقابلك هناك». ظهرت الابتسامة الماكرة التي أحبها، لكنها كانت مزيفة لأنها لم تصل إلى عيني.

«حسناً»، وافقتُ، عاجزة عن ردّ الابتسامة. أغلق الباب وتوجه إلى سيارته.

أتى إلى المنزل. أوقف سيارته في موقف تشارلي فيما ركنتُ سيارتي أمام البيت. تلك كانت إشارة سيئة تعني أنه لا ينوي البقاء طويلاً. هزأت رأسي وأخذت نفساً عميقاً محاولة التحلي ببعض الجراءة. خرج من سيارته في اللحظة التي أغلقتُ فيها باب سيارتي وخرجتُ منها، وتوجه لملاقاتي. أخذ مني محفظة الكتب. كان ذلك أمراً طبيعياً. لكنه رماها بعنف على المقعد، وهذا ما لم يكن طبيعياً.

«تعالني نمشي معاً»، طلب مني بصوت خالٍ من العاطفة وأمسك بيدي.

لم أجب. لم أستطع التفكير بطريقة للاعتراض مع أنني أردتُ ذلك في هذه اللحظة. لم أحبذ الأمر. تكرر صوت في رأسي مرات ومرات يقول إن الأمور سيئة، سيئة للغاية.

لكنه لم ينتظر إجابة. إصطحبني واتجه نحو الجانب الشرقي من

الشارع حيث تقع الغابة. تبعته بغير رضا محاولة عدم التفكير بالرعب. كان ذلك ما أردته، ذكرتُ نفسي. إنها الفرصة للحديث عن كل شيء. فلم يكاد هذا الشعور بالرعب يخنقني؟

كنا قد خطونا بضعة خطوات فقط بين الأشجار قبل أن يتوقف إدوارد. لم تكن قد ابتعدنا كثيراً إذ استطعتُ أن أرى المنزل.

مشينا بضعة خطوات إضافية.

انكأ إدوارد على شجرة وحدق بي، كانت تعابير وجهه مبهمه.

«حسناً، لن تحدث»، قلتُ بنبرة شجاعة.

أخذ نفساً عميقاً: «بيلاً، علينا ترك المدينة».

أخذت أنا أيضاً نفساً عميقاً. لم يكن الخيار مقبولاً. ظننتُ أنني كنتُ مستعدة. ولكن تبادر إلى ذهني سؤال:

«لَمْ الآن؟ لنؤجل الرحيل إلى سنة أخرى».

«لقد حان الوقت بيلاً. لماذا تبقى في فوركس بعد كل ما حصل؟ إلى متى سيظل كاولايل يدعي أنه يبلغ الثالثة والثلاثين من العمر؟ علينا أن نبدأ من جديد بجميع الأحوال».

أريكني إجابته. اعتقدتُ أنّ هدف رحيلنا هو ترك عائلته لتعيش بسلام. لم يتعين علينا الرحيل إن كانوا هم سيرحلون؟ شخصتُ ببصري إليه محاولة فهم ما قصده.

حدق بي هو أيضاً بفتور.

شعرتُ بغثيان حين أدركتُ أنني أسأت فهم ما تقوّ به.

«حين قلتُ: علينا...»، همستُ.

«أقصد بذلك عائلتي وأنا». أنت كلماته منفصلة... متباعدة...

واضحة.

حرّكتُ رأسي بشكل آلي، محاولة التركيز. انتظر من دون أي إشارة



تدل على نفاذ صبر. تطلب الموقف بضع دقائق قبل أن أتمكن من الكلام.

«حسناً، سوف آتي معك».

«لا تستطيعين بيلاً. المكان الذي سذهب إليه... ليس المكان

المناسب لك».

«حيث تكون أنت فإنه المكان المناسب لي».

«لست ملائماً لك بيلاً».

«لا تكن نافهاً، أنت أفضل ما حصل في حياتي». أردت أن أبدى

غاضبةً، لكن صوتي كان يتوسل إليه.

«عالمي ليس لك»، قال متجهماً.

«ما حصل مع جاسبر كان نافهاً، إدوارد! كان عديم الأهمية».

«أنت محقة، ما حصل كان عادياً، وهو ما كان متوقعاً حصوله

بالضبط».

«لكنك وعدتني! لقد تعهدت أنك ستبقى، عندما كنا في فينكس».

«طالما كان ذلك مفيداً لك»، قاطعتني مصححاً.

«لا! المسألة تتعلق بروحي، ليس كذلك؟». صحت غاضبةً

والكلمات تخرج كالقتابل من فمي، ومع ذلك حافظت على نبرة

الترسل. «تحدثت إلى كارلايل بهذا الموضوع، لكنني لا آبه يا إدوارد!

لا آبه! يمكنك أخذ روحي. لا أريدها بدونك، إنها لك أصلاً».

تنفّس بعمق وحدث بالأرض للحظات طويلة. التوت شفتاه قليلاً.

وعندما رفع رأسه في النهاية، كانت عيناه مختلفتين وصلبتين، كما

الذهب السائل الذي تضاف إليه مواد تمنحه الصلابة.

«بيلاً، لا أريدك أن تأتي معي». نطق كلماته ببطء وبدقة، بينما

كانت عيناه الباردتين تحمقان في وجهي، تتأملانني وأنا أمتص ما كان

يقوله.

مرّ وقت قصير وأنا أكرّر الكلمات في ذهني مرات عدّة، مدققة في كل كلمة لكي أعرف هدفها الحقيقي.

«أنت... لا... تريدني؟»، تلفظت بكلمات مشوشة من حيث الوقع

والترتيب.

«لا».

حدقت بعينيه، من دون أن أفهم. فحدق بي من دون أن يعتذر.

كانت عيناه صلبتين، مشرقتين وعميقتين جداً. شعرت كأنني أستطيع

الغرق فيهما، لكنني لم أجد في عمقهما اللامتناهي أي تعارض مع

الكلمة التي كان قد تفوّ بها.

«حسناً، هذا يغيّر الكثير». تفاجأت من درجة هدوء وعقلانية

صوتي. ربّما لأنني كنت مخدّرة. لم أستطع فهم ما قاله لي. لم بعن

ذلك شيئاً لي.

نظر باتجاه الأشجار حين تكلم مجدداً. «بالطبع سأبقى أحبّك

دائماً... حباً كبيراً». ولكن ما حصل في تلك الليلة جعلني أدرك أنّه

حان وقت التغيير. لأنني... تعبت من التظاهر بأن أكون شخصاً ليس

أنا، بيلاً. لست بشرياً. ثمّ نظر إليّ فبدت رقة وجهه غير بشرية.

«تبادلتي في ذلك لفترة طويلة وأعتذر عما فعلت».

«لا». اكتفى صوني بالهمس الآن. بدأ الوعي يتملّكني، ويجري

لاذعاً في عروقي. «لا تفعل ذلك».

تأملني طويلاً، فاستطعت أن أرى من خلال عينيه أنّ كلماتي جاءت

متأخّرة كثيراً. القرار قد اتخذ وكل شيء قد انتهى.

«لست صالحة لي، بيلاً». كرّر كلماته السابقة فلم يعد بيدي حجة.

كيف أعرف أنني لست صالحة له كفاية.

فتحّنت فمي لأقول شيئاً، ثمّ أغلقتها مرّة أخرى. انتظر بصبر، تجرّد

وجهه من أي انفعال. حاولت مرّة أخرى.

«إن كان.. هذا ما تريده».

أوما برأسه.

تخذر جسدي بأكمله. لم أعد أشعر بأعضاء جسمي أسفل عنقي.

«أود منك أن تسديني خدمة، إن لم يكن لديك مانع».

تساءلتُ عما رآه في ملامح وجهي لأن اضطراباً ما ظهر على وجهه في المقابل. ولكن قبل أن أتمكن من تحديده، كان قد أغنى اضطرابه متظاهراً بالهدوء.

«أطلب ما تريد»، صرختُ بصوتٍ قويٍ متردد.

لاحظتُ رقة في عينيه المتجمدتين. تحول الذهب مجدداً إلى سائل مصهور يتوهج بشدة:

«لا ترتكبي أي عمل طائش أو أحمق»، أمر بتجرد عاطفي. «هل تفهمين ما أقول؟».

أومأتُ برأسي مذعنة للطلب.

بردت عيناه وعاد الفتور ليطلّ منهما. «أفكر في تشارلي طبعاً. إنه بحاجة إليك. انتبهي لنفسك من أجله».

حينئذٍ رأسي ثانية همست: «سأفعل».

بدت عليه بعض علامات الارتياح.

«وسأقدم لك تعهداً في المقابل، أتعهد أنها آخر مرة ترينني فيها.

لن أعود. لن أضعك في موقف مماثل مرة أخرى. يمكنك متابعة حياتك بعيداً عن أي تدخل من جهتي. كما لو أنني لست موجوداً أصلاً».

كانت ركبتاي على وشك الارتعاش، والأشجار أخذت تتمايل فجأة. سمعتُ صوت تدفق الدماء في عروقي يخفق بقوة وسرعة غير عادية في أذني. بدأ صوته يتعد.

ابتسم بلطف: «لا تشغلي بالك. أنت بشرية، وذاكرتك ليست

سوى مصفاة. الوقت عندكم يشفي كل الجراح».

«ماذا عن ذكرياتك أنت؟»، سألت. بدا صوتي متحسراً كما لو أن شيئاً ما عالق في حلقي، وكأني كنت أختنق.

تردد قليلاً: «حسناً، لن أنسى. لكن في جنسي... نحن ننسى بسهولة تامة». ظهرت ابتسامة هادئة لم تلامس عينيه. ابتعدت عني خطوة. «أعتقد أن هذا كل شيء». لن نزعجك بعد الآن».

شدت صيغة الجمع في «نزعجك» انتباهي. صدمتني. ظننتُ حينها أنني لن أنتبه لشيء.

تحققتُ، «لن تعود أليس». لم أعرف كيف استطاع أن يسمعني. لم يكن لكلماتي أي مغزى لكنه فهمها.

هز رأسه ببطء واستمر بالنظر في وجهي.

«لا. لقد رحلوا جميعاً. وأنا وحدي تأخرتُ لكي أقول لك وداعاً».

«أليس رحلت؟»، كان صوتي يشير إلى أنني صدقتُ الفكرة.

«أرادت توديعك، لكنني أفتعتها أن المغادرة فوراً ستكون أفضل لك».

كنتُ أشعر بالدوار؛ كان التركيز صعباً. دارت كلماته في رأسي، فسمعتُ الطبيب في المستشفى في فينيكس، الربيع الثالث، حين أطلعتني على أشعة إكس: «كما ترين، إنه كسر بسيط في العظم»، كان يشير بإصبعه إلى صورة الأشعة وهو يضيف، «لا بأس، سيكون تعافيك أسهل وأسرع».

حاولتُ التنفس بشكل طبيعي. احتججتُ إلى التركيز، لأجد سبيلاً للخروج من الكابوس.

«وداعاً ييلاً»، قال بالهدوء نفسه والنبوة المسالمة ذاتها.

«انتظرا!»، نطقت الكلمة بصعوبة، وتوجّهت نحوه آملة أن تساعدني رجلاي المخدّرتين على التقدّم.

اعتقدت أنه يتوجّه نحوي أيضاً. لكن يديه الباردتين قبضتا على معصمي وثبتتهما على خصري. انحنى ولسق شفتيه على جيبني بنعومة شديدة للحظات قصيرة. أغمضت عيني.

«انتهبي لنفسك»، أحسست بأنفاسه الباردة على بشرتي.

كان هناك نور ونسيم غير طبيعيين. فتحت عيني. كانت أوراق شجرة الكرمة الصغيرة ترتعد لحظة مرّت بجانبها أنفاسه اللطيفة.

لقد رحل.

كنت على يقين أن الركض غير مجدٍ، لكنني لحقت به في الغابة برجلين مرتجفتين. كان أثر طريقه قد اختفى فوراً. لم يكن هناك آثار أقدام، فيما استمرّ ارتجاف الأوراق، لكنني تابعت التقدم بدون تفكير. لم يكن بوسعي فعل أي شيء. كان عليّ مواصلة التحرك. إذا كففت عن رؤيته، سيقضى عليّ.

الحب، الحياة بكل معانيها. .. ستبتد.

مشيت ومشيت. لم يعد للوقت أهمية حين شققت طريقي بين الشجيرات الكثيفة. مرّت ساعات لكنّها بدت كشوانٍ فقط. كما لو أنّ الوقت قد تجمّد لأنّ الغابة لم تبدّ مكترثة أيضاً، مهما ابتعدت. بدأت أخشى من أني كنت أدور في حلقة مفرغة، صغيرة جداً، إلا أنني لم أتوقف. تعثرت كثيراً، ومع هبوط الظلام، ازداد عدد المرات التي سقطت فيها أرضاً.

أخيراً، تعثرت بشيء أسود هذه المرّة وعلقت قدمي، فبقيت على الأرض. تمددت على جانبي كي أتمكن من التنفّس، ثم تكورت على بقايا الأوراق المبلّلة.

عندما مكثت هناك، راودني شعور بأنّه مضى من الوقت أكثر مما حسبت. لم أستطع تذكر كم من الوقت قد مرّ على غروب الشمس. هل كان ذلك المكان مظلاً بصورة دائمة في الليل؟ من المؤكّد أنّ القليل من ضوء القمر سيتسرّب عبر الغيوم وأغصان الأشجار.

ولكن ضوء القمر كان محجوباً تلك الليلة. وكانت السماء غارقة في السواد. ربّما لم يكن هناك قمر آنذاك، بل خسوف أو قمر جديد في أوّل أيامه.

قمر جديد. ارتجفت مع أنني لم أكن أشعر بالبرد.

كان الظلام قد هبط منذ وقت طويل حين سمعتهم ينادون.

صاح أحدهم باسمي. كان صوتاً خافتاً، كتمه المطر الغزير الذي أحاط بي، لكنّه كان إسمي بلا ريب. لم أعرف على الصوت. فكّرت في الإجابة لكنني كنت مصابة بدوار، واستغرقت وقتاً طويلاً لأدرك أنه ينبغي أن أجيّب. ثم توقّف النداء.

أيقظني المطر في وقت لاحق. لا أظن أنني غرقت في نوم عميق؛ كنت نائمة في عيبوبة فحسب، متمسكة بكلّ قوّتي بذلك الخدر الذي حال دون أن أعرف ما لم أكن أريد معرفته.

ها يقني المطر قليلاً. كان بارداً. رفعت ذراعيّ اللتين كانتا تلتفنان على ركبتيّ وغطيتُ بهما وجهي.

في تلك اللحظات، سمعت النداء مرّة ثانية. وكان صادراً من نقطة بعد هذه المرّة، وأحياناً بدت أصواتاً عديدة تنادي في الوقت نفسه. حاولت أن أخذ نفساً عميقاً. تذكرت أنّه عليّ أن أجيّب، لكنني أيقنت أنهم لن يسمعونني. هل سأقدر على الصراخ عالياً بما يكفي؟

فجأة، صدر صوتٌ مباغتٌ قريب. صوتٌ يشبه صوت حيوان ضخم. تساءلت ما إذا كان يجب أن أخاف لأنني لم أخف، كنت قد تقدّمت الشعور فحسب. ما عاد هذا يهمّ فالصوت قد اختفى.



تواصل هطول المطر، وشعرْتُ بالماء يبلل وجنتي. كنتُ أحاول  
استجماع قواي لأدير رأسي عندما رأيتُ النور.

كان في البداية مجرد ضوء باهت انعكس على الشجيرات القريبة.  
بدأ الضوء يقوى تدريجياً فأناور مساحة شاسعة. ثم اخترق الضوء الأدغال  
فلاحظتُ أنه مصباح يعمل على الغاز، ولكن هذا كان جلّ ما استطعتُ  
رؤيته. بُهرتُ للحظات.  
«بيلاً».

كان الصوت عميقاً وغير مألوف، لكن يسهل تمييزه. لم ينده اسمي  
متظراً الرد ليعرف مصدر الصوت، بل ليعلمني بأنه عثر عليّ.  
نظرتُ إلى الأعلى، حيث بدأ الارتفاع شاهقاً، باتجاه وجه مظلم  
رأبته خلفي. أدركتُ أن الغريب فارح الطول لأن رأسي كان لا يزال على  
الأرض.  
«هل أصبّت؟».

عرفتُ أنّ كلماته تعني شيئاً ما، لكنني لم أفهم إلا على التحديق  
بذهول. كيف يمكن فهم المعنى الذي قصده وأنا على هذه الحال؟  
«بيلاً، اسمي سام أولي».  
لم يكن هذا الاسم مألوفاً بالنسبة إليّ.  
«أرسلني تشارلي لأبحث عنك».

تشارلي؟ ضرب اسمي على الوتر الحساس، فحاولتُ أن أصغي  
بانتهاء إلى ما كان يقوله. كان تشارلي يكثر لي، وحده من دون  
الآخرين.  
مدّ الرجل الطويل يده لي. فحدقتُ بها من دون أن أعلم ماذا  
أفعل.

نظر إليّ بعينيهِ السوداءوين وهز كتفيه. ثم رفعني عن الأرض بحركة  
سريعة وليّته وأخذني بين ذراعيه.

تمسّكتُ به، مضطربة حين اخترق الغابة بخفة حيث المطر ينهمر  
بغزارة. جزءٌ مني علم أنّ ما حصل يجب أن يبعث على القلق، لاسيما  
أنني بين ذراعي شخص غريب. ولكن لم يبقَ شيءٌ عندي أقلق لأجله.  
لم يبدُ أن وقتاً طويلاً قد مرّ قبل أن أرى الأنوار وأسمع ثمراتٍ  
مجموعة من الرجال. تمهل سام أولي عندما اقترب من العجبة.  
«لقد أحضرتها!»، صاح بصوت قوي.

توقفتُ الثرثرة ثم علّت مجدداً بقوة مضاعفة. دوامة مربكة من  
الوجوه كانت تنظر إليّ. كان صوت سام الوحيد المفهوم من بين كلّ  
هذه الفوضى، ربما لأن أذني كانت على صدره.  
قال أحدهم: «كلا، لا أظن أنها مصابة لكنها لا تكفّ عن القول  
«لقد رحل»».

هل كنتُ أقول ذلك بصوت مرتفع؟ عضيّتُ على شفتي.  
«بيلاً، عزيزتي» هل أنت بخير؟».  
كان بمقدوري أن أعرف ذلك الصوت في كل وقت، وحتى لو كان  
متوتراً، كما هو الحال الآن.  
«تشارلي؟»، كان صوتي غريباً وضعيفاً.  
«أنا هنا يا صغيرتي».

يبدل شيء ما تحتني، إنها رائحة جاكيت والدي الشرطي. كاد  
والدي أن يتعثر وهو يحملني.

ربما يجب أن أحملها أنا، اقترح سام أولي.  
«أنت من جاء بها»، قال تشارلي بنفْس شبه مقطوع.  
مشى ببطء وجهه كبيرين. تمثّيت أن أطلب منه أن ينزلني ويدعني  
أمشي، لكن صوتي لم يسعني.  
كانت المصابيح تملأ المكان، حملتها الحشود التي كانت ترافقه.

كان ذلك أشبه باستعراض عسكري. أو مركب جنازة. أغلقت عيني.

«سوف نصل إلى البيت قريباً»، كان تشارلي يتمم من حين لآخر.

فتحت عيني عندما سمعتُ صرير الباب. كنا على شرفة منزلنا، وكان رجل العنمة الطويل الذي يُدعى سام يفتح الباب أمام تشارلي، بذراع ممدودة نحونا كما لو أنه كان يتحضر للتقاطي إذا ما دُشِعتُ ذراعاً تشارلي.

لكن تشارلي استطاع أن يدخلني عبر الباب متوجهاً إلى الأريكة في حجرة الجلوس.

«أبي، إنني مبللة بالكامل»، اعترضت بوهن.

«هذا لا يهم». كان صوته أجش. ثم توجه إلى شخص آخر:

«البطانيات في الخزانة أعلى الدرج».

«بيلاً؟»، سألني صوت جديد. نظرتُ إلى الرجل صاحب الشعر

الرمادي الذي انحني فوق، فعرفته بعد ثوان معدودة.

«الطبيب جيراندي؟»، همست.

«صحيح، عزيزتي»، قال ثم سأل: «هل أنت مصابة بيلاً؟».

استغرقتُ دقيقة لأفكر بالسؤال. تبشّش ذهني حين تذكرت سؤال

سام أولي المائل في الغابة. سام وحده من طرح السؤال نفسه، «هل

أصبِ؟». بدت معرفة الفرق مهمة.

كان الطبيب جيراندي ينتظر. ارتفع حاجبه الأثيب وتعمقت

تجاعيد جبينه.

«لستُ مصابة»، كذبت. لكن الكلمات كانت صادقة بما فيه

الكفاية.

لمست يده الدافئة جيبي، وضغط بأصابعه على معصمي. نظرتُ

إلى شفّتي حين كان يتكلّم وعينيه تنظران إلى ساعته.

«ماذا حصل لك؟»، سأل بلا مبالاة.

تجمّدتُ بين يديه وتذوّقتُ الرعب في حنجرتي.

لكنني ثم سأل: «هل تهت في الغابة؟». كنتُ مدركة أنّ الكثير من

الناس سمعوا الحديث. ثلاثة رجال طيلو القامة، بوجوههم الداكنة، كان

أحدهم من «لا بوش» إضافة إلى الرجل الهندي الآتي من الساحل ومعهما

سام أولي بحسب اعتقادي، كانوا واقفين بالقرب مني يحدّقون بي. كان

السيد نيوتن هناك، إضافة إلى مارك والسيد وبير، والد أنجيلا؛ كانوا

جميعهم ينظرون إليّ بغرابة. دمدمت أصوات عميقة أخرى من المطبخ

ومن خارج الباب الأمامي. كان ينبغي أن تنظر إليّ نصف المدينة.

كان تشارلي الأقرب إليّ. انحني لسمع جوابي.

همست: «أجل، لقد تهت».

أوما الطبيب برأسه مستغرقاً في التفكير، وكانت أصابعه تسير برفق

على الغدد تحت فكي. تصلّب وجه تشارلي.

«هل تشعرين بالتعب؟»، سألني الطبيب جيراندي.

أطرق رأسي من النعاس وأغلقتُ عيني من شدة التعب.

«لا أظنّ أنها مصابة بأي مرض»، سمعتُ الطبيب يغمغم لتشارلي

بعد دقيقة. «إنّه إرهاب فحسب. دعها تنام جيداً وسأتي غداً لزيارتها».

نظرتُ إلى ساعته ثم أضف: «حسناً، نلتقي لاحقاً اليوم».

صبر صوت صرير حين نهض الرجلان عن الأريكة ووقفوا.

همس تشارلي: «أهذا صحيح؟». كان الصوت بعيداً في تلك

اللحظات. بذلتُ مجهوداً لكي أسمع.

«هل رحلوا؟».

«طلب منا الطبيب كولن ألا نقول شيئاً»، أجاب الطبيب جيراندي.

«كان المرص مفاجئاً للغاية. تعيّن عليهم اتخاذ القرار بسرعة. لم يشأ

كارلايل أن يعمم مسألة المغادرة».

تدمر تشارلي: «لعل التحذير يفيد في هذه الحالة».

بدا الطبيب جيراندي غير مرتاح عندما أجاب، «نعم، في هذه الحالة، كان يجب أن يصدر تحذير ما».

لم أعد أرغب أن أسمع شيئاً. شعرتُ أن أحداً اقترب ومدَّ يده إلى لحافي ووضعه على أذني.

تقلبُ متنبهة. سمعتُ تشارلي يهمس عبارات الشكر للمتطوعين فيما كانوا يغادرون، الواحد تلو الآخر. وشعرتُ بأصابعه على جبھتي وبثقل غطاء آخر يوضع فوقي. رنَّ الهاتف مرات عدة فأسرع ليلتقطه قبل أن يوقظني. طمأن المتصل إلى حالي بصوت خفيض.

«نعم، وجدناها. إنها على ما يرام. لقد تاهت. هي بخير الآن»، قال مراراً وتكراراً.

سمعتُ صوت الكرسيّ يصرّ بعد أن قرر البقاء قربي طوال الليل.

مرت دقائق قليلة قبل أن يرن الهاتف ثانية.

كان تشارلي يشنّ عندما وقف على قدميه، ثم اندفع بخطوات مضطربة نحو المطبخ. أخفيتُ رأسي تحت الغطاء رافضةً سماع المحادثة نفسها مجدداً.

«نعم»، قال تشارلي وتثاءب.

تغيرَ صوته وكان أكثر يقظة حين تكلم من جديد، «أين؟»، كانت هناك وقفة قصيرة. «هل أنت متأكد من أنها خارج غرفتها؟»، ثم وقفة قصيرة أخرى. «ولكن ما الذي يمكن أن يحترق في الخارج؟»، بدا صوته قلقاً مُربكاً. «سأتصل وأتحقق مما يجري».

سمعته باهتمام زائد عندما طلب رقماً. «مرحباً بيلى، أنا تشارلي، أعذر لأنني اتصل في وقت مبكر جداً... كلا، إنها بخير. إنها نائمة... شكراً، ولكنني لا أتصل لهذا السبب. اتصلت بي الآنسة ستانلي لتوها، تقول إنها ترى عبر نافذة الطابق الثاني نيراناً تندلع قرب

البحر، ولكنني في الحقيقة...!»، فجأة، ظهرت حدة في صوته، وانزعاج... وغضب، وقال بتهكم: «ولم يفعلون هذا... حقاً؟ حسناً، لا تعتذر مني. نعم، نعم. تأكد من أن اللهب لن يمتد... أنا متفاجئ لأنهم تمكنوا من إضرام هذه النيران كلها في هذا الطقس».

تردد تشارلي ثم أضاف بصوت متدثر: «شكراً لأنك اتصّلت بسام والصبية الآخرين. كنت محقاً، يعرفون الغابة أكثر منا. كان سام من وجدها، لذا أنا مدين لك... أكلّمك لاحقاً»، وافقه الرأي لكنّه بقي متجهّماً، ثم أنهى المكالمة.

نطق تشارلي كلمات مفككة عندما جرّ قدميه إلى غرفة الجلوس.

«ماذا يجري؟»، سألتُ

أسرع نحوي.

«اعتذر لأنني أيقظتك عزيزتي».

«هل هناك شيء يحترق؟».

«لا شيء»، قال بلهجة مؤكدة. «نيران خفيفة تتصاعد من المنحدر فحسب».

«نيران؟»، لم يكن صوتي فضولياً، بل بدا ميتاً.

عبس تشارلي. «إنهم بعض الأولاد المشاكسين».

«لماذا؟»، تساءلت بكسل.

كان يسعني القول إنه لم يشأ أن يجيب. نظر إلى الأرض تحت ركبتيه. «إنهم يحتفلون بالأخبار». كان في صوته خيبة أمل.

كان هناك خبرٌ واحدٌ خطر ببالي وحاولتُ ألا أفكر فيه. ثم ترألت الأخبار من غير انقطاع. همست: «بسبب رجل عائلة كولن، لا يحبونها في لا يوش، كنت قد نسيْتُ ذلك».

كان للكويولوت خرافاتهم في ما يتعلق بـ«الأشخاص الباردين»،



ومصاصي الدماء الذين كانوا أعداء لجماعة المستنبيين، وكانت أساطيرهم تدور حول الطوفان العظيم والأسلاف المستنبيين. بالنسبة لمعظمهم، كانت تلك مجرد روايات وعادات وتقاليد. بعدئذ، آمن القليل بها بمن في ذلك بيلي بلاك، صديق تشارلي الحميم، مع أن ابنه جايكوب يعتقد أن تلك مجرد خرافات سخيفة. كان بيلي قد نُهني بأن أبني بعيدة عن عائلة كولن...

أثار الاسم شيئاً ما بداخلي، شيء بدأ يشق طريقه نحو الواجهة. شيء لم أرغب في مواجهته.

«هذا تافه»، قال تشارلي مغمغماً.

جلسنا بصمت للحظة. لم تعد السماء سوداء في الخارج. بدأت الشمس تُشرق في مكان ما خلف المطر.

«بيلاً؟»، سأل تشارلي.

نظرتُ إليه مرتبكة.

«تركك وحيدة في الغابة؟»، حَمَن تشارلي.

حزفتُ سؤاله: «كيف عرفتُ أين تجدني؟». حاول عقلي أن يتجنب الحقيقة المحتومة الآتية.

«ورقتك»، أجاب تشارلي متفاجئاً. مَزيدُه إلى جيب بنطاله وسحب ورقة شبه ممزقة. كانت وسخة ورطبة ومتشققة كثيراً نتيجة فتحها وطيها مرّات عديدة. فتحها مجدداً واستعان بها كدليل. كان خطها غير المرتب مماثلاً لخطي بشكل ملحوظ.

«ذهابية في نزهة مع إدوارد على الطريق، أعود قريباً، (ب)».

ثم أكمل تشارلي بصوت خفيض: «عندما لم تعود، اتصلت بمنزل عائلة كولن ولكن لم يجني أحد، ثم اتصلت بالمستشفى فأخبرني الطبيب جيراندي بأن كارلايل قد غادر».

«إلى أين ذهبوا؟»، تمتعتُ.

حَدَّق بي: «ألم يخبرك إدوارد؟».

هزئتُ رأسي نافية. حررتني سماع صوته من الوجد الذي كان يمزقني، ذلك الألم الذي حبس أنفاسي وأدهشني بقوّته.

نظر إليّ تشارلي بريية حين أجاب: «حصل كارلايل على عمل داخل مستشفى كبير في لوس أنجلوس. أظن أنهم يدفعون له أمراً طائلة».

لوس أنجلوس المشمسة. إنه آخر مكان سيقصده. تذكرتُ كابوسي عن المرأة... حيث كان نور الشمس يضيء بشرته.

شعرتُ بعذاب أليم عندما تذكرتُ وجهه.

ألح تشارلي: «أريد أن أعرف ما إذا كان إدوارد قد تركك بمفردك في الغابة».

أرسل اسمه موجة أخرى من العذاب. هزئتُ رأسي، مضطربة. كنت بحاجة ماسة للهروب من الألم. فقلت: «كان ذلك خطئي. تركني هنا على الطريق، قرب المنزل... لكنني حاولتُ اللحاق به».

بدأ تشارلي بقول شيء، فوضعتُ يدي على أذني بحركة صبيانية. «لن أتمكن من التحدث عن ذلك بعد الآن، أبي. أريد الذهاب إلى غرفتي».

قبل أن يتمكن من الإجابة، نهضتُ عن السرير وصعدتُ إلى الطابق العلوي.

كان هناك أحدٌ دخل إلى البيت ووضع علامةً لتشارلي. علامة ترشده إلى مكاني. بدءاً من اللحظة التي عرفتُ فيها ذلك، بدأ شك رهيب ينبت في ذهني. اندفعتُ نحو الغرفة، أغلقتُ الباب الخلفي وأقفلته بالمفتاح قبل أن أنوجه إلى المسجلة بجانب سريري.

يبدأ كل شيء كما تركته تقريباً. شغلتُ المسجلة. فُتحت علبة الأسطوانة على مهل.

كانت فارغة.

كان الألبوم الذي أعطتني إياه رينيه لا يزال قرب السرير، في المكان الذي وضعت فيه آخر مرة. نزعْتُ الغطاء عنه بيدٍ مرتجفة.

لم يكن يتوجب أن أقلب أكثر من صفحة واحدة. لم تعد الزوايا المعدنية تمسك بالصورة في موضعها. كانت الصفحة فارغة إلا من خطّي المخربش في الأسفل: «إدوارد كولن، مطبخ تشارلي، الثالث عشر من أيلول/سبتمبر».

توقفتُ هناك. كنتُ على يقين من أنه سيكمل عمله بشكل دقيق للغاية.

«سيكون الأمر كما لو أنني لم أكن موجوداً أصلاً»، هكذا تعهد لي.

شعرتُ بالأرض الخشب الناعمة تحت ركبتي، ثم تحت راحة كفي، ثم ضغطت على وجتي. تمتَّيتُ لو يُغمي عليّ، ولكن أُملي خاب لأنني لم أفقد وعبي. فموجات الألم التي كانت تكتفني بمحاصرتي وحسب في الماضي، ارتفعت عالياً الآن وغمرت رأسي وأغرقتني بالكامل.

وعجزت عن العودة إلى السطح.

4

## الاستيقاظ

مرّ الوقت. حتى وإن بدا مروره مستحيلاً. حتى وإن أَلمتني كل لحظة من الزمن المرّ المنقضي مع دوران العقارب. مرّ الوقت ببطء شديد، بغرابة ويهدوء قاتلين، لكنه مرّ.

ضرب تشارلي بقبضته على الطاولة. «بيلاً سأرسلكِ إلى ديارك». رفعتُ بصري عن الكورن فليكس الذي كنتُ أتأملُه بدلاً من أن آكله، ثم حدقتُ بتشارلي مصدومة. لم أكن أصغي لكلامه، ولم أكن أنتبه إلى ما دار بيننا من حديث كما أنني لم أكن متأكدة مما قصده. «ولكنني في الديار الآن»، تمتمتُ مرتبكة.

«سأرسلكِ إلى رينيه في جاكسونفيل»، قال موضحاً.

نظر إليّ تشارلي بسخط لأنني كنتُ بطيئة في فهم معنى كلماته. «ولكن ما الذي فعلته؟»، شعرتُ بوجهي يتكشم قلقاً. كان قراره ظالماً. طيلة الأشهر الأربعة الفائتة، كان سلوكي لا يستحق أي لوم. وفي الأسبوع الماضي، لم أتغيب يوماً عن المدرسة أو العمل. كانت علاماتي المدرسية ممتازة. لم أعد يوماً إلى البيت بعد مغيب الشمس، ولم أذهب إلى أي مكان يؤخر عودتي إلى ما بعد المغيب. أعتزف بأنني قدّهتُ له طعاماً غير طازج ولكن في حالات نادرة جداً.

كان تشارلي عابساً.

«لم تفعلني شيئاً، هذه هي المشكلة. أنت لم تفعلني شيئاً على الإطلاق».

«أتريدين أن أتورط في المشاكل؟» تساءلتُ، وقطبتُ حاجبي متعجبةً. بذلتُ جهداً لكي أصغي إليه. لم يكن الأمر سهلاً. كنتُ معتادة على الانسجام مع كل شيء، فشعرتُ بأذني تتصبان لتصغيا إلى كلامه.

«المشاكل أفضل من الاكتئاب طوال الوقت!».  
جرحتني توبيخه قليلاً. كنتُ حريصةً على تجنب كافة أشكال النكد، بما في ذلك الكتاب.  
«لستُ مكتئبة».

«أخطأت في الكلمة»، تنازلَ مكرهاً. «أن تكوني مكتئبة يعني أنكِ تغلين شيئاً. أنتِ... خالية من الحياة، بيلاً. أظن أنها العبارة التي أريد قولها».

صدمتني هذه التهمة. تنهدتُ وحاولتُ أن أضفي شيئاً من الخجل على إجابتي.

«أنا أسفة أبي». بدا اعتذاري فاتراً، حتى أنني لاحظتُ ذلك. اعتقدتُ أنني كنتُ أحتال عليه.

كان الهدف الوحيد من جهدي هذا هو أن أحد من ألم تشارلي. أحبطني التفكير بأن الجهد ضاع سدى.

«لا أريدك أن تعتذري».

تنهدتُ: «ماذا تريدين أن أفعل إذا؟».

«بيلاً»، قال بتردد متفحصاً رد فعلي على كلماته التالية. «عزيزتي، لستُ أول شخص يواجه هذا النوع من المشاكل».

«أعرف ذلك». تراقب كلامي مع تكميرة ذابلة غير متأثرة بكلامه.

«إسمعي عزيزتي. أظنك تحتاجين إلى مساعدة».

«مساعدة؟».

توقف، ومن جديد راح يبحث عن كلمات مناسبة. بدأ الحديث عابثاً: «عندما رحلت والدتك وأخذتك معها، شفق نفساً عميقاً: «كان ذلك وقتاً عصيباً بالنسبة إلي».

«أعرف، يا أبي»، تمتعتُ.

تابع موضحاً: «لكنني عالجتُ المسألة. عزيزتي، أنتِ لا تعالجين شيئاً. انتظرتُ، متمنية أن تحسّن الأمور». حدّق بي فنظرتُ فوراً إلى الأسفل. «أعتقد أن كلانا يعلم بأن الأمور ليست إلى تحسن».

«أنا بخير».

تجاهلني. «ربما... ربما ستكونين بخير إذا حدثتِ أحداً بالموضوع. أخصائي مثلاً».

«تريدين أن أرى طبيباً نفسياً؟»، سألته بصوت حاد حين فهمتُ ما أوحى إليه.

«قد يساعدك ذلك».

«وقد لا يساعدني بتاتاً».

لم أكن أعرف الكثير عن طرق التحليل النفسي، لكنني كنتُ إلى حد ما متأكدة من أنها لن تنجح إلا إذا كنتُ صادقة. لم يكن باستطاعتي أن أروح بالحقيقة. إلا إذا أردتُ أن أمضي بقية حياتي داخل زنزانة.

تفحص تعابير وجهي العنيدة، ثم تحوّل إلى خط آخر للهجوم.

«إنني لا أفهم ذلك، بيلاً. ربما أمك...».

«إسمع!»، قلتُ بصوت خفيض. «سوف أخرج الليلة، إذا أردت».

سأقتل بجيس وأنجيلا».

جادلني محبطاً: «ليس هذا ما أريده، لا أعتقد أنني أحتمل العيش

إذا رأيائكِ تمثلين هذا الدور. لم أر في حياتي أحداً يمثل هكذا. تؤلمني

رؤيتكِ تكبيرين».



تظاهرت بالسذاجة فأطرق رأسي. «لست أفهم، يا أبي. بداية، غضبت لأنني لا أفعل شيئاً، ثم قلت إنك لا تريدني أن أخرج من المنزل».

«أريدك أن تكوني سعيدة... وإن كان ذلك صعباً، فأريدك على الأقل ألا تكوني يائسة. أظن أنه يستحسن أن تغادري فوراً».

تولدت في عيني أحاسيس لم أشعر بها منذ وقت طويل ولم أستطع التعبير عنها.

«لن أغادر»، قلت.

«لَمْ لا؟»، سألتني.

«أنا الآن في الفصل الأخير من العام الدراسي، لذلك ستفقد مغادرتي كل شيء».

«أنت تلميذة مجتهدة، ستحلين هذه المسألة».

«لا أريد أن أخرج أمي وقيل».

«أنتك تتحرّق شوقاً لعودتك».

«ولكن الطقس في فلوريدا حار جداً».

ضربت قبضته على الطاولة ثانية. «كلانا يعلم ما الذي يجري هنا، بيلا، وهذا لا يصب في مصلحتك». أخذ نفساً عميقاً وأكمل، «مرت شهور من دون أي اتصال، أو رسالة أو تواصل. لا يمكنك انتظاره إلى الأبد».

حملت به. كاد الغضب أن يسيطر عليّ. لم يحمرّ وجهي انفعالاً منذ وقت طويل.

إثارة هذا الموضوع كانت ممنوعة منعاً باتاً، وكان تشارلي يعلم ذلك جيداً.

«لست أنتظر شيئاً. ولا أتوقع شيئاً»، قلت بنبرة هادئة.

«بيلا»، قال بصوت أجش.

«عليّ الذهاب إلى المدرسة»، قاطعته، ثم وقفت وأخذت طعام الفطور من الطاولة من دون أن أكل شيئاً منه. أفرغت ما كانت تحويه الطاسة في القمامة لكي أغسلها. ما عدتُ أحتمل أي حديث.

«لديّ مشاريع مع جيسيكا»، قلت بينما كنتُ أحزم محفظتي المدرسية، متعمدة عدم النظر في عينيه. «قد لا أعود إلى المنزل للغداء. سوف نذهب إلى بورت آنجلس لنشاهد فيلماً».

خرجتُ من الباب الأمامي قبل أن يتمكن من الكلام. فقد كنتُ على عجلة من أمري لأبتعد عن تشارلي، كنتُ أول الواصلين إلى المدرسة. الجانب الإيجابي في وصولي المبكر هو أنني وجدتُ مكاناً ممتازاً أركن فيه سيارتي. أنا الجانب السلبي فهو وقت الفراغ، في حين كنتُ أتجنب أوقات الفراغ بأي ثمن.

ولأنفادي التفكير في اتهامات تشارلي لي، أخرجتُ كتاب الحساب بسرعة من محفظتي. فتحت على الدرس الذي يُفترض أن نبدأه اليوم وحاولتُ أن ألهم. إن قراءة الرياضيات أصعب من الإصغاء إلى شرحها، لكنني اعتدتُ على ذلك. خلال الأشهر القليلة الماضية، كنتُ للحساب وقتاً يقارب عشرة أضعاف الوقت الذي كنتُ قد كرسته للرياضيات. بالنتيجة، كنتُ أنجح في أن أحافظ على درجة «أ». كنتُ أعلم أن الأستاذ فارنر كان يعزو تحسّني إلى طرق تدريسه المميّزة. وإذا كان ذلك يجعله سعيداً، فلن أفسد عليه فرحته.

أجبرتُ نفسي على البقاء داخل سيارتي حتى امتلأ الموقف بالسيارات، فأسرعتُ إلى صف اللغة الإنكليزية. كان درسنا عن «مزرعة الحيوانات»، موضوع سهل للغاية يتطرق للشويعية التي لم أكن ضدها إذ كانت بمثابة تغيير عن قصص الحب المملة التي شكّلت الجزء الأكبر من المنهاج. جلستُ على مقعدي، مستمتعة بإصغائي لقراءة الأستاذ بيرتي.

يمرّ الوقت بسرعة حين أكون في المدرسة. رنّ الجرس باكراً فوضّبت محفظتي.

«بيلاً؟»، عرفتُ أنّه صوت مايك، كما عرفتُ ماذا سيقول قبل أن يتلفّظ بكلمة واحدة. «هل ستذهبن غداً إلى العمل؟».

نظرتُ إليه. كان متّكناً على المقعد والقلق بادّ على وجهه. كان يطرح عليّ السؤال نفسه كلّ نهار جمعة. لم أكن أمرض كثيراً أيام الجمعة، باستثناء يوم واحد، منذ عدّة أشهر. فلم يكن هناك من سبب يدفعه للنظر إليّ بهذا القلق. كنتُ موظّفة مثالية.

«غداً سيكون نهار السبت، أليس كذلك؟»، قلتُ له. تذكّرتُ حين لفّت تشارلي انتباهي لبيرتي الهادئة، فأدركتُ كم بدا صوتي ميتاً.

«أجل إنّه السبت»، قال مؤكّداً. «أراك في صف اللغة الإسبانية. لوّح لي بيده قبل أن يدير ظهره ويغادر. منذ ذلك الحين، لم يعد يخرجني ويرافقني إلى الصف».

مشيتُ بتراخٍ وتجهّم نحو صفّ الحساب. في هذا الصف، كنتُ أجلس بجانب جيسكا.

مرّت أسابيع وربّما شهور منذ أن حيّني جيس عندما صادفتها داخل القاعة. كنتُ أعلم أنني هاجمتها بسلوكي غير المقبول اجتماعياً ممّا أثار غضبها.

لم يكن الحديث معها في ذلك الوقت مهمّة سهلة. خصوصاً إن كنتُ سأطلب منها أن تسديّ إليّ خدمة. فكّرتُ ملياً في خياراتي فيما كنتُ جالسةً خارج الصف، أتباطأ في الدخول.

لم أكن مستعدّة لرؤية تشارلي مرّة أخرى من دون أن أثبت له أنني عدتُ إلى نوع من التفاعل الاجتماعي. لم أستطع الكذب، كما أن فكرة القيادة إلى بورت أنجلس والعودة منها بمفردي استهوتني، مع التأكّد أنّ عذاد السيارة يسجّل المسافة الصحيحة، في حال ألقي تشارلي نظرة

عليه. كانت والدّة جيسكا ثرثرة مشهورة في المدينة، وكان لا بد لشارلي من الالتقاء بالسيدة ستانلي عاجلاً أم آجلاً. فعندما يلتقي بها، سيرفع الحقيقة بدون شك. لذلك كان الكذب مستحيلاً.

تنهّدتُ وفتحتُ باب القاعة.

حدّجني الأستاذ فارنر بنظرة سوداوية. كان قد بدأ الشرح. أسرعْتُ إلى مقعدي. لم تنظر جيسكا إليّ حين جلستُ بجانبها. كنتُ مسرورة لأن أمامي خمسين دقيقة لكي أحضّر نفسي ذهنياً.

مرّت هذه الحصّة أسرع من حصّة اللغة الإنكليزية. ويعود سبب ذلك في جزء منه إلى التحضير الجيد للدرس في السيارة هذا الصباح، والسبب الأهمّ هو أن الوقت يمرّ بسرعة حين أكون مقدّمة على أمر لا أحبه.

عبستُ عندما ترك الأستاذ فارنر الصفّ قبل نهاية الحصّة بخمس دقائق مطلقاً ابتسامة لطيفة.

«جيس؟»، تجعّد أنفي حين تذلّلتُ منتظرةً منها أن تلتفتَ نحوي. استدارت في مقعدها لتواجهني، ونظرت إليّ بارتياح: «هل تتحدّثين معي أنا يا بيلاً؟».

«طبعاً». فتحدّث عيني على سعتهما لأوحى بالبراءة.

«ماذا؟ تريدان منّي أن أساعدك في الحساب؟»، قالت بلهجة نكد. «كلا». قلت وأنا أرفع رأسي بإشارة النفي. «في الواقع، أردتُ أن أعرف إذا كنتِ سترافقيني الليلة إلى السينما! احتاج فعلاً إلى صديقة أخرج معها للسهر». بدّت كلماتي فاترة وغير منسجمة، فساورها الشك حيالها.

«لماذا تسأليني أنا؟»، سألتني محافظة على نبرتها العدائية.

«أنتِ أوّل من أفكّر فيه حين أرغب في الخروج مع فتاة». ابتسمتُ

«بالطبع».

ابتسمت لي ابتسامة رفاقية قبل أن تغادر. أجبته بابتسامة متأخرة،  
لكي أظن أنها انتبهت لها.

مرّ النهار بسرعة، وكانت أفكارني مركزة على التحضير لهذه الليلة.  
كنت أعرف من التجربة أنني إذا نجحت في جعل جيسيكا تتكلم،  
فسكون بوسعي أن أحظى ببعض المعلومات في الوقت المناسب. لن  
يحتاج الأمر سوى لتفاعل بسيط.

جعلني الصداق الذي ألم بي مشوشة. دُهِشْتُ حين وجدت نفسي  
في غرفتي، غير قادرة على تذكر طريق العودة من المدرسة أو لحظة  
الوصول للمنزل. لكن ذلك لم يكن بالأمر المهم، فعدم الشعور بمرور  
الوقت، جلّ ما أطلبه من الحياة.

لم أقاوم الصداق عندما توجّهت نحو خزانتي. كنتُ أفقد وعيي في  
بعض الأحيان. بالكاد ميّزت ما كنتُ أنظر إليه حين فتحتُ باب الخزانة  
ورأيتُ كومة القمامة على الجانب الأيسر، تحت الثياب التي لم ألبسها  
قطّ.

لم أهتم بكيس النفايات الأسود الذي كان يحوي هدية تعود إلى  
عيد ميلادي الأخير، كما أنني لم أهتم بالستيريو القابع قربه. أخذتُ  
حقيبة اليد القديمة المعلقة على مسمار، وأغلقتُ باب الخزانة بسرعة.

ثمّ ما لبثتُ أن سمعتُ بوق سيارة يدوي في الخارج. نقلتُ محفظة  
الجيب سريعاً من حقيبتَي المدرسة إلى حقيبة يدي. كنتُ على عجلة من  
أمرّ، كما لو أن هذه العجلة ستجعل الليلة تمضي بسرعة أكبر.

ألقيتُ نظرة على نفسي في المرأة قبل أن أفتح الباب، محاولةً بحذر  
إخفاء سمات وجهي الأصلية وتحويلها إلى ابتسامة.

«شكراً على مرافقتك لي هذه الليلة»، قلتُ لجيس بنبرة امتنان أثناء

أملّة أن تكون ابتسامتي غير زائفة. ربما كان كلامي صحيحاً. فهي على  
الأقلّ أوّل شخص كنتُ أفكر فيه لكي أنتجبت البقاء مع تشارلي. النتيجة  
هي نفسها في الحالتين.

هذأت من قساوتها قليلاً. «في الحقيقة لا أعرف!».

«هل لديك مشاريع أخرى؟».

«كلا.. أظنّ أنّي أستطيع الذهاب معك. ما هو الفيلم الذي

ترغبين في مشاهدته؟».

«لستُ أكيدة من الفيلم الذي سيُعرض». راوغتُ في الإجابة.

كانت هذه أدقّ مرحلة في حديثنا. فكّرتُ ملياً في إجابة مناسبة.. ألم  
أسمع مؤخراً بأحدٍ يتحدّث عن فيلم ما؟ ألم أَرِ إعلاناً سنمائياً؟

«ما رأيك بذلك الفيلم الذي تدور أحداثه حول المرأة الرئيس؟».

نظرتُ إليّ بغرابة. «بيلاً، هذا الفيلم لم يعد يُعرض منذ زمن».

«أوه!». عبستُ. «هل ترغبين في مشاهدة فيلم محدد؟».

بدأ انفعال جيسيكا الفطريّ ينكشف لإرادياً حين فكّرتُ بصوتٍ

عالٍ. «حسناً، هناك فيلم رومانسي وفكاهي يُعرض بكثرة حالياً. أريد  
مشاهدته. لقد شاهد أبي «نهاية الموت». ونال حقاً إعجابه».

توقفتُ عند الاسم الذي ذكرته. «عمّ يتحدّث هذا الفيلم؟».

«عن مصاصي دماء وأشياء من هذا القبيل. قال أبي إنّ أكثر الأفلام  
رعباً ولم يشاهد مثله منذ سنوات».

«يبدو ذلك ممتازاً». كنتُ أفضل مشاهدة مصاصي الدماء على

الأفلام الرومانسية.

«حسناً، تفاجأت من إجابتي. حاولتُ أن أتذكّر ما إذا كنتُ أهوى

أفلام الرعب، لكنني لم أتأكد من ذلك. «هل تريدني مني أن آخذك بعد  
دوام المدرسة؟» عرضتُ عليّ.



صعودي في السيارة. كانت قد مرّت فترة لم أفكر فيها بما كنت أقوله لأيّ شخص، باستثناء تشارلي. لكنّ التعامل مع جيس كان أصعب. لم أكن متأكّدة من الانفعالات التي يجب أن أنظاها بها.

«على الرحب والسعة. ولكن من أين أنتك هذه الفكرة؟»، تساءلت جيس بينما كانت تقود السيارة.

«أيّ فكرة؟».

«لماذا تَرَرّرت فجأة... أن تخرجي للسهر؟»، بدّت وكأنها غيرت نصف سؤالها.

هزّزْتُ كفتي. «شعرت بالحاجة للتغيير فحسب».

انتبهت للأغنية على الراديو فأسرعتُ إلى تغيير الإذاعة. «هل تمنعين؟»، سألتها.

«كلا، تفضلي».

قلّبت بين الإذاعات حتى وجدتُ واحدة غير مزعجة. نظرتُ خلفي إلى تعابير وجه جيس عند استماعنا للموسيقى الجديدة في السيارة.

حدّقت بي بعينين نصف مغمضتين. «منذ متى تستمعين إلى موسيقى الراب؟».

قلت: «لا أعرف، منذ مدّة».

«هل تحبينها؟»، سألتني بارتياح.

«طبعاً».

سيكون التواصل مع جيسكا أصعب بكثير إذا ما ترافق مع محاولتي الانسجام مع الموسيقى. أخذتُ أهزّ رأسي أملّة أن تكون حركاته متناسبة مع الإيقاع.

«حسناً...»، حدّقت عبر الزجاج إلى الخارج بعينين جاحظتين.

«ما جديد علاقتك بمايك هذه الأيام؟»، سألتها سريعاً.

«أنت تريته أكثر ممّا أراه أنا».

لم يحثها سؤالِي على الكلام كما كنتُ أمل.

«من الصعب التحدّث أثناء العمل»، تمتعتُ، ثم كرّرتُ المحاولة.

«هل خرجت مع أحدٍ مؤخراً؟».

«لا اعتقد ذلك. أخرج برفقة كونر أحياناً. خرجتُ مع إريك منذ أسبوعين». حرّكت عينيها فشرحتُ بأنّها ستسرد قصّة طويلة. فتعلّقتُ بهذه الفرصة.

«إريك يوركي؟ من منكما طلبَ مواعدة الآخر؟».

تأوّمت وأصبحت مفعمة بالحياة. «هو من طلب منّي، طبعاً! ولم أستطع أن أرفضّ دعوته لي».

«إلى أين اصطحبك؟» سألتها، وكنتُ أعلم أنّها ستترجم تلهّفي بأنني مهتمة لأمره. «أخبريني ما حصل بالتفصيل».

شرّعتُ تقصّ حكايتها، فاسترخيتُ في مقعدي وشعرتُ براحة أكبر الآن. كنتُ مصغية بدقّة، أدممُ معها منسجمة وأشفق من الدهشة كلما شعرتُ بها. عندما انتهت من سرد قصّة إريك، استمرت بحديثها من دون أي تحفّيز، وأخذتُ تقارن إريك بكونر.

كان الفيلم قد بدأ في وقت مبكر، ففضلتُ جيس أن نشاهد العرض أولاً ثم نأكل لاحقاً. كنتُ سعيدة في أن أوافقها في كلّ ما أرادته. ففي النهاية كنتُ أحصل كذلك على ما أريد. سأخلص من تعليقات تشارلي.

شجّعتُ جيس على متابعة الحديث أثناء عرض مشاهد سريعة من أفلام أخرى، وهي مشاهد يمكن تجاهلها. لكنني شعرت بالانزعاج قليلاً مع بداية عرض المشاهد الأولى من الفيلم. كان زوجان شابان يتنزّهان على طول الشاطئ، يمسك أحدهما بيد الآخر ويبوح أحدهما للآخر بمشاعره بشيء من التصنع. قاومتُ رغبتي في أن أضع يديّ على أذني كي لا أسمع، وأخذتُ أذندن. لم أكن أحب الأفلام الرومانسية.

«ظننتُ أننا اخترنا فيلم مصاص الدماء»، همست لجيسيكا.

«هذا هو فيلم مصاصي الدماء».

«لماذا لم يُؤكل أي شخصٍ إذاً؟»، سألتُ بيامس.

نظرتُ إليّ بعينين واسعتين ومخيفتين: «أنا واثقة من أنّ هذا سيأتي»، همست لي.

«سوف أشتري الفوشار. أتريدين بعضاً منه؟».

«كلا. شكراً».

طلب منا أحدهم من الخلف أن نصمت.

لم أستعجل الرحيل من أمام متفردة البائع، وأنا أنظر إلى الساعة وأفكر في النسبة التي تحتلها المشاهد الرومانسية من فيلم مدته تسعون دقيقة. قررت أن عشر دقائق كانت أكثر من كافية، لكنني توقفتُ قليلاً أمام باب القاعة لمزيد من التأكد. استطعتُ أن أسمع دوي صرخات زعر، فأدركتُ حينها أنني انتظرت أطول من اللازم.

«فاتكِ كل شيء»، همستُ جيس عندما عدتُ إلى مقعدي.

«جميعهم تحولوا الآن إلى مصاصي دماء».

«اضطرت للتاخر». قدّمتُ لها بعض الفوشار، فأخذت حفنة منه.

تضمن ما تبقى من الفيلم اعتداءات شنيعة من مصاصي الدماء وصراخ متواصل من بضعة أشخاص فقط بقوا على قيد الحياة. كان عددهم يتضاءل سريعاً. اعتقدتُ أن ذلك لن يزعجني، لكنني عدت أشعر باضطراب لم أعرف سببه في البداية.

لم أدرك المشكلة إلا عندما اقترب الفيلم من نهايته، إذ شاهدتُ مصاص دماء منهكٍ يلحق متثاقلاً بالناجية الوحيدة المتبقية. توقف المشهد عند وجه البطلة المرتعب من جهة، ووجه المطارد اليابح والمستسلم والمتأخر عن فريسته تدريجياً كلما اقتربت النهاية.

عندئذٍ، أدركتُ أياً منهما يشبهني.

نهضتُ من مقعدي.

«إلى أين أنت ذاهبة؟ لا تزال هناك دقيقتان»، همستُ جيس.

«أريد أن أشرب»، غمغمتُ ثم هرعْتُ إلى المخرج.

جالستُ على المقعد خارج القاعة وحاولتُ جاهدةً ألا أفكر في سخرية القدر. لكن ما شاهدته كان مدعاةً للسخرية، لأنني كنتُ أعقد الآمال على أن ينتهي بي الأمر بأن أتحوّل إلى مصاصة دماء. لم أكن أتوقع أن ذلك ما ينتظرني.

لا يعني هذا أنني لم أحلم يوماً أن أصبح وحشاً أسطورياً، أو مجرد جقة مخيفة جبارة تتحرك. هزرتُ رأسي لأقطع حبل الأفكار هذه التي أربعتني. لم أستطع أن أتحمل التفكير بما حلمتُ به ذات مرة.

من المحبط أن أكتشف بأنني لم أعد البطلة وبأن قصتي قد انتهت.

خرجتُ جيسيكا من قاعة السينما بتردد، ربما لأنها كانت تتساءل عن المكان الذي يجب أن تبث عتي فيه. عندما رأيته، بدت مرتاحةً ولكن لثواني معدودة قبل أن تظهر عليها ملامح الغضب.

«هل ارتفعت كثيراً من الفيلم؟»، سألت.

«أجل»، أجبتها. «أظن أنني فتاة جبانة».

«هذا مضحك». عبست. «لم تساورني فكرة ارتعابك. كنتُ أصرخ طوال الوقت لكنني لم أسمع منك صرخة واحدة. لذلك لم أفهم سبب خروجك».

لم أبال بما قالته. وعلقت: «خفتُ فحسب».

هدأت قليلاً: «لأنه أكثر الأفلام رعباً التي شاهدتها في حياتي».

أراهن بأننا سنرى كوابيس هذه الليلة».

«لا شك في ذلك»، قلتُ محاولةً أن أبقى صوتي طبيعياً. من

المحتم أنني سأعترض لكوابيس، لكنها لن تكون عن مصاصي الدماء.  
ومضت عينا جيس في وجهي. ربما لم أفلح في التكلم بنبهة عادية  
فعلاً.

«أين تريدان أن تأكلي؟»، سألتني جيس.

«لا بهن».

«حسناً».

راحت جيس تحدثني عن أحد مصاصي الدماء في القيلم بينما كنا  
نمشي. أومات براسي حين وصفته بالمثير والجذاب، ولم أستطع أبداً  
أن أتذكر مصاص دماء واحد لا يتمتع بهذه الصفات.

لم أنتبه إلى المكان الذي كانت جيسيكا تصطحبني إليه. لكنني  
كنت شبه متأكدة من أن الظلام والهدوء كانا مخيمين. استغرق الأمر مني  
وقتاً أكثر من اللازم قبل أن أفهم لماذا كان يعم الهدوء على هذا النحو  
كانت جيسيكا قد توقفت عن الثرثرة. نظرتُ إليها نظرة اعتذار، أمله ألا  
أكون قد جرحتها مشاعرها.

لم تكن جيسيكا تنظر إليّ. كان وجهها متوتراً. حدقتُ أمامها  
مباشرةً وسرّعت خطواتها. لاحظت أنها نظرتُ إلى اليمين بسرعة، على  
طول الشارع، ثم عادت تحدق أمامها.

القيتُ نظرة من حولي للمرة الأولى. كنا ننتزه على رصيف غير  
مضاء. كانت المحلات القليلة في هذا الشارع مقفلة مساءً والنوافذ  
سوداء. تجاوزت بضع محلات إضافية وإذا بالشارع يُضاء مجدداً؛  
فاستطعت أن أرى واجهة مطعم ماكدونالدز الذي كانت جيس متجهةً  
نحوه.

على طول الشارع، كان لا يزال هناك محلٌ مفتوح. كانت النوافذ  
مغطاة من الداخل بلافتات وإعلانات لمختلف أصناف البعجة المتوجهة  
داخل الوجاهة. أما أكبر لافتة فكانت تحمل اسم الحانة: «وان آيد بيتس»

بلون أخضر لامع. تساءلتُ ما إذا كانت هناك كتابات لقراصنة يتعذر  
رؤيتها من الخارج. كان الباب الحديد مفتوحاً على مصراعيه. الضوء  
كان خافتاً في الداخل، أما ثرثرة الأشخاص وقرعة الثلج في الكؤوس  
فكانتا تُسمعان على طول الشارع كله. بالقرب من الباب، كان هناك  
أربعة رجال، يسند كلٌ منهم ظهره إلى الحائط.

نظرتُ إلى جيسيكا. كانت عيناها مصوّبتين إلى الأمام فتحركت  
بخفة. لم تبد خائفة، إنما حذرة فحسب، تحاول عدم لفت الانتباه  
إليها.

توقفت بلا تفكير، أدركتُ رأسي ونظرتُ إلى الرجال الأربعة مدركةً  
تماماً أنني سبق ورأيتهم. كان ذلك طريقاً مختلفاً، ليلةً مختلفة، غير أن  
المشهد كان نفسه إلى حد بعيد. واحدٌ من بينهم كان قصير القامة وأسمر  
البشرة. عندما توقفت والتفت نحوهم، نظر إليّ باهتمام.

حدقتُ به، متجعدة من البرد على الرصيف

«بيلاً؟»، همستُ جيس. «ماذا تفعلين؟»

هززت رأسي، غير واثقة من نفسي. «أظن أنني أعرفهم...»،  
غمغمتُ.

ما الذي كنتُ أفعله؟ كان يجب أن أهرب من هذه الذكريات بأسرع  
ما يمكن وأطرد صورة الرجال الأربعة من ذهني وأحتمي بشعور الخدر  
الذي لم أستطع التصرف من دونه. لماذا كنتُ أمشي مذهولة في  
الشارع؟

بدا وجودي في بورت آنجلس مع جيسيكا، وفي شارع مظلم أيضاً  
مصافدة غريبة. كانت عيناها مركّبتين على الرجل القصير، فحاولتُ أن  
أشبهه لذلك الرجل الذي كان قد هدّني ذات ليلة منذ ما يقارب العام.  
تساءلتُ ما إذا كانت هناك أي طريقة أتأكد عبرها من هوية الرجل. تلك  
اللحظات الاستثنائية في تلك الليلة الاستثنائية، كانت غامضةً بالنسبة



إليّ. حتى أن جسدي تذكرها أكثر من عقلي؛ فشعرتُ بالوتر في ساقَيّ عندما حاولتُ الاختيار بين الهروب أو البقاء في مكاني، وبالجفاف في حنجرتي حين بذلتُ جهداً لكي أطلق صرخةً مدوية، وبالخطوط التي ارتسمت على مفاصل أصابعي عندما جمعتُ كَفَيّ في قبضتَين، وبالقشعريرة على عنقي عندما غازلني الرجل ذو الشعر الأسود يقول، «يا حلوة...».

كان هناك نوع من التهديد الضمني والمبهم من أولئك الرجال الذين لا علاقة لهم بتلك الليلة. شعرت بهذا التهديد لأنهم غرباء، وانمكان مظلم، كما أنهم كانوا يفوقوننا عدداً. . . تلك كانت أسباب كافية إضافة إلى صوت جيسكا الذي كان يتكسر رعباً كلما نادتنِي.

«بيلا، دعينا نرحل هِئَا!».

تجاهلتها، ثم مشيت ببطء إلى الأمام. كانت قدماي تتحركان بشكل لاإرادي.

لم أفهم السبب، لكن التهديد الغامض الذي مثله الرجال الأربعة جرّني نحوهم. كان اندفاعاً أحمر لم أكن قد شعرتُ بمثله منذ مدة طويلة... لقد جرفني معه.

نبض غريب كان يسري في عروقي. كان الأدرينالين، الذي لطالما افتقده جسمي، يسرّع دقات قلبي ويقاوم فقدان الشعور لدي. بدا الأمر غريباً، لماذا ارتفعت نسبة الأدرينالين في لحظات لا يسودها الخوف؟ بدا الأمر أشبه بصدى آخر مرّة وقفتُ فيها على هذا النحو، مع غرباء آخرين في شارع مظلم في بورت أنجلس.

لم أر سبباً للخوف. لم أستطع تخيل وجود شيء يخيفني في العالم كله. أقله جسدياً. تلك هي إحدى إيجابيات أن تخسر كل شيء.

كنتُ قد قطعْتُ نصف المسافة وصرت وسط الشارع عندما لحقت بي جيس وأمسكتُ بذراعي.

«بيلا! لا يمكنكِ الدخول إلى الحانة!»، قالت هامسة بصوت مبجوح.

«لا أريد الدخول»، قلتُ بذهن شارد، ثم نفضتُ يدها عني. «أريد أن أرى شيئاً فحسب...».

همست لي: «هل أصبتِ بالجنون؟ هل ستتحرين؟».

شدّ سؤالها الأخير انتباهي، فحدّقت عيناي بها.

«كلا». بدا صوتي دفاعياً لكنه محق. لم أكن انتحارية. حتى في البداية، حين كان الموت بلا شك راحة لي، لم أفكر فيه على الإطلاق. كنتُ مدينةً لشارلي. شعرتُ بمسؤولية كبرى تجاه ربنيه. كان عليّ أن أفكر بهما.

قطعت عهداً بالآ أقوم بعمل ساذج أو طائش. لجميع هذه الأسباب، كنتُ لا أزال أتنفس. وعندما تذكّرتُ ذلك القسم، شعرت بالذنب، لكن ما كنتُ أفعله في تلك الأثناء لا يدخل في الحساب. لم أكن في النهاية أمسك شفرةً أقطع شرايين معصمي بواسطة.

كانت عينا جيس مستديرتين وفمها مفتوحاً. أدركتُ متأخرةً أنّ سؤالها عن الانتحار كان مصطنعاً.

«إذهبي وكُلّي»، حثّتها مشيرةً بيدي نحو مطعم الوجبات السريعة. لم تُرّق لي طريقة نظرتها إليّ، فأردفت قائلة: «سألحق بك في الحال». «بيلا، كَفَيّ عن ذلك فوراً».

تسمّرت عضلاتي في مكانها وتجمّدت حيث كنتُ أقف. السبب هو أن الصوت الذي وُخِي لم يكن صوت جيسكا. كان صوتاً غامباً، مألوفاً لكنه جميل وناعم كالمخمل بالرغم من مسحة الغضب فيه.

كان ذلك صوته، حرصتُ استثنائياً على ألا أتذكر اسمه. دهشت لأنه صوته لم يربطني ولم يربكني أثناء وقوفي على الرصيف. ولم أشعر بالألم على الإطلاق.

في اللحظة التي سمعتُ فيها صوتاً، كانت كل الأمور واضحة للغاية. كما لو أنّ رأسي خرجَ فجأةً من حوض ماء مظلم. صرْتُ واعيةً لكل ما يدور حولي، أرى وأسمع، وأشعرُ بالهواء البارد يهبُ بقوّة على وجهي، وكذلك الروائح المنبعثة من باب الحانة المفتوح. نظرتُ من حولي مصدومةً.

«عودي أدراجكِ إلى جيسيكَا»، أمرني ذلك الصوت الجميل والغاضب. «لقد تعهّدتِ... وعدتني ألا تقومي بعمل أحق!». كنتُ بمفردي، وكانت جيسيكَا تقف على بُعد أقدام مني، تحدّق بي بعينين مذعورتين. بجانب الحائط، كان الغرباء ينظرون إليّ، مرتبكين ومتسائلين ما الذي كنتُ أفعله واقفةً من دون حراك وسط الشارع. هزّزتُ رأسي، محاولةً أن أفهم. كنتُ أعلمُ أنّه ليس هناك، ورغم ذلك، شعرتُ أنّه قريبٌ جداً، قريبٌ للمرّة الأولى منذ... منذ النهاية. كان الغضب في صوته مثيراً للقلق. إنه الغضب نفسه الذي كان ذات مرّة مألوفاً جداً. لم أكن قد سمعتُ ذلك منذ زمن بعيد.

«فلتفي بوعدكِ». خفّ الصوتُ مبتعداً كصوت الراديو عندما يُخفّض.

بدأتُ أشك بأنني كنتُ مصابةً بنوع من الهلوسة. قلقْتُ، بلا ريب، ممّا سبق ورأيتُه، من الذكريات، ومن الإلغة التي سادت على نحو غريب.

راجعتُ جميع الاحتمالات بسرعة في ذهني. الإحتمال الأوّل: أنا مجنونة. إنها العبارة المناسبة للأشخاص الذين يسمعون أصواتاً داخل رؤوسهم. خيار محتمل.

الاحتمال الثاني: اللاوعي كان يعطيني ما أريده. كان ذلك تحقيقاً لأمية، وراحة ظرفيّة من الألم عبر تصديق الفكرة الخاطئة التي تقول إن

صاحب الصوت كان فليقاً ما إذا كنتُ حيّة أم ميتة. ماذا كان ليقول إذا كان هنا؟ هل كان ليتضابق لو أصابني أيّ مكرره؟ ممكن أيضاً.

توقفت عن توقّع احتمال ثالث، وتمنيتُ أن يكون الاحتمال الثاني هو الصحيح، لأنّه اللاوعي فحسب، إذ يبقى أفضل من شيء آخر يجعلني أدخل مستشفى.

بالكاد كان ردّ فعلي طبيعياً، ورغم ذلك، كنتُ ممتنة. كانت بيرة صوته امرأةً كنتُ قد خفّت أن أخسره. لذلك شعرتُ بامتنان كبير لأنّ اللاوعي استوعبَ ذلك الصوت أكثر من وعيي.

لم أشأ التفكير فيه، وحاولتُ أن أكون صارمةً في هذه المسألة. ممّا لا شك فيه أنني وقعتُ في الخطأ؛ إذ لم أكن سوى بشرية. لكنني كنتُ أشعر بتحتن يجعلني قادرة على تفاذي الألم لأيام عدّة. كان ذلك مقابل فقدان الوعي اللامتناهي. فبين الألم والعدم، كنتُ قد اخترتُ العدم.

صرْتُ أُنظر الألم الآن. لم أكن مخدّرة، وعادت حواسي تعمل على غير عاداتها بعد خمسة أشهر من التشويش. كان الألم المعتاد قد توقّف. الوجع الوحيد كان الشعور بخيبة الأمل للبول صوته.

كان أمامي لحظة واحدة لأختار. يقتضي التصرف الحكيم أن أهرب من الوضع الخطر المدمّر لسلامة العقل. من الحماقة أن أشجّع نفسي على الهذيان. لكن صوته كان ذابلاً. مشيتُ خطوةً إضافيةً إلى الأمام لأنتقم من الأمر.

«بيلا، استديري»، زمجر لي. تنفّست الصعداء. كان غضبه مثلما تمتبّت أن يكون، دليلاً مبتدعاً على أنّه قلّق بشأني وهديةً مشبوهةً من اللاوعي.

كانت قد مرت بضع ثوانٍ منذ أن توصلتُ إلى هذه النتائج. كان جمهوري الضئيل ينظر إليّ بفضول. بدا وكأنني كنتُ مترددة حيال الاقتراب منهم أو عدمه. لم أكن أنتظر منهم أن يتوقعوا أنني واقفة هناك، مستمتعةً بلحظات غير متوقعة من الحماسة؟

«مرحباً»، نادى أحدهم بنبرة واقفة وتهكمية في الوقت نفسه. كان أشقر الشعر، واقفاً بجانب شخصٍ يظنُّ نفسه وسيماً. لم أكن واقفة إذاً كان وسيماً حقاً. كنتُ عاجزة عن الحكم بشكل موضوعي.

تكلم الصوتُ داخل رأسي بنبرة حادة. ابتسمتُ، فتشجع الرجل الواصل من نفسه على الكلام.

«هلاً أساعدك؟ يبدو أنك تائهة». ابتسم ابتسامة عريضة وغمزني. ففترتُ بحذر من فوق فتاة كانت تجري فيها مياه سوداء في العتمة «كلا، لست تائهة».

الآن وبعد أن اقتربتُ منه أكثر، وعيناي تحدقان به، حللتُ وجه ذلك الرجل القصير. لم يكن مألوفاً أبداً. شعرتُ بخيبة أمل عميقة لأنه لم يكن الرجل المرعب الذي كان قد حاول إيدائي منذ عام تقريباً.

هدأ الصوتُ في رأسي الآن. انته الرجل القصير إلى تحديقي به. «هل أشتري لك مشروباً؟» عرض عليّ، متنعضاً ومبالغاً في تقدير قيمة نفسه لأنني كنت أنقرس فيه.

«ما زلت صغيرة»، أجبتُ فوراً.

كان مرتبكاً، يتساءل لماذا اقتربتُ منهم. شعرتُ بأنني مُجبرة على أن أشرح له.

«عندما رأيته من بعيد في الشارع، خلطتُ شخصاً أعرفه. عذراً، لقد أخطأت».

تلاشى التهديد الذي دفعني لأعبر الشارع. هؤلاء لم يكونوا الرجال

الخطيرين الذين تذكرتهم. ربما كانوا أشخاصاً طيبين، مسالمين، فقدتُ الاهتمام بالموضوع.

«حسناً»، قال الأشقر الجريء. «إبقي معنا».

«شكراً، لا أستطيع». كانت جيسيكا قلقة بشأني، واقفة في وسط الشارع وفي عينيها غضب شديد.

«لبضع دقائق فقط، هيا».

أدريت ظهري لهم وعدتُ إلى جيسيكا.

«لنذهب ونأكل»، اقترحتُ بينما كنتُ بالكاد أنظر إليها. بالرغم من أنني بدوتُ في تلك اللحظة متحررةً من التفكير بمصاصي الدماء، غير أنني كنتُ شاردة الذهن. كنتُ مشغولة البال. لم يعد إليّ الشعور الآمن بالخدر. فشعرتُ بقلق متزايد مع مرور كل دقيقة في غيابه.

ياغتنني جيسيكا بسؤالها: «ما الذي كنت تفكرين به؟ أنت لا تعرفينهم. قد يكونون مختلين عقلياً».

هزرتُ كتفي أمله أن تنسى الأمر بسرعة. «ظننتُ أنني أعرف أحدهم فحسب».

«أنت غريبة الأطوار فعلاً، بيلا سوان. أشعر بأنني لا أعرفك».

«آسف». لم أستطع أن أضيف كلمة أخرى.

مشينا باتجاه ماكдонаلدز صامتتين. راهتُ على أنها كانت تمنى أن تأخذ سيارتها بدلاً من أن تمشي المسافة القصيرة من السينما، وذلك لكي تطلب وجبة الطعام وهي في السيارة. أصبحت الآن تواقّة لانقضاء هذه الأمسية، كما كنتُ أنا منذ بدايتها.

حاولتُ مرّات عدّة أن أبدأ معها حديثاً أثناء تناولنا الطعام، لكن جيسيكا لم تكن متعاونة معي. لا بد أنني ضايقها فعلاً.

حين عدنا إلى السيارة، بحثتُ عن إذاعتها المفضلة ثم رنعت صوت الموسيقى عالياً لتشجع على الحديث.



لم يكن عليّ أن أبذل الجهد المعتاد لكي أنجاهل الموسيقى. مع أن ذهني لم يكن، وللمرة الأولى، متبلّداً خالياً، وكان لدي الكثير لأفكر فيه بما يشغلني عن سماع كلمات الأغنية.

انتظرتُ عودة حالة الخدر أو الألم. كان لا بد للألم أن يأتي. لقد انتهكتُ قواعدِي الشخصية. فبدل أن أتجنبَ الذكريات، تقدمتُ نحوها فاتحة ذراعي. سمعتُ صوته بكل وضوح في رأسي. كنتُ على يقين أن ذلك سيكلّفني الكثير. خاصةً إن لم أستطع استرجاع تلك الغشاوة لأحمي نفسي. كنتُ بيقظة وفي كامل وعبي، وهذا ما أرغبني.

لكنّ الراحة بقيت الإحساس الأقوى الذي يلفّ جسمي. تلك الراحة التي نبتت من صميم كياني.

بقدر ما قاومتُ التفكير فيه فلأنني، في المقابل، لم أكافح لكي أنساه. عندما يرهقني الحرمان من النوم وينهك قواي في وقت متأخر من الليل، كنتُ أشعر بالقلق من أن يتسلل النسيان إلى ذاكرتي ويغيب عنها كلّ شيء، من أن يتحوّل ذهني إلى مصفاة، فلا أتمكن في أحد الأيام من أن أتذكر لون عيني، أو لمسة بشرته الباردة أو صوته العذب. ما كان ينبغي التفكير في كلّ هذا، ولكن ينبغي ألا أنساه.

شيء واحد فقط يجعلني أمضي في العيش، عليّ أن أعرف دائماً أنه موجود. هذا كلّ ما في الأمر. كنتُ أستطيع أن أتحمّل أي شيء آخر، طالما هو على قيد الحياة.

لهذا السبب كنتُ ملزمة بالعيش في فوركس أكثر من أي مكان آخر. لهذا السبب تشاجرتُ مع تشارلي حين طلبَ مني أن أنتقل للسكن في مكان آخر. صديقاً، لم يكن لذلك أهمية، فما من أحد رحل ثم عاد إلى هنا.

ولكن إذا ذهبْتُ إلى جاكسونفيل، أو إلى أي مكان مشمس وغير

مألوف، كيف سأؤكد أنه ما زال حياً؟ في مكان لن أتخيله فيه أبداً، ستبتد قناعتي... وهذا ما لا أقوى على العيش معه.

التذكّر ممنوع، والنسيان مخيف. كان طريقاً صعباً عليّ أن أسلكه.

فوجئتُ عندما ركنت جيسيكاً سيارتها أمام منزلي. لم تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً، بل بدا الوقت قصيراً جداً. لكنني لم يكن يخيل إليّ أنّ جيسيكاً ستقطع مسافة طويلة بدون كلام.

«شكراً على خروجكِ برفقتي، جيس»، قلتُ لها بينما كنتُ أفتح الباب. «كان ذلك... مسلياً». أملتُ أن أكون قد اخترتُ العبارة الملائمة.

«أكيد»، دمدمت.

«أسفة بشأن ما حصل بعد الفيلم».

«لا يهم، بيلا». حدّقتُ أمامها بدلاً من النظر إليّ. بدأت ملامح الغضب تسيطر عليها.

«أراكِ نهار الإثنين؟».

«أجل، وداعاً».

استسلمتُ ونزلتُ من السيارة. انطلقتُ من دون أن تنظر إليّ.

نسيتهما بمجرد دخولي المنزل.

كان تشارلي بانتظاري واقفاً في الرواق، ذراعاه فوق صدره ويدها مقبوضتان.

«أبي!»، قلتُ مذهولة وحنيتُ رأسي متوجهةً نحو الدرج حيث وقف تشارلي. كنتُ قد فكّرتُ فيه لمدّة طويلة، وأردتُ أن أكون في الطابق العلوي قبل أن يمسك بي ويحقق معي.

«أين كنتِ؟»، سألتني تشارلي.

نظرتُ إلى أبي بدهشة. «ذهبتُ إلى السينما في بورت آنجلس برفقة جيسكا. كما أخبرتك صباحاً».

«آه!»، نَحَرَ بصوته.

«هل هذا جيد؟».

تأمل وجهي، وفتح عينيه وكأنه رأى شيئاً غير متوقع. «أجل. هذا جيد. هل استمتعيتِ بوقتكِ؟».

«طبعاً»، قلتُ. «شاهدنا مصاصي دماء يأكلون البشر. كان فيلماً رائعاً».

ضاعت عيناه.

«تصبح على خير، أبي».

تركني أمراً، فأسرعتُ إلى غرفتي.

تمددتُ على سريرِي بعد بضع دقائق، مدعنةً للألم الذي عاد للظهور في النهاية.

كان شعوراً فظيماً، كما لو أنَّ حفرةً كبيرةً ثقتُ صدري واستأصلت من جسمي أكثر الأعضاء حيوية ثم تركته ممزقاً، وعمقت الجراح البليغة حول الأعصاب التي ما انفكت تنبض وتنزف بالرغم من مرور الوقت. منطقياً، عرفتُ أنَّ رثتي ما زالتا سليمتين. لهثتُ لأتشقَّ الهواء فدارت دوامةً في رأسي وكان جهودي لم تثمر. كان يُفترض طبعاً ألا يتوقف خفقات قلبي، لكنني لم أستطع سماع صوت نبضي. ازرقَّت يداي من البرد. ضغطتُ بقوة على ضلوعي لكي أبقى متماسكة. بحثتُ عن فقدان الوعي، عن العدم، لكنهما تهربا مِنِّي.

رغم ذلك، وجدتُ أنَّني أستطيع النجاة. كنتُ يَظَنُّهُ، أحسستُ بالألم، بالوجع المنبعث من صدري، الذي يرسل موجات من الألم الحاد إلى أطرافِي ورأسي، لكنني تحكمتُ به. كان بمقدوري أن أتعايش

معه. طوال الوقت لم تخف حدة الألم، إلى أن امتلكتُ القوة الكافية لأتحمله.

مهما كان الذي حصل في تلك الليلة، وسواء كان سبب ما جرى مصاصو الدماء، أم الأدرينالين، أم الهلوسات، فالنتيجة واحدة، لقد استيقظت.

للمرة الأولى منذ وقت طويل، لم أعرف ماذا يتظرني في الصباح.

## المخادع

«بيلاً، لِمَ لا نذهبن وترتاحي»، اقترح عليّ مايك من دون أن ينظر إليّ. تساءلتُ كم مضى من الوقت من غير أن ألاحظ.

كانت فترة الظهيرة تمرّ ببطء في متجر يطلبان شراء حقائب ظهر، الأثناء، كان هناك زبونان فقط في المتجر يطلبان شراء حقائب ظهر، بحسب ما فهمتُ من حديثهما. كان مايك قد أمضى ساعة كاملة يدقّق معهما في نوعين من الحقائب الخفيفة الوزن. لكنّ الرجلين أرادا أن يرتاحا من موضوع الدفع فأخذ أحدهما يزايد على الآخر ويروي الحكايات ويفاخر بنفسه ما دفع مايك إلى الانسحاب والتخلّص منهما. قلتُ: «لا أمانع في البقاء».

كنتُ لا أزال غير قادرة على العودة إلى قوقعة اللاوعي، وبدا كلّ شيء في ذلك اليوم صاخباً وثقيل الوطأة، كما لو أنني كنتُ قد انتزعتُ قطناً كنتُ أسدّ به أذنيّ. حاولتُ الانسجام مع الزبوتين المرحين. لكنني لم أفلح.

قال الرجل القصير البدين ذو اللحية البرتقالية التي لا تنسجم مع لون شعره البنيّ الداكن: «أؤكد لك، لقد رأيتُ الدببة عن قرب في يالومستون، إنّها ضخمة كالوحوش». كان شعره متسخاً، وبدا أنّه لم يبدّل ملابسه منذ أيام عدّة، لا بد أنّه آت من الجبال.

«مستحيل. الدببة السوداء ليست بهذه الضخامة. قد لا تكون

الحيوانات التي رأيتها دببة بالضرورة». كان الرجل الثاني طويلاً وهزيلًا، وجهه أسمر وبشرته قاسية ومدبّغة.

دمدم مايك قائلاً: «أنا جاذّ بيلاً، بعد أن يرحل هذان الرجلان سأقفل المحلّ فوراً».

هزئتُ كفتيّ وأردفتُ: «إذا أردتني أن أرحل...».

«كانت الدببة جميعها أطول منك»، أصرّ الرجل ذو اللحية بينما كنتُ أوضّب أغراضي. «كبيرة بحجم المنزل وشديدة السواد. سوف أبلغ عنها حارس الغابة. يجب تنبيه الناس، فالدببة لم تكن في أعلى الجبال إنّما هي على مسافة أميال قليلة فقط من هنا».

ضحك ذو الوجه الأسمر وقلب عينيه. «دعني أحرز، كنتُ في طريقك إلى هناك، وأنت لم تأكل طعاماً حقيقياً ولم تنم جيّداً منذ أسبوع، صَح؟».

نظر الرجل الملتحي نحونا وصاح: «أهذا صحيح يا مايك؟».

تمتّع لمايك: «أراك نهار الاثنين».

«تفضل سيّدي، ماذا كنت تقول؟»، ودّعني بنظرة قبل أن يلتفت إلى الرجلين.

«كنتُ أسالك ما إذا تلقّيتُ مؤخراً أيّ تحذير بشأن وجود دببة سوداء في المحيط؟».

«كلا سيّدي. ولكن من الجيّد أن تأخذ الحيطة وأن نخزّن طعامنا بشكل صحيح. هل رأيتُ العلب المعدنية الصغيرة التي تحفظ الطعام من عبث الدببة؟ لا يتعدّى وزنها الـ 900 غرام...».

ثمّ فتح الباب على مصراعيه وخرجتُ أمشي تحت المطر. اختبأتُ تحت معطفيّ واندفعتُ بسرعة إلى سيارتي. كان المطر يطرق على المعطّف ويصدر صوتاً عالياً قلماً سمعت مثله، ولكن سرعان ما حجب هدير المحرّك كلّ الأصوات الأخرى.



لم أكن أريد العودة إلى منزل تشارلي الخالي. كانت الليلة الفائتة مؤلمة على نحو استثنائي، ولم أكن أرغب في استرجاع مشهد المعاناة. حتى بعد أن هدا الوجد بشكل يسمح لي بالنوم، فإنه لم يتوقف نهائياً ويختفي. وكما أخبرت جيسكا بعد مشاهدة الفيلم، ليس هناك أدنى شك في أنني سأرى كوايس.

صرت أراها كل ليلة. في الحقيقة، ليست كوايس بصيغة الجمع، فأنا أشاهد دائماً الكابوس نفسه. قد تظن أنني سئمت واعتدت على ذلك واكتسبت مناعة بعد مرور أشهر عدة. لكن الحلم كان ينجح دائماً في إخافتي، ولا ينتهي إلا حين أستيقظ وأنا أصرخ. لم يعد تشارلي يزور غرفتي إطلاقاً ليتأكد من عدم وجود غريب يخنقني أو ما شابه. لقد اعتاد الصراخ الآن.

قد لا ترعب تلك الكوايس التي أراها أحداً غيري. إذ لم يكن هناك من يخرج من مخبأه ويصبح بقصد دب الرعب في قلبك. كما لم يكن هناك مصاصو دماء أو أشباح أو مضطربون عقلياً. في الواقع، لم يكن هناك شيء. لا شيء سوى متاهة متداخلة بين الأشجار والطحالب، زاخرة بالصمت الثقيل الضاغط الصام للأذان. كان الظلام مخيمًا، كما غسق يوم غائم، مع بصيص نور يكفي لأن توى الفراغ الذي يملأ المكان. ركضت في العتمة على غير هدى، أبحث وأبحث... كمجنونة تسابق الوقت وتحث الخطى فتتعثر وتفقد التوازن... فتصل إلى مرحلة تعجز فيها عن تذكر ما الذي كانت تبحث عنه. شعرت بقدم تلك اللحظات، لكنني لم أكن أستطيع إيقاظ نفسي. في تلك المرحلة، أدركت أنه ليس هناك ما أبحث عنه، وأنه لم يكن هناك سوى تلك الغابة الخالية الموحشة، لا أكثر... لا شيء على الإطلاق.

كان هذا ما يحصل عادة حين أبدأ بالصراخ.

لم أكن مدركة إلى أي مكان كنت أقود متباتي لأنني لم أكن أقصد

أي مكان محدد، كنت أطوف في الطرقات الخالية والمبللة بالمطر، متفادية الطرق المؤدية إلى البيت.

تميّت لو أفقد وعيي مجدداً، لكنني لم أستطع تذكر كيف استطعت أن أنجح في دخول دوامة الدهول من قبل. كان الكابوس ينادي ذهني ويجبرني على التفكير بأشياء تسبب الألم. لم أرغب في تذكر تلك الغابة. ارتجفت لدى تذكر تلك المشاهد، وشعرت بعيني تغرقان في الدموع ويدأت حدة الألم تتفاقم في داخلي. رفعت إحدى يدي عن المقود ووضعتها على صدري كي أتمكن من الصمود.

بدا الأمر كما لو أنني لم أكن يوماً. دارت الكلمات في رأسي فاسترجعت الهذيان الذي عانيت منه في ليلة سابقة. كانت مجرد كلمات، لا صوت لها، أئبها بأحرف مبعثرة على ورقة. مجرد كلمات حفرت عميقاً في صدري. دُست على المكابح، مدركة أنه لا ينبغي أن أقود والوهن يملكني ويأخذ مني كل مأخذ.

حينت رأسي وألصقت وجهي بالمقود محاولة أن أنتفّس بلا رثتين. تساءلت كم من الوقت سألقي على هذا الحال. ربما ذات يوم، بعد انقضاء أعوام، وإذا خفت الألم إلى حدّ يمكنني تحمّله، سيكون بمقدوري أن أنظر إلى الخلف وأتذكر تلك الشهور القليلة التي تعدّ الأفضل في حياتي كلها. إذا أصبح الألم طفيفاً لدرجة تمكنني من العودة بالذاكرة للوراء، من المؤكد أنني سأكون ممتهناً جداً للوقت الذي أمضاه معي. كان وقتاً أكثر من الذي أطلب، أو أستحق. ربما سأتمكن يوماً من النظر إلى المسألة على هذا النحو.

ولكن ماذا لو بقيت هذه الحفرة ولم تُطمّر؟ ماذا لو لم تلتئم الجراح؟ ماذا لو كان الأذى سرمدياً؟

تمالكْتُ نفسي جيّداً. «كما لو لم يكن يوماً»، قلت في نفسي بياس. يا له من تعهد غبي ومستحيل! يمكنه أن يسرق صوري ويسترجع

لي أن أخلّ في الجانب الذي يخصني من الاتفاق، هنا في هذه البلدة الصغيرة المسالمة؟ مما لا شك فيه أن فوركس لم تكن وادعة دوماً، ولكنها الآن بدت كما اعتدتها، هادئة وآمنة.

حدّقت إلى الخارج للحظة، فتحرّكت أفكارني ببطء ولم أتمكن من تصويبها إلى أيّ مكان محدد. أطفأت المحرك الذي كان يشقّ بطريقة مثيرة للمشقة بعد أن عانى لفترة طويلة من عدم الحركة، ثم نزلت من السيارة أمشي تحت الرذاذ.

بلّل المطر البارد شعري وانسكب على وجنتي كشلالات من الدموع، ساعدني ذلك على تصفية ذهني. مسحّ الماء عن عينيّ وحدّقت في الشارع بنظرة جوفاء خالية من أيّ تعبير.

بعد دقيقة من التحديق، عرفْتُ مكان تواجدي. كنت قد ركنت سيارتي في الممر الشمالي لجادة راسل. كنت واقفة أمام منزل تشيني - حيث أعاشت سيارتي السير هناك - وفي الجانب الآخر من الشارع الذي تقطنه عائلة مارك، عرفْتُ أنه يتعين عليّ إزاحة سيارتي والعودة إلى البيت. كان من الخطأ أن أتجول شاردة الذهن ومستسلمة للأخطار في شوارع فوركس. إضافة إلى أن أحداً ما قد يبتبه لتصرفاتي فيبلغ تشارلي، فيما كنت أخذ نفساً عميقاً تحضيراً للحركة، شدت انتباهي لافتة قرب منزل عائلة ماركس. كانت قطعة كرتون كبيرة مسنودة إلى صندوق البريد الخاصّ بالعائلة، وكُتبت عليها أحرف مخربشة بالأسود.

خطر لي أن القدر يلعب دوره أحياناً.

هل كان وجود اللوحة صُدفة؟ أو أن وجودها متعمد؟ لم أكن أعرف، ولكن بدا من السخافة التفكير بأنّ كل شيء يخضع للقضاء والقدر، وأنّ الدراجتين الصدنتين المعطلتين في حديقة منزل عائلة ماركس قرب اللوحة التي كتب عليها «البيع كما هي» كانتا موجودتين حيث أردتهما تماماً، من أجل خدمة غاية أسمى أو هدف معين آخر.

الهدايا التي كان قد قدّمها لي، لكنّ ذلك لن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل أن أقبله. التغيّر الجسدي كان الجانب الأقل أهمية من المعادلة. لقد تغيّرت من الداخل وتبدّلت إلى حدّ كبير، إلى حدّ بالكاد كنت أتعرف معه إلى الآن الجديدة. حتّى شكلي الخارجي بدا مختلفاً، فصار وجهي شاحباً أبيض اللون، فيما عدا الدوائر الحمراء التي خلّقتها الكوابيس تحت عينيّ. كان لون عينيّ قاتماً مقارنةً ببشرتي الشاحبة مما يجعلني أشبه مصاصي الدماء لو كنت جميلة لافتة للأنظار. لكنني لم أكن جميلةً وكنت أكثر شبهاً بأكلي لحوم البشر.

«كما لو لم يكن يوماً؟» تلك كانت حماقة، وعد يستحيل الوفاء به. تعهّد يتمّ الحنث به لحظة إطلاقه.

ضربت رأسي على المقود محاولةً أن ألهي نفسي عنيّ أسئلاً لألم المبرح.

شعرت بأنني تافهة لإصراري على القلق بشأن الوفاء بالوعد. أين المنطق في الحفاظ على عهد سبق للطرف الآخر أن حنث به؟ من كان لييالي ما إذا كنت طائشة أو غبية؟ لم يكن هناك من سبب يجعلني أنفادى العطش وما من سبب يحول دون أن أتحوّل إلى غيبة بامتياز.

ضحكت بسخرية وأنا أشهق لتنفّس الهواء. مستهترة من فوركس... يا لها من فكرة يائسة.

تلك الدعابة شتت انتباهي وسكنت ألمي. أصبح تنفّسي أسهل واستطعت أن أسند ظهري إلى المقعد. بالرغم من أنّ الطقس كان بارداً في ذلك اليوم، كان جيني مبللاً بالعرق.

ركزت على الفكرة اليائسة كي لا أعود للانزلاق إلى هوة الذكريات المعذبة. فمسألة الاستهتار في فوركس تتطلّب الكثير من الإبداع، ما يفوق طاقتي ربما. لكنني أملت أن أجد وسيلةً ما... قد أشعر بتحسن لو تخلّيت عن العهد المنتهك وحنثت بالوعد المكسور أصلاً. ولكن كيف

لعلّ الأمر لا يتعلّق بالقدر. لعل جميع الوسائل التي تحتّ على التهور كانت متوقّرة، لكنني لم أُنَبّه لها من قبل.  
التهور والحماسة. تلك كانت الكلمتان المفضّلتان لدى تشارلي لوصف الدراجات.

لم يكن عمل تشارلي يتطلّب الكثير من الحركة مقارنةً بعمل جهاز الشرطة في المدن الكبيرة، لكن كان يتم تبليغه عند وقوع حوادث سير غالباً ما تحصل على امتداد الطريق الطويل الملتوي الذي يخترق الغابة بمنعطفاته الكثيرة الزلقة. بوجود الشاحنات الضخمة المحمّلة بالأخشاب كانت السيارات في الغالب تهرب بعيداً. أمّا الدراجات فكانت تشكل استثناءً، وكان تشارلي قد رأى ضحايا كُثراً قُتلوا على الطريق السريع، جميعهم من الأولاد تقريباً. لم أكن قد تجاوزت العاشرة من عمري حين جعلني تشارلي أقطع عهداً بالأقرب ركوب أي دراجة نارية. حتى في ذلك العمر، لم يكن عليّ أن أفكر مرّتين قبل أن أعدّه. من كان يرغب في ركوب دراجة نارية في ذلك المكان؟ الأمر أشبه بالاستحمام في العراء لمسافة ستين ميلاً في الساعة.

لقد وُفِّيتْ بوعود لا تُحصى ولا تُعد...

وقد انهارت جميعها الآن. أردتُ أن أكون حقيماً ومتهوراً وأردتُ أن أخلّ بالوعود كلها. لماذا أتوقف عندها في كلّ مرّة؟  
جاء قراري هذا بعد تفكير مطوّل. هرعتُ تحت المطر باتجاه منزل عائلة مارك فوقفتُ أمام بابهِ وقرعتُ الجرس.

فتّح لي الباب أحد أفراد آل ماركس وهو الأصغر سنّاً بينهم. لم أستطع تذكر اسمه. اقترب مني بشعره الرمليّ اللون.

لم يجد أيّ صعوبة في تذكر اسمي فسألني متفاجئاً: «بيلا سوان؟». قلتُ له: «كم تريد مقابل الدراجة؟». ثمّ لهثتُ وأشرتُ بيدي نحو الدراجات المعروضة.

فسألني: «هل أنت جادة؟».

«بالطبع أنا جادة».

«لكنّ هذه الدراجات لا تعمل».

تنهّدتُ وشعرتُ بأنّ صبري قد نفذ. لقد سبقَ وعلمتُ من اللفة أنّها لا تعمل. «كم تريد؟».

«إذا كنتَ تريدان فعلاً دراجة، خذي واحدة. طلبتُ أمي من أبي أن ينقلها إلى جانب الطريق لكي تأخذها شاحنات النفايات عندما تمرّ». ألقيتُ نظرةً سريعة على الدراجات فرأيتها ملقّية على كومة من القصاصات والأغصان اليابسة. «أأنت متأكّد من ذلك؟».

«طبعاً، سأليها إذا أردتُ!».

ربّما كان من الأفضل ألا أقحم الراشدين في الموضوع لأنهم قد يخبرون تشارلي بذلك؟  
«كلا، أصدّقك».

ثمّ عرّضَ عليّ قائلاً: «هل ترغبين في أن أساعدكِ؟ فالدراجات ليست خفيفة الوزن».

«حسناً، شكرًا لك. أريد دراجة واحدة فقط».

قال الصبيّ: «لَمْ لا تأخذين دراجتين؟ قد تحتاجين لبعض القطع». تبعني حين خرجتُ تحت المطر الغزير وساعدني في وضع الدراجتين الثقيلتين داخل صندوق سيارتي. بدا تواقاً للتخلّص منهما، لذا لم أجادله.

سألني: «ماذا ستفعلن بهما؟ إنهما معطلتان منذ أعوام عدّة».

فأجبتُ بلا مبالاة: «سأفكر بالأمر». لم أستطع أن أرتجل بعفوية مشروعاً مناسباً. «قد أنقلهما إلى السيّد داوولينغ».



سهل متذمراً. «سيطلب داولينغ أجراً يفوق ما تستأهله هاتان الدراجتان».

لم أستطع أن أناقشه في ذلك. كان جون داولينغ ذائع الصيت لناعية الأسعار التي يطلب. لم يكن أحد يقصده إلا عند الضرورة. وكان معظم الناس يفضلون الذهاب إلى بورت آنجلس إذا تمكنت سيارتهم من توصيلهم إليها. كنتُ محظوظة جداً لهذه الناحية. شعرت بالقلق عندما أهداني تشارلي في البداية الشاحنة القديمة التي كنت أظن أنها لن تعمل مطلقاً. ولكنني لم أواجه مشكلة واحدة معها، في ما عدا صوت محركها المزعج وسرعتها المحدودة التي لا تتجاوز الخمسة وخمسين ميلاً في الساعة. كان جايكوب بلاك قد حفظها بحالة جيدة حين كانت لوالده بيلي...

كان وقع الفكرة التي خطرت لي كالصاعقة المدوية والعاصفة غير المتوقعة. «أتعلم ماذا؟ لا بأس. أعرف شخصاً يصلح سيارات».

«أوه. هذا جيد». ابتسم وبدأ مرتاحاً.

لوح بيده بينما كان يغادر ولم تفارق الابتسامة وجهه. كان صيباً ودوداً.

قدتُ سيارتي بسرعة أقصد هدفاً معيناً الآن، مستعجلة لأجبل إلى البيت تجنباً لأي احتمال ولو ضئيل لظهور تشارلي، مع أنني كنت أستبعد جداً أن يعود من عمله في ذلك الوقت. اندفعتُ إلى المنزل نحو الهاتف والمفاتيح لم تفارق يدي.

قلتُ عندما رفع الوكيل سماعته: «المقدم سوان لو سمحت، أنا بيلاً».

«أوه، مرحباً بيلاً». أجابني الوكيل ستيف بدمائة. «سأبلغه في الحال».

انتظرتُ.

سألني تشارلي حالما رفع السماعة: «ما خطبك بيلاً؟».

«ألا يمكنني أن أتصل بك في عملك إلا إذا كان هناك أمر طارئ؟».

سكتُ قليلاً ثم أجاب «لم تتصلي بي في عملي ولا مرة من قبل: هل هناك أمر طارئ؟».

«كلا. أريد فقط أن أستدلّ على منزل عائلة بلاك. لستُ متأكدة ما إذا كنتُ أستطيع تذكر الطريق. أرغب في أن أزور جايكوب. لم أره منذ أشهر».

حين تكلم تشارلي مجدداً، كان في صوته نبرة سعادة: «إنها فكرة رائعة، بيلاً. هل لديك قلم؟».

أعطاني تشارلي اتجاهات سهلة جداً نحو منزل جايكوب. وعدته بأنني سوف أعود لأتناول معه طعام الغداء، مع أنه طلبَ مني ألا أستعجل. أرادَ أن يلاقيني في لا بوش لكنني لم أرغب بهذه الفكرة.

قدتُ سيارتي متوجهة بسرعة فائقة إلى خارج المدينة في الشوارع العاصفة والمظلمة، وذلك قبل انتهاء المهلة المحددة. أملتُ أن أجد جايكوب بمفرده. على أي حال، سيُسّر بيلي كثيراً إذا علمَ بزيارتي هذه.

بينما كنتُ أقود، قلقْتُ بعض الشيء من رد فعل بيلي حين يراني. سيكون مفعماً بالسعادة. بالنسبة لبيلي، فإن الأمور تسير بلا شك أفضل بكثير مما كان يتمنى. تذكرني سعادته وراحته بشخص لم أكن أطيق أن يذكرني أحد به مرة ثانية في اليوم نفسه. تضرعت بصمت. كنتُ منهكة. كان منزل عائلة بلاك مألوفاً إلى حد ما. فهو بيت خشبي نوافذه ضيقة، مطلي بلونٍ أحمر باهت يجعله أشبه بحظيرة صغيرة للماشية. أخرجَ جايكوب رأسه من النافذة بسرعة، حتى قبل أن أنزل من السيارة. من المؤكد أن صوت المحرك المألوف أبلغه بقدمي. كان جايكوب

ممتناً للغاية عندما اشترى لي تشارلي سيارة بيلي، لأنه بذلك أعفى جايكوب من وجوب قيادتها حين يصبح شاباً. كنت أحب شاحنتي كثيراً، في حين كان جايكوب يعتبر سرعتها المحدودة عيباً.

استقبلني في نصف الطريق المؤدي إلى باب البيت.

«بيلاً!». ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة، وكانت أسنانه البيضاء البراقة مغايرة للون بشرته الخمرية. لم يكن قد سبق لي أن رأيت تسريحة شعره بهذا الشكل المختلف عن العادة. إذ كانت تُحصل شعره متدلّية كالحرير على جانبي وجهه العريض.

كان جايكوب قد كبر قليلاً في الأشهر الثمانية الأخيرة. فقد اجتاز المرحلة التي تحوّلت فيها عضلات الولد الطرية إلى بنية مرافق قوي طويل القامة بارز الشرايين والعروق تحت البشرة السمراء للذراعين وبديهي. لكن وجهه بقي جميلاً كما تذكّرتُه، حتى وإن أصبح خشن الملامح نافر العظام مربع الفك. لقد تغيّرت كلّ التفاصيل الطفولية.

«مرحباً جايكوب!». شعرتُ بموجة غريبة من الحماسة حين ابتسم لي. أدركتُ أنني سررتُ لرؤيته. فاجأتني هذه المعلومة.

رددتُ له الابتسامة فشعرتُ بانسجام صامت بيننا يشبه تطابق الأحجية. كنتُ قد نسيتُ مدى إعجابي الكبير بجايكوب بلاك.

توقف على بعد خطوات مني، فحدقتُ به يدهشة، ورفعتُ رأسي نحوه وقطرات المطر تساقط على وجهي.

«لقد كبرت!». خاطبته مذهولة.

أطلق ضحكة من أعماق قلبه. ثم قال، راضياً عن نفسه: «طولي ست أقدام وخمسة بوصت». كان صوته أكثر عمقاً ولكنه بقي أجش تماماً كما تذكّرتُه.

«ألن يتوقف جسمك عن النمو؟». أخذتُ أهر رأسي غير مصدقة: «أنت ضحك جداً».

كثّر وأجاب: «لم تري شيئاً بعد. تعالي إلى الداخل! أنت مبجلة من المطر».

مشى أمامي وكانت يده الكبيرتان تتخللان شعره، ثم أخرج من جيبه رباط مطاط وربطه.

«أبي!»، ناداه عندما انحنى ليدخل من الباب الأمامي، وتابع «انظر من الزائر!».

كان بيلي في حجرة الجلوس يقرأ كتاباً. وضع الكتاب في حضنه واندفع إلى الأمام حين رأيته.

«تسرتني رؤيتك بيلاً».

تصافحنا فتاهت يدي في قبضته الكبيرة.

«ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل كل شيء على ما يرام مع تشارلي؟».

«أجل، بالطبع. أردت فقط رؤية جايكوب. لم أزه منذ مدة طويلة».

تلاّثتُ عينا جايكوب جزاء كلماتي. ابتسم ابتسامة عريضة كادت أن تشق وجهه.

قال بيلي بلهفة: «هلا بقيت لتتناول الغداء معاً؟».

«كلا، عليّ أن أكل مع تشارلي».

«سأنصل به في الحال»، اقترح بيلي. «فهو مرّحب به دوماً».

ضحكتُ لأخفي عدم ارتياحي. «لا تجعل الأمر يبدو وكأنك لن تراني مرة أخرى. أعدك بأنني سأعود قريباً وسأتردد إلى هنا بكثرة حتى تتأقّف مني». بكافة الأحوال، إذا استطاع جايكوب إصلاح دراجتي، سيتوجب على أحدهم أن يعلمني كيف أركبها.

ضحك بيلي ضحكة خافتة وأجابني: «حسناً، ربما في المرة المقبلة».

سألني جايكوب: «ما الذي تريدن فعله إذاً يا بيلا؟».

«أي شيء. ماذا كنت تفعل قبل أن أفاطعك بزيارتي المفاجئة؟»  
كنت مرتاحة على نحو غريب في تلك الأثناء. بدا الجو مألوفاً إلى حد ما. لم يكن هناك ما يذكرني بالماضي القريب.

قال جايكوب بتردد: «كنت متوجهة للعمل على إصلاح السيارة، ولكن يمكننا فعل شيء آخر الآن...».

«لا، هذا رائع!»، قاطعته. «أرغب في رؤية سيارتك».

قال غير مقتنع: «حسناً، إنها في الخارج مركونة في الكاراج».

«هذا أفضل»، قلت في قرارة نفسي. ودعت بيلى. «أراك لاحقاً».

كانت الشجرات والنباتات الكثيفة تحجب الكاراج قرب المنزل. لم يكن ذلك الكاراج سوى حظيرتين كبيرتين متلاصقتين وجدراهما شبه مهذمة. وقد رأيت تحت سقف هذا الملجأ المشيد فوق أكوام من التراب، ما يشبه السيارة. استطعت على الأقل أن أعرف إلى الشارع الذي كُتِبَ عليها.

سألت جايكوب: «ما هو طراز هذا النوع من الفولزفاكن؟».

«إنها قديمة جداً، يعود تاريخ صنعها إلى 1986 سيارة كلاسيكية».

«وهل تعمل؟».

«أجري عليها اللمسات الأخيرة»، أجابني بابتهاج. ثم ما لبث أن خفض صوته وثابع: «وقى والدي بوعده الربيع الفائت».

قلت بتعجب: «آه!».

بدا أنه فهم ترددي في فتح الموضوع. حاولت ألا أتذكر النزعة في شهر أيار الماضي. كان والد جايكوب قد رشاء بالمال وقطع غيار سيارات لكي يوصل رسالة معينة آنذاك. أرادني بيلى أن أبقى على مسافة آمنة من الشخص الأكثر أهمية في حياتي. فأنضح في نهاية المطاف أنه

لم يكن من داع لقلقه، فها أنا ذا أصبحت في أمان تام الآن.

ولكنني أردت أن أفعل شيئاً لأغَيِّر ذلك الواقع.

سألته: «جايكوب، ماذا تعرف عن الدراجات النارية؟».

هز كتفيه: «أعرف القليل. كان لدى صديقي إمبيري دراجة قديمة متهالكة. تقودها معاً في بعض الأحيان. لماذا تسألين؟».

«في الواقع...»، زممت شفتي فيما كنت أفكر بالإجابة. لم أكن متأكدة من أنه سيبقى صامتاً ولكن لم يكن أمامي خيارات أخرى. «أحضرت مؤخراً دراجتين، إلا أنهما ليستا بأفضل حال، فتساءلت إن كنت تستطيع إصلاحهما!».

«ممتاز». بدا حقاً سعيداً لهذا التحدي. اتفقد وجهه وقال: «سأحاول».

رفعت إصبعي وشرحت له بنبرة تحذيرية: «غير أن تشارلي لا يوافق على اقتناء الدراجات. وبمصرحة، قد تنفجر شرايين جبينه من الغضب إذا عرف بالامر. لذا لا يمكنك أن تخبر بيلى».

«طبعاً، طبعاً». ابتسم جايكوب ثم أكد «مفهوم».

تابعت «سأدفع لك».

أزعجته كلماتي. «لا أريد منك أجراً. أريد المساعدة فحسب».

«حسناً... سنعقد اتفاقاً، ما رأيك؟». كنت أفكر بذلك بعد أن أحضرت الدراجتين. «أريد دراجة واحدة فقط، كما أنني أحتاج لدروس أيضاً. فما رأيك لو أعطيك الدراجة الثانية مقابل أن تعلمني كيفية ركوبها؟».

«جميل!». تفوه بكلمته على دفعتي.

«انتظر لحظة، هل أصبحت بالغاً؟ متى عيد ميلادك؟».

«لقد فاتك». ضيق عينيه مستاء. «أنا في السادسة عشرة».



غمغمت: «لكن نموك لم يتأثر بعمرِكَ. آسفة بها الشأن».  
«لا تقلقي. نسيْتُ عيد مولدِكَ أيضاً. كم صار عمرك؟ أربعون سنة؟».

تنهَّدت ساخرة: «تقريباً».  
«لدينا عمل مشترك علينا التحضير له».  
«الأمر أشبه بموعد».

اشتعل بريقٌ في عينيهِ عند سماعه تلك الكلمة.  
أردتُ أن أنحكّم بحماسي قبل أن أوصل له فكرة خاطئة، إذ كان قد مرَّ وقت طويل لم أشعر فيه بالبهجة والمرح. إن ندرة ذلك الإحساس تجعل من الصعب السيطرة عليه.  
ثم أضفتُ: «ربّما سنعقد الاتفاق بعد أن ننتهي من إصلاح الدراجتين».

«اتفقنا. متى ستحضرنهما إلى هنا؟».

عظيْتُ على شفتي مُرتبكة، ثم اعترفتُ: «إنهما في سيارتي الآن».  
«رائع». قال، ذلك بنبرة بدا أنّه قصدها فعلاً.  
«هل سيرانا ببلي إذا جلبناهما من السيارة؟»  
«غزني مطمئناً». «ستحقّقي».

تحرّكنا بحذر من الجانب الشرقي وتوقّفنا تحت الأشجار بحيث نستطيع رؤية النوافذ، وتظاهرنّا بأننا نقوم بجولة في المكان، تحسباً لظهور أحدهم بشكل طارئ. حمل جايكوب الدراجتين من صندوق الشاحنة بسرعة خاطفة ونقلهما، الواحدة تلو الأخرى، إلى المكان الذي كنتُ مختبئة فيه. بدا الأمر في غاية السهولة بالنسبة له، مع أنني كنتُ أذكر أن الدراجتين أثقل بكثير مما بدتا في ذلك المشهد.

«حالة الدراجتين ليست سيئة جداً»، خَمَن جايكوب بينما كنا

نحملهما إلى الأشجار الكثيفة. «هذه الدراجة سوف تصبح ثمينةً وقيمةً بعد إصلاحها، فهي دراجة قديمة اسمها هارلي سبرينت».  
«ستكون لك إذا».

«هل أنت متأكدة؟»  
«طبعاً».

نظر مستهجنًا إلى حديد الدراجة وقال: «سيكلّفنا هذا بعض المال، لكن علينا أولاً أن نرقّر نفودنا من أجل قطع الغيار».  
«ليس علينا القيام بذلك!». عارضتهُ ثم تابعتُ «إذا أصلحت أنت المعدن مجاناً أدفع أنا ثمن قطع الغيار».  
أجاب غمغماً: «لستُ أدري...».

«أذخرتُ بعض المال من المصاريف المدرسية». لكنني لم أوفر ما يخولني الانذهاب إلى أي مكان مميز، كما أنني لم أكن أرغب أصلاً في مغادرة فوركس. ما الذي سيغيّر لو أنفقت بعض المدخرات؟

أوماً جايكوب برأسه. أشعره كلامي بارتياح كبير. وبينما كنا نتسلّل إلى الكاراج، تأملتُ في حظي. من كان لي قبل بمساعدتي سوى مرافق، من كان ليرضى أن نخدع أهلنا حين نصلح دراجات تشكّل خطراً على حياتنا، وبواسطة أموال مخصصة للمصاريف المدرسية. لم يرَ جايكوب أيّ خطأ في ذلك. كان حقاً هديةً من الآلهة.

فسألت: «هل هذا يبلي؟».

طاطاً جايكوب رأسه وأجاب: «كلا». وقد احمرّ من شدّة الخجل وهمهم «الشيطان عند ذكره يبان». اقترب الصوت، «جايك هل أنت منا؟».

فصاح جايكوب، «نعم» ثمّ تنهّد.

مرّت لحظة صمت قبل أن يطلّ من الزاوية شابان طويلان القامة داكنا البشرة، ويدخلان إلى الكوخ.

كان أحدهما نحيلاً بطول جايكوب تقريباً. أما شعره الأسود فكان متدلياً حتى ذقنه ومفروقاً في الوسط، إذ كان يضع بعضاً منه خلف أذنه اليسرى ويبقى الجزء الآخر متدلياً. أما الصبي الأقصر فكان يتمتّع ببنية أقوى. كان قميصه الأبيض ملتصقاً بصدرة المنتفخ، مما جعله أكثر إعجاباً بنفسه. أما شعره فكان قصير جداً لأنه كان شبه أصلع.

توقف الاثنان فجأة عند رؤيتي، وتمايل ذلك الهزيل بخفة إلى الأمام والخلف، بيني وبين جايكوب بينما استمرّ الآخر ذو العضلات المفتولة بالتجديق بي وبدأت ابتسامة باهتة على وجهه.

جياهما جايكوب من دون حساسة: «مرحباً يا أصدقاء».

أجابني قصير القامة من دون أن يرفع نظره عني: «مرحباً جايك». كان عليّ الابتسام في المقابل، مع أن تكشيرته بدت شيطانية. وبعد أن دويّت الابتسامة غمزني وقال: «سلام».

قال جايكوب، «كويل، إميري، أعرفكم على صديقتي بيلا».

تبادل الشابان اللذان كنت لا أزال عاجزة عن معرفة أيهما كويل وأيهما إميري نظرة ذات معنى.

«ابنة تشارلي أليس كذلك؟» سألتني صاحب العضلات ومدّ يده ليصافحتني. فصافحته وقلّت: «صحيح».

## الأصدقاء

لم يتطلب إخفاء الدراجات النارية سوى وضعها بكل بساطة في كوخ جايكوب للتخزين. وقد شكّلت المساحة الفاصلة بين الهزيل والكاراج عائقاً كبيراً أمام تنقل يبلي بكرسيه المتحرك.

بدأ جايكوب بتفكيك قطع الدراجة الأولى الحمراء التي كانت مخصصة لي. فتح لي باب سيارة الرايبت لكي أتمكن من الجلوس على المقعد بدلاً من الأرض. وبينما كان جايكوب يعمل، كان يثرثر فرحاً، لم يكن بحاجة سوى لبعض التحفيز من قبلي كي يتابع حديثه من دون توقف. فذكرني بتفوقه في سنته الثانوية الثانية، وتفاصيل الصفوف ومغامراته مع اثنين من أصدقائه المقربين.

قاطعته قائلة: «كويل وإميري؟ هذان اسمان غريبان بالفعل». ابتسم جايكوب ابتسامة فاترة وقال: «كويل تعني رث المظهر واعتقد أن إميري سُمّي على اسم نجم مسلسل تلفزيوني. لكنني لا أستطيع أن أقول لهما شيئاً عن ذلك. إذا ذكرت كلمة واحدة عن اسميهما، يقاتلانك بشراسة ويتحالفان ضلك».

رفعت حاجبي متعجبة وقلت: «إنهما صديقان مميزان».

أجابني: «بالفعل هما كذلك، ولكن لا تخطئي بحق اسميهما».

ثم ارتفع صوت صدي في البعيد نادياً: «جايكوب؟».

كانت قبضته صلبة جداً فبدا الأمر وكأنه كان يمزّن عضلاته ليظهر لي مدى قوتها.

وأضاف متفائلاً، قبل أن يحزّر يدي «أنا كويل أتيرا».

«تشرّفت بلقائك كويل».

«مرحباً بيلاً، أنا إمبيري كال، أظن أنك سبقَ واكتشفت ذلك».

لاحت على ثغر إمبيري ابتسامة خجولة ولوّح بإحدى يديه وضعها في جيب بنطاله.

فحزّرت رأسي وقلت: «تشرّفت بلقائك أيضاً».

سأل كويل وكان لا يزال ينظر إليّ: «ماذا ستفعلون إذا يا شباب؟».

أجاب جايكوب بشكل غير دقيق، «ننوي أنا و بيلاً إصلاح هاتين الدراجتين». ولكن كلمة الدراجات بدت سحرية. أراد الولدان أن يدققا بمشروع جايكوب قراحا يطرحان عليه أسئلة مدققة عن الموضوع. كانت معظم الكلمات التي تلفظا بها غير مألوفة لدي وشعرت بالحاجة لكروموزوم ذكوري لكي أفهم مدى الإثارة التي تسيطر عليهم.

كانوا لا يزالون منغمسين في الحديث عن أجزاء الدراجات وقطعها عندما قررت العودة إلى المنزل قبل أن يأتي تشارلي إلى هنا. تسللت من سيارة «الرايت». فنظر جايكوب إليّ معتذراً، «مللت من حديثنا، صحيح؟».

أجبت: «كلا»، ولم أكن أكذب. كنتُ مستمتعةً وبدا الأمر في غاية الغرابة. «ولكن علي العودة لأحضّر العشاء لتشارلي».

فقال جايكوب: «حسناً سأنتهي من تفكيك هذه الدراجات الليلة وأرى ما نحتاجه لإعادة إصلاحها. متى تريدان العمل عليها مجدداً؟».

«هل يمكنني العودة غداً؟ فنهار الأحد ممل جداً لأنني لا أجد ما يشغلني».

لكزّ كويل إمبيري بمرفقه وتبادلا ابتسامتين باهتين.

ابتسم جايكوب فراحاً وقال: «رائع». فقلتُ «أفترض بأن تحضّر لائحة بما سنحتاجه لنذهب ونبتاعه». شحب وجه جايكوب قليلاً وأضاف: «ما زلتُ غير مقتنع بأنني سأدعك تحمّلين كل التكاليف».

هزّزت رأسي وقلتُ: «مستحيل، سأتحمل تكاليف هذه المرحلة، لستُ مسؤولاً سوى عن العمل وتقديم خبرتك». التفت إمبيري نحو كويل بينما هزّ جايكوب رأسه قائلاً، «لا يبدو ذلك جيّداً».

فأجيتُ موضحةً، «كم كانت لتكلفني لو عرضتها على ميكانيكي؟».

ابتسم وأجاب «حسناً، سنعتقد اتفاقاً».

أضفتُ، «هذا من دون أن نحسب دروس تعليم قيادة هذه الدراجات».

فالتفت كويل إلى إمبيري مكشراً وهمس له أحرف لم استطع سماعها. مدّ جايكوب يده وضرب كويل على رأسه وهمهم: «هيا اخرج من هنا».

ولكنني اعترضت وقلت، «لا، علي الذهاب حقاً». توجهت نحو الباب وأنا أقول لجايكوب: «إلى اللقاء في الغد».

ما إن ابتعدت قليلاً حتى سمعتُ صرخة كويل وإمبيري «رائع».

سمعتُ صوت مشاجرة خفيفة وصاح أحدهما: «آخ، إحذر».

ثم سمعت صوت جايكوب مهزّداً، «لو وطأ أحدكم ولو بإصبع واحد أرضي...»، وتبدّد صوته عندما تابع السير بين الشجر. قهقهتُ بهدوء لكن الصوت جعل عيني تتسعان دهشة. لقد كنت أضحك، كنت أضحك بالفعل ولم يكن هناك أحد يراقبني. شعرت بأنني خفيفة جداً فضحكْتُ مجدداً كي أدع هذا الشعور يدوم قليلاً. وصلتُ إلى منزل تشارلي قبله. عندما دخل كنتُ أخرج الدجاج المقلّي من القدر وأضعه علي المناشف الورقية.

قلت مبتسمةً: «مرحباً أبي».



بدت الصدمة على وجهه قبل أن يسيطر على تعابيره ثم نال بصوت متردد: «مرحباً عزيزتي. هل أمضيت وقتاً مسلياً مع جايكوب». أجبته بنعم، وبدأت بنقل الأطباق إلى المائدة. فقال متوخياً الحذر: «جيد، وماذا فعلتما؟». حان الآن دوري لأكون حذرة إذ قلتُ له، «قصدتُ مرأته وشاهدته وهو يعمل. هل علمتُ بأنه يعمل على إصلاح سيارة فولسفاك؟».

أجابني، «نعم أعتقد أن يبلي ذكر الموضوع أمامي».

كان يجب أن يتوقف التحقيق عندما بدأ تشارلي بالمضغ لكنه استمر مع ذلك بتفحص وجهي أثناء تناوله الطعام. بعد العشاء، تنقلتُ متوترةً في أرجاء المطبخ فنظفته مرتين ثم أنجزتُ واجباتي ببطء بينما كان تشارلي يشاهد مباراة هوكي على الجليد. انتظرتُ طويلاً، بقدر ما استطعتُ، قبل أن يعلن تشارلي أن الوقت أصبح متأخراً. ولما لم أجب نهض، تمطط ثم ذهب وأطفأ النور خلفه. فتبعته على مضض. بينما كنتُ أصعد الدرج شعرتُ بأن إحساس الراحة الغريب الذي انتابني بعد الظهر بدأ يتلاشى ليحل مكانه شعورٌ بالخوف مما يتظرني.

لم أعد فاقدة الإحساس أبداً. هذه الليلة ستكون من دون أدنى شك ليلة مرعبة كالليلة الماضية. تمددتُ في فراشي وبدأتُ أنحضر للكوابيس القادمة. أحكمتُ إغلاق عيني أغمضتهما بقوة... ثم ما لبثتُ أن استيقظتُ فجأةً في الصباح. حدثتُ مندهشةً بالضوء الفضي الخافت المتسلل من نافذتي. للمرة الأولى منذ أكثر من أربعة أشهر نمْتُ من دون أن تراودني الأحلام. الأحلام أو الصراخ. لم أستطع تمييز أي من الشعورين كان الأفق، الخلاص أم الصدمة. بقيتُ ممددةً في سريري لبضع دقائق منتظرةً عودته. فهناك شيء لا بد له أن يعود. إن لم يكن الألم فهو فقدان الإحساس إذاً. انتظرتُ من دون أي نتيجة. شعرتُ بارتياح لم أشعر به منذ فترة طويلة جداً. لم أصدق أن هذا الوضع سوف

يستمر طويلاً. كنتُ أنارجح على حافة غير ثابتة، لن أصعد عليها طويلاً قبل أن توقعني وتعيدني إلى الخلف. عندما لاحظتُ كم بدتُ غرقي غريبة، وضيقاً كما لو أنني لم أسكنها أبداً، بمجرد النظر بشكل خاطف إليها بعينين صفتياً فجأة، بدا لي أمراً خطيراً.

نزعْتُ تلك الأنكار من رأسي. وفيما كنتُ أرتدي ملابس، ركزتُ على حقيقة أخرى ألا وهي أنني سأرى جايكوب مجدداً اليوم. كادت الفكرة... كادت تبعث الأمل في نفسي. قد تتكرر أحداث الأمس. لعله يجب ألا أتذكر كم بدتُ مهتمة وكم أومأت برأسي أو ابتسمتُ من وقت لآخر كما كنتُ أفعل مع الجميع. لعله يجب ألا أثق أن الوضع سيطول كثيراً... لعله يجب ألا أثق كذلك بأن نهار الأمس سيتكرر. لم أكن مستعدةً لأن أضع نفسي في موقف قد يخيب آملي مجدداً.

عند تناول الفطور، كان تشارلي لا يزال حذراً. حاول أن يخفي نظراته المفتحة وسر عينيه على طبق البيض أمامه معتقداً أنني لم أكن أنظر إليه.

قال وهو ينظر إلى خيط محلول من طرف كمنه وكأنه لا يعير انتباهاً لجوابي: «ماذا ستفعلن اليوم؟».

أجبته «سأقصد مرأب جايكوب مجدداً».

أوما يرأسه من دون أن ينظر إلى الأعلى: «رائع».

تظاهرتُ بالقلق وقلتُ: «أتمنع؟ يمكنني أن أبقى...».

رمقني بنظرة خاطفة ولمحتُ خوفاً في عينيه وقال: «لا، لا إذهي». على كل حال سيأتي هاري ليشاهد مباراة معي».

فاقترحتُ: «ربما يستطيع هاري أن يقل يبلي». فكلما كان الشهود على وجود الدراجتين أفضل.

«فكرة رائعة».

لم أكن متأكدة مما إذا كان الحديث عن المباراة مجرد عذر لإخراجي من المنزل ولكنه كان يبدو بغاية الحماسة. توجه نحو الهاتف بينما ارتديت المعطف الواقى من المطر. انتابني شعور بالأمان لوجود دفتر الشيكات في جيب معطفي. فأننا لم أستعمله أبداً من قبل.

كان المطر ينهمر في الخارج غزيراً كالشلالات. كان عليّ أن أقود ببطء شديد، أبطأ مما أردت، فبالكاد استطعت رؤية السيارة الموجودة أمامي. تمكنت في النهاية من عبور الممرات الضيقة المظلمة والوصول إلى منزل جايكوب. قبل أن أوقف هدير المحرك فُتح الباب الأمامي ورأيت جايكوب يركض نحوي وفي يده مظلة سوداء كبيرة. حملها فوق باب سيارتي الذي كنت أفتحه. وأوضح لي مبتسماً: «اتصل تساركي وقال إنك في طريقك إلى هنا». علت وجهي ابتسامة بدون قصد أو جهد. وغمرني شعور دافئ غريب على الرغم من قطرات المطر الجليدية المنهمرة على وجتي.

«مرحباً جايكوب». أجابني، «أعجبتني دعوة بيلي». ورفع يده باسطاً أصابعه الخمس ليصفق راحته براحة يدي. كان عليّ أن أقفز حتى استطيع الوصول إلى يده، مما أثار ضحكه.

وما هي إلا بضع دقائق حتى رأينا هاري يقلّ بيلي. أما جايكوب فقد أخذني في جولة قصيرة في غرفته الصغيرة فيما كنا ننتظر لتصبح غير مراقبين.

فسألته عندما أقفل الباب خلف بيلي: «إذاً، إلى أين ستوجه، السيد حامل المظلة؟». فأخرج جايكوب ورقة مطوية من جيبه مألها وقال بلهجة تحذيرية: «سوف نبدأ من محل القطع المستعملة للدراجات. لنرى إن كان الحظ حليفنا. لكن الأمر قد يكون مكلفاً جداً». لم تبدّ على وجهي علامات القلق، فتابع: «قد يكلف الموضوع أكثر من مئة دولار».

فسحبْتُ دفتر الشيكات ولوّحْتُ به بيدي وبذلك انتزعْتُ القلق من عينيهِ وقلْتُ: «لدينا تغطية مالية».

كان يوماً غريباً جداً. فقد استمتعتُ بوقتي، حتى في محل القطع المستعملة رغم الضباب والمطر المنهمر الذي وصل إلى عقبي. اعتقدتُ بدايةً أن هذا الشعور ناجم عن الصدمة إزاء فقدان الإحساس ولكن هذا التبرير لم يكن كافياً.

بدأتُ أفكر في أن الفضل بمعظمه يعود لجايكوب. لم يكن الأمر يقتصر على سعادته الدائمة لرؤيتي فحسب، ولكوني لا أغيب عن ناظره، أو لأنه لا يراقبني منتظراً أن أقوم بأي حركة تُظهر جنوني أو كآبتي. لم يكن الأمر متعلقاً بي أبداً.

بل كان عائداً إلى جايكوب نفسه. جايكوب الدائم السعادة بكل بساطة، جايكوب الذي تحل السعادة أينما يحل كالهالة يحملها معه وتشاركها مع من حوله. كالأرض التي تدور حول الشمس؛ كل شخص يتواجد في مدار جاذبية جايكوب، يشعر بالدفع. كان هذا عقوباً، جزءاً من طبيعته. ولا أعجب من شغفي برويته.

حتى حين علّق على الفراغ في لوحة أجهزة القياس في سيارتي لم أصب بخالة من الدرع كما كان ينبغي أن يحدث.

تساركي: «هل تعطل الراديو؟».

كذبتُ وأجبتُه: «نعم».

فأدخل يده في الثقب وسأل: «ومن اقتلعه من هنا؟ هناك أضرار جسيمة...».

اعترفتُ: «أنا فعلت».

ضحك وقال: «ربما يجب ألا تلمسي الدراجات النارية».

«لا بأس».

بالنسبة لجايكوب، كان الحظ حليفنا عند باحة قطع الغيار

المستعملة. فقد كان سعيداً لمثوره على الكثير من القطع السوداء المغطاة بالشحم؛ وأعجبت بالمامه الشامل بما يفترض أن تكون وظيفة كل قطعة.

قصدا متجر، «تشيكير أوتو بارتس» في هوكيام. قدت الشاحنة لأكثر من ساعتين جنوباً على الطريق السريع، لكن الوقت مر بسرعة برفقة جايكوب. أخذ يرثر عن أصدقائه ومدرسه، فوجدت نفسي أطرح عليه أسئلة كثيرة وكنت أصغي بفضول وبدون تصنع إلى كلامه.

ختم حديثه شاكياً بعد أن سرد لي قصة طويلة عن «كويل» والمشكلة المثارة مع صديقة أحد الطلاب. «حان دورك في الكلام الآن! ماذا يحدث في فوركس؟ يجب أن تكون الأجواء أكثر حيوية من لا بوش».

تنهدت وقلت: «أنت مخطئ، لا يوجد شيء هنا. أصدقاؤك أكثر إثارة للاهتمام من أصدقائي بكثير. أحب أصدقاؤك. كويل نفسه مضحك جداً».

عبس وعلق قائلاً: «أظن أن كويل معجب بك أيضاً».

ضحكت. «لكنه ما زال صغيراً».

تجهّم وجه جايكوب ورد: «إنه لا يصغرك بكثير. الفرق بينكما سنة وبضعة أشهر فقط».

تولّد لدي شعور بأن الحديث لم يكن عن كويل أبداً. حافظت على صوتي خفيضاً ولطيفاً: «طبعاً، ولكن قياساً للدرجة النضج بين الشباب والبنات، ألا تحسب أن الفرق شاسع بيني وبينه؟ مما يجعلني أكبره باثني عشر عاماً».

ضحك و صوّب عينيه باتجاهي: «حسناً، ولكن إذا كنت صعبة الإرضاء، عليك إذا أن تعدلي طولك. أنت قصيرة جداً. ينبغي أن أحسّ عشر سنوات من عمرك».

«طولي خمس أقدام وأربع بوصات، وهذا معدل ممتاز. إنه ليس خطأي أيها الشاذ».

لم نكف عن تبادل المزاح حتى وصلنا إلى هوكيام. بقينا نتجادل حول الصيغة الصحيحة لتحديد العمر إلى أن وصلنا إلى تشيكير حيث كان على جايكوب أن يركّز على الهدف الذي أتينا لأجله مجدداً، علماً أنني خسرت سنتين إضافيتين لأنني لا أحيان تغيير عجلات الشاحنة ولكنني سرعان ما استرجعت سنة واحدة لأنني كنت مسؤولة عن الحسابات في البيت. لقد تركنا كل شيء عند هذا الحد إذ اضطر جايكوب للتركيز على مهمة شراء القطعة. وجدنا كل ما كان مدوناً على اللائحة. وشعر جايكوب بالثقة من أنه سيتمكن من تحقيق تقدم ملحوظ بعد أن حصلنا على الغنيمة.

بينما كنا عائدتين إلى لا بوش، كنت قد أصبحت في الثالثة والعشرين وكان هو في الثلاثين من عمره. كان بالتأكيد يوظف مهاراته لمصلحته.

لم أكن قد نسيت سبب ما كنت أقوم به. وبالرغم من أنني كنت أستمع أكثر مما تصوّرت ذلك ممكناً، لم يقلل ذلك من رغبتني الأصلية. كنت لا أزال أريد أن أحتال وأغامر. كان ذلك تفكيراً أحمق، لكنني في الواقع لم أكن آبه. أردت أن أكون طائشة إلى حدّ يمكنني من تدبير أموري في فوركس. لم أشأ أن أكون حافظة لعهد لا معني له. فتمضية الوقت برفقة جايكوب شكل بهجة عارمة لم أكن قد توقعتها.

لم يكن يبلي قد عاد بعد، لذا لم نضطر للتخفي ونحن نفرغ ما غنمناه في ذلك اليوم. بعد أن وضعنا الأغراض كلها على الأرض بالقرب من علبه أدوات جايكوب، توجه رأساً إلى العمل من دون أن يتوقّف عن الكلام والضحك بينما كانت أصابعه تقلب بمهارة النقطع المعدن المعروضة أمامه.

كانت براعة جايكوب اليدوية مذهلة. فقد أنجز بيديه مهمات صعبة بسهولة ودقة تامتين. بدا رشيقياً أثناء قيامه بعمله في إصلاح الدراجات،



خلافاً لحركته العادية، إذ جعل منه طوله وقدماء الكبيرتان أخرق مثلما كنتُ أنا تماماً.

لم يأت كويل وييلي. لعلهما أخذتا تهديده لهما على محمل الجد. مرّ النهار بسرعة خاطفة. حلّ الظلام خارج الكاراج، ثمّ سمعنا بيلى يتنادىنا.

قفزتُ لأساعدَ جايكوب في إخفاء الأغراض، وكنتُ مترددة لأنني لم أكن أعرف من أين أبداً.

قال لي: «دَعِكِ من هذا. سأتدبّر أمر هذه الأغراض لاحقاً الليلة». فقلتُ: «لا تهمل واجباتك المدرسية أو أي شيء آخر». أحسستُ بالذنب. لم أشأ أن أوظفه في المشاكل. فالحظة كانت من أجلي فقط. «بيلاً؟»

أدركنا رأسينا بدھشة لحظة صدور صوت تشارلي المألوف من بين الأشجار فسمعنا وأدركنا أنه كان أقرب إلينا من المنزل.

«صه!»، غمغمْتُ ثمّ صرختُ باتجاه المنزل «نحنُ قادمان».

«هيا بنا». ابتسمَ جايكوب، مستمتعاً بتلك المغامرة السرية. أطفأ الأضواء فسرعتُ للحظة بأنني عمية. التقطَ جايكوب يدي وأخرجني من الكاراج متوجّهاً إلى الأشجار حيث استطاع أن يستدلّ إلى الطريق من دون عناء. كانت يده خشنة ودافئة جداً.

مع أننا وجدنا الطريق في العتمة، إلّا أننا تعثرنا مراراً وتكراراً. ضحكنا حين ظهرَ المنزل أمام أعيننا. لم يكن ضحكنا صاخباً، إنما خفيفاً، هادئاً ولطيفاً. كنتُ متأكدة من أنه لن ينتبه لتلك الموجة الخفيفة من الهيستيريا التي انتابتني. لم أكن معتادة على الضحك، لكنني أحسستُ بأنني محقّة ومخطئة في الوقت نفسه.

كان تشارلي واقفاً تحت الشرفة الخلفية، أما بيلى فكان جالساً أمام المدخل.

«مرحباً أبي»، قلنا بصوت واحد ممّا دفعنا إلى الضحك مجدداً. حدّق تشارلي بي بعينين واسعتين انصبّتا على يد جايكوب المتشابكة بيدي.

قال تشارلي: «دعانا بيلى إلى العشاء»، وكان حينها شارد الذهن. ثمّ أضافَ بنبرة جادة «طبق المعكرونة بالوصفة السرية هي طعامي المفضل على الإطلاق، فقد توارث الأجيال تلك الوصفة».

صاحَ جايكوب: «في الواقع، لا أظنّ أن عائلة الراغو عاشت طويلاً».

كان المنزل يعجّ بالناس. هاري كليرووتر مع أولاده وزوجته، سو التي أعرفها جيداً منذ أيام طفولتي في فوركس. كانت ليا طالبة مثلي ولكنها تكبرني بسنة واحدة. كانت تتمتع بجمال غريب - بشرة نحاسية اللون، شعر أسود مثلاًلي، وأهداب كالريش، لكنها كانت مشغولة البال حين رأيتهما. عندما دخلنا كانت تجري مكالمة من هاتف بيلى، ولم تترك السماعه أبداً. كان سيث في الرابعة عشرة، وكان يصغي بشغف إلى كلّ كلمة يقولها جايكوب.

كان عددنا كبيراً عندما جلسنا إلى طاولة المطبخ، لذا أحضَرَ تشارلي وهاري بعض الكراسي من الخارج. أكلنا أطباق المعكرونة تحت النور الخافت المتسرّب من باب بيلى المفتوح. تبادل الرجال الأحاديث عن المباراة، أما هاري وتشارلي فكانا يخططان لرحلة صيد سمك. كانت سو تؤنّب زوجها بسبب ارتفاع معدّل الكولسترول في دمه، محاولة بدون جدوى أن تحقّه على تناول الخضار والنباتات الورقية. وكان حديث جايكوب موجّهاً بمعظمه إليّ وإلى سيث الذي قاطع الحديث بتلقّف عندما شعرَ بأن جايكوب بدأ ينساه. أما تشارلي فراقبني بعينين رقيقتين حذرتين، محاولاً ألا يلفتَ النظر إليه.

بدا الصوتُ صاخباً وأحياناً مربكاً كلما تكلم اثنان في الوقت نفسه،

وكَلَّمَا عِلْتَ ضَحْكَةً عِنْدَ إِطْلَاقِ النِّكَاتِ الْمُتَلَاحِقَةِ. لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ أَنْ أَكْثِرَ الْكَلَامَ، لَكِنِّي كُنْتُ أَبْتَسِمُ كَثِيرًا، لِأَنِّي شَعَرْتُ بِالرَّغْبَةِ فِي الْإِبْتِسَامِ قَحْسَبَ.

لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ الْمَغَادِرَةَ.

بَدَأَ لِي كَأَنَّهَا فِي جُلُوسَةِ نِقَاشٍ فِي إِحْدَى قَاعَاتِ الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ حِجْرَةَ الْجُلُوسِ فِي مَنْزِلٍ بَيْلِي صَغِيرَةٌ جَدًّا، فِيمَا انْهَمَارِ الْمَطَرِ يَعْكَرُ الْحَفْلَةَ. أَوْصَلَ هَارِي تَشَارَلِي إِلَى الْأَسْفَلِ فَرَكِبْنَا مَعًا فِي سَيَارَتِي وَعَدْنَا أَدْرَاجَنَا إِلَى الْبَيْتِ. سَأَلَنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ الْحَقِيقَةَ، وَهِيَ أَنِّي ذَهَبْتُ بِرَفَقَةِ جَايَكُوبَ لِلْبَحْثِ عَنْ قِطْعٍ غَيَارٍ، ثُمَّ رَاقَبْتُهُ يَمْعَلُ دَاخِلَ الْكَارَاجِ.

تَسَاءَلْتُ تَشَارَلِي، مُحَاوَلًا أَنْ يَجْعَلَ سْؤَالَهُ غَيْرَ مُقْصُودٍ: «فِي أَيِّ وَقْتٍ تَعْتَقِدِينَ أَنَّكَ سَتَكُرِّرِينَ زِيَارَتَكَ؟».

أَجَبْتُهُ مَعْتَرِفَةً: «غَدًا بَعْدَ عَوْدَتِي مِنَ الْمَدْرَسَةِ. سَأَكْتُبُ وَاجِبَاتِي، لَا تَقْلُقِي».

حَاوَلْتُ أَنْ يَخْفِيَ ارْتِيَاخَهُ فَأَمْرُنِي: «لَا تَنْسِي أَنْ تَتَأَكَّدِي مِنْ إِنْجَازِ كَافَةِ وَاجِبَاتِكَ».

تَوَرَّتُ أَعْصَابِي عِنْدَ دُخُولِنَا إِلَى الْبَيْتِ. لَمْ أَرْغَبْ فِي الصُّعُودِ إِلَى الطَّابَقِ الْعُلَوِيِّ. فَالْحَمَاسَةُ الَّتِي أَضْفَاهَا جَايَكُوبُ بِوُجُودِهِ كَانَتْ تَخْبُو لِحُلِّ مَكَانِهَا الْقَلْقَ الْمُتَزَايِدَ. كُنْتُ مُتَأَكَّدَةً مِنْ أَنِّي لَنْ أَحْظِيَ بِلَيْلَتَيْنِ هَادِئَتَيْنِ مِنَ النَّوْمِ.

تَصَفَّحْتُ بَرِيدِي الْإِلِكْتُرُونِي لَكِي أَوْخَرُ وَقْتُ الْخُلُودِ إِلَى النَّوْمِ. وَجَدْتُ رِسَالَةً مِنْ رَيْتِهِ.

كَتَبْتُ عَمَّا جَرَى مَعَهَا فِي النَّهَارِ فَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى نَادِي الْكِتَابِ لِمَتْلَأِ وَقْتُهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَدْ تَرَكْتُ دُرُوسَ التَّامُّلِ، كَمَا أَنَّهَا عَلِمَتْ صَفُوفَ الثَّانِي ابْتِدَائِي لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ، فَاشْتَاقْتُ لِأَطْفَالِ الرُّوْضَةِ. وَكَتَبْتُ أَيْضًا أَنَّ

قِيلَ كَانَ مُسْتَمْتَعًا بِعَمَلِهِ الْجَدِيدِ كَمُدْرِبٍ، وَأَنَّهُمَا يَخْطِطَانِ لِلْقِيَامِ بِشَهْرِ عَسَلِ ثَانٍ وَالذَّهَابِ فِي رَحْلَةٍ إِلَى عَالَمِ دِيزْنِي.

لَا حَظُّهُ أَنْ جُلَّ مَا قَرَأْتُهُ كَانَ أَشْبَهَ بِعُنَاوِينَ جَرِيدَةٍ، بَدَلًا مِنْ رِسَالَةٍ إِلَى أَحَدِ الْأَشْخَاصِ. تَوَلَّدَ فِي دَاخِلِي شَعُورٌ عَمِيقٌ بِالنَّدَمِ، خَلَّفَ وَرَاءَهُ لِسَعَةً مُؤَلِّمَةً.

كَتَبْتُ لَهَا رَدِي فَوْرًا، مَعْلَقَةً عَلَى كُلِّ جُزْءٍ مِنْ رِسَالَتِهَا بِمَعْلُومَاتٍ تَخْصِنِي حَيْثُ وَصَفْتُ لَهَا حَفْلَةَ السَّبَاغِيَّتِي فِي مَنْزِلٍ بَيْلِي وَحَدَّثْتُهَا عَنْ إِحْسَامِي حِينَ رَأَيْتُ جَايَكُوبَ يَصْنَعُ أَشْيَاءَ جَمِيلَةً مِنْ قِطْعٍ مَعْدِنِيَةٍ صَغِيرَةٍ. شَعَرْتُ حِينَهَا بِالرَّهْبَةِ وَالْحَسَدِ، لَمْ أَسْتَطِعْ تَفْسِيرَ اخْتِلَافِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَنْ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ وَصَلَتْهَا فِي الْأَشْهُرِ الْمَاضِيَةِ. فَأَنَا بِالْكَادِ أَتَذَكَّرُ مَا كَتَبْتُ لَهَا، حَتَّى مِنْذُ بَضْعَةِ أَيَّامٍ أَوْ أُسْبُوعٍ، لَكِنِّي كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ رِسَالَتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا بَالِغُ التَّأْثِيرِ. كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهَا أَكْثَرَ، أَزْدَادَ شَعُورِي بِالذَّنْبِ. لَا بَدَّ أَنِّي أَقْلَقْتُهَا فَعَلًّا.

بَقِيْتُ مُسْتَقِظَةً لَوَقْتُ طَوِيلٍ، فَأَنْجَزْتُ جَمِيعَ وَاجِبَاتِي بِشَكْلِ تَامٍ. لَكِنْ لَا الْحَرَمَانِ مِنَ النَّوْمِ، وَلَا الْوَقْتُ الَّذِي أَمْضَيْتُهُ مَعَ جَايَكُوبَ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا حَمَلَهُ إِلَيَّ مِنْ فَرَحٍ، يَبْعُدَانِ عَنِّي الْحِلْمَ لِلِلَّيْنِ مُتَالِيَتَيْنِ. اسْتَقِظْتُ مُرْتَعِدَةً، وَالْوَسَادَةُ تَكْتُمُ صَرَاحِي.

عِنْدَمَا بَانَتْ فِي الْخَارِجِ خَيُوطُ النُّورِ الْبَاهِتَةِ مِنْ بَيْنِ الضُّبَابِ، تَمَدَّدْتُ عَلَى السَّرِيرِ وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنَ الْعِلْمِ، لَاحَظْتُ وَجُودَ فَارِقٍ بَسِيطٍ اللَّيْلَةِ الْفَاتَةِ، وَهَذَا مَا رَكَّزْتُ عَلَيْهِ.

فِي اللَّيْلَةِ الْفَاتَةِ، لَمْ أَكُنْ بِمُفْرَدِي فِي الْغَايَةِ. كَانَ سَامُ أُولَى هُنَاكَ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي سَحَبَنِي مِنْ أَعْمَاقِ الْغَايَةِ فِي لَيْلَةٍ لَمْ أَتَحْمَلِ التَّنْكِيرَ فِيهَا. كَانَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ الْقَاتِمَتَانِ تَبْعَثَانِ عَلَى الْقَلْقِ وَالذُّهُولِ وَتَحْمَلَانِ سِرًّا خَفِيًّا لَمْ يَشَأِ الْإِفْصَاحَ عَنْهُ. حَدَّثَتْ بِهِ مُضْطَرِبَةً وَمُرْتَبِكَةً. لَمْ يَشْعُرْنِي وَجُودُهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْارْتِيَاخِ، نَظَرًا لِلذَّعْرِ الَّذِي تَمَلَّكَنِي آنَذَاكَ. قَدْ

أجابني: «ممتازة»، ثم عادت لتركز في كتابها.  
تممت: «هذا جيد».

شعرت بالبرد الشديد أثناء الكلام. استطعت أن أشعر بالهواء الساخن يهب من شقوق الأرض وثقوبها، لكن الشعور بالبرد لازمني رغم ذلك. أخذت معطفي من على ظهر الكرسي ولبسته ثانية.

انتهت الحصّة الرابعة في وقت متأخر. حين وصلت، كانت طاولة الغداء التي أجلس إليها بصورة دائمة مليئة بالطلاب. كان مايك هناك، إضافة إلى جيسيكا، أنجيلا، كورنر، تيلر، إيريك ولورين. أما كاتي مارشال، الطالبة الأصغر وصاحبة الشعر الأحمر التي تسكن بالقرب من منزلي، فكانت جالسة مع إريك، فيما كان أوستن ماركس بجانبها وهو الأخ الأكبر لفتى الدراجات. تساءلت كم مضى من الوقت على جلوسهم هنا، ولم أستطع أن أتذكر ما إذا كان ذلك أول يوم يتجمعون فيه في ذلك المكان أم أنها عادة مألوفة.

بدأت أشعر بالانزعاج. كان يجب أن أحضّر معي أكياساً من الفول السوداني طيلة الفصل الأخير.

لم ينظر إليّ أحد عندما جلست قرب مايك، مع أن الكرسي أصدر صريراً عندما قمتُ بجذّه على الأرض.

حاولت أن أشاركهم الحديث.

كان مايك وكورنر يتحدثان في الرياضة، ولم أتدخل أبداً.

كانت لورين تسأل أنجيلا: «أين بين اليوم؟». شدّ السؤال انتباهي واهتمامي. تساءلت هل يعني ذلك أنّ أنجيلا وبين كانا لا يزالان على علاقة؟

لم أميز لورين إلا بصعوبة. فقد قصّت شعرها الأشقر الحريري، فصارت تشبه الشبان. يا لهذا العمل الغريب الذي قامت به! تمثّيت أن أعرفت السبب وراء ذلك. هل علقت في شعرها علكة مثلاً؟ أم أنّ جميع

يعود السبب في ذلك إلى أنني حين لم أكن أنظر إليه مباشرة، كان جسمه يبدأ بالارتعاش فيتغيّر مظهره في خيالي. إلا أنه لم يفعل شيئاً، بل بقي واقفاً يتفرّج. ثم إنه لم يعرض المساعدة، بخلاف ما حصل عندما تقابلنا في الواقع.

أثناء تناولنا طعام الفطور، كان تشارلي يحذّر بي فحاولت تجاهله. اعتقدت أنني أستحقّ ذلك. لم أستطع توقع أنه لن يقلق. لعل الأمر يتطلب بضعة أسابيع أخرى قبل أن يكفّ عن ترقّب عودة مصاص الدماء، وكان عليّ أن أحاول منع مصاص الدماء من مضايقتي. في النهاية، سأظل أنا أيضاً أترقّب عودته. مدّة يومين بالكاد تكفي لكي أتخلص من كلّ ما كان يرعبني.

أما في المدرسة فكان الوضع مختلفاً. فبعد أن ركزت انتباهي، أصبح من الواضح أنّ أحداً لم يعد يراني هناك.

تذكرت اليوم الأول الذي أتيت فيه إلى ثانوية فوركس. تذكرت كم تمثّيت وبتهور أن يتحول لوني إلى رمادي كالحرباء لأصير مثل لون الرصيف المبلّل بالمطر. بدا أن أمتيتي تحققت بعد مرور سنة.

بدا الأمر وكأنني لم أكن هناك. حتى أن الأساتذة كانوا يغضّون نظرهم عن مقعدي، كما لو أنه كان فارغاً.

طيلة الفترة الصباحية، كنت أسمع أصوات الناس من حولي. حاولت أن أعرف ما الذي كان يجري، لكنّ المحادثات كانت بمفككة غير مترابطة، ممّا دفعني إلى الاستسلام.

لم تلتفت جيسيكا إليّ عندما جلستُ بجانبها في حصّة الحساب. سألتها متظاهراً بعدم الاكتراث: «مرحباً جيسيكا. كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع؟».

حدّقت بي بعينين مغممتين بالشكوك. هل كانت لا تزال غاضبة؟ أم أنّها لم تكن قادرة على التعامل مع شخص مجنون؟



الأشخاص الذين تكررهم قد أمسكوا بها خلف النادي الرياضي فسلخوا فروة رأسها؟ قررت أخيراً أنه من غير العدل أن أصدر بحققها أحكاماً مسبقة في ذلك الوقت. يكفي أنها تحولت إلى شخص لطيف.

قالت أنجيلا بصوت هادئ وخفيض: «بين مريض في معدته. آمل أن يُشفى في غضون أربع وعشرين ساعة. كان مريضاً بالفعل الليلة الماضية».

كانت أنجيلا قد غيّرت تسريحة شعرها أيضاً. لقد كثفت طبقاته.

سألت جيسिका: «ماذا فعلتما أنتما الاثنان في عطلة نهاية الأسبوع؟». وبدت أنها غير آبهة بالإجابة. راهنت على أن سؤالها لم يكن سوى تمهيد يمكنها من سرد قصتها الخاصة. تساءلت هل سأحدثني عن بورت أنجلس بينما كنت جالسة بعيدة عنها بمقعدين؟ هل كنت غير مرتية فلم يُعجب أحد نفسه ويحدثني عندما كنت هناك؟

قالت أنجيلا: «كنا سنذهب في نزهة السبت الماضي، ولكننا... غيّرنا رأينا». لفتت انتباهي الحدة في صوتها.

لم ترخّب جيسिका كثيراً بما قائلته أنجيلا، فعلّقت: «هذا سيئ للغاية»، وكانت على وشك البدء بحكايتها. لكنني لم أكن الشخص الوحيد الذي كان مصغياً.

«ماذا حصل؟». سألت لورين بغضول.

فتابعت أنجيلا، وبدت متحيرة أكثر من أي وقت مضى، إلا أنها كانت دائماً متحفظة: «حسناً. قدنا السيارة باتجاه الشمال، نحو التايبيع الحارة. وجدنا مكاناً جيداً نتوقف فيه ويبعد مسافة ميل واحد. ولكن عندما كنا في نصف الطريق... رأينا شيئاً».

«رأيتما شيئاً؟ ماذا رأيتما؟». قطبت لورين حاجبيها الشقراوين.

حتى أن جيسिका بدت مصغية في تلك اللحظات.

أجاب أنجيلا: «لا أعرف. نعتقد أنه كان دياً. كان أسود اللون، لكنه كبير جداً بحسب ما تراءى لنا».

شهقت لورين: «يا إلهي! ليس أنت أيضاً!». نظرت إلينا نظرة استهزاء، فلم أشأ أن أعطيها فرصةً لشكّ بي. من الواضح أنّ شخصيتها لم تكن قد تغيرت بقدر ما تغيّر شعرها. ثم أضافت «في الأسبوع الفائت حاولت إقناعي بالخبر نفسه».

فقال جيسिका، مؤيدةً لورين: «يستحيل أن تصادفي ديةً بالقرب من المتّجّع».

نظرت أنجيلا إلى الأسفل واحتجّت قائلة: «لقد رأيناها حقاً».

ضحكت لورين ضحكة نصف مكبوتة. أما مايك فكان يواصل حديثه مع كورن، من دون أن يبتثّر إلى ما دار بين الفتيات من حديث. «كلا. إنها محققة»، أقحمت نفسي بعد أن نفذ صبري. «هناك شخص كان يتنزّه ورأى هو الآخر الدبّ يا أنجيلا. قال إنه دبّ ضخم وأسود وكان بمحاذاة المدينة، أليس كذلك يا مايك؟».

ساد الصمت للحظات. أدار الجميع أعينهم وحدّقوا بي مصدومين. وكانت الفتاة الجديدة كاتي فاتحةً فمها كما لو أنّ انفجاراً قد وقع قريباً. لم يكن أحد يتحرّك.

غمضت بخجل: «مايك؟ أتذكر ذلك الرجل وقصته مع الدب؟».

انتظر مايك لثانية ثم نانا: «طبعاً». لم أعرف لماذا كان ينظر إليّ بخراة. فقد كلّمته في العمل! ألم أكلّمه؟ بلى، كلّمته...

لكنّ مايك استدرك نفسه فأكد: «أجل، كان هناك رجل قال إنه رأى دياً ضخماً وأسود على قارعة الطريق. كان أضخم من الدب القطبي».

تهدّدت لورين واستدارت نحو جيسिका مصلبةً كتفها قبل أن تغيّر موضوع الحديث.

ثم سألت: «هل تلقّيت أخباراً من يو إس سي؟».

كان الجميع ينظرون إلى مكان آخر، فيما عدا مايك وأنجيلا.  
ابتسمت أنجيلا لي بتردد، فأجبتها فوراً بابتسامة مثي.  
سألني مايك بفضول ولكن باحتراس غريب «إذا، كيف أمضيت  
عطلة نهاية الأسبوع، بيلاً؟».

نظروا كلهم إليّ منتظرين لإجابتي، باستثناء لورين.

«ذهبتُ أنا وجيسيكا مساء الجمعة إلى السينما في بورت أنجلس.  
وبعد ذلك، قضيتُ عصر السبت ومعظم نهار الأحد في لا بوش».

صوّب الحضور أعينهم نحو جيسيكا ثم عادوا يحدّقون بي، بدتُ  
جيسيكا غاضبة. تساءلتُ ما إذا كانت ترفض أن يعرف أحد بأنها خرجت  
برفقتي، أم أنها أرادت أن تكون هي من يسرد القصة لهم.

سألَ مايك والابتسامة بدأت تظهر على وجهه: «ما هو الفيلم الذي  
شاهدتما؟».

«النهاية المميّنة، ذلك الفيلم عن مصاصي الدماء». ابتسمتُ  
بحماسة. ربّما كان من الممكن إصلاح ما كنتُ قد ألحقته من ضرر طيلة  
الأشهر المتصرمة.

«سمعتُ أنّه كان فيلماً مرعباً. هل اعتقدت ذلك؟». كان مايك  
توّاقاً لمتابعة الحديث.

أضافت جيسيكا بابتسامة خبيثة: «أرادت بيلاً أن أغادر في نهايته.  
كانت غريبة الأطوار».

أومأت برأسي محاولة أن أبدو مُحرجة: «كان فيلماً مخيفاً إلى حدّ  
ما».

لم يتوقف مايك عن توجيه الأسئلة إليّ حتى انتهاء الغداء. راح  
الآخرون يتبادلون الأحاديث نفسها مجدداً، ومع ذلك، استمروا في النظر  
إليّ كثيراً. تكلمتُ أنجيلا في الغالب مع مايك ومعني، وعندما نهضتُ  
لأفرغ صينيّتي من بقايا الطعام، لحقت بي فوراً.

قالت بصوتٍ خفيض بعد أن أصبحنا بعيدتين عن الطاولة: «شكراً  
لك».

«لماذا؟».

«لأنّكِ تحدّثتِ ودافعتِ عني».

«على الحب والسعة».

نظرتُ إليّ بقلق وخوف ولكن ليس بعدوانية. ربّما شعرتُ  
بالارتباك. وسألني: «هل أنت بخير؟».

لهذا السبب كنتُ قد ميّزتُ جيسيكا على أنجيلا حين رغبتُ في  
الخروج لمشاهدة الفيلم ليلاً مع آنتي كنتُ أحب أنجيلا أكثر. كانت  
أنجيلا قويّة الملاحظة ومدركةً لخفايا الأمور.

فاعترفتُ: «ليس تماماً، لكنني بحال أفضل بقليل».

قالت: «أنا مسرورة. لقد اشتقتُ إليك».

تمتّت لورين ومعها جيسيكا منتظرتين عودتنا، فسمعتُ لورين  
تهمس بصوت عالٍ «يا لسعادتنا! عادت بيلاً!».

نظرتُ أنجيلا إليهما ثم ابتسمت لي بلهفة.

تنهّدتُ. بدا الأمر وكأنني بدأت حياةً جديدة.

تساءلتُ فجأةً: «ما هو تاريخ اليوم؟».

«إنّه التاسع من كانون الثاني».

«حسناً!».

سألتُ أنجيلا: «ماذا يعني هذا التاريخ؟».

استغرقتُ في التفكير ثم قلتُ: «مضى على مجيبي إلى هنا عام  
واحد».

نظرتُ أنجيلا إلى لورين وجيسيكا وعمغمت: «لم يتغيّر شيء».

«فوافقتها قائلةً: «أعلم ذلك. لقد راودتني الفكرة نفسها».

مَرَّتْ الكلمات في رأسي بصمت كما لو كنت أقرأها بدل من أن  
أسمعها تُقال :

«وكانني لم أكن يوماً».

كنتُ أكذب على نفسي بتقسيم سبب مجيئي إلى هنا إلى جزأين:  
لم أكن أريد الإعتراف بالدافع الأقوى لأنه لم يكن مقبولاً منطقياً.  
الحقيقة هي أنني أردت سماع صوته مجدداً، تماماً كحالة الوهم الغريبة  
الذي عشتها ليل الجمعة. كنت أستطيع تذكره من دون ألم في تلك  
البرهة، حين أتى صوته من مكان ما في داخلي وليس من ذاكرتي  
الواعية، حين سمعت صوته ناعماً واضحاً بخلاف الصدى الشاحب التي  
تسببه عادةً ذكرياتي. لم يدم الشعور طويلاً؛ فقد تبعني الألم وكنتُ على  
يقين من أنه سيتبعني في هذه المهمة المخادعة. لكن تلك اللحظات  
الثمينة، سماع صوته مجدداً تشكل إغراء لا يقاوم. كان عليّ أن أبتكر  
أي شيء لإعادة التجربة... أو (المشهد) على الأصح.

كنتُ أتمنى أن يكون ذلك الشعور الذي سبق أن اختبرته هو مفتاح  
الحل. كنت متوجهة إلى منزله الذي لم تطأه قدمي منذ حفلة عيد  
مولدي المشؤومة، أي منذ أشهر طويلة.

كانت الغابة الكثيفة تنمو وتزحف ببطء لتمرّ بقرب نافذتي. بدأت  
السيارة تتموج أكثر فأكثر. فرحت أقود متوترة، بسرعة أكبر. كم مضى  
من الوقت وأنا أقود؟ ألم يحن بعد وقت وصولي إلى المنزل؟ كان  
العشب يغطي الممرات فلم تبدُ مألوفة. قلتُ في نفسي وأنا أرتجف:  
ماذا لو لم أجده؟ ماذا لو لم أجد أي دليل ملموس؟

ثم عثرتُ على فتحة بين الأشجار كنتُ أبحث عنها، لكنّها لم تكن  
واضحة مثلما كانت من قبل. لم تنتظر النباتات أحداً لتستعيد احتلال  
أرض تُركت بدون حراسة. فالخنشار الطويل تسلّل إلى المرح المحيط  
بالمنزّل، واحتشد ليحلّ مكان جذوع الأرز، وصولاً إلى الشرفة

## التكرار

لم أكن أعرف ماذا كنت أفعل هنا بحقّ الجحيم.

هل كنت أحاول تقمص تلك الجثة الهامدة الفاقدة للإحساس؟ هل  
تحولت إلى فتاة مازوشية وكبرّ بداخلي ميلٌ لتعذيب نفسي؟ كان عليّ  
التوجه مباشرةً إلى «لا بوش». شعرتُ بأمان أكثر إلى جانب جايكوب.  
لم يكن تصرفي هذا سليماً.

لكنني تابعت المسير ببطء عبر الممرات المكسوة بالعشب،  
المتوجة بين الأشجار التي شكلت فوق رأسي قوساً أخضر مُشعاً.  
كانت يداي ترتجفان فشددتُ قبضتي على المقود.

عرفتُ أن جزءاً مما أفعله كان سبب الكابوس؛ الآن بعد أن  
صحوت فعلاً بدأ الحلم المتلاشي يلتهم أعصابي، كما ينهش الكلب  
العظام.

كان عليّ البحث عن شيء ما. شيء يشوش التفكير، يستحيل  
الوصول إليه ويصعب التفكير به. لكنه كان هنا، في مكان ما. كان عليّ  
الإيمان بذلك.

أما الجزء الآخر فكان الشعور الغريب بالتكرار الذي انتابني في  
المدرسة اليوم. إنها مصادفة التواريخ. انتابني الشعور بأنني أبدأ حياة  
جديدة - بطريقة مشابهة ربما لليوم الذي كان سيكون يومي الأول لو  
كنت فعلاً الشخص الأكثر غربة في الكافيتيريا عصر ذلك اليوم.



الواسعة. كان المشهد أشبه بحديقة غمرتها الأمواج الخضراء الناعمة.

كان المنزل لا يزال قائماً في المكان نفسه إلا أنه بدا مختلفاً. ومع أن شيئاً لم يتغير في الخارج، إلا أن الفراغ كان يطل برأسه ويصرخ من النوافذ البيضاء. كان المشهد مخيفاً. بدا لي المنزل الجميل للمرة الأولى منذ رأيته، ملتقى مناسباً لمصاصي الدماء. قدمت بقوة على المكايح، ونظرت إلى البعيد. كنت مرعوبة من التقدم أكثر. ولكن لم يحدث شيء على الإطلاق. لم أسمع صدى أي فكرة في رأسي. فقفزت إلى الخارج، إلى بحر الخنشار، من دون إيقاف المحرك. ربما ستكرر ليلة الجمعة إذا تابعت المسير...

إقتربت ببطء من السطح القاحل، وسيّارتي لا تزال تزمجر خلفي وتواسيني بصوت محركها. توقفت عندما وصلت إلى درج الشرفة، لأنه لم يكن هناك أي أثر في ذلك المكان. ما من أثر لوجودهم. لوجوده هنا. كان المنزل لا يزال صامداً ولكن ذلك لم يعني الكثير. فحقيقة وجوده لا تنفي حالة العدم التي سببتها الكوابيس.

لم أفترّب أكثر. لم أكن أريد النظر من النوافذ. لم أكن أكيدة ما الذي ستكون رؤيته أصعب. إن كانت الغرف فارغة وصدى الفراغ يملأها من الأرضية إلى السقف، فسوف يكون ذلك مؤلماً بالتأكيد، تماماً كما في مراسم دفن جدتي حين أصرت أُمي على بقائي خارجاً لحظة الوداع وإلقاء النظرة الأخيرة. قالت إنني لست بحاجة لرؤية جدتي بهذا الوضع مخافة أن أذكرها لاحقاً على هذه الصورة فحسب بدلاً من استرجاع صورتها وهي على نيد الحياة.

ولكن ألن يكون أقل سوءاً من عدم إيجاد أي تغيير؟ من بقاء الأسرة كما رأيته في المرة الأخيرة، واللوحات معلقة على الجدران والبيانو على منصته المنخفضة؟ سأناهم لمعرفة أن أيّاً من الممتلكات المادية فشل في جعلهم يتعلقون بالمكان، وسيزيد شعور الألم لاختفاء ملامح

المنزل، أَلَمًا. لقد رحلوا وخلقوا وراءهم كل شيء فبات مهملاً متروكاً منسياً.

أدركت ظهري للفراغ الهائل وأسرعت إلى سيّارتي. كنت أركض تقريباً. ساورني قلق من أن أكون قد فقدت الأمل من العودة إلى عالم الإنسان. انتابني شعور بالفراغ المرعب، وأدركت رؤية جايكوب. ربما كنت أعيش حالة مَرَضِيَّة من نوع آخر، إدمان آخر، كبرود المشاعر الذي اعتراني من قبل. لم أبا لي. قدت شاحنتي بأسرع ما يمكن وكأنني أهرع إلى مخلصي.

كان جايكوب بانتظاري. عندما رأيته، اختلج صدري فصرت أتنفس بسهولة أكبر.

فناداني: «مرحباً بيلاً».

ابتسمت بارتياح وقلت: «مرحباً جايكوب» ولوّحت بيدي لبيلي الذي كان ينظر من النافذة.

فقال جايكوب بصوت منخفض يعتره الغضب: «هيا إلى العمل».

كنت بطريقة أو أخرى قادرة على الضحك. فتساءلت: «أخبرني بصراحة، ألم تنام مني بعد؟». يجب أن يكون قد بدأ يتساءل كم كنت بحسنة إلى رفيقه.

مشى جايكوب على الطريق المجاور لمنزله باتجاه مرأبه وقال: «لا، لم أسام منك بعد».

«أرجوك أن تخبرني حين تشعر بأنني بدأت أزعجك. لا أريد أن يحصل ذلك».

فأجاب: «حسنًا». ثم ضحك بصوت مبجوح وتابع: «حتى أنني لن أبقيك لحظة واحدة حيثن».

حين دخلت إلى المرأب صُدمت برؤية الدراجة الحمراء منوقفة بأناقة خلافاً لكومة المعادن المستنة.

تنفست الصعداء وقلت له: «جايك أنت رائع!».

ضحك مجدداً وهز كتفيه قائلاً: «أناء العمل على مشروع ما يصبح إنهاؤه هاجساً لدي». ثم تابع: «لو كان لدي بعض الذكاء لاستغرقت وقتاً أطول».

فسالته: «لماذا؟».

نظر إلى الأسفل مدة طويلة، فتساءلت إن كان سمع سؤالي.. وأخيراً، سألتني: «بيلاً، ماذا لو قلت لك إنني لن أستطيع إصلاح هذه الدراجات؟».

لم أجبه على الفور، وكان يسترق النظر لرؤية تعبير وجهي.

«كنت سأقول..». إنه لأمر مؤسف جداً ولكن يمكننا التفكير بشيء آخر نقوم به. وفي أسوأ الأحوال سيكون بوسعنا إنجاز واجباتنا المدرسية معاً».

ضحك جايكوب وتنفس الصعداء. جلس بالقرب من الدراجة والتقط مفك براغ. وقال: «أتظنن أنك ستستمرين في المعجىء بعد أن أنتهي من إصلاح الدراجات؟».

فضربت على رأسي وقلت له: «أهذا قصدك؟ أظن أنني أمتفيد من مهارتك الميكانيكية القليلة الكلفة. ولكن طالما متسمح لي بالمعجىء فسأتي».

فقال قاصداً استفزازي: «على أمل رؤية كويل مجدداً؟».

أجبت: «ها قد اكتشفت أمري».

فضحك ضحكة خافتة وسألني متعجباً: «أتحبين قضاء الوقت برفقتي؟».

«أحب ذلك وبشدة. وسأثبت لك. في الغد علي أن أعمل ولكن الأربعاء سنقوم معاً بنشاط غير ميكانيكي».

«مثل ماذا؟».

قلت له: «ليس لدي أدنى فكرة. يمكننا الذهاب إلى منزلي وهكذا لن يستحوذ عليك أي هاجس. يمكنك إحضار كتبك المدرسية- لا بد أنك تتراجع في الدراسة أعرف ذلك لأنني أراجع بدوري».

فقال جايكوب: «قد يكون إنجاز الواجبات المدرسية فكرة جيدة». بدت على وجهه تكمشة فتساءلت كم سيهمل عمله ليكون معي فحسب. وافقته: «نعم، يجب أن نتحمل بعض المسؤولية أحياناً وإلا لن يتساهل كل من بيلي وتشارلي بهذا الشأن». واشرت إلى ما نفعله معاً سراً فأعجبه ذلك وشغ وجهه فرحاً.

فاقترح علي: «نكرس يوماً في الأسبوع للواجبات المدرسية؟».

فأجبت: «ربما من الأفضل أن نجعلها يومين»، وكنت أفكر بكمية الواجبات الكبيرة التي ينبغي إنجازها اليوم.

أطلق تنهيدة خفيفة. ثم توجه نحو صندوق العدة وتناول كيس بقالة ورقياً. أخرج منه قنيتي صودا وفتح واحدة وأعطاني إياها ثم فتح الأخرى ورفعها إلى الأعلى بطريقة احتفالية، ثم قال: «نخب المسؤولية، مرتان في الأسبوع». فأكدت: «ونخب اللهو كل يوم أيضاً». فابتسم وطرق قنيتي بقنيتي.

عدت إلى المنزل لاحقاً كما كنت قد خططت، فوجدت تشارلي قد طلب بيتراً بدلاً من أن ينتظر عودتي. لم يسمح لي بالاعتذار.

طمأنني قائلاً: «لا أمانع، فأنت تحتاجين على أي حال إلى استراحة من عناء الطبخ». كنت أعلم أنه كان مرتاحاً لكوني لا أزال أنصرف كشخص طبيعي وأنه لن يهدم ما بنيت.

ألقيت نظرة على بريدي الإلكتروني قبل أن أبدأ واجباتي المدرسية، وكنت قد تلقيت رسالة طويلة من رينيه. فرحت لكل التفاصيل التي كنت قد زودتها بها، لذلك أرسلت لها وصفاً دقيقاً عما حصل معي في

النهار. أخبرتها بكل شيء إلا الدرجات النارية. حتى رتبته المتهورة  
ستشعر على الأرجح بالخوف إذا أخبرتها عن الدرجات.

كان الوضع في المدرسة نهار الخميس سيئاً تارةً وجيداً تارةً أخرى.  
بدا كلٌّ من مارك وأنجيلا مستعدين لاستقبالي بصدرٍ رحب- ليتفاوضا  
بحسن نية عن سلوكي الشاذ خلال الأشهر القليلة الماضية. أما جيسيكا  
فقاومت أكثر منهما. تساءلتُ إن كانت تريد اعتذاراً خطياً عن حادثة  
بورث أنجلس. كان مايك نشيطاً وكثير الكلام في العمل. بدا كأنه حزّن  
حديث فصلٍ كامل والآن قرر أن يقضض عمّا بداخله. كنت قادرة على  
الابتسام والضحك برفقته، مع أن ذلك تطلب مني بعض الجهد مقارنةً  
بحالتي عندما أكون برفقة جايكوب. لكن الفترة مرت بسلام حتى حان  
موعد الانتهاء من العمل.  
وضع مايك لوحة (مقفل) على النافذة بينما كنت أطوي صروتي  
وأخبتها تحت المقعد.

قال مايك فرحاً: «استمتعنا هذه الليلة، صحيح؟»  
وافقته الرأي ولكنني كنت لأستمع أكثر لو أمضيتُ فترة بعد الظهر  
في المرأب.

قال مايك: «كان مؤسفاً أن تضطري لتترك مشاهدة الفيلم باكراً  
الأسبوع الماضي». أربكتني أفكاره المتسلسلة، فهزّرتُ كفتي بلا مبالاة  
وقلتُ له: «أعتقد أنني لست إلا شخصاً ضعيفاً تنقصه الشجاعة».  
لكنه أوضح قائلاً: «أعني أنه ربما عليك مشاهدة فيلم أفضل  
تستمتع به».

فهممت وأنا لا أزال مرتبكة: «آوه». فتابع مايك: «يمكنك  
الذهاب برفقتي نهار الجمعة لمشاهدة فيلم غير مرعب على الإطلاق».  
عضضتُ شفتي.

لم أكن أريد أن تسوء علاقتي بـمايك، لأنه الشخص الوحيد تقريباً

الذي كان جاهزاً ليسامحني على جنوني. لكن ذلك بدا من جديد مألوفاً  
جداً. تأنّ العام المنصرم لم يمر أبداً. تمنيت أن أتذرع بجيسيكا هذه  
المرة.

سألته بصراحة: «أتقصد الخروج في موعد؟». أظنّ أنها كانت  
السياسة الأفضل في هذه المرحلة، أي الهجوم عليه.  
فواكب نبهة صروتي وقال: «إن أردت ذلك. ولكن ليس بالضرورة  
أن يكون هكذا».

أجبتُه ببطء مدركة مدى صحة ما أقول: «لا أواعد الشبان». بدا  
ذلك للعالم بأكمله بعيداً جداً عني.

فردّ: «أصدقاء فحسب». ولم تُعد عيناه الزرقاوان المشرقتان  
غاضبتين. تمنيتُ أن يؤمن بالفعل بأننا يمكن أن نكون أصدقاء. وقلتُ  
له: «سيكون ذلك ممتعاً. ولكن في الحقيقة لدي خططٌ مسبقة لنهار  
الجمعة، ربما نخرج في الأسبوع المقبل».

فسألني لا مبالاً بما يفوق التوقع: «ماذا لديك؟»  
أجبتُه: «عليّ إنجاز واجباتي المدرسية. لدي حصّة دراسية مع  
صديق لي».

«آوه... حسناً ربما في الأسبوع المقبل».  
وافقتني إلى سيارتي وقد بدا أقل سعادة. ذكرّني ذلك بالأشهر  
الأولى التي أمضيتها في مدينة فوركس. عدتُ إلى نقطة انطلاق، كنت  
أشبه بدائرة مكتملة وغدت الأحداث كلها كالصدى - الصدى الفارغ،  
المجرد من الأهمية التي كان يحتلها. في الليلة التالية، لم أرَ على وجه  
تشارلي أي إشارة تبين أنه تفاجأ لرؤيتي وجايكوب في غرفة الجلوس  
والكتب مبعثرة من حولنا، لذا ظننت أن يبلي وتشارلي كانا يخططان من  
دون علمنا.

قال تشارلي وعيناه تحدقان إلى المطبخ: «مرحباً أيها الأولاد».



كانت رائحة اللازانيا التي أمضيتُ طيلة فترة بعد الظهر في تحضيرها تحت عيني جايكوب المراقبة تملأ البهو، كنت أحاول أن أعوض عن كل فطائر البيتزا.

بقي جايكوب على العشاء، وأخذ معه صحناً لبيلي إلى المنزل. وأضاف على مفض سنة جديدة على عمري كوني طاهية جيدة.

قضينا نهار الجمعة في المrab ونهار السبت في العمل على إتمام الواجبات المدرسية بعد انتهاء فترة عملي في متجر نيوتن. شعر تشارلي بالأمان لصحتي العقلية فأمضى النهار يصطاد السمك مع هاري. عندما عاد، كنا قد انتهينا من إنجاز كافة الواجبات وشعرنا بأننا واعيَّين جداً وناضجين أيضاً. وكنا نشاهد «مونستر كارج» على شاشة «ديسكافوري تشانيل».

تهنّء جايكوب وقال: «عليّ الذهاب، أعتقد أن الوقت قد تأخر». دمدمت: «حسناً، سأفلك إلى المنزل». ضحك جايكوب لتعبيري غير المقصود، وبدأ أنه أعجبه.

قلتُ له ما إن أصبحنا آمنين في الشاحنة: «غداً، نعود إلى العمل. في أي ساعة تريدني أن آتي إليك؟». ابتسم ابتسامة اعترتها حماسة لم أجد لها تفسيراً ثم قال: «سأصلك أولاً، جيّد؟».

فأجبته: «بالأكيد». وعبست متسائلة ما الذي يحدث.

ابتسم ابتسامة عريضة.

نظّفت المنزل في الصباح التالي بانتظار أن يتصل جايكوب وحاولت التخلص من الكابوس الأخير. تغيّر المنظر العام. في الليلة الماضية تجولت في بحرٍ واسع من الخنشار مرصع بنبات الشوكران. لم يكن هناك شيء آخر، كنت تائهة، أهبم وحيدة بدون هدف، ولم أكن أبحث عن شيء. أردت أن أضرب نفسي حذاء قياسي برحلة المرج السخيفة في

الأسبوع الماضي. طردتُ الحلم من تفكيرِي على أمل أن ينحبس في مكان ما ولا يهرب مجدداً. كان تشارلي في الخارج يغسل سيارة الكروزر عندما رن الهاتف فرميت فرشاة الحمام ونزلتُ على الدرج بسرعة لأجيب. قلتُ وقد انقطع نفسي: «مرحباً».

قال جايكوب، بنغمة غريبة عن صوته المعتاد: «بيلاً».

فأجبت: «مرحباً جايك».

أجاب بنبرة مثقلة بالتساؤلات، «أظن أننا اتفقنا على الخروج معاً». احتججتُ إلى ثانية لكي أفهم قصده. «انتهيت من إصلاح الدراجات؟ لا أصدق ذلك». يا له من توقيت ممتاز. كنت بحاجة إلى ما يبعدني عن جو الكيريس والعدم. فأجاب جايكوب: «إنها تعمل وبحالة ممتازة».

قلتُ له: «جايكوب أنت بالتأكيد أروع شخص تعرفتُ عليه والأكثر موهبة على الإطلاق. أنت الآن كبرت عشر سنوات نتيجة ما قمت به».

رائع إذا أنا في منتصف عمري الآن».

ضحكتُ وقلتُ له: «أنا في طريقي إليك».

رميتُ أدوات التنظيف في الحمام وأخذتُ ستري.

فقال تشارلي حين ركضتُ بمحاذاته: «ذاهبة لرؤية جايكوب؟». لم يكن يوجه إليّ سؤالاً.

فأجبته بينما كنتُ أمتقل سيارتي: «نعم».

نادى تشارلي: «سأذهب إلى المركز لاحقاً». فصرختُ مجية: «حسناً». ثم أدتُ المحرك. قال تشارلي شيئاً آخر لم أسمعه سب ضجيج المحرك، ربما كان يقول: «أين هو الحريق؟».

أوقفتُ سيارتي إلى جانب منزل آل دلاك بالقرب من الأشجار ليسهل علينا إخراج الدراجات. عندما خرجتُ من الشاحنة، شدتُ انتباهي بقعة من الألوان. فقد رأيت دراجتين براقيتين، حمراء وسوداء

مختبئين تحت شجرة تتوب بحيث لا يمكن رؤيتهما من المنزل. كان جايكوب مستعداً.

عندما خرج من المنزل كنتُ أضحك. فقد ربط على كل مقود شريطاً أزرق اللون.

سألني بصوت منخفض وعينين مشغيتين: «مستعدّة؟».

ألقيت نظرة خاطفة فلم أَر ما يدل على وجود بيّلي. فأجبته «نعم» ولكن لم أعد متحمّسة مثلما كنت من قبل، في الواقع كنت أحاول تخيل نفسي أقود الدراجة النارية. وضع جايكوب الدراجتين في صندوق السيارة بروتية، ومدّهما على جانبيهما حتّى لا تظهران إلى العلن.

ثم قال بصوت أكثر حماسة من العادة: «هيا بنا. أعرف مكاناً ممتازاً لن يرانا فيه أحد».

خرجنا من المدينة وقدنا جنوباً. كانت الطريق الترابية تخرق الغابة بشكل متقطع، وفي بعض الأحيان لم نكن نرى سوى الأشجار. يتبعها فجأة مشهد يجبس الأنفاس للمحيط الهادئ، يمتد حتّى يلامس الأفق، بلونه الرماديّ الذي عكسته الغيوم. أصبحنا فرق الشاطئ على قمة المنحدرات الصخرية التي تحدّه. بدا أن ذلك المنظر سيدوم إلى الأبد.

فيما كنا نشق طريقنا صوب المنحدرات الصخرية، كنتُ أقود ببطء لكي أتمكن من التحديق من حولي من وقتٍ إلى آخر. كان جايكوب يتكلم عن الانتهاء من إصلاح الدراجتين، لكن عباراته كانت تقنية وفتية، فلم أكن مصغيّة له بشكل جيد.

ثم ما لبثتُ أن رأيت أربعة أشخاص يقفون على تلة صخرية تشبه الهاوية إلى حد بعيد. لم أستطع تقدير أعمارهم عن بُعد لكنني افترضت أنهم كانوا رجالاً. وبالرغم من الطقس البارد في ذلك اليوم، غير أنهم اكتفوا بلبس سراويل قصيرة فقط.

بينما كنتُ أنظر إليهم، تقدم الرجل الأطول نحو حافة المنحدر.

أبطأتُ السيارة بشكل لإراديّ، وكانت قدمي ترتجف مترددة فوق المكبح.

وما هي إلا ثوانٍ حتّى رمى نفسه.

صرختُ: «لا»، وضغطتُ قدمي بقوة على المكبح.

فصاح جايكوب مرعوباً: «ما خطبك؟».

«ذلك الرجل، قفز لثوّه عن الحافة! لمّ لم يوقفوه؟ علينا الاتصال بإسعاف!». فتحتُ الباب وهممتُ بالنزول من السيارة، لكن ذلك لم يكن له أي معنى لأن أقرب طريق إلى الهاتف كان يستوجب العودة إلى منزل بيّلي. لم أصدق ما كنتُ قد رأيته قبل لحظات. لعليّ تمنيتُ في اللاوعي أن أرى شيئاً مختلفاً فيما لو انتزعتُ الزجاج الأمامي للسيارة ونظرتُ مباشرة إلى الخارج.

فسحك جايكوب فالتفتُ نحوه بسرعة وحادثته بنظرة غاضبة. كيف استطاع أن يكون قاسي القلب وعديم الرحمة إلى هذا الحدّ؟

«إنهم يمارسون رياضة القفز في الماء. استجمام فحسب. فلا بوش تنفقر إلى المخازن الكبرى». كان يمازحني لكنّ صوته حمل إشارة غضب غريبة.

تأثرتُ بذهولي ما قال لي: «القفز في الماء؟». لم أصدق ما رأيته عياني حين قفز رجل ثانٍ عن المنحدر ثم طار برشاقة في الهواء. بدا لي وكأنّه قفز في بحر الأبدية قبل أن يغوص بهدوء في الأمواج الرمادية الداكنة.

«يا إلهي. المنحدر شاهق الارتفاع». عدتُ وجلستُ في مقعدي، من دون أن أشيخ بعينيّ المنبهرتين عن القافزين الآخرين: «أعتقد أن الارتفاع يبلغ مئة قدم».

«أجل، هذا صحيح لكن معظمنا يقفز من أماكن أقل ارتفاعاً. نقفز عن تلك الصخرة البارزة من المنحدر هناك»، أشار بإصبعه من خارج

الشباك. بدا ارتفاع المكان الذي أشار إليه معقولا. «هؤلاء الأشخاص مجانين. إنهم يتباهون بمشاكلتهم. أقصد أن البرد شديد جداً اليوم والمياه تكاد تتجمد». ظهرت على وجهه ملامح الاستياء كما لو أن عملهم الخطير كان موجهاً ضده شخصياً. وهذا ما فاجأني قليلاً. كنت أعتقد أن لا شيء يزعج جايكوب.

لم أنس كلمة «معظمنا»، فسألته: «أنت تمارس القفز أيضاً؟». هز كتفيه مبتسماً ابتسامة عريضة ثم أجاب: «طبعاً، أكيد. هواية مسلية مع أنها مخيفة بعض الشيء وفيها قليل من العنف».

التفت إلى الورااء لرؤية المنحدرات حيث كان الرجل الثالث يمشي بخطى موزونة على حافة الصخرة. لم أكن قد شهدت في حياتي مثل ذلك العمل الطائش. اتسعت عيناى فايتسمت. «جايكوب، عليك أن تعلمنى القفز في الماء».

عيس واستدار نحوي، وكانت تعابير وجهه تشير إلى عدم موافقته، فذكرني: «بيلاً، منذ قليل أردت أن نطلب الإسعاف لإنقاذ سام». تفاجأت لأنه عرف اسمَه مع أننا كنا بعيدين جداً عنه.

الحيثُ عليه: «أود أن أجرب»، ثم بدأت بالخروج من السيارة ثانية.

التقط جايكوب معصمي وقال: «ليس اليوم، مفهوم؟ هل يمكننا الانتظار ليوم أكثر دفئاً على الأقل؟».

وافقته: «حسناً، ما من مشكلة». حين فُتِح الباب، كان النسيم الجليدي يلفح ذراعي ويشعرنى بقشعريرة. «ولكنني أريد أن أجرب قريباً».

قلّب عيسه قائلاً: «قريباً. أنت أحياناً غريبة الأطوار، بيلاً. هل تعلمين ذلك؟».

تنهدت: «أجل».

«كما أننا لن نففز من على القمة».

كنت أشاهد، مفتونة، الرجل الثالث الذي ركض ثم رمى بنفسه في الهواء الطلق من أعلى ارتفاع. راح يتلولوب ويتلوى في الفضاء حتى هبط أخيراً في ما يشبه القطن في الهواء. بدا بالتأكيد حراً، متهوراً، وعديم المسؤولية بكل ما للكلمة من معنى.

وافقته على كلامه فقلتُ «حسناً. لن نففز هكذا في المرة الأولى على كل حال».

تنهد جايكوب في تلك اللحظات.

سألني: «هل سنجرب الدراجتين الآن أم ماذا؟».

أجبت: «نعم، نعم»، نزعْتُ نظري عن الشخص الرابع الذي كان ينتظر دوره على الصخرة. عدتُ ووضعتُ حزام الأمان ثم أغلقتُ الباب. كان المحرك لا يزال يعمل ويهدير بالرغم من تكاسله. قدنا السيارة مجدداً باتجاه الجنوب.

تساءلتُ: «من هم إذا هؤلاء الرجال المجانين؟».

أصدرتُ حنجرتي صوتاً مقرزاً: «عصابة لا بوش».

فسألته: «لديكم عصابة؟»، أدركتُ أنني تأثرتُ بما قاله.

ضحك لرد فعلي وأجاب بصوت مرتفع: «ليس الأمر هكذا. أنسم لك أنهم كالمرشدين في هذه المنطقة. فهم لا يفتعلون المشاكل، بل يسعون إلى السلام. يقال إن هناك ذلك الرجل الذي أرسله رجل آخر مخيف المظهر ويُدعى ماكا ريز؟ حكى أنه كان يبيع الكحول للأطفال، وهذا ما دفع سام أولي وزمرته إلى طرده خارج أرضنا. فالمسألة برمتها تتعلق بأرضنا وبمنظمة القبيلة... نأخذ الأمور منحنٍ سخيلاً بالفعل. وما زاد الطين بلة هو أن المجلس البلدي يصدقهم. فقد قال إمبيري إن المجلس يعقد اجتماعات مع سام». هز رأسه وكانت علامات الامتعاض



واضحاً على وجهه. «وسمع إمبري أيضاً من ليا كلبروتر أنهم يسور أنفسهم «الحُماة» أو شيئاً من هذا القبيل».

أطبق جايكوب قبضتي يديه، كما لو أنه أراد أن يضرب شيئاً. لم أكن قد رأيته في حياتي يتصرف بهذه الطريقة.

تفاجأت لسماعي اسم سام أولي. لم أكن أرغب أن أستعيد الصور من كابوسي، لذا أبيت ملاحظة سريعة كي ألهي نفسي: «أنت لا نحبه كثيراً».

فسألني بتهكم: «هل هذا ما يبدو؟».

«حسناً... لا أعتقد أنهم يقومون بأعمال سيئة». حاولت أن أهدئه وأجعله مبتهجاً من جديد. «مجرد أفراد عصابة متباهين بأنفسهم يثير الإزعاج».

«أجل. الإزعاج هي الكلمة الملائمة. فهم يتباهون دائماً بأعمالهم، كما يتباهون بالقفز في الماء. يتصرفون... لا أعرف... يتصرفون كالمشاكسين. ذات يوم من الفصل الماضي كنتُ قرب المخزن برفقة إمبري وكويل، فجاء سام مع مرافقيه غارد وبول. قال كويل شيئاً أثار غيظ بول. أصبحت عيناه قاتمتين وابتسم، أو بالأحرى كثر عن أسنانه لكنه لم يبتسم، وبدأ أنه كان غاضباً جداً ومزتعشاً أيضاً. لكن سام سرعان ما أوقف بول، واضعاً يده على صدره وأوماً برأسه. نظرَ إليه بول لدقيقة قبل أن يهدأ أخيراً. في الواقع، كان سام هو من صدّ بول الذي كان ليمزقنا لو لم يعمد سام إلى إيقافه. تأوه جايكوب ثم أكمل حديثه «الأمر أشبه بفيلم عن الحياة في غرب الولايات المتحدة. صار سام رجلاً تقريباً، فهو في العشرين من عمره، لكن بول لا يتجاوز السادسة عشرة كما أنه أقصر قامَةً وليس سميناً مثل كويل. أظن أن أي واحد منا كان ليتغلب عليه».

وافتته الرأي قائلة: «شاب مشاكسون». استطعتُ أن أتخيل المشهد

في رأسي حين كان يصفه لي، فذكرني... بثلاثة رجال، طويلي القامة، واقفين معاً بصمت مطبق في غرفة الجلوس داخل منزل والدي. كانت الصورة مشوشة لأن رأسي كان ملقئاً على الأريكة عندما انحني فوق الدكتور جيراندي وتشارلي... هل كانت تلك عصابة سام؟

تكلمتُ بسرعة لكي أنأى بنفسي عن الذكريات الكثيرة. «ألم يكن سام بعد على هذه التصرفات؟».

«بلى. كان يُفترض أن يذهب إلى المدرسة لكنه بقي في البيت. حتى أن أحداً لم يؤنبه على ما فعله، في حين غضب المجلس البلدي كثيراً عندما رفضت شقيقتي منحةً مدرسية وتزوجت. يا إلهي! أما سام أولي فمعصوم بنظرهم عن الخطأ».

ظهرت على وجهه علامات استياء غريبة، إضافةً إلى علامات أخرى لم أستطع تمييزها في البداية.

«يبدو أن كل شيء مزعج حقاً وغريب. ولكن لا أفهم لماذا تأخذ الأمور وكأنك المعنى شخصياً». نظرتُ خلسةً إلى وجهه متميةً ألا أكون قد جرحته. كان هادئاً على نحو مفاجئ ويحدّق من النافذة إلى الخارج.

قال بصوت خفيض: «انتبهي للمنعطف».

انعطفتُ في طريق دائرتي واسع جداً وكنتُ على وشك الاصطدام بشجرة حين اندفعت السيارة إلى خارج الشارع.

غمغمتُ فيما بدأتُ بالقيادة على الطريق الجانبية: «شكراً لأنك لفت انتباهي».

«أرجو المَعذرة، لم أكن متنبهة».

ساد الصمتُ لدقيقة واحدة.

قال بصوت ناعم: «يمكنك التوقف في أي مكان هنا».

ركنتُ السيارة وأوقفتُ هدير المحرك. طنت أذني جزاء السكون الذي خيم حينها. خرج كلانا من السيارة فتوجه جايكوب إلى الصندوق

مباشرة ليُحضّر الدراجتين. حاولتُ تفسير تعابيره. كان هناك شيء آخر يضايقه. بدأتُ أفقد أعصابي.

ابتسم بدون حماسة ودفع الدراجة الحمراء باتجاهي. «أتمنى لك عيد ميلاد سعيداً ولو متأخراً، هل أنت جاهزة؟».

«أظن ذلك». بدت الدراجة فجأة مخيفة ومرعبة حين أدركتُ أنني سأركبها قريباً.

تعهد لي: «ستقود ببطء». سندتُ الدراجة بحذر شديد على درولاب السيارة فيما ذهب جايكوب لإحضار دراجته.

«جايكوب...»، ناديتُ بنبرة مترددة عندما عاد من خلف السيارة.

«ماذا؟». نظرتُ إلى وجهه وسألته: «ما الذي يضايقك؟ هل هو موضوع سام؟ أم هناك شيء آخر؟». كثرَ لكنه لم يبدُ غاضباً. نظرَ إلى اثواب ثم قام برفس إطار عجلة دراجته بحذائه مراراً وتكراراً لكي يكتسب بعض الوقت.

تنهّد: «المسألة تتعلق بطريقة معاملتهم لي. هذا ما يثير غضبي». وبدأتُ كلماته تنهمر في تلك اللحظات. «كما تعلمين، من المفترض أن يتكون المجلس البلدي من المعتدلين، ولكن إذا كان هناك من زعيم فهو أبي. لم أستطع أبداً تفسير سبب معاملة الناس له بهذه الطريقة. لماذا رأيته هو الأكثر اعتماداً ربما لأنه ابن أبيه وجده. كان جدّي إفرايم بلاك رجلاً عظيماً، وكان الزعيم الأخير عندنا، ولهذا السبب ما زالوا يصغون إلى نصائح بيلي».

«ولكنني لستُ مميزاً عن أي شخص آخر. ما من أحد يعاملني معاملة خاصة لغاية الآن».

استخلصتُ من كلامه فكرة جديدة فسألته: «سام يُعاملك معاملة حسنة؟».

نظرَ إليّ بارتباك وأجابني: «أجل، فهو ينظر إليّ كما لو أنه ينتظر شيئاً... وكأنني سأنخرطُ في عصابته التافهة يوماً ما. لكنه يهتم بي أكثر من الأفراد الآخرين. أكره هذه الجماعة».

نقلتُ بصوت غاضب: «لستُ مُجبراً على الانتساب لأحد». هذا الموضوع أزعج جايكوب، ما أثار حنّقي أيضاً. مَنْ جعل هؤلاء «الحماة» يعتقدون بأنهم كذلك؟

«نعم». لم تتوقّف قدمه عن ضرب الإطار وإصدار الإيقاع نفسه.

«ماذا؟». أردتُ منه أن يتابع حديثه.

عبّس ورفّع حاجبيه بطريقة دلّت على حزنه وقلقه أكثر مما دلّت على غضب. «إنه إمبري. عمد مؤخراً إلى تجنّبي».

لم تبدُ الأفكار مترابطة، لكنني تساءلتُ ما إذا كان يجب أن يقع اللوم عليّ بسبب المشاكل مع رفيقه. فذكرته: «لقد خرجتُ برفقتي مرّات عدة». شعرتُ بالأنانية. لقد احتكرتُ جايكوب لمصلحتي.

«لا. ليس هذا ما قصدته. الأمر لا يتعلق بي فحسب، بل بكويل والجميع أيضاً. تغيّب إمبري عن المدرسة فترة أسبوع كامل، ولم تجده في البيت عندما حاولنا رؤيته. وحين عاد بدا... بدا غريب الأطوار. أصبح خائفاً. حاولتُ وكويل إقناعه بأن نخبرنا عن مشكلته بيد أنه لم يشأ أن يتكلم مع أحد منا».

حدثتُ بجايكوب وعضضتُ على شفتي بقلق. كان مرتعباً حقاً. لكنه لم ينظر إليّ. كن يرقب قدمه وهي تضرب المادة المطاطية كما لو أنها قدم شخص آخر. تسارعت وتيرة ضرباته.

قال بصوت خفيض ومتوتر: «خلال الأسبوع المتصرم، خرج إمبري مع سام وبقية أفراد العصابة. وقصدَ المنحدرات الصخرية اليوم».

وفي نهاية المطاف عاد ونظر إليّ. «بيلاً، إنهم يضايقونه أكثر مما يضايقوني أنا. لم يكن يريد أن يشاركهم في أي عمل. لكن إمبري يتبع

سام في كل مكان الآن كما لو أنه قد أتبع ديانة جديدة.

«وهذا ما حصل لبول. الطريقة نفسها تماماً. إذ لم تكن تربطه بسام صداقة على الإطلاق. بعدئذ، غاب عن المدرسة لبضعة أسابيع، وعندما رجع حضره سام فجأة. لا أعرف ماذا يعني ذلك. أعجز عن تفسيره، لكنني أشعر بالحاجة الماسة إلى فك اللغز لأن إمبيري صديقي... وسام ينظر إليّ بطريقة مضحكة... و...»، توقف مرتبكاً.

سأته: «هل كلمت بيلي بهذا الخصوص؟». بدأ الذعر الذي أحس به ينتقل إلي. شعرت بقشعريرة تسري في عني.

بانت على وجهه ملامح الغضب وهو يقول: «أجل كلمته. كان حديثنا نافعاً».

«ماذا قال لك؟».

بدأت تعابير جايكوب تهكمية، وعندما تكلم قلّد بصوته نبرة والده. «ليس هناك شيء تقلق بشأنه جايكوب. بعد سنوات قليلة، إن لم... حسناً سأشرح لاحقاً». ثم عادّ لصوته الطبيعي وقال: «ما الذي ساجنيه من ذلك؟ هل كان يحاول أن يقول بأنه علي أن أنتظر سن البلوغ والنضج؟ إنه موضوع مختلف. موضوع غير صحيح».

كان يعرض على شفته السفلى ويشد يديه. بدا وكأنه على وشك البكاء.

طوقته بذراعيّ بشكل يديهي الفهما حول خصره ثم أضغط بوجهي على صدره. كان صدره كبيراً جداً، فشعرت بأنني طفلة تعانق رجلاً راشداً.

وعدته «جايكوب! سيكون كل شيء بخير. إذا ساءت الأمور بوسعك أن تعيش معنا أنا وتشارلي. لا تخف، سنفكر في حل ما».

كان يتجعد، قبل أن يعانقني متردداً بذراعيه الطويلتين. قال بصوت أجش أكثر من العادة «شكراً بيلاً».

وقعنا بهذه الوضعية للحظات ولم يحزنني ذلك؛ في الواقع، شعرت بارتياح لذلك الاحتكاك. لم يكن ذلك الإحساس بشبه الذي انتابني عندما عانقني أحدهم بهذه الطريقة للمرة الأخيرة. كنت هذه صداقة ليس إلا، وكان جايكوب حنوناً جداً.

كان غريباً بالنسبة إليّ أن أتقرب هكذا من كائن بشري آخر، عاطفياً أكثر منه جسدياً، مع أن الناحية الجسدية كانت غريبة أيضاً. لم يكن ذلك أسلوب المعناد. لم أكن أتصل بالناس بسهولة وبهذه الطريقة.

لم أبن علاقات مع البشر العاديين.

«إذا بقي رد فعلك هكذا، فسوف أفقد أعصابي». كان صوته حينها لعليفاً وطبيعياً وكنْتُ أسمع ضحكه قرب أذني. لامست أصابعه شعري بنعومة ولوقت قصير.

كان ذلك ضمن إطار الصداقة بالنسبة إليّ.

ابتعدت عنه بسرعة ومازحته لكنني كنْتُ مصمّمة على إعادة الأمور إلى نصابها.

«يصعب تصديق أنني أكبر منك بستين»، قلتُ له مشددة على كلمة «أكبر». «أنت تجعلني أشعر بأنني مجرد قزم». عندما كنْتُ وقفة قريبة جداً منه، كان عليّ أن أرفع عني لأتمكن من رؤية وجهه.

«لا بد أنك نسيت أنني في الأربعين من عمري».

«أوه! هذا صحيح».

زيت على رأسي وقال: «أنت تشبهين الدمية الصغيرة. دمية من الخزف الصيني».

قلبتُ عينيّ وابتعدتُ خطوة إضافية: «لا تقل إن لون بشرتي باهت أيضاً».

«هل أنت متأكدة من أنك لست كذلك؟»، مدّ ذراعه الخمرية اللون ووضعها بجانب ذراعي لإجراء مقارنة. لم يكن الفارق سائراً. «لم أرَ



البثة شخصاً شاحباً أكثر منك... باستثناء...»، قطع حديثه فنظرتُ  
لِلناحية الأخرى محاولة عدم فهم ما كان على وشك أن يتفوه به.  
«إذاً.. هل سنركب الدراجتين أم ماذا؟».

وافقته الكلام بحماسة كنتُ قد افتقدتها منذ نصف دقيقة فأجيبته:  
«دعنا نقوم بذلك». ذكرْتُني جملة الناقصة بسبب تواجدي في ذلك  
المكان.

8

## الأدريينالين

«حسناً، أين القبضة؟».

أشرتُ إلى ذراع التشغيل على مقبض الدراجة الأيسر. كان من  
الخطأ عدم إمساك المقبض بإحكام. كانت الدراجة الثقيلة تتمايل تحتي  
مباشرة فتهددني بالوقوع على الأرض. أمسكتُ بالمقبض مجدداً محاولة  
الحفاظ على التوازن.

شكيتُ قائلةً: «جايكوب، الدراجة لا تستقيم».

فردعني: «استقيم عندما تتحركين. أريني المكبح الآن؟».

«إنه خلف قدمي اليسرى».

«أنتِ مخطئة».

أسكتُ بيدي اليمنى ولفُ أصابعي حول ذراع التشغيل.

«لكنك قلت...».

قال جايكوب: «ها هو المكبح الذي تحتاجينه. لا تستخدم  
المكبح الأسود الآن، إنما في وقت لاحق بعد أن تتعلمي كيفية التصرف  
مع الدراجات».

علقتُ بارتياح: «هذا لا يبدو صحيحاً. ليس لكل من المكبحين  
أهمية معينة؟».

«إنسي المكبح الأسود، مفهوم؟ استعملي هذا فحسب». لفَّ يده

حول يدي وجعلني أكبس على ذراع التشغيل. هكذا تستعملين المكبح.  
لا تنسي ذلك». عصر يدي مرة أخرى.

وافقه وقلت: «حسناً».

سألني: «أين الصمام؟».

أشرت إلى القبة اليمنى.

«أين الدواسة؟».

وكزتها ببريلة ساقى اليسرى.

«ممتاز. اعتقد أنك تعرفت على القطع كلها. وما عليك الآن سوى البدء بالقيادة».

غمغمت: «آه!». خفت أن أتلفظ بكلمة إضافية واجدة. كانت معدتي تنقبض بغرابة وظننت أنني قد أفقد صوتي. كنت أبحث عن شيء حاولت إقناع نفسي بأن الخوف كان أمراً نافعاً. كنت قد عشت أشياء يمكن من الأحداث. فمقارنةً بتلك الأحداث، لتأذي شيء بخيفني الآن؟ كان يجب أن أضحك حين أرى الموت في وجه الناس. لكن معدتي لم تتقبل تلك الأفكار.

حدثت بالطريق الطويلة الممتدة التي تحدها المساحات الضبابية الخضراء من كل جانب. كانت طريقاً رملية ورطبة وهي أفضل من أن تكون موحلة.

ثم أمرني: «أريد منك أن تمسكي القابض جيداً».

لففت أصابعي حول القابض.

قال بنية تأكيد: «هذه الخطوة مهمة جداً، بيلّا. لا تهمل ذلك مفهوم؟ أريدك أن تفترضني بأنني أعطيتك قبلة يدوية. قبلة منزوعة الصاعق وأنت تمسكينها كي لا تقع وتنفجر».

اعتصرت المقبض بكل قوتي.

«جيد. هل تعتقدين بأنك تستطيعين تشغيلها؟».

أجبت بجرأة فيما كانت أصابعي تشدّ على القنبلة اليدوية: «إذا حركت رجلي سأقع فوراً».

«حسناً. سأقوم بذلك بنفسي. لا تركي القابض».

تراجعت خطوة إلى الخلف ثم ضربت الدواسة فجأة وبعنف. صدرت ضجة للحظات قصيرة قبل أن تتراجع الدراجة بفعل ضربه القوية. بدأت أسقط على الجانب لكن جايكوب أمسك بالدراجة قبل أن تطرحني أرضاً.

شعبي: «تماسكي جيداً، هل ما زلت تمسكين بالقابض؟».

لهنت قائلة: «أجل».

«تبتي قدميك، سأحاول ثانية». وضع يده على مؤخرة المقعد، حفظاً للسلامة فحسب.

تطلبت الدراجة أربع ضربات إضافية لتشغيلها. شعرت بزمجرة الدراجة تحتي تماماً كحيوان غاضب. أمسكت القابض بإحكام حتى بدأت أصابعي تؤلمي.

فتح جايكوب: «جربي الدواسة ولكن برفق. ولا ترفعي أصابعك من الخلف».

بثلث المسكة اليمنى بتردد. ومع أن الحركة التي قمّت بها كانت خفيفة، إلا أن الدراجة زمجت تحتي. بدت غاضبة وجائعة في تلك الأثناء. ابتسم جايكوب دلالة على ارتياحه العميق.

سألني: «أتذكرين كيف تضعين الغيار الأول؟».

«أجل».

«حسناً، قومي بذلك إذا».

«حاضر».

انتظر لثوانٍ معدودة.

حقني قائلاً: «بقديك اليسرى».

فقلت له: «أعرف ذلك»، ثم أخذت نفساً عميقاً.

سألني جايكوب: «هل أنت متأكدة من أنك تريدين القيام بذلك؟  
تبدين خائفة».

«أنا بخير». ضغطتُ على مقبض تغيير السرعة بضربة خفيفة.

أنتى على عملي وقال لي «جيد جداً». والآن ارفعي قدميك عن  
الدواسة ولكن على مهلك».

ابتعد خطوة واحدة عن الدراجة.

سألتُ غير مصدقة: «تريدين أن ألبث القنبلة؟». لا عجب في أنه

ترجع إلى الخلف.

«هكذا تنطلقين يا بيلا. جربي ذلك رويداً رويداً».

حين بدأتُ تحرير قضيي، خدمتُ بصوتٍ وصعبي لم يكن

صوت الشاب الواقف بجانبني.

ثار الصوت المخملي: «إنه تعرف طائش وصبياني وأحمق، بيلا».

شهقتُ ثم انهارت قبضة يدي عن الدواسة.

وثبتت الدراجة ودفعتنني إلى الأمام ثم ارتطمت بالأرض ووقعت  
فوقي. تعطل المحرك فتوقف هديره.

رفع جايكوب الدراجة الثقيلة عني بعناية وقال: «بيلا؟ هل  
أصب؟».

لكنني لم أكن أسمع.

همس الصوت الناعم بنبرة واضحة: «لقد قلت لك ذلك!».

هزّ جايكوب كتفي وصرخ: «بيلا؟».

تمنّيتُ بلهول: «أنا بخير».

كنتُ على أحسن ما يرام. فقد عاد الصوت إلى رأسي وكان لا يزال

يطنّ في أذني، بنعومة وصدى مخملي.

فكرتُ سريعاً بالاحتمالات المطروحة. ما من شيء سبق ورأيتُه

هنا، وما من شيء كان مألوفاً، على طريق لم أره في حياتي حيث كنتُ

أقوم بعمل لم أقم به من قبل. لذلك كان يجب أن تثار الهلوسات

هنا... شعرتُ بالأدريثالين يسري في عروقي مجدداً فظننتُ أنني حصلتُ

على الإجابة. كان مزيجاً من الأدريثالين والخطر أو بعض الحماسة ربما

كان جايكوب يساعدي على الوقوف.

سأل: «هل صدمتِ رأسك؟».

فأجبتُ: «لا أعتقد ذلك». حركته إلى الورا وإلى الأمام كي أتأكد.

«لم تتأذى الدراجة، اليس كذلك؟». تلك الفكرة أثارت قلقي. شعرتُ

بتلفظ لإعادة التجربة وفي الحال. فالتهور أعطى نتيجة أحسن ممّا

حسبت. حاولتُ نسيان الخداع. على الأرجح أنني وجدت طريقة تولد

الهلوسات، وهذا ما يهمّ.

فأصغى جايكوب تأملاتي قائلاً: «لا. لقد أوقفتِ المحرك فحسب.

ضغيتِ على الدواسة بسرعة زائدة».

أومأتُ برأسي: «دعنا نعيد الكرة».

سأل جايكوب: «هل أنت متأكدة؟».

«طبعاً».

في المرة الثانية حاولتُ أن أشغل لدراجة بنفسني. كانت المسألة

معقدة؛ كان عليّ أن أفقّر قليلاً لأضرب الدواسة بالقوة المطلوبة، وفي

كل مرة فعلتُ فيها ذلك، كانت الدرجة توقعني على الأرض. أما

جايكوب فوضع يديه فوق المقود في حالة استعداد ليمسكني إذا

احتجته.

تطلّبتُ الأمر محاولات ناجحة عديدة، وأخرى فاشلة أيضاً قبل أن



أفلح في تشغيل المحرك وسماع هديره. تذكرت أن أحكم القبضة على القبلة ثم جريت الضغط على الدواسة فزمتجر المحرك من لمسة خفيفة. انعكست ابتسامتي على جايكوب فابتسم هو الآخر.  
ذكرني: «لا تضغطني على الدواسة بقوة».

عاد الصوت الآخر وكلمني بشيرة حادة: «أتريدين قتل نفسك؟ هل هذا ما تؤذين فعله؟».

ابتسمت متجاهلة الأسئلة بينما كان المحرك لا يزال مشغلاً. لم يكن جايكوب يسمح بأن أتعرض لأي خطر.

أمرني الصوت: «عودي إلى البيت، إلى أبيك». أذهلني جمالي الحارق. لم أستطع أن أدع ذاكرتي تتساء. مهما كان الشر وجهني جايكوب قائلاً: «خفني السرعة، على مهل».  
فقلت: «سأفعل». انزعجت بعض الشيء عندما انتهت أنني كنت أجبب الصوتين معاً.

كنت أسمع هدير الصوت في رأسي مقابل هدير سرعة. حاولت أن أركز جيداً في تلك المرة كي لا يروني الصوت ثانية، فأرغبت يدي قليلاً. فجأة، توقفت المحرك وفغمني بقوة إلى الأمام. كنت أظير.

هت ربح لم يشهدا المكان من قبل. فلفحت بشرتي وفتح في مجمعتي وطرحت شعري إلى الوراء بقوة وكان أحداً كان يدفع بها نحوي. شعرت بأن معدتي قد عادت إلى نقطة البداية، فاندفع الأدرينالين في جسمي وأحسست به في شراييني. بدت الأشجار وكأنها كانت تسابقتي، مشكلة جداراً أخضر غير واضح المعالم.

لكن ذلك كله كان عند الغيار الأول فحسب. ضغطت قدمي على الدواسة طلباً لمزيد من السرعة.

أمرني الصوت العذب الجميل والغاصب: «لا يا بيلاً! انتهي لما تنومين به!».

لم أكن منتبهة إلى السرعة التي أقود بها إلى أن أدركت أن الطريق أمامي بدأ ينطفئ شيئاً فشيئاً، فيما كنت لا أزال أقود باتجاه مستقيم. لم يكن جايكوب قد علمني كيفية الإنعطاف.

غمغمت: «المكابح، أين المكابح!». ثم ضغطت على المكبح بديهاً بقدمي اليمنى، كما كنت أفعل حين أوقف السيارة.

فجأة بدت الدراجة غير ثابتة تحتي، فراحت تتأرجح يميناً وشمالاً. كانت تدفعني نحو الجدار الأخضر بسرعة فائقة. حاولت تحويل المقود إلى جهة أخرى إلا أن تصرفي المفاجئ دفع الدراجة نحو الأرض فبقت تغزل متجهة نحو الأشجار.

وقعت الدراجة على جسمي مجدداً، وكان محركها لا يزال يصدر هديره، فطرحتي على الرمال المبللة حتى اصطدمت بشيء ثابت. لم أستطع أن أرى. كان وجهي مكسوراً بالطحالب. حاولت أن أرفع رأسي كي أرى لكنني كنت ما اعترض بصري.

كان ذلك مشوشاً ومبشياً للدوار. كانت هناك ثلاثة عوامل متشابكة - الدراجة فوقتي، الصوت في رأسي وشيء آخر لم أستطع تحديده... .

صاح جايكوب: «بيلاً!»، ثم سمعت صوت الدراجة الأخرى عندما أطفئ محركها.

كنت عالقة بين الأرض والدراجة فاستدرت لأتمكن من التنفس. توقفت الأصوات كلها عن الزمجرة.

تذمرت وكنت مرعوبة. كان ذلك مزيجاً من الهذيان والأدرينالين إضافة إلى الخطر والحماقة.

جثم جايكوب أمامي قليلاً وقال: «بيلاً! بيلاً، هل أنت حية؟».

بعيد عندما توجه إلى السيارة. رمى الدراجة على المقعد الخلفي ثم أسرع إلى مقعده.

في الحقيقة، لم أكن مستاءة على الإطلاق عندما حمل جايكوب محرك الشاحنة أكثر من طاقته ليعود إلي على عجل. أَلَمَني رأسي قليلاً، وكنت أعاني من اضطراب في معدتي لكن الجرح لم يكن خطيراً. كانت الجروح في رأسي تنزف أكثر من المعتاد.

لم يكن استعجاله ضرورياً.

ترك جايكوب المحرك مشغلاً وهرع إلي فوراً ليلف ذراعه مجدداً حول خصري.

«لا بأس. سأحملك إلى السيارة.»

أكدت له فيما كان يحاول مساعدتي ثانية: «صديقاً أنا بخير، لا تُزعج نفسك. قليل من الدم فحسب.»

سمعته يغمغم فيما كان عائداً إلى دراجته: «بل كثير من الدم!»

بدأت بالكلام أثناء عودته: «دعنا نفكر بذلك قليلاً. إذا نقلتني إلى مستشفى، فمن المؤكد أن تشارلي سيعلم بالموضوع.»

«بيلاً، أعتقد أنك بحاجة إلى تقطيب جرحك. لن أدعك تنزفين حتى تحترق.»

تعمدت له «لن أموت. هيا لنعُد الدراجتين أولاً ثم نمرّ بالمنزّل لنعيد الشبهات قبل التوجه إلى المستشفى.»

«ماذا عن تشارلي؟»

«قال إن لديه عملاً اليوم.»

«هل أنت متأكدة؟»

«ثق بي. نزيبي لا يُبْنى بالخطر. فهو ليس قطعاً كما يبدو.»

لم يكن جايكوب سعيداً، فتحوّلت ابتسامته العريضة إلى عبوس غير معهود، لكنه لم يشأ أن يقلقني. نظرت من الشباك إلى الخارج،

فأجبت بحماسة: «أنا في حالة ممتازة!». لويت ذراعي وساقَي. بدت كل أعضاء جسمي سليمة. ثم قلت لجايكوب: «لنحاول مرة أخرى.»

كان جايكوب لا يزال قلقاً فقال: «لا أظن ذلك. أعتقد أنه من الأفضل أن أتركك إلى المستشفى أولاً.»

«أنا بخير.»

لكنه أوضح: «بيلاً! تلقيت ضربة هائلة على رأبك وأنت الآن تنزف!»

وضعتُ يدي على رأسي فكان مبللاً وديقاً. لم أستطع أن أستمسوى رائحة الطحالب الرطبة على وجهي، ما سبّب لي الغثيان.

«أوه، أنا أسفة جايكوب». ضغطت بقوة على الجرح البليغ في محاولة مني لإعادة الدم إلى داخل رأسي.

تساءل: «لماذا تبتدئين؟ لأنك تنزفين؟» ثم لف ذراعه حول خصري وساعدني على الوقوف. أخذ المفاتيح بيده وقال: «هيا - سأقود أنا.»

سأله: «ماذا عن الدراجتين؟»

فكر للحظة ثم قال: «انتظري ههنا. وخذني هذه». خلّع قميصه الملطّخ بالدماء ورماه لي. التفتُّه ولفيته حول جيني. بدأت أشم رائحة الدم! تنفستُ بعمق من فمي وحاولت التركيز على شيء آخر.

ركب جايكوب الدراجة السوداء وأدار المحرك من المحاولة الأولى ثم انطلق بسرعة مخلّفاً غيوماً من الرمال والحصى. بدا رياضياً محترفاً أثناء انحنائه على المقود، رأسه منخفض، وجهه إلى الأمام، وشعره اللامع متدل على بشرته الخمرية اللون. ضاقت عيناَي حسداً، كنت متأكدة أنني لم أبدُ على دراجتي مثلما بدا جايكوب.

تفاجأت حين ابتعدت كثيراً. فبالكاد استطعت رؤية جايكوب من

حاملةً قميصه على رأسي بينما هو يقود باتجاه فوركي

كانت الدراجة أفضل مما حملت إذ خدمت الهدف الأصلي الذي جلبتها لأجله. فقد كنتُ مخادعةً ونكتُ بالعهد. كنتُ طائشةً على نحوٍ غير ضروري. شعرتُ بأنني أقل إثارةً للشفقة بعد أن تمَّ الإخلال بالعهد من كلا الطرفين.

وبعد أن اكتشفت مفتاح الهلومات! أو ما أمل أني كنت فعلته على الأقل. كنتُ سأختبر تلك الفكرة في أقرب وقت ممكن. لعل مسألة التقطيل لن تستغرق طويلاً في المستشفى فأتتمكن من المحاولة مجدداً هذه الليلة.

القادة على الطريق بسرعة فائقة بدت أمراً رائعاً. فالهواء الذي كان يصفق وجهي والسرعة والحرية. . . ذكرتني كلها بحياة سابقة أظير فيها فوق الغابة الكثيفة فيما يحملني هو على ظهره ثناءً عذوباً. . . توقفت تفكيرتي هنا كي أدع ذاكرتي تصحو من تلك السكرة المفاجئة. ثم جفلتُ.

سألني جايكوب: «أما زلت بخير؟»

«أجل»، حاولتُ أن أفتنه في إجابتي كما في السابق.

أضاف: «على فكرة، سأفكك مكبح دراجتك الليلة».

في البيت، نظرتُ إلى نفسي في المرأة فكان منظرٌ شنيعاً. كانت خطوط الدم تجف على خدي ورقبتي وشعري الموحل. فحصتُ نفسي طبيّاً، متظاهراً بأنَّ الدماء لم تكن سوى مستحضرات تجميلية أو مجرد صباغٍ وبذلك أتجنب اضطراب معدتي. تنفستُ عبر لمي وصرتُ بخير.

غسلتُ وجهي ويدي على قدر ما استطعت. ثم وضعتُ ثيابي الوسخة والملطخة بالدم في سلة الغسيل، وبدقة متناهية لبستُ بظلالاً جديدةً وقميص مزروراً (كي لا أخلعه عبر رأسي). عمدتُ إلى لبس القفلعتين بيد واحدة حتى لا تشخا بالدماء.

نادى جايكوب: «أمرعي».

فصرختُ: «حسناً، حسناً». وبعد أن تأكدتُ من أنني لم أتروك أثراً دليلاً خلفي، توجهتُ راسماً إلى الطابق السفلي.

سألته: «كيف أبدو؟»

«بحال أفضل».

«ولكن هل أبدو وكأنني تعثرتُ في الكاراج وصدمتُ رأسي»

منظرة ٢٢

«بالطبع، أظن ذلك».

«هيا بنا إذا».

أخرجني جايكوب من البيت ثم أصرَّ على أن يقود بنفسه مجدداً. كنا قد اجتزنا نصف المسافة على الطريق المؤدي إلى المستشفى عندما انتهتُ إلى أنه كان لا يزال بدون ستر.

عسَّتُ وقد شعرت بالذنب: «كان يجب أن نحضر لك ستر».

فأجاب: «ذلك ميفشي سرنا. كما أنَّ الطقس ليس بارداً».

«هل تمازجني؟». ارتجفتُ من البرد فشلتُ المكيف.

راقبتُ جايكوب لأرى إن كان يلعب دور العنيد فحسب كي لا أفلتُ، لكنه بدا متراحاً جداً. كان يمدُّ ذراعه على ظهر مقعدي، ومع ذلك تكوَّرتُ وحضنتُ نفسي لأبقي دافئة.

بدا جايكوب وكأنَّ عمره تجاوز السادسة عشرة. لم يكن في الأربعين بالضبط لكن ربما أكبر مني. لم يكن كويل يشبهه لناحية تقسيمه عضلاته وكويل كان أشبه ببيكل عظمي. كانت عضلات جايكوب طويلة ومفتولة لكنها كانت بارزة تحت بشرته الناعمة والجميلة اللون، ممَّا أثار غييري.

لاحظتُ جايكوب نظراتي إليه.



سألني فجأة: «ماذا هناك؟»

«لا شيء». لم أكن متبهة من قبل. هل تعلم أنك تبدو وسيماً؟

وما إن انزلت تلك الكلمات من فمي حتى خشيت أن يسيء فهمي المتدفقة.

لكن جايكوب رفع حاجبيه فحسب وقال: «لا بد أنك ضربت رأسك بقوة ليس كذلك؟»

«أنا جادة».

«حسناً، شكراً على أي حال».

افترى ثغري عن ابتسامة عريضة: «على الرحب والسعة».

سبع قطب كانت كافية لإغلاق الجرح على جيبني. وبعد أن غرقت

إبرة المخدر، لم أشعر بأي ألم طيلة عملية التقليل. أمسك جايكوب

بيدي بينما كان الطبيب «منو» يقطب جيبتي، فحاولت ألا أفكر بشيء.

القدر.

طال مكوثنا في المستشفى. وبعد أن انتهينا كان عليّ أن

جايكوب إلى منزله ثم أعود بسرعة لأحضّر الطعام لشارلي. لهذا تشارلي

وكانه صدق قصة تعثري في مرآب جايكوب. ففي النهاية كنت زائرة

منتظمة للمستشفى ولم أكن أعتمد في ذلك على أحد سوى نفسي.

لم تكن تلك الليلة سيئة جداً كالليلة التي سبقتها، بعد سماعي

الصوت الناعم في بورت ألمس. عدت الحفرة نشق صدري. قد بي

كل مرة أكون فيها بعيدة عن جايكوب، لكنّها لم تؤلمني كثيراً. كنت قد

تحدّثت لذلك، متطلّعة إلى مزيد من الأوهام التي كانت تلهيني. كما

أنني كنت أعلم بأنني سأشعر بتحسن في اليوم التالي حين التقى جايكوب

مرة أخرى. وهذا ما سهّل تحمّل الحفرة الفارغة والألم المعتاد، وبدا

الفرج قريباً. حتى أن الكابوس فقد قليلاً من فاعليته. كنت مرعوبة من

العدم، كما جرّت العادة، لكنني كنت شديدة الترق عندما انتظرت اللحظة

التي سيدفعني فيها الصراخ إلى الاستيقاظ. كنت على يقين أن الكابوس

سيتهي.

يوم الأربعاء التالي، وقبل أن أعود إلى البيت من المستشفى، أقص

الطبيب جيراندي لابنه أبي من أنني قد أتعرض للصدمة فنصحني بأن

يوقظني ليلاً كل ساعتين ليتأكد من أنني على ما يرام. ضاقت عينا تشارلي

بصورة مرئية بعد أن شرحت له بركافة سبب تعثري ثانية.

اقترح عليّ في تلك الليلة أثناء تناولنا طعام العشاء: «ربما ينبغي أن

تبقى بعيدة عن ذلك المرآب، بيلاً».

خفت وخشيت أن يصدر تشارلي أمراً بمنعني من الذهاب إلى

لا بوش وبالتالي إلى الكاراج. لكنني لم أستسلم لتلك الفكرة، فقد

عشت يومها أروع هلوسة على الإطلاق. صرّ الصوت المخملي الناعم

في أذني لمدة خمس دقائق تقريباً قبل أن أضغط على المكبح فجأة

وأندفع لأصلّح بالشجرة. سأتحلّل أي ألم في تلك الليلة ومن دون

تحدّث.

أخبرت آ: «لم يحصل ذلك داخل المرآب. كنتا نتنزّه وتعثر

على شجرة».

فسألني تشارلي بعد أن شك بالامر: «منذ متى تنزّهين؟»

وضحت له: «لا بد أن تواجهني في متجر عائلة نيوتن يؤمّر بي

أحياناً. فتمضية أيام طويلة في بيع أدوات التخيم في الطبيعة الخلابة يثير

الفصول».

حسّ تشارلي بي غير متفتح

تعهّدت له فيما كنت أشبك أصابعي خلسة تحت الطاولة:

«سأؤخّ الحذر في المرة المقبلة».

«لا أمانع لو تنزّهت في محيط لا بوش ولكن إبقى قريبة من

المدنية، مفهوم؟»

«حسناً، لقد وصلنا مؤخراً شكاوى كثيرة عن وجود حيوانات برية هناك. سيقوم فرع المختصين بالأحراج بتفقد المكان، ولكن الآن...»  
قاطعه إذ فهمت فجأة ما قصده فقلت: «أوه، إنه الدب الضخم، لقد رأيته بعض المنزليين. هل تعتقد أن هناك فعلاً دباً ضخماً في المنطقة؟»

فقط جيبه. «هناك شيء ما. إبقى قريبة من المدينة، مفهوم؟»

أجبت بسرعة: «طبعاً، طبعاً». لم يبدُ بمزاج طيب.

عندما أخذت جايكوب بعد المدرسة نهار الجمعة، شكوت له قائلة: «أصبح تشارلي فضولياً».

«ربما علينا التخفيف من ركوب الدراجات». نظر إلى تعابير وجهي المعترضة ثم أضاف: «على الأقل لأسبوع واحد. يمكنك البقاء خارج المستشفى لبعة أيام، صحيح؟»

«ما الذي سنفعله؟»

ابتسم مرحاً وأجاب: «أي شيء تريدينه».

فكرت لدقيقة، بأي شيء أريده.

كرهت فكرة أن أخسر حتى الثواني التي راودتني فيها ذكريات لا تجرحني. تلك الذكريات التي تأتي من لقاء نفسها من غير أن أفكر بها عمداً. لأن لم أستطع ركوب الدراجة. سأبحث عن وسيلة أخرى فيها خطر وأدريتاين وهذا ما تطلب تفكيراً جدياً وإبداعاً ذاتياً. لم تروق لي فكرة ألا أفعل شيئاً في تلك الأثناء. لم أرغب في أن يعاودني الشعور بالكآبة، حتى مع جايكوب. كان عليّ أن أبقى مشغولة.

ربما كانت هناك وسيلة أخرى، طريقة أخرى... مكان آخر.

المكوث في المنزل كان خطأ بلا شك، لكن وجود جايكوب كان

ضرورياً في مكان ما. في مكان ما ولكن ليس بداخلي. كان يجب أن يتواجد في مكان يبدو فيه حقيقياً وواقعياً أكثر مما يبدو حين يكون بين كل تلك المعالم المألوفة التي كانت تعج بذكريات عن أناس آخرين.

استطعت التفكير بمكان واحد حيث قد يتحقق ما تمنيت. مكان واحد حيث أتذكره وحده دائماً من دون أحد آخر. مكان ساحر تشع فيه الأنوار. فالمرج الأخضر الجميل الذي رأيته مرة واحدة في حياتي، كان مُضاء بأشعة الشمس ولألا بشرته.

كان من المحتمل أن تحمل تلك الفكرة مفاعيل عكسية، وقد تكون مؤلمة بشكل خطير. أحسست بألم في صدري. كان من الصعب أن أحافظ على الاستقامة في تصرفاتي، وألا أبوح بما كان يجول في خاطري. ولكنني بالتأكيد استطعت سماع صوته. وكنت قد سبق وأخبرت تشارلي بأنني كنت أنتزّه...

سأنتزّه جايكوب: «ما الذي ترحين في التفكير به إلى هذا الحد؟ تتفكرين بعد الحق؟»

«حسناً... بدأت الكلام ببطء. ذهبت إلى مكان في الغابة ذات مرة، جعل ذلك حين كنت أنتزّه. إنه مرج صغير، المكان الأجمل في العالم. لا أدري ما إذا كنت سأعشر عليه مجدداً. سيتطلب ذلك بضع محاولات بالتأكيد...»

قال جايكوب بنبرة جريئة: «يمكننا استعمال بوصلة وخريطة. هل نعرفين من أين بدأت؟»

«نعم، خلف هذا الدرب، في نهاية الأفق. كنت أنوجه غالباً نحو الجنوب، بحسب ما اعتقد».

«رائع، سوف نجد المكان». كان جايكوب دائماً مستعداً لتنفيذ أي شيء أردته، مهما كان غريباً.

عصر نهار السبت، لبستُ حذاء الزهرة الجديد الذي كنت قد

اشترته صباحاً مستفيدةً وللمرة الأولى من الجسم البالغ خمساً وعشرين بالمتة للموظفين، وأخذت الخريطة الطبوغرافية لشبه الجزيرة الأولمبية ثم قدت باتجاه لا بوش.

لم نبدأ فوراً؛ فقد دخل جايكوب أولاً إلى غرفة الجلوس، ونفقد الغرفة كلها، ثم استغرق عشرين دقيقة أخرى حيث راح يوسم رموزاً معقدة على الخارطة، بينما جلسْتُ على كرسي المطبخ وحدثت بيلى. لم يبدُ بيلى مهتماً على الإطلاق باقتراحنا حول النزهة. تفاجأت لأن جايكوب أخبره عن المكان الذي كنا ستقصده، خاصة وأن الكثير من الناس كانوا قلقين بشأن رؤية الدببة. أردتُ أن أطلب من بيلى ألا يخبر تشارلي بشيء، لكنني كنتُ خائفة أن يسبب طلبي رد فعل عكسياً. قال جايكوب مازحاً وعيناه على خريطته «ربما سنرى ذلك الدب الجبار».

نظرتُ إلى بيلى بسرعة، خائفة من رد فعل مشابه لرد فعل تشارلي. لكن بيلى ما لبث أن ضحك هو الآخر لما صدرَ عن ابنه فقال: «ربما عليك أن تأخذ معك جرة عسل، تحسباً لأي طارئ». ضحك جايكوب ضحكة خافتة. «أتمنى أن يكون حذائك الجديد سريعاً، بيلا. فجرة واحدة لن تلهي الدب لوقت طويل». «ساكون أسرع منك».

قال جايكوب بعد أن طوى الخريطة «حظاً موفقاً! هيا بنا».

اتكا بيلى على البراد ودمدم: «استمتعا بوقتكما».

لم يكن العيش مع تشارلي بالأمر الصعب، ولكن بدا لي أن التكيف مع جايكوب كان أسهل بكثير.

قدتُ حتى نهاية الطريق الترابية، وتوقفتُ قرب الإشارة التي دلت على بداية الممر الثاني. مضت فترة طويلة منذ أن أتيتُ إلى هنا للمرة

الأخيرة، فتشتجت معدتي في الحال. تلك كانت إشارة سلبية للغاية. ولكنها قد تكون قيمة فيما لو تمكنتُ من سماعه.

خرجتُ من السيارة ونظرتُ إلى الجدار الأخضر الكثيف.

همست: «ذهبتُ بهذا الاتجاه»، وتوجهتُ رماً إلى الأمام.

غمغم جايكوب، فسألته: «ماذا؟».

نظرتُ إلى الاتجاه الذي سلكته ثم إلى الأثر الواضح على الأرض، فراجع إلى الخلف.

«ظننتك فتاة براز».

ابتسمتُ بكآبة: «ليس أنا، إنني متعردة».

ضحك ثم أخرج الخريطة من جدي.

«انتظري دقيقة». حمل البوصلة بمهارة وحركها على الخريطة فدللتنا إلى الوجهة المطلوبة.

«حسناً، الخط الأول على الخريطة. هيا بنا».

أردتُ أن أجعل جايكوب يتمهل قليلاً، لكنه لم يتذمر. حاولتُ ألا أمضي وقتاً طويلاً في رحلتي الأخيرة وفي هذا المكان من الغابة، برفقة رفيق آخر. الذكريات العادية كانت لا تزال تشكل خطراً، فإذا سمحتُ لنفسى بارتكاب غلطة، فسوف ينتهي بي الأمر بأن أضغ ذراعي على صدري وأتشتت به طلباً للتنفس، فكيف لي أن أشرح ذلك لجايكوب؟

لم يكن التركيز على الحاضر أمراً صعباً كما تخيلت. فالغابة بدت مثل أي مكان آخر في شبه الجزيرة، أما جايكوب فتغير مزاجه كلياً.

أخذ يصفر متبهجاً بنغمة غير مألوفة، وراح يورجع ذراعيه متوجهاً نحو الشجيرات على الأرض الوعرة. لم تبدُ الظلال مظلمة وخفية كما كانت العادة. حتى أشعة الشمس فوق المكان قد تغيرت.

كان جايكوب يلقي نظرة على بوصلته كلما مرّت بضع دقائق، وهذا





اعترفْتُ؛ «إلى حدٍّ ما». شعرتُ بأنَّ قديمي أصبحت مليئة بالثُّقع  
المحمّرة المزعجة.

«أملُ أن نرى الدب في الغد. بدأ أمني يخيب بهذا الشأن».  
وافقته بنبرة تهكمية: «نعم، وأنا أيضاً. ربّما سيحالفنا الحظُّ غداً  
فيلتھما شيء ما!».

«الدبة لا ترغب في أن تأكل الناس. فطعمنا ليس لذيقاً». ابتسم  
ابتسامة عريضة فيما كنّا داخل السيارة المظلمة، ثمّ تابع: «مشكّلين أني  
استنّاء بالطيع. أراهن أن طعمك لذيق».

قلتُ: «شكراً جزيلاً». ونظرتُ إلى الناحية الأخرى. لم يكن أول  
شخص يقول لي تلك الكلمات

### العجلة الثالثة

كان الوقت يسير بوتيرة متسارعة. فالمدرسة والعمل وجاكوب،  
على الرغم من عدم تراتبيتها على هذا النحو بالضرورة، خلقت نموذجاً  
يسهل اتباعه من دون عناء. وتحققت أمنية تشارلي، إذ ما عدت أشعر  
بالشقاه. من المؤكد أنني لم أستطع خداع نفسي بالكامل. عندما توقفت  
عن تقييم مجرى حياتي، وهذا ما حاولت التقليل منه، لم يعني تجاهل  
المضاعفات التي تخلفها تصرفاتي.

كنت أشبه بقمر ضائع وكان كوكبي قد تدمر في سيناريو عزلة كارثية  
مدمرة، وظل يدور مع ذلك في فلك صغير يحيط بالفراغ الذي خلفه  
وراءه متجاهلاً قانون الجاذبية.

كنت قد أصبحت أكثر براعة في قيادة الدراجة النارية مما يعني  
جروحاً أقل تلقى تشارلي. لكنها كانت تعني كذلك خفوت الأصوات في  
رأسي تدريجياً حتى باتت غير مسموعة. ودبّ الرعب في قلبي بصمت.  
انكببت على البحث عن المرح بشيء من الحماسة والاندفاع. وأخذت  
أحث عقلي على التفكير في نشاطات مثيرة ترفع نسبة الأدرينالين.

نسيت كيف مرت الأيام إذ لا طائل من ذلك طالما أنني أحاول  
العيش في الحاضر وصور الماضي لا تتلاشى ولا مستقبل أنتظره.  
وتفاجأت بالتاريخ عندما سرده لي جاكوب في أحد أيام دراستنا معاً

لحل الواجبات المدرسية. وقد كان بانتظاره حين أوقفت الشاحنة أمام منزله.

حيتاني جايكوب يميل برأسه جانباً ويقول لي: «عبد عشاق معيد». أخرج صندوقاً صغيراً زهري اللون يحاول تثبيتته فوق راحة يده كي لا يقع أرضاً. حديث القلوب.

تلعثمت وأنا أقول: «أشعر بأني مخبولة. هل اليوم عيد العشاق؟». هز جايكوب رأسه بحزن مكرر وأجاب: «يمكن ألا يعني لك شيئاً أحياناً. أجل إنه الرابع عشر من شهر شباط. قل لي إنك ستكونين حبيبتى لهذا اليوم. بما أنك لم تكلفي نفسك عناء شراء قطعة حلوى لي بخمسة سنتات، فالادعاء أقل ما يمكنك فعله».

بدأت أشعر بالانزعاج، فالكلمات كانت تتحد طبع الإحباط ظاهرياً، لكنها تحمل في طياتها معاني أكثر عمقاً.

راوغت أسأل: «وكم ميكلفني ذلك؟». «كما بقدر عادة. لي تصبحي مديونة لي طوال حياتك أو شيئاً من هذا القبيل».

أخذت قطعة الحلوى من جايكوب وأنا أقول: «حسناً... إن كان ذلك كل ما في الأمر... لكنني كنت أحاول أن أوضح حدود علاقتنا بيننا. إذ إنها بدت غير واضحة الحدود بالنسبة لجايكوب».

«إذاً، ما الذي ستفعله غداً؟ الذهاب في نزهة سيراً على الأقدام أو الذهاب إلى المنطقة الشرقية؟».

قررت وقلت: «سأذهب في نزهة. لست الوحيد الذي قد يصبح مهروساً بهذه الأمور. لقد بدأت أتخيل ذلك المكان».

وقطبت أنظر إلى الفراغ.

أكد لي: «سأجده، هل ستعمل الدراجات يوم الجمعة؟».

وجدت الفرصة مؤاتية وقررت الاستفادة منها من دون تفكير.

«سأذهب إلى السينما يوم الجمعة، لقد وعدت جماعة الكافيتيريا أنني سأواظب على الخروج». سيكون مايك مسروراً لذلك. قطب جايكوب فجأة. لمحت الحزن في عينه قبل أن يسارع وينظر إلى الأرض.

فسارعت للقول: «سأنتهي أنت أيضاً. ليس كذلك؟ ثم أنتي أطلب الكثير بمرافقتك لمجموعة من الممثلين الذين يكبرونك مناً».

لم أكن أحتمل إيذاء جايكوب. لقد كنا متصلين بطريقة غريبة ما. وكان ألمه يتسبب لي بطعنات ماثلة. كما أغرقتني فكرة اصطحابه في الموعد المغمم الذي وعدت به مايك من دون أن أشعر بأي حماسة للمحافظة على الوعد.

«هل تودين أن أرافقك مع أصدقائك؟».

اعتبرت له بصدق: «أجل». كنت أعلم أن كلماتي ستسبب له ألماً من الآن فصاعداً. لكنني لم أكن أعرف ما كان عليه. فأسلمت ما كنت أعتقد أني سأفعله. أحلب معك كوكيل وستكون قريباً».

قلت عنيته وقال بدهاء: «سأجبن حين كوكيل إذا عرف بوجوده فبنت كبر مسأمة». لم أت على ذكر إميري. ولا هو أيضاً.

ضحكت قائلة: «سأحاول أن انتقي له مجموعة جيدة».

تطرقت إلى الموضوع مع مايك أثناء حصّة اللغة الإنكليزية.

فقلت له عند انتهاء الحصّة: «هل لديك أي ارتباطات يوم الجمعة؟».

رفع نظره وعيناه الزرقاوان يحدوهما أمل مفاجئ، «لا، أبداً. هل تودين الخروج؟».

أجبت بحدس: «كنت أفكر في أن نخرج مجموعة»، شددت على



الكلمة: «لنشاهد فيلم Crosshairs»، لقد أنجزت فروضي جيداً هذه المرة وقرأت موجزاً حول الفيلم لأنأكد من أنني لن أؤخذ على حين غرة. وكان يفترض أن يكون الفيلم عبارة عن حمام دماء من البداية حتى آخر مشهد. لم أكن قد شغيت تماماً لأجلس وأشاهد فيلماً عاطفياً. «هل تبدو الفكرة مسلية؟»

وافقتي وقد بهتت حماسته: «بالطبع».

«جيد».

ويمرور لحظة واحدة عادت الحماسة إلى ملامحه وسأل: «ما رأيك لو نخبر أنجيلا وين أو إريك وكايتي؟»

من الواضح أنه كان مصمماً على جعل الأمر يبدو موعداً لثنائين.

أقترح: «ما رأيك لو نخبرهم جميعاً، إضافة إلى جيسيكا أيضاً، وتالير وكوثر ولورين ربما».

دست الاسم الأخير مرغمة إذ كنت وعدت كويل بالتوقيع.

أجاب مايك متمسكاً بانزعاج: «حسناً».

تابعت: «كما أنني دعوت صديقين لي من لا يوش، لذا يبدو أننا ستحتاج لسيارتك الكبيرة إن وافق الجميع على المجيء».

ضاقت عينا مايك ارتياباً.

«هذان هما الصديقان اللذان تمضي معظم وقتك في الدراما معهما؟»

أجبت بحماسة: «أجل هما تماماً. مع أن الأمر يبدو مزعجاً كونهما طالبتي سنة أولى».

ظهر التعجب على ملامح مايك الذي عاد يتسم بعد أن فكر قليلاً.

لعل السيارة الكبيرة لن تكون ضرورية في النهاية.

ادعت كل من لورين وجيسيكا انشغالهما ما إن زلّ لسان مايك

وذكر أنني سأخرج كذلك. أما كايتي وإريك فكانت لديهما ارتباطات أخرى إذ كانا سيحتفلان بمرور ثلاثة أسابيع على علاقتهما أو ما شابه. كانت لورين قد أبلغت تالير وكوثر قبل أن يفعل مايك وتبين أنهما مشغولان كذلك. حتى كويل كان ليظل خارج المجموعة، إذ إنه معاقب لطرده من المدرسة. في النهاية لم يتمكن من مرافقتنا سوى أنجيلا وين وجايكوب طبعاً.

لم يخفف العدد المتضائل حماسة مايك. ولم يكف عن التحدث عن مشروع يوم الجمعة.

«هل أنت واثقة أنك لا تريدین مشاهدة Tomorrow and Forever»

طرح عليّ السؤال أثناء الغداء ممياً الفيلم الرومانسي المعروف حالياً والذي يحتل المراتب الأولى على شبائك التذاكر. أصررت: «أريد مشاهدة Crosshairs. أود أن أشاهد فيلم حركة مليء بأعمال القتل والدماء».

أشاح مايك بناظريه لكن ليس قبل أن لاحظ تعابير وجهه التي تقول بوضوح (لعلها مجتونة فعلاً في النهاية).

حين عدت إلى المنزل من المدرسة، كانت سيارة مألوفة تتوقف في المرائب. كان جايكوب مستلقياً على غطاء السيارة وبإثامة عريضة تغطي وجهه.

صحت وأنا أفقر من الشاحنة: «مستحيل! لا أصدق أنك انتهيت من العمل بسيارة الرايت».

أشرق وجهه وهو يقول، «أنهت العمل بها الليلة الماضية وحسب. إنها الرحلة الأولى لها».

رفعت يدي لأصق راحتي براحة يده: «لا يصدق».

صفق يده بيدي لكنه لم يتركها إذ شبك أصابعه بأصابعي بسأل:  
«إذاً، هل أفود أنا الليلة؟»

«حتماً». أجبت ثم تهذت.

«ما الخطب؟»

«أنا أستسلم. لا أستطيع التغلب عليك في هذه المسألة. لقد  
ربحت، أنت الأكبر سنّاً بالفعل».

هزّ كتفيه غير متفاجئ لقولي، وأجاب: «بالطبع أنا كذلك».

ظهرت سيارة مايك الضخمة ملتفة حول المنعطف. سحبت يدي  
من يده فاشمأز وجهه في تعبير ما كان يفترض بي رؤيته.

وقال بصوت خفيض بينما مايك يركن السيارة عند الجهة الأخرى  
من الشارع، «أنا أتذكر هذا الشاب، كان يظنك حبيبته، هل لا يزال  
الأمر يلتبس عليه؟»

رفعت أحد حاجبي وأجبت: «بعض الأشخاص يصعب ثنيهم عما  
يريدون».

فكر جايكوب ملياً وقال، «يؤدي الإصرار أحياناً للوصول إلى  
الهدف».

«مع أنه في معظم الأوقات مثير للإزعاج».

خرج مايك من السيارة واجتاز الطريق نحونا.

«مرحباً بيلاً». حيائي مايك والتفت قلناً ينظر إلى جايكوب. رمقت  
جايكوب بنظرة خاطفة أيضاً محاولاً أن أكون موضوعية. لا يبدو طالب  
سنة أولى إطلاقاً. بدا ضخماً جداً، وطويلاً جداً بحيث لا يتخطى رأس  
مايك كتفه. لم أشأ أن أفكر كيف أبدو أنا بجانبه. كما أن ملامح وجهه  
بدت أكبر مما يدل عليه عمره منذ شهر مضى.

«أهلاً مايك، هل تذكر جايكوب بلاك؟».

مد مايك يده قائلاً: «ليس فعلاً».

صافح جايكوب مايك معرفاً بنفسه: «صديق قديم للعائلة».

صافح أحدهما الآخر بقوة غير ضرورية. وحين توقفت المصافحة  
اضطر مايك لفرقة أصابعه.

سمعت الهاتف يرن في المطبخ.

تساءلت وأنا أندفع إلى الداخل: «قد يكون ذلك تشارلي».

كان ذلك بن، أخبرني أن أنجيلا مصابة بحمى في المعدة وأنه لا  
يشعر برغبة في المجيء من دونها. اعتذر عن المجيء.

عدت أسير ببطء نحو الشاين المتظرين أهز رأسي. تمنيت فعلاً أن  
تشعر أنجيلا قريباً بالتحسن. لكن كان عليّ أن أعترف بأنانية أنني شعرت  
بالحزن للتطور الذي حصل. نحن الثلاثة فقط، مايك، جايكوب وأنا  
سنمضي الألفية معاً. وخطر لي بتهمك أن الخطوة نجحت تماماً.

بدا أن جايك ومايك لم يحرزوا أي تقدم ليصبحا صديقين أثناء  
غيابي. كانا يقفان بانتظارني وجهاً لوجه تبعد بينهما بضعة أمتار، ملامح  
مايك كانت متجهمة إلا أن وجه جايكوب كان يوحى بالمرح كما دوماً.

قلت لهما بحزن: «أنجيلا مريضة ولن يأتيا: هي وين».

اقترح مايك: «أظن أن هناك جولة أخرى من هذه الحالة، أوستين  
وكونر أصيبا كذلك اليوم، لعلنا يجب أن نخرج في يوم آخر».

قبل أن أواقفه الرأي تحدث جايكوب: «أنا لا أزال أريد الذهاب،  
لكن إن أردت التراجع...».

قاطعه مايك: «بل أنا آت أيضاً. كنت أفكر في أنجيلا وين  
وحسب».

وبدا يمشي نحو سيارته.

سألته: «هل تمنع إن أوصلنا جايكوب بسيارته؟ أخبرت أنه يستطيع

ذلك لأنه أنهى للتو العمل بسيارته بعد أن قام بتركيبها قطعة قطعة». كنت فخورة به كأم تتحدث عن نجاحات ولدها في المدرسة.  
رَدَ مايك بعصبية: «لا بأس».

قال جايكوب وكان الأمور كلها قد سويت: «حسناً إذاً».  
وبدا أقل انزعاجاً من أيّ منا.

صعد مايك في المقعد الخلفي للرابيت تملؤ ملامح وجهه علامات القرف.

أما جايكوب فكان مشرقاً، مرحاً كالمادة لا يتوقف عن الحديث حتى كادت أنسى وجود مايك القابع في الخلف بصمت.

لكن مايك سرعان ما غيّر خطته. فمال إلى الأمام ملقياً ذقنه على كتف مفعدي حتى كادت وحشة كلامي وحتي ابتعدت أسد صهري عن الباب.

سأل مايك مقاطعاً جايكوب في منتصف الحديث وفي نبرة، الر للعبث: «ألا يعمل الراديو في مثل هذا الشيء».

أجاب جايكوب: «هناك راديو، لكن بيلاً لا تحب سماع الموسيقى».

حدقت بجايكوب مذهولة. فأنا لم أذكر له ذلك مطلقاً.

سألني مايك بانزعاج: «صحيح بيلاً؟».

كنت لا أزال أتأمل ملامح جايكوب الهادئة وأنا أقول متلثمة: «أه».  
محق؟

سألني مايك: «كيف يعقل أنك لا تحين الموسيقى؟».

هزئت كفتي وأجبت: «لا أعلم، إنها ترزعجني وحسب».

عاد يسند ظهره منزعجاً.

حين وصلنا ناولني جايكوب ورقة العشرة دولارات.

اعترضت قفلة: «ما هذه؟».

ذكرني: «لست كبيراً بما يكفي لدخول أماكن من هذا النوع».

فهمت بأعلى صوتي، وقلت وأنا أضحك: «هذا كثير جداً بالنسبة للأعمار التي اتفقا عليها، هل سيقتلني بيلى إذا علم أنني أصطحبك إلى هذه الأماكن؟».

«كلا، لقد سبق وأخبرته أنك تفسدين براءتي».

أطلقت ضحكة مكبوتة استهجاناً، وحث مايك الخطى ليلحق بنا.

كدت أتمنى لو أنه عدل عن المجيء معنا. كان لا يزال متوجهم الوجه، لا يضيئ شيئاً على الجو. لكنني لم أشأ كذلك أن ينتهي بي الأمر وكأنني خرجت في موعد غرامي مع جايكوب وحدنا. إذ إن ذلك لا يساعد بشيء.

كان الفيلم كما تحدثت الأخبار عنه. المشاهد الأولى عرضت تفجير أربعة أشخاص تتطاير أشلائهم وقطع رأس آخر. غطت الشاشة الحامية أمامي عينيها يديها ودفت وجهها في صدر الشاب الحائس قريباً. وثبتت على كتفها، وانكمش قليلاً كذلك. بدا مايك وكأنه لا يتابع الفيلم أصلاً حيث كانت ملامح وجهه متصلة وهو يحملني في حذوة السر الذي يعلو الشاشة.

مكثت في مكاني صابرة لأحتمل الساعتين القادمتين، أراقب الألوان والحركة على الشاشة أكثر ما أرى أشكال الأشخاص والسيارات والبيوت. لكن جايكوب بدأ عندئذ يقرقر مستهجناً.

همسْتُ: «أما الأمر؟».

همس يجيب: «ما بيلى لقد شخب الرجل دماء على بعد عشرين قدماً. هذا تزييف مبالغ به».

ضحك مجدداً حين اخترقت سارية علم أحدهم وثبته على جدار إسمنتية.



وبدأت بعدئذ مشاهدة العرض فعلاً وأشاركه الضحك لدى مرور مشاهد الإحرام التي نرداء سحفاً. كيف كان لي أن أمضي في مواجهة الخطوط المتشابهة في علاقتنا في حين أستمع برفقه كثيراً؟

كانت ذراعاً كل من جايكوب ومايك تحيطان بي من كل جهة وقدعان تملّكي. كما كانت يدهما تراحان بخفة في وضعية غير طبيعية براحتين ممدودتين تنتظران أن تشبك بهما أصابع يد أخرى، كمصيدتي دبية مستعدتين للانقضاض على الفريسة. كان لجايكوب عادة الإمساك بيدي كلما منحت له الفرصة لكن هنا، تحت جنح ظلام مسرح قاعة السينما، وعيني مايك المتربصتين، سيتخذ تصرفه معنى مختلفاً. كنت واثقة أنه يعرف ذلك.

لم أستمع أن أصدق أن مايك يفكر بالطريقة ذاتها. لكنه كان يتبع يده على نحو مماثل لجايكوب.

لنيت ذراعتي بقوة فوق صدري وتمنيت لو يسحبان يديهما. استسلم مايك أولاً. مع وصول الفيلم إلى منتصفه سحب ذراعه ومال بجسمه إلى الأمام مستنداً يرفقه إلى فخذه يحضن وجهه بين راحتيه.

لمست في البداية أنه يتفاعل مع أحداث الفيلم لكنه أطلق تارهما متألماً.

همست: «مايك، هل أنت بخير؟».

التفت الثاني الموجود أمامنا ينظر إليه وهو يتأوه ثانية.

شعق قائلاً: «أعتقد أنني لست على ما يرام».

تمكنت من رؤية قطرات العرق تلتصق في الضوء الآتي من الشاشة. تأوه مايك مجدداً واندفع نحو الباب. وقفت ولحقت به فتبعني جايكوب على الفور.

همست: «لا، إني أنت سأؤكد أنه بخير».

لكنه رافقتي مع ذلك.

أحزبت وأنا أحذر. نعم، «لست مجزاً على المحي»، تابع مشاهدة الفيلم».

تحول الهمس كلاماً مسموعاً عندما خرجنا من القاعة وهو يقول: «لا بأس بيلاً، الفيلم مربع».

لم يظهر أي أثر لمايك في البهو وشعرت بالسرور لأن جايكوب رافقتي، إذ دخل حمام الرجال ليتحقق من وجوده هناك.

عاد جايكوب في غضون لحظات.

قلّب عييه قائلاً: «إنه في الداخل. يا له من ضعيف القلب، عليك أن تخرجي مع رجل تحتل معدته المشاهد الشعبية ويسخر من مشاهد الدم المفقود التي تجعل الرجال لأضعف قلباً بقبول».

«سأحرص على فعل ذلك».

كنا وحيدين في البهو. كان الفيلمان في قاعتي السينما في منتصفهما. وكان البهو خالياً يتعم بما يكفي من الهدوء لسامع أصوات فرقة الفوشار.

ذهب جايكوب للجلوس على المقعد المعطى بغدش المحمل. الملتصق بالحائط وأشار إليّ لأجلس بجانبه.

قال وهو يمدد ساقيه الطويلتين أمامه في وضعية استعداد للانتظار: «بدا وكأنه سيحك ليبرة في الداخل».

انضممت إليه أطلق تنهيدة. بدا مستعداً لاختراق المزيد من الحواجز. وكأنما ليؤكد ذلك عدل في جلسته ما إن أخذت مكاني على المقعد بجانبه ولف ذراعه حول كتفي.

ابتعدت عنه واعترضت أقول: «كلا جايك».

أنزل ذراعه من دون أن يبدو عليه الانزعاج إزاء الرفض الذي لاقاه.

لكنه منذ يده وأحد يدي مطبقاً أصابعه بإحكام مفلوقاً معصمي يدي  
الأخرى حين حاولت سحب يدي مجدداً. من أين له هذه الثقة بالنفس؟  
وقال بصوت خافت: «الطوري لحظة يلاً» أحبرني الآن. فوالى بي  
شيئاً.

نفغض وجهي. لم أشأ فعل ذلك. لم أكن أرغب بذلك، لا الآن  
ولا في أي وقت. لم يتيق في حياتي من هو أهم من جايكوب بلاك.  
وها هو الآن يبدو مصمماً على تدمير كل شيء.

تمتعت بتحت: «ماذا هناك؟»

«أنا أعجبك، اليس كذلك؟»

«تعلم أنك تعجبي».

«سما يخون ذلك المعتدلك الذي يخرج ما في أحشائه» في  
الداخل؟»

وأولاً باتجاه باب الحمام

تنهدت: «أجل».

«وأكثر من أي شاب آخر تعرفينه؟» كان هادئاً صفائي الذهن وكان  
إجابتي على سؤاله لا تعني له شيئاً، أو أنه كان وثقاً من إجابتي.

«وأكثر من أي صديقة أخرى لي كذلك».

«لكن هذا كل شيء؟» هذا قل ما أعجب بالنسبة لك؟»

لم يكن ما قاله سؤالاً ينتظر إجابة.

وجدت من الصعوبة بمكان الإجابة أو لتلفظ بأي كلمة. هل  
سيشعر بالأذى ويتعجبي؟ كيف سأحتمل ذلك؟

همست قائلةً مع ذلك: «أجل».

ضحك بوجهي قائلاً: «تعلمين أن لا بأس بذلك، طالما أنك  
تعجبي أكثر من الآخرين جميعاً وتفضيليني عليهم. وتظنين أنني وسيم

ذلك نوعاً ما. إني مستعد لأن أكون لجوياً إلى حد الإزعاج»  
«لن أنغير».

مع أنني حاولت أن أحافظ على نبرة عادية لم يسمعي إلا أن أسمع  
أشراً للحزن.

لم تعد ملامح وجهه مفيضة لي بل استغرق في التفكير: «بسبب  
الآخر، اليس كذلك؟»

انقبضت. من المضحك كيف بدا يعرف ألا يأتي على ذكر الاسم  
بل يكتفي بقول (الآخر)، تماماً كما حصل في السيارة بالنسبة لمسألة  
سماع الموسيقى. إنه يعلم عني الكثير من الأمور التي لم يسبق أن  
ذكرتها أمامه.

أضاف: «لست مضطرة للحديث بهذا الشأن»

أومات وفي وجهي تعبير الامتنان

«نيت جايكوب على طهر يدي وهو يقول: «لكن لا تعصي مني  
إذا حُزمت كالحل حولك، لاسي لئلا أسلم» الذي منع من الموت»

مع أنني أردته أن يفعل حقاً تنهدت: «لا يجدر بك تضییعه في  
التحريك حولي». لاسيما إن كان مستعداً للقبول بي كما أنا، مجرد  
بضاعة مثلفة.

«هذا ما أرغب بفعله طالما أنك ترغبين بأن تكوني معي»

أجبت بصدق: «لا يسمعي أن أتخيل كيف لا أرغب بالقاء معك».

أشرق جايكوب قائلاً: «يكتسبي ذلك الآن»

حذرت محاولة أن أصحب يدي: «لا تتوقع مني المزيد».

لكنه قل يتشبث بيدي بعناد.

«سألتني وهو يعتصر أصابعي: «أمل ألا يزعجك ذلك. هل  
يزعجك؟»

تهبث: «كلا»، كانت أصابعه دفقة الملمس على يدي في الواقع،  
إذ كانت أكثر دفئاً من يدي، غالباً ما أشعر بالبرد هذه الأيام.

صوّب جايكوب إبهامه نحو الباب مجدداً يسأل: «ولا يهمك ما  
الذي يفعله هو؟».

«أعتقد أنه لا يهمني».

«ما المشكلة إذ؟».

«المشكلة أن احتضانك ليدي لا يعني لك ما يعنيه لي».

اعتصر يدي بقوة أكبر: «حسناً، هذه مشكلتي أنا، أليس كذلك؟».

همهمت: «حسناً، لكن لا تنس ذلك».

«لن أفعل». لقد أزيل الصاعق من القبلة بالنسبة لي الآن».

لكزني في ضلوعي.

قلبت عيني، أظن أنه كان يقصد المزاح مما قاله وكان مسروراً

نفسه

أخذ بضحك بهذه اللحظة وأصغى له هيري بومس إشكالا على  
جانب يدي. قال فجأة وهو يقتل يدي ليتفحصها، «لديك ندب مضحك  
هنا. كيف أصبت به؟».

مرر سبابة اليد الأخرى فوق الخط الفضي المقوس الطويل الذي  
بالكاد يمكن رؤيته فوق جلدي الشاحب اللون.

كشرت وقلت: «وهل تتوقع مني أن أتذكر كافة الحوادث التي  
تركزت القديس في جسمي؟»

انتظرت أن تصعقني الذكرى، أن تفتح باب الحفرة. لكن كما في  
معظم الأحيان، كان وجود جايكوب بجانبني يساعدني على الشعور بأني  
كاملة، دون حفر أو ثقب.

«إنها باردة»، تمتم وهو يضغط برفق حيث جرحتي جايمس بأنياه.

فجأة ظهر مايك عند باب الحمام، وجهه شاحب تملأ قطرات  
العرق. كان يبدو بحالة فظيعة.

همس: «هل تمانعان إن غادرنا باكراً؟».

حررت يدي من قبضة جايكوب وهرعت إلى جانب مايك أماعده  
ليمشي إذ بدا مترنحاً، وقلت له: «بالطبع لا».

سأله جايكوب بقسوة: «كانت أحداث الفيلم قاسية عليك؟».

حملق فيه مايك مجيباً: «لم أشاهد أي مشهد منه في الواقع، كنت  
أشعر بالغثيان قبل أن يبدأ حتى».

ونخته ونحن نمشي باتجاه المدخل: «لماذا لم نقل شيئاً؟».

«كنت أمل أن يكون أمراً عابراً وحسب».

قال جايكوب عند وصوله إلى الباب: «لحظة واحدة وأعود».

سأل فتاة المبيعات عند طاولة التسليم «هل لديك كيس فوشار  
فارغ؟». نظرت الفتاة إلى مايك وناولت جايكوب الكيس بسرعة.

وتوسلت: «أخرجته من هنا بسرعة من فضلك».

من الواضح أنها المسؤولة عن تنظيف المكان فيما لو حدث شيء  
كهذا.

جرت مايك إلى الهواء المنعش البارد في الخارج. أخذ يتنفس  
بعمق. كان جايكوب خلفنا تماماً. ساعدني على إدخال مايك في السيارة  
وسلمه الكيس وهو يرمقه بنظرة جدية. وقال له جايكوب: «أرجوك،  
استعمله عند الحاجة».

فتحتنا الشبايك لنسمح بدخول الهواء الليلي البارد على أمل أن  
يساعد ذلك مايك. تكورت ولففت ساقي بذراعي لأبقى دافئة.

سألني جايكوب: «أشعرين بالبرد؟».

وقبل أن تسنى لي فرصة الرد كان قد أحاطني بذراعه.



«ألا تشعر أنت بالبرد؟»

هز رأسه نغيًا.

همهت: «لعلك مصاب بالحمى أو ما شابه».

كان الجو بغاية البرودة. لمست جبينه برؤوس أصابعي فشعرت به ساخناً.

«إنك تحترق جايك!»

هز كتفيه رداً: «بل أشعر أبي بخير تماماً، قوي كالحصان».

قطبت ولمست جبينه مجدداً، شعرت ببشرته تحترق تحت لمسي.

اعترض قائلاً: «يداك باردتان كالثلج».

قلت له: «لعل تلك طبيعي».

تاوه مايك فوق المقعد الخلفي وتقياً في الكيس. تغضن ججبي

وتمنيت أن تحتمل معدتي الصوت والرائحة. تحقق جايكوب من أن

مايك لم يلوث له السيارة.

بدت طريق العودة للمنزل طويلة.

كان جايكوب هادئاً، مستغرقاً في التفكير. ترك دراجة الدفنة حول

كتفي فشعرت بأني أقل انزعاجاً من الهواء.

أخذت أحدى عير الزجاج أمامي والشعور بالذنب يكتسحني.

تشجيع جايكوب وبت الأمل في قلبه أمر غاضب بالكامل، أناثية خالصة.

همها حاولت توضيح موقعي. إذا حده أي أمل، يمكن لكل .. بها

أن يتحول لأكثر من صداقة، مما يعني أنني لم أكن واضحة معه تماماً.

كيف لي أن أشرح له الأمر وأجعله يفهمني. كنت أشعر بالفراغ

النائم. وكأنني منزل حارٍ مدان، لم يسكنه أحد منذ أشهر. مع أبي

نحسب قليلاً الآن. كانت الغرفة التي تحتل صدر المنزل قد أصلحت

وبانت أكثر ترتيباً. لكن ذلك كان كل شيء. كان الأمر يقتصر على تلك

المساحة الصغيرة. وكان هو يستحق أفضل من ذلك، أفضل من غرفة واحدة متداعية. ولن يكفي أي شيء يستمره في هذا المجال لن يرفع. كنت أعلم مع ذلك أنني لن أتخلى عنه مهما كان. كنت أحتاج إليه بشدة وكنت أناثية في ذلك. لملي استطع توضيح وجهة نظري بشكل أفضل فأدعه يعلم أنه يجب أن يتركني. ارتعدت للفكرة وضمتي ذراع جايكوب بقوة أكبر.

أوصلت مايك بسيارته إلى منزله فيما لحق بنا جايكوب ليعيدني إلى

المنزل. ظل جايكوب صامتاً طوال الطريق إلى منزلي وتساءلت ما إذا

كان يفكر في الأمور ذاتها التي أفكر بها. لعله كان يغير رأيه.

ما إن توقفت السيارة بجانب شاحنتي حتى قال: «كنت سأدعو

نفسي للدخول بما أن الوقت مبكر. لكن أظنك محقة حول إصابتي

بالحمى، إنني أشعر بشيء غريب».

«أوه! أنت أيضاً؟ هل تريدني أن أأفكك للمنزل؟»

هز رأسه وقرب حاجبيه: «كلا، لا أشعر بأني مريض بعد. .. بل

هناك خطأ ما. .. وحسب. سأوقف السيارة جانباً إن اضطررت

لذلك»

سأنته بقلن: «هلا تتصل بي حالما تصل؟»

«بالطبع سأفعل». كان مقطباً يحدق في الظلام ويعقب شفته.

فتحت باب السيارة لأخرج لكنه أمسك بمعصمي وأبقاني. لاحظت

مجدداً حرارة بشرته على يدي.

«ما الأمر جايك؟»

«هناك أمر أود إطلاعتك عليه، بيلاً. .. لكن أظن أنني سأبدو

نظيفاً»

تنهدت، إذ كنت أعلم أن ما سيفعله سيكون نكاملة لما جاءه في

السمت.

«تفضل».

«الأمر ببساطة أنني أعلم أنك لست سعيدة إلى حد كبير. وقد لا يساعذك كثيراً ما سأقول، لكن أريدك أن تعلمي أنني دائماً معك. لن أخذلك مطلقاً، أعدك. يمكنك أن تعتمد عليّ دائماً. يبدو ذلك تافهاً، لكنك تعلمين أنني أعني ما أقول، صحيح؟ وأني لن أؤذيك مطلقاً؟».

«أجل، جايك أعلم ذلك. كما أنني اعتمد عليك كثيراً، أكثر مما تدرك ربما».

أشرق وجهه بإبتسامة كشمس الفجر التي تشق طريقها بين الغيوم وتشعل السماء، ورغبت لو يُقطع لساني. كان كل ما قلته صحيحاً وكنت أعنيه حرفياً، لكن كان يجدر بي أن أكذب عليه. لم يكن قول الحقيقة مناسباً إذ يسبب له الأذى. سأخذه حتماً.

سادت ملامح وجهه نظرة غريبة. وقال لي: «يستحسن أن أذهب للبيت الآن». خرجت من السيارة بسرعة.

ناديته وهو يتبعد: «لا تنس أن تتصل بي».

راقبته يرحل فبدأ لي أنه يستطيع أن يسيطر على السيارة على الأقل. حدثت في الشارع الخالي عند رحيله وشعرت بالإعياء، إنما ليس لسبب جسدي.

كم تمنيت لو كان جايكوب بلاك أخي، أخي من لحمي ودمي، لحزرتني ذلك من إلقاء اللوم على نفسي. يعلم الله أنني لم أشأ استغلال جايكوب لكنني عجزت عن تفسير الشعور بالذنب الذي يتتابني الآن وهو ما يعني أنني استغلته حقاً.

وأكثر، لم أكن أنوي مطلقاً الوقوع في حبه. فأنا أعرف جيداً في قرارة نفسي وأدرك حتى العظم من رأسي حتى قدمي مرووراً بقلبي الخالي، كيف أن الحب يملك سلطة التدمير.

وقد تدمرت إلى حد يعجز الكون عن إصلاحه.

لكنني كنت بحاجة لجايكوب الآن، كنت مدمنة عليه كمخدر. لقد استعملته كعكاز لوقت طويل، وذهبت في علاقتي معه إلى أبعد مما خططت له يوماً. لا أحتمل أن يصاب بالأذى الآن ولا يسعني أن أكف عن أدبته. كان يقن أن الوقت والصبر سيتكفلان بتغيير. مع أنني كنت أدرك أنه مخطئ بالكامل، علمت أنني سأسمح له أن يحاول.

كان أفضل أصدقائي، وكنت سأحبه دوماً، ومع ذلك لن أحبه بما يكفي مطلقاً.

دخلت المنزل وجلست بالقرب من الهاتف أقسم أظافري.

ما إن دخلت سألني تشارلي مندهشاً: «هل انتهى الفيلم؟».

كان يجلس على الأرض أمام شاشة التلفزيون مباشرة. لا بد أنها مباراة حماسية.

شرحت له: «أصيب مايك بتوَعك، نوع من الحمى».

«وهل أنت بخير؟».

أجبت بارتياح: «أشعر أنني بخير الآن». إذ كنت معرضة للإصابة على ما يبدو.

انحنيت فوق طاولة المطبخ لا أبعد عن الهاتف سوى بضع سنتيمترات. حاولت أن أنتظر بصبر، فكرت في المعاني التي لمحتها على وجه جايكوب قبل أن يغادر بسيارته. وأخذت أطرق بأصابعي على الطاولة أمامي. كان عليّ أن أصر على توصيله بنفسه. راقبت عقارب الساعة تدور ببطء. ومرت عشر دقائق ثم ربع ساعة. حتى عندما أقود أنا كانت الطريق تستغرق خمس عشرة دقيقة وجايكوب يقود أسرع مني. ما إن أعلنت الساعة عن مرور ثماني عشرة دقيقة حتى رفعت السماعة وطلبت الرقم.

سمعت الهاتف يرن ويرن من دون أن يعطيني أحد. لعل يبلي نائم، أو لعلني طلبت الرقم الخطأ. عادت الاتصال.

عند الورنة الثامنة، حين كنت على وشك أن أقفل الخط، أجنبي يلي.

«ألو؟» كان صوته قلقاً وكأنه يترقب سماع أخبار سيئة.

«بيلي، هذه أنا بيلا». ألم يصل جايك إلى المنزل بعد؟ لقد غادر منذ ثلث ساعة تقريباً.

أجنبي يلي يفور: «لقد وصل».

قلت له وأنا أشعر بنوع من الانزعاج: «كان يفترض به أن يتصل بي. كان قد بدأ يشعر بالتوعك حين غادر، وأنا قلقة بشأنه».

بدأ صوت بيلي بعيداً وهو يقول: «لم يتمكن من الاتصال لأنه يشعر بالسوء. إنه مريض جداً الآن».

أدرت أنه يريد أن يكون مع جايكوب فعرضت عليه في حين الحديث: «أخبرني ما إذا كنت تحتاج لأي مساعدة. أنا مستعدة للمساعدة في أي لحظة».

فكرت في بيلي العالق في كرسيه بينما جايكوب يصارع وحده.

سارع بيلي للقول: «لا، لا، نحن بخير، إبقى حيث أنت».

بالكاد لاح طيف لياقة في طريقة رفضه.

«حسناً، كما تشاء».

«إلى اللقاء بيلا».

انقطع الخط. فأجبت الخط المقفل بوجهي: «إلى اللقاء».

لا بأس، لقد تمكّن على الأقل من الوصول إلى المنزل. لكن

المستغرب أن ذلك لم يخفف من وطأة قلقي. صعدت السلالم متواقلة،

أشعر بضيق في الصدر. قد أذهب لعيادته غداً قبل الذهاب إلى العمل.

سأخذ له بعض الحساء، لا بد أن أجده عليه حساء جاهزة في مكان ما

في المطبخ.

أدرت أن مشاريعي ستلغى بالكامل حين استيقظت عند الرابعة والنصف فجراً، مسرعة نحو المرحاض. تفتقدني تشارلي بعد نصف ساعة فوجدني ممددة على أرض الحمام أضح وجتي على حافة المتطش الباردة.

راقبني للحظة طويلة. وقال أخيراً: «أنت أيضاً مصابة بالحمى».

تأهت أقول: «أجل».

سألني، «هل تحتاجين شيء؟».

أشرت إليه بصوت خشن: «أتصل بعائلة نيوتن لو سمحت. أخبرهم أنني متوقعة كمايك وأنا لن أتمكن من المجيء اليوم، واعتذر على لسي».

أكد لي تشارلي يقول: «بالطبع، ما من مشكلة».

أمضيت بقية النهار مستلقية على أرض الحمام ونمت بضع ساعات بعد أن اتخذت من المنشفة وسادة طويتها ووضعتها تحت رأسي.

أدركت تشارلي أن لديه عملاً يقوم به، لكنني شككت في أنه يريد هو أيضاً الذهاب إلى الحمام. ترك كروياً من الماء بجانبني كي لا أصاب بالجفاف.

استيقظت عند عودته إلى المنزل. كانت غرفتي معتمة فأدرت أن السلام قد حل. صعد السلالم ليتفقدني مجدداً.

«هل لا تزالين على قيد الحياة؟».

«نوعاً ما».

«هل تريدن شيئاً؟».

«لا، شكراً لك».

تردد قليلاً على غير عادته. وقال قبل أن يغادر غرفتي متوجهاً إلى المطبخ: «حسناً إذا».



سمعت الهاتف يرن بعد بضع دقائق. تحدث تشارلي إلى أحدهم للحظة بصوت منخفض ثم أقلل الخط. ناداني قائلاً، «مايك يشعر بتحسن».

كان ذلك مشجعاً. لقد شعر بالتعوك قبلي بثمانى ساعات، مما يعني أنه لا يزال عليّ أن أنتظر ثمانى ساعات أخرى. قلبت الفكرة معدتي ورفعت نفسي لأستند على المرحاض وأتقيأ من جديد.

نمت فوق الوسادة على الأرض مجدداً، لكنني حين استيقظت كنت في السرير وكان الضوء يملأ المكان خارج نافذتي. لا أتذكر أنني تحركت من مكاني لذا لا أدري تشارلي حملني إلى سرير ووضع كوب ماء على الطاولة بجانبني. شعرت بالظما الشديد وكأني صحراء قاحلة فابتلعت ما في الكوب دفعة واحدة مع أن طعمه بدا غريباً جراء مكوته فيها طوال الليل.

نهضت من السرير ببطء أحاول ألا أثير الشعور بالغثيان مجدداً. كنت أشعر بالوهن، ويطعم كريبه في فمي، لكن معدتي كانت بحال أقفس. نظرت إلى الساعة لأتحقق من الوقت. لقد انتهت مدة الأربع وعشرين ساعة المرضية.

لم أبالغ في تناول الطعام بل اكتفيت بتناول المقرمشات المالحة على القطور. وبدأ تشارلي مرناً لتحسن حالتي. حالماً تأكدت أنني لن أكون مضطرة لتمضية النهار بطوله على أرض الحمام مجدداً، اتصلت بجايكوب.

أجابني جايكوب بنفسه، لكن ما إن سمعت صوته حتى تأكدت أنه لم يتخط الأمر بعد. «الو؟»، قال ببرة متصدعة.

ناوحت أشعر بالشفقة لحاله: «آه جايك، تبدو بحالة فظيعة».

«أسفة أنني أجبرتك على الخروج معي. هذا مثير للقلق».

كان صوته لا يزال هماً وهو يقول: «بل أنا مسرور لأنني خرجت برفقتك. لا تلقي باللوم على نفسك، ليس الذنب ذنبك». وعدته: «ستشعر بالتحسن عما قريب. استيقظت هذا الصباح بحال أفضل».

سأل بوهن: «وهل أصبت بتوعك؟».

«أجل، لكنني بخير الآن».

كان صوته يخلو من الحياة وهو يقول: «هذا جيد».

شجعتة بالقول: «لذا قد تشعر بالتحسن في غضون ساعات».

بالكاد سمعت صوته يتكلم: «لا أعتقد أن حالتي مشابهة لحالتك».

سألته بارتياح: «أأنت مصاباً بالحمى؟».

«كلا، إنه أمر مختلف».

«ما خطبك؟ ما الذي يؤلمك؟».

«لا أدري أشعر بالألم في كل أنحاء جسمي».

استطعت أن ألتصم الألم في نبرة صوته.

«ما الذي يعني أن أفعله لك جايك؟ ما الذي تريدني أن أجلبه لك».

أنتى رقه سريعاً: «لا شيء». لا يمكنك المجيء إلى هنا. ذكرني كلامه بما قاله بيلى تلك الليلة.

لأنت انتبهه قائلة: «لقد سبق وتعرضت لما أنت مصاب به الآن مهما يكن».

تجاهل كلماتي وأجاب: «سأصل بك حين أستطيع. وسأبلغك متى تستطيعين المجيء مجدداً».

«لكن جايكوب...».

قاطعتني ببرة ملحة قائلاً: «عليّ إقفال الخط».

«اتصل بي حين تشعر بتحسن».

«طيب»، وافق إنما صوته كان حاداً غريباً.

ظل صامتاً للحظة، كنت أنتظر أن يودعني لكنه ظل ينتظر كذلك.

قلت له أخيراً: «أراك قريباً».

ردّ مجدداً: «انتظري اتصالي».

«حسناً، إلى اللقاء جايكوب».

«بيلاً»، همس اسمي ومن ثم أقفل الخط.

## المرج

جايكوب لم يتصل.

عندما اتصلت به للمرة الأولى، أجاب بيلى وأخبرني أن جايكوب لا يزال في الفراش. شعرت بالفضول، وبدأت بطرح الأسئلة لأنأكد أن بيلى أخذه إلى الطبيب. قال لي إنه فعل لكنني لم أكن مطمئنة إلى أنه فعل. اتصلت مجدداً بل أخذت أتصل عدة مرات في اليوم، وكررت ذلك في اليوم التالي من دون أن يجيني أحد.

قررت القيام بزيارته يوم السبت، ولتذهب إلى الجحيم الدعوة التي كان يفترض به أن يوجهها إليّ لفعل ذلك. لكن المنزل الأحمر الصغير كان فارغاً. وقد أخافني ذلك فعلاً، هل ساءت حال جايكوب إلى هذا الحد مما استدعى نقله إلى المستشفى؟ مررت بالمستشفى على طريق العودة للبيت، لكن الممرضة الموجودة عند طاولة الامتعلامات أكدت لي أنه لا جايكوب ولا بيلى كانا هناك.

جملت تشارلي يتصل بهاري كليرووتر، ما إن عاد من العمل. انتقلت بقلبي بينما تشارلي يتسامر مع صديقه القديم، بدا أن الحديث سيستد بينهما للأبد من دون أن يتم ذكر جايكوب. فهمت من الحديث الدائر أن هاري نفسه كان في المستشفى يجري بعض الفحوصات لقلبه. اكتظت جبين تشارلي بتجاعيد القلق على صحة هاري الذي بالغ في تضخيم الأمر ليتبين في النهاية أنه كان يمازح تشارلي الذي عاد يتفجر

صاحكاً. عندئذ حان الوقت للسؤال عن جايكوب، لكن هذه المرة لم ينسَ لي كثيراً أن أفهم ما الذي يدور بينهما إذ إن تشارلي اكتفى بالإيماء وهز رأسه مراراً وتكراراً. أخذت أطرق برؤوس أصابعي على الطاولة بجانبه إلى أن أسكت الصوت بإلقاء يده فوق يدي.

أخيراً، أقفل تشارلي الخط والتفت إليّ: «يقول هاري إن هناك مشكلة ما في خطوط الهاتف لذا لم تتمكني من الاتصال بهم. أخذ بيبي جايكوب إلى الطبيب فتبين أنه مصاب بنوع من حمى الغدد. إنه متعب بالفعل وقد منع بيبي عنه الزيارات».

سألته غير مصدقة: «منع عنه الزيارات؟».

رفع بيبي أحد حاجبيه وقال: «هيا الآن بيلز، لا تتطفلي وتحشري أنفك في شؤون الآخرين. بيبي يعلم ما هو الأفضل بالنسبة لجايك سوف يتحسن عما قريب. كوني صبورة».

لم أجادل أو ألح أكثر. كان تشارلي يشعر بالقلق على هاري. من الواضح أنها كانت المسألة الأكثر أهمية بالنسبة له لذا لم يكن لي الحق بأن أضجره بمسألة أقل أهمية. هكذا صعدت إلى غرفتي وأدريت الكمبيوتر. بحثت عن موقع إلكتروني طبي، وطبعت كلمة «حمى الغدد» في الموقع المشار إليه للبحث عن كل ما يدور حول الحالة المرضية.

كل ما عرفته بهذا الخصوص أن حمى الغدد تنتقل إلى المرء عبر التقبيل، مما لا ينطبق على حالة جايكوب طبعاً. قرأت عن الأعراض بشكل سريع لأجد أنها تتحدث عن نوع الحمى المصاب بها تماماً، لكن ماذا عن الأعراض الأخرى؟ إذ لم يكن مصاباً بالتهاب في الحلق، أو بالإرهاق أو بالصداع. على الأقل ليس قبل أن يذهب معنا إلى السينما، إذ قال إنه يشعر بأنه قوي كالحصان، فهل حصل الأمر بهذه السرعة؟ ورد في المقال أن الالتهاب يسبق ظهور الحمى عادة.

حملت في شاشة الكمبيوتر أساءل لماذا كنت أقوم بعملية البحث

أصلاً. لما كان يتتابني هذا... الشك، وكأنني لم أصدق قصة بيبي؟ لماذا قد يكذب على هاري؟

كنت أنصرف بسخافة، ربما. كنت أشعر بالقلق وحسب، ولاأكون صادقة مع نفسي أقول، بلاني كنت أخشى كذلك ألا يسمح لي برؤية جايكوب مجدداً، مما جعلني أصاب بالتوتر.

تابعت قراءة ما تبقى من المقال بحثاً عن مزيد من المعلومات. توقفت عند الوصول إلى الجزء الذي يتحدث عن إمكانية استمرار الحالة لما يزيد على فترة شهر.

شهر؟ فتحت فمي على شديقه. لكن لا يمكن لبيبي أن يمنع عنه الزيارات طوال هذه المدة، لا يمكنه ذلك بالطبع. سيصاب جايك بالجنون إذا بقي طريح الفراش مدة شهر كامل من دون أحد يتحدث إليه.

ما الذي يخشاه بيبي بأي حال؟ ذكر المقال أنه على المصاب بحمى الغدد أن يتجنب النشاط الجسدي لكنه لم يذكر أي شيء يتعلق بمنع الزيارات. لم يكن المرض معدياً إلى هذا الحد. قررت أن أمتح بيبي أسبوعاً واحداً فقط قبل أن أنطلق. أسبوع مدة أكثر من كافية.

كانت فترة أسبوع طويلة بما لا يحتمل، لذا كنت واثقة مع حلول يوم الأربعاء أنني لن أصمد حتى يوم السبت.

حين قررت أن أمهل كلاً من بيبي وجايكوب فترة أسبوع، لم أكن أتوقع فعلاً أن جايكوب سيتقيد بالقواعد التي وضعها والده حيال الزيارات. فكنت عند وصولي من المدرسة إلى البيت كل يوم أنفق الرسائل الصوتية على الهاتف، لم يكن هناك أي منها بصوت جايكوب. غششت ثلاث مرات عندما حاولت الاتصال بالمنزل لأجد أن الخطوط لا تزال معطلة.



استغرقني فهم الموضوع بضع لحظات قبل أن أقول: «آه، لقد تعافى إذا؟».

تردد ببلي للحظة طويلة قبل أن يجيب: «صحيح، تبين أنه لم يكن مصاباً بحمى الغدد في النهاية بل نوع آخر من الفيروسات».

«أليس هو؟»

«إنه يوصل بعض الأصدقاء إلى بورت آنجلس أظن أنهم سيوزرون بعض المعالم البارزة أو شيئاً من هذا القبيل، أظن أنه سيغيب طوال النهار».

«حسناً، لقد أراحتي كلامك، كنت بغاية القلق، سررت لمعرفتي أنه يشعر بما يكفي من الارتياح ليخرج من المنزل». بدت نبرتي شديدة التكلف وأنا أتلفظ بالكلمات.

جايكوب شعر بالتحسن لكن ليس بما يكفي للاتصال بي. وقد خرج برفقة بعض الأصدقاء بينما أنا أجلس هنا وحيدة أفتقده أكثر مع مرور الساعات. كنت أشعر بالوحدة والقلق والتألم. حتى العشاء. وقد أضيف إحساساً بالأسى إلى كل ما سبق حين أدركت أن الأسبوع الذي أتوقد لم يترك الأثر فيه عتبه.

«سأني ببلي ساعة. هل من شيء محدد تريد به؟»

«لا، ليس حقاً».

وعندي قائلاً: «حسناً، سأبلغه أنك اتصلت، إلى اللقاء بيلاً»

«إلى اللقاء». أجبته لكنه كان قد سبقني وأقبل الخط.

تسمرت في مكاني لحظة وساعة الهاتف لا تزال في يدي. لا بد أن جايكوب غير رأيه كما كنت أحتسب. أحد بصيحتي وقار ألا يصنع المزيد من الوقت مع من لا يستطيع أن يبادل مشاعره. شعرت بالدماء تجف من عروق وجهي.

سألني تشارلي وهو يهبط السلالم: «هل من خطب؟».

كنت أمضي وقتاً طويلاً في المنزل، وكنت وحيدة. من دون جايكوب كان معدل الأدرنالين وحالات الذهول إضافة إلى معظم الأمور التي بدأت دفنها تتسلل إلي من جديد. عادت الأحلام المؤلمة. ما عدت أستطيع رؤية خط النهاية، بل الفراغ الفظيع الذي اختبرت تصفه في الغابة، وتصفه الآخر في المساحة الشاسعة المغطاة بالخشخاش حيث المنزل الأبيض. كنت أحياناً أرى سام أولي في الغابة يراقبني مجدداً. لم أكن أعرف أي اهتمام، إذ إن وجوده لم يكن يبعث في الارتياح ولم يقلل من شعوري بالوحدة. لكن ذلك لم يمنعني من الصراخ حتى الاستيقاظ ليلة تلو الأخرى.

كان الشعور بفراغ الثقب أسوأ من أي وقت مضى. قسست لي تمكنت من السيطرة على الأمور لأحد نفسي تحت وطأة اليوم حتى يوم بعد يوم أطوق نفسي وأشيق جاهدة لنشوق الهواء.

لم تكن ألتجح وحدي في إدارة الأمور والتحكم بها. كان الشعور بالارتياح يعمري مع أنني استيقظت على صوت صراخ صعل، لمجرد أن تذكرت أنه صباح يوم السبت. يمكنني أن أتعلم بجيكوب اليوم. وإن كانت الحظوظ لا تزال معطلة سأذهب إلى لا بوش نفسي بطريقة أو بأخرى كان هذا اليوم أفضل من أيام الأسبوع الماضي.

طلبت الرقم وانتظرت من دون أن أبني آمالاً عظيمة. تفاجأت لصوت ببلي يجييني عند الرنة الثانية.

«ألو؟»

«حسناً لله الهواتف عادت تعمل! مرحباً ببلي. هذه أنا بيلاً. اتصل لأطمئن إلى حال جايكوب. هل لا تزال الزيارات ممنوعة عنه؟ كنت أفكر في أن أمر بكما...».

قاطعتني: «اعتذر منك بيلاً، إنه ليس في المنزل». تساءلت ما إذا كان يشاهد التلفزيون لأنه بدا شارد الذهن.

كذبت عليه بينما كنت أعيد سماعة الهائف إلى مكانها: «لا، يقول بيبي إن جايكوب قد تحسن وأنه لم يكن مصاباً بحمى الغدد بل بشيء آخر حميد».

أحد تشارلي يبحث في السلاحة على غير عادي وسألني مجدداً بلا مبالاة: «وهل سيأتي هو إلى هنا أم أنك ستذهبن إليه؟».

«لا هذا ولا ذاك. لقد خرج مع بعض الأصدقاء».

أخيراً، تنبه تشارلي لثيرة صوتي. قرفع نظره إلي بقلق مفاجئ، وقد تجملت بداء فوق علبة شرائح الجينة.

«لا يزال الوقت مبكراً على ناول العشاء» سألته بما أوتيت من مرح أحاول تشتيت انتباهه.

«إني أحضر شيئاً لأأخذه معي إلى النهر...».

«آه، ستذهب لاصطياد السمك اليوم؟».

«حسناً... اتصل هاري بي والتفت ليلى معطراً».

كان يعدّ بعض الطعام على الطاولة بينما يجيب. لكنه عاد يرفع نظره إلي فجأة وكأنه أدرك أن شيئاً ما قد فات: «أخبريني، هل تودين أن أبقى معك بما أن جايكوب لن يأتي؟».

حاولت أن أبدو لامبالية وأنا أجيب: «لا بأس، أبي. تحصل على صيد أوفر حين يكون الطقس جميلاً».

حنق بي بارتباك واضح. كنت أعلم أنه يصاب بالقلق ويحسني تشارلي وحيدة في حين يرى أبي لست على ما يرام.

أنطقت كلمة أخرى بسرعة. «لما تحدثت جدياً لي، كنت أفكر أن أتصل بجيسيكا لدينا المتحل في مادة الحساب يوم الاثنين. وقد أطلب مساعدتها» كان الجرح الأخير صحيحاً، لكنني علمت أن الجرح لوحدني لم يبي أفضل أن أبقى وحيدة على أن أكون تحت مظهره طوال النهار.

«إنها فكرة جيدة. لقد أمضيت فترة طويلة برفقة جايكوب، وسيظن الآخرون أنك نسيت أمرهم».

ابتسمت وأومات كأنني أكثر فعلاً لما يظنه أصدقائي بي.

هم تشارلي يستدير لكنه سرعان ما عاد على عقبه يبدو عليه القلق: «مدرسين هنا أو في منزل جيس، اليس كذلك؟».

«وأيّن عسانا ندرس سوى في هذين المكانين؟».

«حسناً، إحرصني أن تبقي بعيدة عن الغابة وحسب. كما أندرتك سابقاً».

تطلّب فهم ما يقول بضع دقائق نظراً لحالة الشرود.

«المزيد من الدببة؟».

أوما تشارلي مقطباً.

«لدينا أحد المتنزهين المفقودين ممن وجدت خيمهم صباح هذا اليوم ولم يعثر له على أثر. هناك آثار حوافر حيوانات ضخمة... وهي قد تعود لاحقاً بالنضع إذ شفت رائحة الطعام بأي حال، إيهم ينصبون الأفخاخ الآن».

أجبت بغموض، إذ لم أكن أفكر في تحذيراته فعلاً. كان تصرف جايكوب معي يحزنني أكثر من احتمال أن يلتهمني دب.

مررت لأن تشارلي كان على عجلة من أمره. لم ينتظرني لأتصل بجيسيكا، لذا لم أكن مضطرة لتصنع أي شيء. تظاهرت بجمع أغراضي المدرسية وكنيت على طاولة المطبخ لوضعها في الحقيبة، سألت قليلاً في التحضير وحتى لو لم يتكلم فإن ذلك كان يشير الشك لديه.

كنت شديدة الانشغال بادعاء الانشغال. بحثت لم يلق النهار شغل فراغه عليّ إلا بعد أن رافقته بغادر سيارته ويتعدّد دقيقتك من التحديث في الهاتف الصامت كانتا كافيتين لأقول أنني لن أمضي النهار بطوله في المنزل. أخذت أدرس الخيارات المتاحة أمامي.

لن أتصل بجيبك. يعني القول إنها قد انتقلت للمعسكر الآخر.  
يمكنني أن أفود الشاحنة إلى لا بوش وأخذ الدراجة. فكرة مغربة  
لكنها لا تخلو من مشكلة طفيفة: من سيصطحبني إلى غرفة الطوارئ في  
حال احتجت لذلك لاحقاً؟

أوو... الخارطة والبوصلة موجودتان في حوزتي، في الشاحنة  
تحديداً. كنت على ثقة تامة أنني أصبحت أعرف الطريق وكيفية تنفيذ  
العملية بحيث لن أتوه. لعل حذف احتمالين آخرين اليوم، يجعلني  
أمضي قدماً في تطبيق البرنامج إلى أن يقرر جايكوب أن يشرقني مجدداً  
بحضوره. رفضت أن أفكر كم سيستغرقه الأمر ليفعل ذلك. أو إن كان  
سينفعل أصلاً.

شعرت بوحشات القلب حين حفرت في ما سيكون شعور شعوري  
حين يعرف ما الذي أنوي فعله، لكنني تجاهلت الأمر. لم أكن قادر  
بساطة أن أمضي يوماً آخر بين جدران المنزل.

في غضون دقائق، كنت أفود السيارة على الطريق لتأخير  
التي تؤدي إلى اللامكان تحديداً. فتحت الشباك ببطء أفود بسرعة  
القضوي التي تسمح بها الشاحنة، أحاول أن أستمع بالهواء الذي يلفح  
وجهي. كان يوماً ضبابياً، جافاً تقريباً، لكنه كان جميلاً بالنسبة لطقس  
فوركس المعتاد.

استغرقني تحديد نقطة البداية أكثر من جايكوب. بعد أن أوقفت  
الشاحنة في المكان المعتاد، أمضيت ربع ساعة كاملة أعين الإبرة  
الموجودة على البوصلة والنقاط المشار إليها على الخارطة المتهترئة.  
عندما تأكدت إلى حد ما أنني على المسار الصحيح من الشبكة انطلقت  
موجهة نحو الغاية.

كانت الغابة مليئة بالحياة اليوم والكائنات الصغيرة تتمتع بالجفاف

المؤقت، مع أن الطيور تزقزق والحشرات تطنّ من حولي والجذذان  
تركض من مكان إلى آخر بين الأشجار القزمية، بدت الغابة بطريقة ما  
أكثر قشعرة للبدن اليوم. وذكّرتني بآخر كوبيسي. كنت أعلم أن الأمر  
يعود إلى أنني كنت وحيدة أفقد صغير جايكوب المرح وصوت وقع  
قدمي تهرس الأرض الرطبة.

كان الشعور بالضيق يقدو أكبر وأكثر عمقاً كلما تغلغلت بين  
الأشجار. وغدا التنفس أكثر صعوبة، ليس بسبب الإجهاد بل لأنني كنت  
أعاني من مشكلة الحفرة البلهاء في صدري. أحكمت قبضة ذراعي  
أطوق جسدي محاولة إزالة الألم من أفكاري. كدت أرتدّ على أعقابني  
لولا كرهني أن تضعب جهودي هباءً.

أحد وقع خطواتي بظن أدبي ويحذر عقلي ويزيد شعوري بالألم  
وأنا أسير بشقل، بدأت أتنفس بشغف أكبر وسررت أنني لم أعد  
أدراحي. كنت أصبح أكثر مهارة في السير في الأدغال، حتى أنني  
أستطيع التأكيد أنني صرت أكثر سرعة.

لكنني لم أستطع التأكد على وجه التحديد من مدى دقة المسار الذي  
أنتج. أعتمد أنني قطعت مسافة أربعة أميال ربما، وما كنت قد أشرقت  
على مخرج بعد. ثم وبشكل مفاجئ تشتت تركيزي، عبرت عقداً  
منخفضاً من جذوع الكرمة أدفع من طريقي نباتات الخنثار التي تصل  
حتى منطقة الصدر فوصلت إلى المرح.

وتأكدت على الفور أنه كان المكان ذاته. كان المكان جميلاً.  
كانت مرجة تامة الاستدارة وكان يد أحدهم قد رسمتها خالية من العيوب  
كما من الأشجار دون أن يظهر عليها أي أثر للعنف. ولم يبق سوى  
الأعشاب المتوجة. وكنت أسمع الجدول ينساب بهدوء إلى الشرق.

كان المكان مخيفاً بغياب أشعة الشمس، لكنه مع ذلك كان لا يزال  
جميلاً جداً ورائعاً. لم يكن موسم الأزهار البرية إنما الأرض كانت



مكسوة بالأعشاب الطويلة التي تموج مع التناغم كتموجات سطح الماء.

إنه المكان ذاته .. لكن المرجة لم تكن تحوي ما كنت أبحث

تزامنت الخيبة مع الإدراك. إذ سقطت أرضاً حيث أقف عند حافة المريج وأخذت أشهق للحصول على الهواء.

ما الهدف من التغلغل أكثر؟ ما من شيء يتحرك في المكان. لا شيء سوى الذكريات التي كان بإمكانني استعادتها أينما أشاء، إن كنت أنوي تحمل الألم المرافق. الألم الذي أحسه الآن ويجعلني باردة. لم يكن المكان يتمتع بأهمية خاصة من دون وجوده معي. لم أكن واثقة تماماً مما كنت أتمنى أن أشعر به في هذا المكان. لكن المريج كان يخلو من أي أجواء خاصة، بل يخلو من كل شيء، يشبه أي مكان آخر ويشبه كوابيسي تماماً. شعرت براسي يدور.

لقد أنيت وحيلة على الأقل. وشعرت بالامتنان عندما أدركت ذلك. لو أنني اكتشفت وجود المريج برفقة جايكوب. .. ما كنت لأجد طريقة لإخفاء الشعور بالفرق في الحميم الذي كنت أحسه الآن. كيف كنت لأتمكن من تفسير نقتي إلى أجزاء متناثرة بما يحمل على الانقباض داخل كرة لمنع الحفرة من تمزيقي أكثر فأكثر؟ كان الوضع أفضل من وجود حضور يشهدون على المأساة.

كما أنني لم أكن مضطرة لأن أشرح لأحد سبب رغبتي في الرحيل على عجل. كان جايكوب ليفترض أنه بعد أن تكبدت كل هذا العناء للعثور على المكان سأرغب في أن أمضي ما يزيد على بضع لحظات فيه. لكنني كنت أستجمع ما يكفي من القوة لأقف على قدمي مجدداً، وأجبر نفسي على الخروج من الكرة لأتمكن من الهرب. كان الألم أكبر من أن يحتمله المكان الفارغ حتى أنني كنت لأغادره زحفاً إن اضطررت.

لكير حظي لم أكن وحيدة في النهاية!

وحيدة. كررت الكلمة على مسعري برضا مكروب، بينما أحاول الوقوف على قدمي على الرغم من الألم. في تلك اللحظة بالذات ظهر شيء ما من بين الأعشاب الباسقة لناعية الشمال، شيء لا يبعد سوى ثلاثين خطوة.

صعقتني موجة من العواطف الجياشة في لحظة. المفاجأة الأولى، كنت بعيدة عن أي ممر يمكن تقفي أثرني فيه ولم أكن أتوقع مجيء أحد. ثم أنني حين ركزت نظري على الشكل الواقف من دون حراك، أراقب الثبات التام والبشرة الشاحبة، اخترقتني ومضة من الأمل. لكنني كنتها بشكل شرير أجابه الشعور بالمذاب بينما لا تزال عينايتي تحدقان في الوجه المؤطر بالشعر الأسود، الوجه الذي لم أكن أرغب برؤيته. ما شعرت به تالياً كان الخوف إذ لم يكن الوجه الذي أتحرق لرؤيته لكن صاحبه كان قريباً بما يكفي لأدرك أنه لا يعود لمتنزه آخر تائه. وأدركت في النهاية من يكون.

صرخت بنبرة تحمل دهشة الرضا: «لورنت!». كان رد فعل لاعقلانياً. لعله كان يفترض بي أن أتوقف عند الشعور بالخوف وحسب.

كان لورنت أحد أفراد عائلة جايمس حين التقينا للمرة الأولى. ولم يكن متورطاً بعملية الاضطهاد التي تلت عملية التعارف، الصيد الذي كنت أنا فريسته. لم يتورط بمحاولة قتلي لأنه كان يشعر بالخوف وحسب، ولأنني كنت بحماية مجمع أكبر من عائلته. كان الأمر ليختلف لو كانت الحقيقة مغايرة وما كان ليشر بأي تأنيب للغمير لو اتخذتني وجبة له في ذلك الوقت. لا بد أنه تغير بذهابه إلى آلاسكا للعيش مع جماعات أكثر تعديلاً هناك، مع عائلة أخرى ترفض شرب دم البشر لأسباب أخلاقية. عائلة أخرى كهائلة. .. كنت أعجز عن التلفظ باسمها.

عضضت على شفثي إذ بدأت أطراف الجرح تخبط بعنف.  
استغرقت لحظة لاستعد نفسياً. وكان لورنت ينتظر وعينه يملأهما  
الفضول.

تمكنت من القول في النهاية: «لقد انتقلوا فعلاً».

تمتم: «يدهشني أنهم تركوك وتخلوا عنك. أما كنت طقتهم  
المدلة؟». كانت عيناه برتقتين من أي إساءة مبيتة.

ابتسمت بمكر وقلت: «شيء من هذا القبيل».

بدا مستغرقاً في التفكير مجدداً.

أدركت في تلك اللحظة بالتحديد لماذا كان يتسم بهذا الشبه، الشبه  
إلى حد بعيد. أخذت، بعد أن أخبرنا كارلايل عن بقاء لورنت مع عائلة  
ثانياً، أتخيله في المرات النادرة التي أفكر فيها بعينه الذهبيتين اللتين  
تشبهان عيون عائلة كولن. نطق دماغه يذكر الاسم مكرهاً، إنها العيون  
التي يتصف بها كافة مصاصي الدماء (الطين).

تخذت خطوة لا إرادة للوراء، فتع حركتي بعينه الحمراءين  
سألني بنبرة عادية وهو يميل بجسمه نحوي: «هل يزورون المكان  
مرة أخرى؟»

من صوت المخملي الجميل من قلب ذاكرتي: «إكذبي عليه».

دهشت لسماع صوته، مع أنه ما كان يفترض بي أن أفعل. أما كنت  
واقعة في شباك أكبر خطر ممكن؟ بدت الدراجات النارية مجرد قطط  
سائلة مقابل ما كنت أتعرض له الآن.

فعلت ما أمرني به الصوت.

حاولت أن أجيب بنبرة مسترخية هادئة، «بين الحين والآخر.  
أتصور أن الوقت يبدو طويلاً بالنسبة لي... تعلم كيف أنهم يعليلون

كان الإحساس بالخوف ليكون أكثر ملائمة للواقع، لكن كل ما  
شعرت به هو موجة من الرضا العارم. عاد المرح ليكون المكان المليء  
بالسحر والغموض. بكل تأكيد، سحر أكثر سواداً مما توقعت، لكن  
السحر في النهاية. كان نقطة التواصل التي كنت أبحث عنها. لقد  
كان الإثبات على أنه موجود، مهما كان بعيداً. في العالم ذاته حيث  
أعيش أنا.

كان الشبه بينه وبين لورنت يصل إلى حد المستحيل. افترض أن  
من الحماقة بمكان ومن الخصائص البشرية كذلك التفكير في إمكانية أن  
يطرأ عليه أي تغيير في غضون عام واحد فقط. لكن كان فيه شيء  
ما... لم أتمكن من التحقق منه جيداً.

«يلاً؟»، كان يبدو أكثر دهشة مني عندما طرح السؤال.

ابتسمت أقول: «أنت تتذكر اسمي». من السخف بمكان أن  
مزحوا لتعرف أحد مصاصي الدماء على اسمك.

أطلق ضحكة، وقال بينما يمشي نحوي بخطوات واسعة ومزحة  
مشوشة. «لم أتوقع رؤيتك هنا».

«ألا يفترض بي أن أشعر بالأمر نفسه أيضاً؟ فانا أعيش هنا. ظننتك  
غادرت إلى آلاسكا».

توقف على بعد عشر خطوات مني، يميل برأسه جانباً. كان الوجه  
الأكثر وصامة الذي رأيته في ما بدا أنه الأبدية بالنسبة لي. تفرست في  
تقاسيم وجهه بإحساس غريب من التحرر. كنت أقف أمام شخص لم  
أكن مضطرة لادعاه أي شيء أمامه إذ كان يعرف كل ما لم أكن مجبرة  
على البوح به.

«أنت محقة. لقد ذهبت إلى آلاسكا بالفعل. ومع ذلك، لم  
أتوقع... حين وجدت منزل عائلة كولن فارغاً، ظننت أنهم انتقلوا من  
هنا».

غيابهم في مهمات... ها قد بدأت أهذي، كان علي أن أجد طريقة ما لأخبرم نفسي.

قال مجدداً: «بدا لي من رائحة المنزل أنه مهجور منذ فترة».

حتثي الصوت يقول: «عليك أن تكلمي بشكل أكثر إقناعاً بيلاً».

حاولت، وقلت: «علي أن أخبر كارلايل أنك مررت بالجوار».

ميشعر بالأسف لتفويته زيارتك. ادعيت التروي للحظة قبل أن أتابع:

«لربما يجب ألا أذكر الأمر لإدوارد».

بالكاد نجحت في قول اسمه، وعذلت ملامح وجهي بينما أفعل فقتضيت بذلك على نباح الخدعة،

«تعلم أن أعصابه... حسناً، أنا واثقة أنك لا تزال تذكر. لا يزال ماثراً

بقعة جايوس».

قلبت عيني ولوحت بيدي بلا مبالاة وكأنها مجرد حادثة عابرة

رسم، لكن بيرة صوتي كان فيها شيء من المستعيا... سألتها ماذا

ميلوك السبب.

«هل لا يزال يفعل حقاً؟»، سألتني بنبهة مشككة تنم عن الرضا:

تعمدت الإجابة المقتضبة بغية ألا يفضح صوتي شعوري بالربح.

«أجل».

تنحى لورنت جانباً وقام بدورة حول المزج. لم يفتني أن تصرفه

هذا جعله أقرب إليّ. استجاب الصوت في رأسي لتصرفه هذا بهيمنة

غاضة.

قلت بنبهة مرتفعة: «إذا، كيف تسير الأمور في دنياي؟ قال كارلايل

إنك تقيم مع عائلة تانيا».

جعله السؤال يتوقف عن الحراك وفكر يقول: «تعجبني تانيا كثيراً

وأختها إيرينا أكثر... لم يسبق أن مكثت في مكان واحد مدة طويلة كما

فعلت معي. وأنا أستمع هؤلاء ما أقوم بنظر ألتحدث الذي يحمل

القيود المفروضة خانقة... يدهشني كيف يستطيع أي منهم الانزواء بها

طويلاً. أنا أغش أحياناً». وأطلق ابتسامة مؤامرية.

لم أتمكن من ابتلاع ريقتي. بدأت قدماي تخطوان إلى الورا

وحدهما لكن التماع عينييه الحمراءوين سعري في مكاني.

قلت بصوت منخفض: «جاسبر يعاني من هذه المشكلة أيضاً».

ممس الصوت في أذني يقول: «لا تحركي».

حاولت أن أفعل ما قاله لي، لكن الأمر كان صعباً. غريزة الهروب

كانت لا تقاوم.

بدا لورنت مهتماً وهو يقول: «أحقاً؟ أهذا السبب رحلوا؟».

أجبت بصدق: «كلا، جاسبر أكثر حذراً في الديار».

وافقتي لورنت القول: «أجل، أنا كذلك».

اتخذ خطوة متعمدة إلى الامام.

سألت بانفس مبطوعة باشة لأشتت تركيزه «هل عثرت بكتريه

عليك؟» كان ذلك السؤال الأول الذي خطر لي، لكنني شعرت بالنفم

ما إن سمعت بكتريه ففكرت في التي قدمت لاصطباي مع جايوس واختفت

لكن تكن من أود التفكير فيه في هذه اللحظة بالذات.

لكن السؤال لم يمنعه من التقدم.

أجاب متردداً: «أجل، لقد أنبتت إلى هنا لأسدي لها خدمة في

الواقع. لن تكون مسرورة في هذا الشأن».

«أي شأن؟»، كان يحملك في الأشجار مبعداً ناظره عني

فاستغيت ذلك وأخذت خطوة إلى الورا.

عاد ينظر إليّ مبتسماً، فبدا أشبه بملك أسود الشعر.

أجاب بهيممة مغرية: «بشأن قتلك».

تراجعت خطوة واسعة إلى الورا. الهمهمة المسعورة في رأسي

متعتني من صمغ الصوت.



تابع بنبرة جذلة: «أرادت أن تحتفظ بهذه المتعة لنفسها. لقد وضعتك في رأسها، نوعاً ما وأخذت على عاتقها أمر مطاردتك بيلاً».

تلعثمت: «مطاردتي أنا؟».

هز رأسه وضحك: «يبدو الأمر طعنة لي، لكن جايمس كان حبيبها، وإدواردك قام بقتله».

حتى وأنا في هذه الحالة، أقف على شفا الموت، فتح اسمه الجراح غير الملتزمة وكأنه شفرة حادة.

بدا لورنت غافلاً عن رد فعلي وقال: «تظن أن قتلك أكثر ملاءمة من قتل إدوارد. معادلة منصفة، الحبيب مقابل الحبيب. وقد طلبت إلي أن أمهد لها الطريق. لم أتصور أن العثور عليك سيكون يمثل هذه السهولة. أظن أن هناك عيباً يشوب الخطة التي وضعتها. من الواضح أنه لن يكون الانتقام الذي أردته. إن كان قد تخلّى عنك وتركك من دون حماية فلا أدري إلى أي مدى ما زلت تعنين له».

صفعة أخرى وجرح آخر يمزق صدري.

عدل لورنت قليلاً في وقته وتعثرت خطوة أخرى للوراء.

قطب وهو يقول: «أفترض أنه سيفضب كذلك، مثلها تماماً».

أجبت بصوت مخنوق: «لماذا لا تنتظرها إذا؟».

ابتسم بمكر يقول: «حسناً لقد لاقيتني في توقيت سيئ بيلاً، لم ترسلني فيكتوريا إلى هنا في الواقع في مهمة. بل كنت أصطاد وحسب. أنا عطش جداً ورائحتك... مسيلة للالعاب ببساطة».

نظر لورنت إلي مزهواً بنفسه وكان ما قاله للتو يقصد به الإطراء.

أمرني الصوت الوهم الجميل بنبرة يمزقها الرعب: «قومي بهديده».

أطلته أهمس: «سيعلم أنك وراء ذلك، ولن تنجو بفعلتك».

اتسعت ابتسامة لورنت ونظر من حوله إلى الأشجار يقول: «ولم ٢٧ متزول الرائحة ما إن تمطر ثانية. لن يجد جثتك أحد وستصبحين في عداد المفقودين ببساطة، كما حصل لآخرين مثلك، لبشر كُثر آخرين. ما من سبب يدعو إدوارد للتفكير بي، هذا إن كان يكتوّر لإنحرى عن الموضوع أصلاً. دعيتي تؤكد لك بيلاً أن المسألة ليست شخصية بل مجرد عطش».

رجعتي هلوساتي تقول: «توسلي».

شهقت: «أرجوك».

هز لورنت رأسه ويدت الرقة في ملامحه وهو يقول: «أنظري إلى المسألة من زاوية مختلفة بيلاً. أنت محظوظة لأنني أنا من وجدك».

تلففت وأنا أرجع خطوة أخرى للوراء، «هل أنا فعلاً كذلك؟».

تبعني لورنت برشاقة وخفة. أكد لي يقول: «سأنجز الأمر بسرعة ولن تشعر بي شيء. أعدك. من الطبيعي أن أكذب بشأنك حين أخبر فيكتوريا لاحقاً، لأطيب خاطرها وحسب. لكنك تعلمين أنها كانت تخطط لقتلك بيلاً... أقسم أنك متشكريني لذلك». أخذ يهز رأسه ببطء وكأنه يشعر بالعرف.

حدقت فيه مرتبة.

شرع يشم الهواء الذي تطير معه خصلات شعري ويكرر متثاقلاً بعمق: «مسيل للالعاب».

توترت أعصابي بينما استعد للفرار، وضافت عينايا تنظران شزراً بينما انقبضت وصوت إدوارد الغاضب يهدر في أذني ويملا رأسي من البعيد. كان صوته يخترق كل الحواجز والسدود التي بنيتها لأحجزه داخلها، لأنعه من الظهور مجدداً. كان كياني كله يضح باسمه ويرده: إدوارد، إدوارد، إدوارد. كنت على وشك أن أموت ولا ضير من التفكير فيه الآن. إدوارد أحبك.

بعينين متضيقتين رأيت كيف أن لورنت توقف فجأة عن التنين وأدار رأسه بسرعة إلى اليسار. خشيت أن أشيح بنظري عنه وأتبع النب الذي اتخذته عيناه مع أنه لم يكن بحاجة لأن يشتت انتباهي أو يلجأ إلى أي خدعة للاتقاضي علي. كنت من الذهول بحيث لم أشعر بالارتجح حين بدأ يتراجع مبتعداً عني.

«لا أصدق ذلك». أتى صوته همساً حتى بالكاد سمعته.

اضطرت لأن أنظر عندئذ. أخذت أنظر بحثاً في المرج عن العنصر الذي قاطع جلستا ومدد حياتي بضع ثوانٍ. لم أر شيئاً في البداية وعدت أحدى بلورنت. كان يتراجع بسرعة أكبر الآن، وعيناه تخترقان الغابة.

ثم رأيت ما كان يرى، جسم أسود ضخيم ظهر من بين الأشجار هادئاً كالطيف يمشي بخطى واثقة نحو مصاص الدماء. كان خديلاً وضخماً كالحصان لكنه أسمن منه وأكثر عضلاً. الفم الطويل المتعصر يخفي أنياباً حادة كالسكاكين. وقد أصدر الحيوان الضخم صوتاً هادئاً من بين أسنانه دوى كالرعد في أرجاء المرج.

إنه الذئب. لكنه لم يكن ذئباً في النهاية، إنما وحش ضخم أسود، به الكائن الذي ينشر كل هذا الحذر والرعب. يمكن لأي كان أن يفترض أنه دب من البعيد. فأني مخلوق يملك مثل هذه الضخامة وهذه القوة؟

تمنيت لو أنني كنت محظوظة بما يكفي لأراه من بعيد. لكنني سرت ببطء أخترق العشب وأتراجع عشر خطوات حيث كنت أقف.

همس صوت إدوارد في أذني: «لا تحركي قيد أنملة».

حققت في الوحش المائل أمامي، والكلمات تتصارع في رأسي محاولة أن أجد له اسماً. كانت هيته وطريقة تحركه تشبه الكلب إلى حد ما. لم يعني التفكير سوى بهذا الاحتمال وأنا عالقة بين فكّي الرعب. إلا أنني لم أكن لأتصور أن الذئب يصل إلى هذه الضخامة.

رأيت لورنت يتراجع نحو حافة الأشجار. ووجد الارتباك طريقه

إلي على الرغم من حالة الارتباك التي كنت أعيشها. لماذا كان لورنت يتسحب من أرض المعركة؟ إن سلمنا جدلاً أن للذئب ضخامة الوحش، فهو لا يزال مجرد حيوان في النهاية. ما السبب الذي يجعل مصاص دماء يخشى حيواناً؟ كان لورنت خائفاً. وكانت عيناه تسعان رعباً تاماً كما كانت عيناى.

وكانما رداً على سؤالى، تبين لي فجأة أن الحيوان الضخم لم يكن وحيداً. إذ ظهر من كلا الجانبين وحشان عملاقان آخران يشقان لمرج بصمت. أحدهما كان رصاصي اللون وآخر شياً. لم يكن أي منهما بطول الأول. الذئب الرصاصي خرج من بين الأشجار على بعد بضع خطوات مني مسمراً عينيه على لورنت

وقبل أن أتمكن من إظهار أي رد فعل، انضم ذئبان آخران إلى المجموعة فصاروا على شكل سهم، بما يشبه سرب إوزات متوجهاً نحو الجنوب.

مما يعني أن الوحش البني الأغبر بلون الصدأ الذي خرج يرتعش من بين الأعشاب كان قريباً بما يكفي لألمسه.

شهقت لا إرادياً وارتدّيت للوراء بفرة واحدة متصرفة بحماقة كلية. تجمدت في مكاني مجدداً أنتظر من الذئب أن تحوّل انتباهها إليّ، كوني الفريسة الأضعف. تمنيت للحظة لو يستطيع لورنت سحق مجموعة الذئب، يجب أن يكون الأمر بسيطاً بالنسبة له. ظننت أن من بين الخياريين المتاحين لي سيكون التهام الذئب البني هو الأمراً.

أدار الذئب الأقرب إليّ، ذو اللون البني المائل للحمرة، رأسه نحوي قليلاً عند سماع صوت الشهقة

كانت عينا الذئب غامقتين أقرب إلى السواد. حملق بي لجزء من الثانية فبدأ لي أن عينيه تحملان الكثير من الذكاء أكثر من مجرد حيوان عادي.

خطر لي جايكوب فجأة بينما الحيوان يتغذى بي. كنت متسعة لمجني وحيدة إلى هذا المرح الخارج من الروايات، المليء بالوحوش الغامضة. جايكوب لن يموت معي على الأقل. ولم أكن أنا سبب موته على الأقل.

المهمة المنخفضة الثيرة للفائد جعلت الذئب الصديق اللون يعود ويلتفت نحو لورنت الذي كان يحدق بزمرة الذئاب المتوحشة بذهول وخوف جليين. كنت لأفهم الشعور الأول، لكنني صعقت حين استدار على عقيبه واختفى بين الأشجار من دون سابق إنذار. لقد هرب فعلاً.

ولحقة الذئاب في غصون لحطات، يندفعون بين الأعشاب الباسقة الطول بويبات قوية يهمهمون ويترجرون بقوة حيث رفعت يدي لأعلى أذني بشكل فطري، خفت الصوت بسرعة متعلة ما إن اختفى الجميع في ثوب العينة وكنت لوحدي مجدداً.

اندهش وسقطت على ركبتي أستند بيدي على الأرض وسبب الشبهات يرتفع في حلقي

كنت أعلم أنني بحاجة لأن أرحل، والآن، كم من الوقت سيطارد الذئاب لورنت قبل أن يعودوا للانقضاض عليّ؟ أم أن لورنت سينقض عليهم؟ هل سيكون هو من يعود لقتلي؟ عجزت عن الحراك في البداية مع أن ذراعي وقدمي كانت ترتجفان وكنت عاجزة عن الوقوف على قدمي.

لم يتمكن دماغي أن يتخطى الشعور بالخوف أو الرعب أو الارتباك. لم أفهم ما الذي شهدته الآن.

ما كان يجدر بمصاص الدماء أن يهرب من مجموعة كلاب ضخمة. ما الذي ستمله أسنانها إزاء البقرة الرخامية؟

كان يجدر بالذئاب أن تتحاشى لورنت. حتى لو علمتها ضخامة أحجامها ألا تخشى شيئاً، لم يكن لملاحقتها له أي معنى. كنت أشك أن تغريبها رائحة بشرته الرخامية الباردة تشكل لها طعاماً شهيماً. لماذا قد تتجاهل كائناتاً ذا دم حار مثلي وتطارد لورنت؟

لم أتمكن من فهم الأمر بأي صورة تماوجت أعشاب المرح بتأثير النسيم البارد وكان شيئاً ما كان يحرك.

قفزت على قدمي أترجع على الرغم من النسائم الناعمة التي مرت بي برقة. استدرت وأخذت أركض بين الأشجار مرتبة.

لم تكن الساعات القليلة التالية أكثر من مجرد ألم مزج يقطع أوصالي. استغرقتي الهرب من الغابة ثلاثة أضعاف الوقت الذي استغرقه وصولي للمرج. لم أعر اهتماماً في البداية إلى وجهة سيرتي. كنت أحصر تركيزي فقط بالمصيبة التي كنت أهرب منها. عندما تمكنت من السيطرة على نفسي بما يكفي لأتذكر البوصلة كنت قد تغلغلْتُ في أعين مائة حشرة الخطرة. كانت يداي ترتعشان مما اضطرني لوضع البوصلة على الأرض الترابية لأتمكن من قراءتها جيداً. كنت أتوقف كلما مرت بضعة دقائق، لأضع البوصلة وأتحقق أنني ما زلت في الاتجاه الشمالي الشرقي الصحيح. وكنت أصعب في كل مرة عندما لا تكون قدمي تخبطان الأرض الموحلة، لهمس الأشياء الخفية الغامضة التي تتحرك بين الأوراق.

قفزت لسماع صوت طير أبو زريق وسقطت أمتفر على جذع شجرة تنوب صنوبرية صغيرة فكشط ذراعي بجذعها وتشابك شعري بنسغها. ودفعني مرور أحد السناجب مسرعاً بمحاذاة نبتة الفونيون السامة لإطلاق صرخة مدوية صمت أذني.

أخيراً تمكنت من رؤية نسخة ما بين الأشجار أمامي. لقد وصلت



إلى الطريق الخالية التي تبعد ما يقارب الميل جنوبي نقطة ركن الشاحنة مع أنني كنت متعبة لحد الإنهاك، حثت الخطي على طول الممر إلى أن وجدت الشاحنة. ما إن تمكنت من الوصول إلى داخل الشاحنة، حتى كنت أشهق وأبكي بصوت متقطع وغصة مجدداً. أقلت الأبواب بإحكام قبل أن أخرج المفاتيح من جيبي. هدير محرك الشاحنة كان يبعث على الراحة وعدم الإصابة بالجنون. ساعدني ذلك على حبس دموعي بيته. أقود بالسرعة التي تسمح بها شاحنتي متوجهة نحو الطريق العام.

كنت أكثر هدوءاً، لكن منظرني كان مشعناً ساعة وصولي للمنزل. كانت سيارة تشارلي متوقفة في الممر، لم أدرك أن الوقت كان متأخراً. كانت السماء قد أغبرت.

«بيلاً؟»، نادى تشارلي حين صفقت الباب الأمامي وأحكمت إقفاءه على عجل.

كان صوتي مترنحاً وأنا أقول: «أجل هذه أنا».

ظهر في باب المطبخ وعلى وجهه ملامح التوعد وصوته يدوي: «أين كنت؟».

ترددت لعله اتصل بعائلة ستانلي. كان جندوسي ربما أن التزم قول الحقيقة.

اعترفت: «كنت أقوم بترعة سيراً على الأقدام».

كان التوتير جلياً في عينيه: «وماذا حلّ بمسألة ذهابك إلى جيسيكاً؟».

«لم يكن مرجحي بسمح بدراسة الحساب».

لفّ تشارلي ذراعيه فوق صدره.

«أظن أنني طلبت منك أن تبقي بعيدة عن الغابة».

مززت كتفي وأجبت: «أجل، أعلم، لا تقلق، لن أفعل ذلك مجدداً».

بدأ وكأن تشارلي يراني للمرة الأولى. تذكرت أنني أمضيت بعض الوقت مستلقية على أرض الغابة، لذا لا بد أنني كنت أبداً مهشمة.

سألني تشارلي: «ما الذي حصل؟».

قررت مجدداً أن قول الحقيقة أو جزء منها هو الخيار الأفضل.

كنت مضطربة بشدة لأدعي أنني أمضيت يوماً ممتعاً في الطبيعة.

حاولت أن أقول بهدوء لكن نبرة صوتي كانت مرتفعة ومرتعشة:

«لقد رأيت الدب. إنه ليس دُباً بالمناسبة، بل نوع من المثالب. هناك حبة منها. الذئب الأسود الضخم، والرمادي، والبني الصديق...».

جحظت عينا تشارلي رهباً، ومشى خطوات واسعة نحو ي ومزني من أعلى كتفي.

«هل أنت بخير؟».

أخذ رأسي يتحرك إلى الأمام والوراء بوهن.

«أخبريني ما الذي حصل».

«لم تأبه لوجودي لكنها بعد أن رحلت هربت وسقطت مرأت عدة على الأرض».

حيز كتفي ولفّ ذراعيه حولي من دون أن يقول شيئاً للحظة طويلة.

تتمم: «ذئاب».

«ماذا؟».

«قال الحوالمون إنهم أحفظوا النظر باعتبارها أثار دنية، لكن الذئب لا تكبر لتصبح بهذا الحجم...».

«لكن تلك كانت ضخمة».

«كم واحداً قلت إنك رأيت؟».

«خمسة».

هز تشارلي رأسه مقطباً يتأكله القلق. تكلم أخيراً بنبرة حاسمة لا تفتح مجالاً للجدل: «التنزه ميراً على الأقدام ممنوع».

وعدته مؤكدة قوله: «لا مشكلة».

اتصل تشارلي بمركز الشرطة ليبلغ عما رأيته. أخبرته باستخدام عن المكان المحدد حيث رأيت الذئب مدعية أنني كنت على العمير المؤدي شمالاً. لم أشأ أن أعلم والذي إلى أي مدى تغفلت في الغاب وخالف إرادته. والأمر الأكثر أهمية هو أنني لم أشأ أن يقوم أحد بالتجول قريباً من المكان حيث يبحث عني لورنت. الفكرة بعد ذاتها جعلتني أشعر بالاشمزاز.

سألني عندما أقفل الخط: «هل أنت جائعة؟».

هزرت رأسي نفيًا مع أنني لم أكل شيئاً طيلة النهار.

أجبت: «أنا متعبة وحسب». واستدردت نحو السلال.

قال تشارلي وقد غدا صوته مشككاً فجأة: «ألم تقولي إن جايكوب سيكون خارج المنزل طيلة النهار؟».

أجبت وقد شعرت بالحيرة لسؤاله: «هذا ما قاله ييلي».

تمعن في تقاسيم وجهي وبدا راضياً عما رآه.

أردفت بسؤال آخر: «لماذا تسأل؟».

بدا وكأنه يقصد بنظراته أنه يتهمني بالكذب عليه هذا الصباح. كذبت عليه بشأن الدراسة مع جيبكا.

«حسنًا، الأمر أنني حين ذهبت لأقفل هاري، رأيت جايكوب أمام المتجر هناك برفقة بعض أصدقائه. لوحث له وحييته لكنه... لم ينتبه لي على ما أعتقد. أظنه كان يتجادل ربما مع أصحابه. بدا غريباً وكان شيئاً ما يحزنه. كما أنه بدا لي... مختلفاً. وكأنه يمكنك أن تلاحظي ذلك الولد وهو يكبر وينمو كل مرة أراه فيها يكون أكبر حجماً».

«قال ييلي إن جايك وأصدقائه سيذهبون إلى بورت أنجلس لمشاهدة بعض الأفلام. لعلهم كانوا ينتظرون أحداً لملاقاتهم».

أوما تشارلي رداً على كلامي وتوجه نحو المطبخ.

وقفت في البهو أفكر في جايكوب يتجادل مع أصدقائه. وتساءلت ما إذا واجه إميري بعلاقته مع سام. لعله لهذا السبب أهملني لأجله اليوم. إن كان ذلك يعني أنه يود حل الأمور مع إميري فيسرنني أنني لم أكن موجودة معه.

توقفت لأتحقق من الأقفال مجدداً قبل أن أذهب إلى غرفتي. كان ذلك تصرفاً سخيفاً. ما الفرق الذي قد تشكله الأقفال بالنسبة لأي من الوحوش التي رأيتها بعد ظهر هذا اليوم؟ قد تعيق قبضة الباب وحدها الذئب وتعرض سبيلها كونها لا تملك أصابع إبهام تساعد على فتح الباب، أما إن أتى لورنت... أو... فيكتوريا...؟

استلقيت في سريري لكن الارتجاف كان قوياً بحيث امتنع عليّ النوم. لورنت حتى صرت أشبه بكرة تحت الغطاء وانقبضت وأنا أواجه الحشرات المزجة لوحدي.

لم يكن هناك ما يسعني فعله. لم أجد أن أياً من الاحتياطات قد تنفع. وما من مكان أخفى فيه. وما من أحد يستطيع مساعدتي. أدركت وأمعاني تنقلب وأشعر بالغثيان أن الأمور كانت أسوأ مما أعتقد. لأن كل تلك الحقائق تنطبق على تشارلي كذلك. فأبي الذي ينام في الغرفة الملاصقة لغرفتي، لم يكن يبعد عن قلب الخطر الذي يستهدفني قيد شعرة. ستقودهم رائحتي إلى هنا سواء كنت موجودة أو لا.

أخذت أرتجف بعنف حتى بدأت أسناني تصطك ببعضها.

وأخذت أنصهر أموراً مستحيلة لأهدئ من روعي. فتخيلت الذئب الكبيرة تنقض على لورنت وتقضي على الخالد الذي لا يمكن التخلص منه كما تفعل بالبشر العاديين. على الرغم من تفاهة التصور، جعلتني

## الجماعة

كنت أصاب بالدهشة حين أدرك كل صباح أنني نجوت ليلة أخرى  
وفتحت عينيّ أستقبل ضوء صباح جديد. وبعد أن تنزاح الدهشة،  
تسارع دقات قلبي من جديد وتتعرق راحتي يديّ، وكنت أعجز عن  
التفكير كما يجب إلى أن انهض من السرير وأؤكد أن تشارلي قد نجا  
أيضاً.

كنت أعلم أنه يشعر بالقلق وهو يراني أفقر من مكاني عند سماع  
صوت مرتفع، أو أصاب بالشحوب ويختفي اللون من وجهي من دون  
سبب واضح. امتنتجت من نوع الأسئلة التي كان ي طرحها بين الحين  
والآخر أنه كان يعزو التغيير الذي طرأ عليّ إلى غياب جايكوب  
المستمر.

كان الرعب الذي ملأ أفكاري وسيطر على مخيلتي يعميني عن  
حقيقة مرور أسبوع آخر دون أن يتصل جايكوب بي. لكنني حين تمكنت  
من التركيز مجدداً على نمط حياتي الطبيعية، هذا إن كانت صفة  
«الطبيعية» تنطبق أصلاً على الحياة التي أعيش، شعرت بالحزن.

كنت أفقده بشكل مرعب.

كانت وحدتي سيئة بما يكفي قبل أن يضاف إليها خوفني السخيف.  
الآن، وأكثر من أي وقت مضى كنت أشواق لضحكته وتكشيرة ابتسامته

الفكرة أشعر بشوع من الارتياح. إن التفتطه الذئب لن يتمكن من إخبار  
فيكتوريا بمكان وجودي. وإن لم يعد ستظن أنني لا أزال بحماية عائلة  
كولن. لو أن الذئب تمكن فقط من ربح المعركة..

مصاصو الدماء الطبيون خاصتي لن يعودوا، كم كان ليويحني  
التفكير أن النوع الآخر سيختفي.

أحكمت إطباق عيني وانتظرت حلول اللاوعي وأنا أكاد أشعر  
بالحماسة واللهفة لبداية الكابوس المعتاد، أفضل رؤية الوجه الشاحب  
الوسيم الذي يتسم لي الآن من خلف جفني المطبقين.

صوّرت لي مخيلتي عيني فيكتوريا داكنة عطشاً مشرقة توقفاً  
وانتظاراً. كانت تلوي شفيتها للوراء تكشف عن أنياب لامعة غبطة ورضاً.  
وكان شعرها الأحمر ملتهباً بلون النار وهو يتطاير بغوضوية حول وجهها  
المتوحش.

أخذت كلمات لورنت تعيد نفسها في رأسي. لو كنت تعلمين ما  
المخطط الذي وضعته من أجلك...

ضغطت بقبضتي على فمي لأمنع نفسي من الصراخ.



المعدية. كنت أحتاج للشعور بسلامة عقلي في أحضان كاراتيه الأليف،  
وليثد الدافئة تحيط بأصابعي الباردة.

كنت أتوقع أن يتصل بي يوم الاثنين. إن كان قد أحرز تقدماً مع  
إيمري أفلا يود إطلاعي عليه؟ أردت أن أصدق أن قلقه على صديقه هو  
ما يشغله طوال الوقت، لم أأشأ أن أفكر أنه تخلى عني.

اتصلت به نهار الثلاثاء لكن أحداً لم يجب. هل لا تزال هناك  
مشكلة في الخطوط؟ أم أن بيبي وضع جهازاً كاشفاً يظهر رقم المتصل؟

يوم الأربعاء، أخذت أكرر الاتصال كل نصف ساعة حتى ما بعد  
الساعة الحادية عشرة ليلاً يائسة لأسمع دفء صوت جايكوب.

يوم الخميس جلست ساعة كاملة في الشاحنة المتوقفة أمام المحرك  
أفقل على نفسي وأحمل المفاتيح في يدي. كنت أجادل نفسي وأحاول  
أن أورو نفسي سبب القيام برحلة سريعة إلى لا يوش. أكني عذرت من  
ذلك

كنت أعلم أن لورنت قد عاد لفينكتوريا الآن. وإن ذهبت بي لا  
يوش، سأفتح الباب أمام لحاق أحدهما بي. ماذا لو لم يأت أحدهما  
فيما أنا على مقربة من جايكوب؟ بقدر ما كان ذلك يؤلمني، كنت أعلم  
أن من الأفضل لجايكوب أن يتجنبني. كان ذلك أكثر أماناً له.

يكفيني سوء أنني كنت أعجز عن إيجاد طريقة ما لإبقاء تشارلي  
بعناى عن الخطر. الليل كان الفترة التي تناسب قدومهم للبحث عني. ما  
الذي يسعني، في هذه الحالة قوله لتشارلي لأخرجه من المنزل؟ إن  
أخبرته الحقيقة، سيففل عليّ باب غرفة حديد في مكان ما؟ كنت  
لأتحمل ذلك وأرحب به حتى، إن كان يبقيه آمناً. لكن فيكتوريا كانت  
لتأتي إلى منزله أولاً بحثاً عني. لربما ستكتفي بقتلي أنا وحدي إن  
وجدتني. لعلها سترحل ما إن تتخلص مني. لذا لا يمكنني الهرب.  
حتى لو استطعت، فإلى أين سأذهب؟ إلى ريتيه؟ ارتعدت أوصالي لفكرة

جر الأظفار القاتلة معي إلى عالم أمني الشمس الآمن. لن أعرضها لهذا  
النوع من الخطر مطلقاً.

كان الخوف يتآكلني، وسرعان ما يحدث في ثقباً.  
أسداني تشارلي تلك الليلة خدمة أخرى إذ اتصل بهاري مجدداً  
ليؤكد ما إذا كانت عائلة بلاك خارج البلدة، أخبره هاري أن بيبي قد  
حضر اجتماع المجلس ليلة الأربعاء ولم يأت على ذكر الرحيل. حذرتني  
تشارلي ألا أكون سبب إزعاج وأن جايكوب سيتصل بي حين يستطيع  
ذلك

خطر لي الأمر بينما أنا عائلة من المدرسة بعد ظهر يوم الأربعاء.  
لم أكن أنتبه للطريق المألوفة أمامي تاركة صوت هدير المحرك  
يوقظ تفكيرتي ويُسبب مخاوفني. حين أطلق عقلي حكماً كان لا بد  
يعمل على تحليله منذ بعض الوقت من دون قرار مني. حالما فكرت في  
الأمر، شعرت بأنني حمقاء فعلاً لعدم رؤيته من قبل. كان ذهني متخماً  
بعدد من الأمور، بدءاً بمشاعبي كدعم اليهوديين للانتقام إلى الخوف  
المختلفة وصولاً إلى الحفرة المبهشة وسط ضلوعي، لكن حين  
استنحت الأتبات، بدا جلياً بما يدعو للحرج.

جايكوب يتجنبني. تشارلي يقول لي إنه يبدو غريباً، حزناً...  
جوبة بيبي الغامضة...

يا إلهي، كنت أعلم تماماً ما الذي يحصل مع جايكوب.  
إنه سام أولي. حتى كوابيسي كانت تحاول إخباري بذلك. لقد  
وصل سام إلى جايكوب. مهما كان الذي يحصل للعصابة الآخرين على  
تلك المحمية، فقد وصلت يده لتسرق صديقي. لقد ضمه سام أولي إلى  
جماعته.

أدركت وقد غمرتني المشاعر أن جايكوب لم يتخل عني في  
النهاية.

سمحت لساحتي بالتوقف بصمت أمام المنزل. ما الذي يجدر بي فعله؟ أخذت أفكر مخاطر كل من الاحتمالات المطروحة.  
إن ذهبت لرؤية جايكوب فأنا أخطر بأن يجдени لورنت أو فيكتوريا معه.

إن لم الحق به، فإن سام سيورطه أكثر فأكثر في عصابته المخيفة.  
وقد بغوت الوقت إن لم أنصرف سريعاً.

مضى أسبوع كامل ولم يقم أي من مصاصي الدماء بتعقيبي. كانت تكفي تلك الفترة لعودتهم لو أرادوا لذا لم أكن أنا الأولوية الآن. على الأرجح أنه وكما قلت سابقاً سيتعباني ليلاً، وخطورة اللحاق بي إلى لا يوش أقل من خطورة خسارتي جايكوب لصالح سام.

كان الأمر يستحق عيش خطر ووحشة طريق الغابة. فتلك لم تكن زيارة عادية لمعرفة ما يحصل، إذ إنني كنت أدرك ما الذي يحصل تماماً. وكنت أقوم بمهمة إنقاذ. كنت سأحدث إلى جايكوب بل وأختطفه إن لزم الأمر. لقد سبق أن شاهدت أحد الأفلام الوثائقية حول إعادة برمجة مغسولي الدماغ، لا بد أن يكون هناك علاج ما.

فكرت أن من الأفضل أن أنصل بشارلي أولاً. لعل الشرطة يجب أن تتدخل في ما يحصل في لا يوش مهما كان نوعه، دخلت المنزل مستعجلة لأغادره مجدداً نحو لا يوش.

كان بشارلي نفسه من أجاب على الاتصال في مركز الشرطة.

«الضابط سوان يتحدث».

«أبي، هذه أنا بيلا».

«ما الخطب؟».

لم يسعني أن أجأله حول افتراضاته المتشائمة هذه المرة. كان صوتي يرتعش.

«أنا قلقة حيال جايكوب».

سألني متفاجئاً بسبب الكلام غير المتوقع: «ولماذا؟».

«أظن... أعتقد أن أمراً غريباً يحصل في المحمية. أخبرني جايكوب عن أمور مستهجنة تحدث للصبية الآخرين أترابه. وما هو الآن يتصرف بالطريقة ذاتها، وأنا خائفة».

لجأ إلى النبرة المهنية البوليسية وهو يسألني: «أي نوع من الأمور؟».

كان ذلك مبكراً، إنه يأخذ كلامي على محمل الجد.

«أولاً، كان يشعر بالخوف، ثم بدأ يتجنبني. وأنا أخشى الآن. أن يكون قد أصبح فرداً في العصابة الغريبة التابعة لسام. عصابة سام أولي».

كرر وقد بدا مندهشاً مجدداً: «سام أولي».

«أجل هو».

كان صوت بشارلي أكثر استرخاءً حين أجاب: «أظنك مخطئة بيلز. سام فتى رائع، حسناً، لقد أصبح رجلاً الآن. ولد صالح. عليك أن تستمعي لبيلي كيف يتحدث عنه. إنه يفعل العجائب مع الشباب في محميته. إنه الشخص الذي... قطع بشارلي الجملة في منتصفها. ظننت أنه كان سيعود لذكر ليلة اختفائي في الغابة. تابعت الحديث أقول بسرعة: «ليس الأمر كذلك أبي، جايكوب كان يخاف منه».

حاول تهدئي بقوله: «هل تحدثت إلى بيلي بهذا الخصوص؟».

لقد حوّل تركيزه عن الحديث لحظة ذكرت اسم سام أولي.

«بيلي ليس مهتماً للأمر».

«حسناً بيلا، أنا واثق أن الأمور بخير. جايكوب مجرد فتى، لعله يهيت ويتسلى. أنا متأكد أنه بخير. فهو لا يستطيع في النهاية أن يمضي كل لحظة من حياته برفقتك».

كان مغزى الحديث قد ضاع لكنني أصريت: «الأمر لا يتعلق بي».  
«أعتقد أنك لست بحاجة للقلق بشأن جايكوب. دعي بيلى بهتم  
بالأمر».

أجاب بنرة حادة قلقة: «بيلز، لا أملك الكثير من المعطيات حالياً.  
لقد فقدنا أثر سائحَيْن بالقرب من البحيرة الشبيهة بالهلال، مشكلة  
الذئاب تلك تخرج عن السيطرة».

أصابني الخبر لوهلة بالثقت والذهول. يستحيل أن تكون الذئاب  
قد نجت من بين مخالب لورنت...

«هل أنت واثق أن هذا ما حدث لهما؟».

«أخشى أنه كذلك حبيبي...». وتردد قبل أن يتابع: «يدت آثار  
الحوافر مجدداً، إضافة إلى بعض الدماء هذه المرة».

«آوه!»، لا بد أن الأمر لم يصل إلى المواجهة المباشرة إذاً. لا بد  
أن لورنت تغلب ببساطة على الذئاب وهزمها، لكن لماذا؟ بدأ المشهد  
الذي رأيته في الغابة يصح أكثر غرابة، وأكثر استحالة على الفهم.

«إسمعي، ينبغي أن أذهب الآن. بيلز لا تقلقي بشأن جايك. أنا  
واثق أن الأمر ليس بهذه الخطورة».

شعرت بالخوف وقد ذكرني كلامه كم أن الأزمة التي أواجهها  
ملحة، فأجبت باقتضاب: «حسناً، إلى اللقاء»، وأقلت الخط.

حدقت في الهاتف لحظة طويلة. لقد قررت ما سأفعل.

أجاب بيلى بعد أن رن الهاتف مرتين.

(٩٠)

كان صوتي أشبه بالهدير، «مرحباً بيلى». حاولت أن أكون أكثر  
لطفاً وأنا أضيف، «هل استطيع التحدث إلى جايكوب رجاء؟».

«جايك ليس هنا».

يا لها من صدمة. «هل تعرف أين هو؟».

كانت نبرة بيلى حذرة وهو يجيب: «لقد خرج مع أصدقائه».

كنت أستطيع أن أقول إن الكلمات لم تخرج بالبساطة التي كنت  
أستبها وأنا أسأله، «أحقاً؟ هل من أحد أعرفه؟ أمو كويل؟».

أجاب بيلى ببطء: «كلا، لا أظنه مع كويل اليوم».

كنت أدرك من أن أذكر اسم سام.

«أمو مع إميري؟».

بدا بيلى أكثر فرحاً وهو يجيب عن هذا السؤال: «أجل، إنه مع

إميري».

كان الجواب كافياً لي، فإميري واحد منهم.

«حسناً، أبلغه أن يتصل بي حين يعود، اتفقتا؟».

«طبعاً، طبعاً، لا مشكلة». وأقلت الخط.

تمتعت لعد أن أقلت الخط: «أراك قريباً بيلى».

ذهبت إلى لا بوش معصمة على الانتظار. سأجلس على عتبة  
المنزل طوال الليل إذا اضطررت، سأنوت الذهاب إلى المدرسة. لا بد  
أن يعود الصبي في وقت ما وحين يفعل سيضطر للتحدث إليّ.

كنت شديدة الانهماك بالتفكير حيث بدا أن الرحلة التي كنت أرغب  
من القيام بها لم تتطلب سوى بضع ثوان. قبل أن أتوقع ماذا يحصل  
كانت أشجار الغابة تغيب عن ناظري وأدركت أنني سرعان ما سأبدأ برؤية  
مطلع المنزل الصغيرة في المحمية.

على يسار الطريق، كان يعيش شاب طويل القامة يضع قبعة كرة  
مضرب على رأسه. شعرت بقصة في حلقي للحظة، أتمنى لو أن الحظ  
يحالفني ولو لمرة والتقي جايكوب صدفة دون أن ألاقى صعوبة وأنا  
أحاول العثور عليه. لكن الشاب كان عريض الكتفين وبدأ شعره قصيراً



أخذت أهييم في الغابة لنحو ساعة أناديهم. بالكاد كنت وصلت إلى الطريق حين ظهرت.

أنت الكلمات متباعدة قليلاً وخرجت من بين أسناني: «لقد وصل سام إليه إذا».

حدق بي كويل يسأل: «وهل تعرفين بشأن ذلك؟».

أومات أقول: «أخبرني جايك بالأمر من قبل».

كرر كويل متنهداً: «من قبل؟».

«هل أصبح جايكوب سيئاً كالباقين الآن؟».

«لا يترك سام مطلقاً. التفت كويل وبصق من الشباك المفتوح.

«وقبل أن يحصل ذلك، هل كان يتجنب الجمع ويدو حزناً؟».

أجاب بصوت منخفض ونبرة خشنة: «لم يستغرق الأمر كالبقية يوماً واحداً ربما. ومن ثم تابع سام أموره».

«لماذا تعتقد قد يكون السبب؟ أيعقل أن تكون مخدرات أو شيئاً من هذا القبيل؟».

«لا أعلمني أن أرى جايكوب أو إميري يتورطان في مسألة كهذه... لكن ما الذي يعرفه شخص مثلي؟ ما عساه يكون سوى ذلك؟ ولماذا لا تشكل القضية محط قلتي للأكثر سناً؟». أخذ يهز رأسه وبنا الخوف واضعاً في عينيه هذه المرة وهو يضيف: «لم يشأ جايكوب أن يصبح فرداً من هذه... الجماعة. لا أفهم ما الذي قد يغيره». عاد يحدق بي بملامح مرتعبة: «لا أريد أن أكون التالي».

عكست عيني خوفه. كانت تلك المرة الثانية التي أسمعهم فيها يطلقون اسم الجماعة.

ارتعدت قائلة: «ألا يمكن لأهلك تقديم أي مساعدة في هذا الموضوع؟».

تحت القبة. مع أنني كنت أرى ظهره وحسب، كنت متأكدة أنه كويل، مع أنه كان يبدو أضخم حجماً من المرة الأخيرة التي رأيته فيها. ما قصة صبية عائلة كويلوت تلك؟ هل كانوا يطعمونهم هورمونات نمو تجريبية؟ قطعت إلى الجانب الخاطئ من الطريق لأتوقف بجانبه. استدار ورفع نظره إلي حين سمع هدير الشاحنة تقترب منه.

أصابتنني ملامح كويل بالخوف أكثر مما أدهشتني. كان وجهه بارداً، خالياً من أي تعبير وجيئه مثقلاً بتجاعيد القلق.

حياتي يفتور: «مرحباً بيلاً».

«مرحباً كويل... هل أنت بخير؟».

حدق فيّ ميتشاً: «بخير».

«هل أوصلك إلى أي مكان؟».

تلعم مجيباً: «بالطبع، شكرًا».

استدار من أمام الشاحنة وفتح الباب بجانب السائق وصعد.

«إلى أين؟».

أجاب: «منزلي يقع عند الجانب الجنوبي خلف المجرى».

ما إن أنهى كلامه حتى أطلقت السؤال: «هل رأيت جايكوب اليوم؟».

رمرت كويل بنظرة حماسية أنتظر إجابته. حدق من الزجاج الأمامي للحظة قبل أن يتكلم وقال أخيراً: «رأيت من بعيد».

رددت كلامه: «من بعيد؟».

كان صوته منخفضاً يصعب سماعه بسبب صوت هدير المحرك. فاقتربت منه لأسمعه يقول: «حاولت اللحاق بهما، إذ كان بصحبة إميري. أعلم أنهما رأياني لكنهما أدارا ظهرهما واختفيا بين الأشجار. لا أظن أنهما كانا لوحدهما، أعتقد أن سام وجماعته كانوا هناك أيضاً».

تغضن وجهه وهو يقول: «صحيح، بشكل جذي أحد أعضاء المجلس إضافة إلى والد جايكوب. بالنسبة لهما، سام أولي هو أفضل ما حصل لهذا المكان».

حذر كل منا في الآخر للحظة طويلة. كنا قد وصلنا إلى لا بوش الآن. بالكاد كانت شاحنتي تزحف على طول الطريق الخالية. كنت أستطيع أن أرى دكان البلدة الوحيد.

قال كويل: «سوف أنرجل الآن، يقع منزلي هناك». أشار إلى المنزل الخشبي الصغير المستطيل الشكل. أوقفت السيارة إلى جانب الطريق، وقفز كويل يخرج من الشاحنة.

قلت بنبهة جافة: «سأنتظر عودة جايكوب».

«خطأ موقفاً». صفق الباب وأخذ يركض على الطريق برأس مطافاً وكثفين مقومين.

طاردني وجه كويل بينما انحرف بالشاحنة على شكل نصف دائرة متوجهة نحو منزل عائلة بلاك. لقد كان يخشى أن يكون التالي. فما الذي يحصل هنا يا ترى؟

توقفت أمام منزل جايكوب وأطفأت المحرك وفتحت النوافذ. كان يوماً راكداً لا تسام تلوح في الأجواء. رفعت رجلي على لوحة أجهزة القياس وأخذت أنظر.

رأيت شيئاً ما يلوح بطرف عيني التفت ورأيت بيلي ينظر إلي عبر النافذة الأمامية بتعابير مرتبكة مشوشة.

لوحت له مرة وابتسمت بعضلات متوترة لكني لم أتحرك من مكاني.

ضاقت عيناه وأسدل الستارة فوق النافذة.

كنت مستعدة لأن أبقي الوقت اللازم مهما كان طويلاً. لكني تمنيت لو أن هناك ما يشغلني، بحثت عن قلم أسفل حقيبة الظهر وورقة امتحان

قديمة. وأخذت أخريش على ظهر الورقة الموجودة أمامي. لم يسن لي من الوقت إلا لرسم صف واحد من الماسات قبل أن أسمع طرقاتاً على النافذة.

قفزت وأنا أرفع نظري متوقعة أن أرى بيلي.

همهم جايكوب: «ما الذي تعنيه هنا بيل؟».

حدقت فيه بدهشة خالصة.

لقد تغير جايكوب بشكل جذري على مدى الأسابيع القليلة الماضية التي لم أره فيها. أول ما لاحظته هو شعره، شعره الطويل الجميل وقد قصه قصيراً فانحسرت ليظهر جلدة رأسه المصبوغة بالأسود وكأنها قطعة من المخمل. حتى ملامح وجهه بدت أكثر قسوة بشكل خفي، ومتوترة... وأكبر سنًا، رقبته وكفاه قد تغيرت كذلك وغدت أكثر كثافة نوعاً ما. أما يدها المحيضان بإطار الشباك بدتا ضخمتين بارزتي العروق والأوردة تحت البشرة البنية اللون. لكن التغيرات الجسدية كانت أقل أهمية من سواها.

كانت تعابيرهم مختلفة إلى حد قد يحول دون التعرف إليه بالكامل. إذ اختفت الابتسامة الودودة المحببة كما اختفى شعره الطويل، وتحول دمه عينيه الداكنتين إلى حزن مكرب دائم السبب بالإزعاج. كان الغموض والظلام يلفان جايكوب الآن من كل صوب. وكان شمس قد غربت.

همست أقول: «جايكوب؟».

حدق بي وحسب بعينين غاضبتين متوترتين.

أدركت أننا لم نكون وحيدين. خلفه كان يقف أربعة آخرون، جميعهم طويلو القامة، سمر البشرة، قصيرو الشعر تماماً كجايكوب. كلن يمكن أن يكون الأربعة أخوة، حتى أنني لم أستطع تمييز أيهم كان إميري. وزادت الشبه حدة العداوة الواضحة في كل العيون.

كل العيون إلا عيني شخص واحد، الشخص الذي يكبر البقية بعدة سنوات، سام الذي يقف في الخلف، بملامحه الواثقة الوداعة، اضطررت لأن ابتلع المرارة التي صعدت إلى حلقي. أردت أن أنقض عليه. كلا، بل أردت أن أفعل أكثر من ذلك. أكثر ما أردته هو أن أكون شرسة وقائلة، أن أكون شخصاً لا يمكن العبث معه، شخص يخافه سام أولي لدرجة أن يبدو سخيفاً تافهاً.

أردت أن أكون مصاصة دماء.

أخذتني الرغبة الجامحة على حين غرة وأخرجت الهواء من رئتي. كانت الرغبة الأكثر تحريماً عليّ لأنها الأكثر إبلاماً حتى حين أردتها فقط لتحقيق هدف شرير كهذا ولربح نقاط على العدو. ضاع المستقبل مني للأبد. مع أنه لم يكن بأي حال في قبضي مطلقاً. حدثت لأشهر من نفسي مجدداً في حين أن الحفرة في صدري أعمق.

غدت ملامح جايكوب أكثر حزناً حين رأى تصارع الشياطين على وجهي وسألني: «ما الذي تريدينه؟».

أجبت بصوت ضعيف: «أريد التحدث إليك». حاولت أن أركز لكنني كنت لا أزال أتزعج جزءاً هرب الحلم المحرم.

همس من بين أسنانه: «ها نكلمي».

كانت نظرتي شريرة. لم يسبق لي أن رأيته ينظر إلى أحد بهذه الطريقة أقلهم أنا. تألمت للأمر بحدّة بالغة، ألم رهيب ألم بجسدي وصرع رأسي.

كان صوتي أكثر قوة وهممت أقول: «وحدنا!».

نظر وراءه وعلمت أين سينته نظره. فالجميع اتجه بنظره ليعرف رد فعل سام.

أولاً سام لمرة واحدة، بمعالم وجه صافية، وهادئة. أصدر تعليقاً مختصراً بلغة غير مألوفة. كنت متأكدة أنها لم تكن الفرنسية أو الإسبانية

لكنني تكلمت أنها كانت لغة خاصة بعائلة كويلوت. التفت سام ومضى يدخل منزل جايكوب فلتحق به كل من بول وغارد وإميري.

بدا جايكوب أقل غضباً عندما رحل الجميع. وغدت تقاسيم وجهه أكثر هدوءاً، إنما أكثر يأساً. وبدت الهزيمة على زاويتي فمه.

أخذت نفساً عميقاً وقلت: «أنت تعلم ما الذي أريد أن أعرفه».

لم يجيني بل حدّق بي بمرارة.

وحذقت بصمت طال كثيراً. الألم الذي رأيته على ملامحه أصابني بالثبور. شعرت غصة تتكوّن في حلقي.

سارعت في طرح السؤال بينما أستطيع الكلام: «هل نستطيع التحدث؟».

لم ألق أي ردّ على السؤال، ولم ألمح أي تغيير يطرأ على الملامح. خرجت من السيارة أشعر بالعيون الخفية تراقبني من خلف النوافذ بينما أخذنا نمشي نحو الأشجار شمالاً. كانت قدماي تغرقان في العشب الرطب والوحل، وبما أن ذلك كان الصوت الوحيد الذي كنت أسمعته منذ بداية ذلك لم يكن يثميني. لكن حين نظرت من حولي وجدته يقف بجانبني مباشرة، وكان قدميه قد وجدنا ممراً لا يصدر ضجة. اتباني شعور أفضل بين جذوع الأشجار حيث لا تصل عيننا سام. حاولت جاهدة بينما نسير أن أجده كلاماً مناسباً أفتح فيه الحديث لكن لم يخطر ببالي أي شيء. كان الغضب لا ينفك يتأكلني لتوقع جايكوب... ولسمح ببلي بذلك... لوقوف سام هناك هادئاً مطمئناً...

فجأة سرّع جايكوب الخطى وتجاوزني بسهولة نظراً لخطواته الواسعة وساقيه الطويلتين مستمراً في طريقي مما اضطرني للتوقف عن السير كذلك.

شئت رشاقة حركاته انتباهي. لقد كان جايكوب يشبهني بخرقه جراح نموه اللامتناهي. متى تغير؟



لكن جايكوب لم يسمحي الوقت لتفكير في الأمر.

قال بنبوة حادة وصوت خشن: «لكن هذه المسألة».

ووقفت أنتظر أن يتكلم إذ كان يعرف ما الذي أريده

عندما صوته قلقلاً فجأة وهو يقول: «ليس الأمر كما تظن. ولا كما

كنت أظنه أنا، كنت مخطئاً نوعاً ما».

«ما هو الأمر إذا؟»

تعرض في وجهي الوقت طويل يتأمله. لم تذكر ملامح الغضب

عبيه مطلقاً. وقال أخيراً، «لا أستطيع إخبارك».

اشتدت عضلات وجهي وتكلمت من بين أسناني. «لمست أسا

صديقاً».

«كنا كذلك». كان هناك نوع من التشديد على صيغة الفعل

الماضي.

أخبرتته فجأة: «لكنك ما عدت بحاجة لصداقتي، أصبح لديك سام

الآن، أليس هذا جميلاً، لعلما كنت تطمح لصداقته».

«لم أكن أفهمه في السابق».

«وقد رأيت النور اليوم، هللويا!».

«ليس الأمر كما كنت أظنه. لم تكن تلك غلطة سام. إنه يساعدني

على قدر ما يستطيع»؟ قال جوفاً. «لكن لم يكن ينظر إليّ وكان الحسن

بملا عينيه».

كررت بارتياح: «إنه يساعدك، هذا طبيعي».

بدأ أن جايكوب لا يصغي إليّ. كان يأخذ أعصاباً عميقة محاولاً

تهدئة نفسه. كان شديد الغضب بحيث كانت يده ترتعش.

«لمست أفق» جايكوب أرجوك، أليس تحبني ماذا حصل. لعلي

أستطيع المساعدة».

كانت كلماته عبارة عن تأوهات منخفضة وحموية منكسرة وهو

يقول، «لا يمكن لأحد مساعدتي الآن».

طلسته والدموع تتجمع في عيني «ما لاني فعله لك؟»

ممدت يدي نحوه كما كنت أفعل سابقاً وتقدمت خطوة منه بدراعي

مفتوحتين.

لكنه انقبض وأبعد رافعاً يديه بشكل دفاعي بهمس: «لا تلمسيني».

تقدمت «وهل يعاقبك سام على ذلك؟». تسلت الدموع الخفية

من زاويتي عيني. مسحتي بظاهر يدي ونبت دراعي فوق صدري

حارحت الكلمات بسرعة من فمه وكأنها رد فعل منبهر. «كنتي على

إلقاء اللوم على سام». وامتدت يدها لتلمسان الشعر الذي ما عاد

موجوداً، ثم سقطتا شكسل إلى جانبه

سألت بغضب: «وعلى من يجدر بي إلقاء اللوم؟».

«لاحت على ثغره طيف ابتسامة ملتوية مزعزعة

«لن ترغبي بسماع ذلك».

أجبت بعنف: «كيف لا، بحق الجحيم! أريد أن أعرف ذلك،

والآن».

رد بالعنف ذاته: «أنت مخطئة».

«لا تجرؤ على القول لي إني مخطئة. لست أنا من حصل له خلل

دماغ! قل لي الآن ذنب من هو هذا، أليس هو سام العظيم؟».

حلق بي بعينين تقدحان شراً: «أنت طلبت ذلك! إذا إسمعيني،

إن أردت أن تلومي أحداً، فلم لا تشيرين بإصبعك إلى مصاصي الدماء

القذريين الذين تروح معهم وأنت تحبهم كثيراً؟».

«فتحت بعيني مذهولة وخرجت أنفاسي متساقطة من صدري. تعمدت

في مكاني وقد طعنتني كلماته بحدة تخترقني. صرت موجات مألوفة من

الألم في كافة أنحاء جسدي وأخذت الحفرة في صدري تزداد توسعاً. لكنها لم تكن مع ذلك إلا في المرتبة الثانية. كأننا تشكل خلفية لفوضى الأفكار المتزاحمة في رأسي. لم يعني أن أصدق أن ما سمعته صحيح. لم يكن هناك أثر للتلكؤ في تقاسيم وجهه، حيث لم أزل إلا الحن.

كان فني لا يزال مفتوحاً من الدهول.

قال: «أخبرتكَ أنك لن تحيي سماع ذلك».

همست: «لست أفهم ما الذي تعنيه».

رفع أحد حاجبيه غير مصدق: «اعتقد أنك تفهمين ما أقصد تماماً. لن تجبريني على قول ذلك صراحة، اليس كذلك؟ لا أربح بأن أجرح».

كررت بشكل آلي: «لا أفهم من تقصد».

نطق الكلمات ببطء فيما يتأمل وجهي: «عائلة كولن. سبق أن رأيت ذلك، أستطيع أن أرى في عينيك ماذا يعني لك الأمر حين أنطق اسمهم».

جحفلت عيناى استنكاراً، وكنت أحاول في الوقت ذاته أن أستعيد التفكير بوضوح. كيف له أن يعلم بذلك؟ وما علاقة ذلك بجماعة سام؟ هل هي عصاة مناهضة لمصاصي الدماء؟ ما الهدف من تشكيل جماعة كهذه في حين لم يعد هناك من يعيش معهم في بوركس؟ لماذا قد بدأ تصنيف الروايات المتعلقة بعائلة كولن الآن في وقت اختفى كل أثر لهم، ولن يعودوا؟

استغرقت وقتاً طويلاً لفهم الإجابة الصحيحة. رقلت في محاولة واهنة لأمسح من الأمر: «لا تقل لي إنك بدأت تصغي لهرار بيلي وخرافاته؟».

«إنه يعرف أكثر مما كنت أظن».

«كن جدياً جايكوب».

حملق بي وكانت عيناى مآخريتين.

سارعت إلى القول: «دع الخرافات جانباً، ما زلت لا أفهم بَمَ تنهم عائلة كولن. لقد غادروا منذ ما يزيد على نصف عام. فكيف يمكن لك أن تلقي باللوم عليهم في ما يفعله سام الآن؟».

«سام لا يفعل شيئاً بيلاً. وأعلم أنهم رحلوا. لكن أحياناً... تدور العجلة، ويفوت الوقت».

«أي عجلة تلك التي تدور؟ وعلامَ يفوت الوقت؟ وما الذي فعلوه لتلقي باللوم عليهم؟».

أصبح فجأة يقف بمواجهتي وعيناى تشعان حقناً، وهمس: «لومهم على وجودهم».

أصبت بالدهشة والتشتت حين عادت إليّ كلمات إدوارد المعقدة في وقت لم أكن أشعر بالخوف حتى.

همس إدوارد في أذني محذراً، «إهدأي الآن بيلاً، لا تزيدي من حدة الموقف».

منذ أن هرُ اسم إدوارد الجدران التي حرصت على دفنه وراءها حتى عجزت عن إعادته. لم يعد الأمر يسبب لي الأذى الآن، ليس أثناء اللحظات الثمينة التي كنت أسمعها فيها.

كان جايكوب يستشيط غضباً أمامي ويرتعد غضباً. لم أفهم سبب حلول وهم إدوارد على ذهني على نحو غير متوقع. كان جايكوب متمتع اللون لكنه كان لا يزال جايكوب الذي أعرفه. وليس هنا خطر أو خوف من ارتفاع نسبة الأدرينالين.

ألح صوت إدوارد: «إنصحه فرصة ليهدا».

«هزئت وأسي بحيرة وارتيك، وقلت لكلاهما: «يا لكما من مخيفين!»».

أحزب جايكوب وهو يأخذ نفسه عمداً مجدداً. أحسب أن أتحزن معك. الأمر ليس مهماً بأي حال. والضرر قد وقع.  
«أي ضرر؟»

لم يجفل وأنا أصرخ بوجهه.  
«دعينا نعود أدرأجتا. لم يعد هناك ما يمكن قوله».

شهقت: «لم يعد هناك ما يمكن قوله! أنت لم تقل شيئاً بعداً».

تجاوزني متوجهاً نحو المنزل.

صرخت في إثره: «التقيت بكوبيل اليوم».

توقف عن المشي، لكنه لم يستدر نحوي.

«أتذكر صديقك كوبيل؟ إنه مرتعب».

استدار جايكوب لينظر إلي ويبدأ مثالماً.

«كوبيل». كان هذا كل ما قاله.

«إنه قلق بشأنك. وهو متعجب مما حدث».

كان جايكوب ينظر إلي دون أن يراني بعينه اليائس.

أصريت: «يخاف أن يكون التالي».

تشبث جايكوب بالشجرة ليستند نفسه وقد اصطبغ وجهه بظلال خضراء غريبة تحت اللون البني المائل للحمرة. تمتم يقول لنفسه: «إن يكون التالي. لا يمكنه أن يكون التالي. لقد انتهى الأمر الآن. لا يجب بذلك أن يدمر. لماذا؟ لماذا؟». خبط الشجرة بقبضته. لم تكن شجرة ضخمة، بل رفيعة يزيد طولها قليلاً على طول جايكوب نفسه. مع ذلك تفاجأت حين ترنح الجذع وتمايل بقوة تحت ضربته ثم انكسر مصدراً شجياً

حذق جايكوب بالجذع المكسور بصدمة سرعان ما تحولت رعباً.

استدار ورحل مسرعاً بحيث اضطرت أن أعدو لألحق به.

«هل نعود إلى سام؟»

«إن أردت قول ذلك». بدا لي أن ذلك ما قاله إذ كان يهمهم ويدبر ظهره لي.

ركضت وراءه حتى وصلنا إلى الشاحنة. ناديت فيما كان يهرع للمنزل: «انتظرا».

التفت لينظر إلي ولا حظت أن يديه كانتا ترتجفان مجدداً.

«عودي للبيت بيلاً، لم أعد أستطيع التسكع معك».

كان الأذى الذي تركته كلماته حاداً. اغرورقت عيناها بالدموع مجدداً: «هل... تتخلى عني وتركني؟». لم تكن الكلمات الصحيحة التي يجدر بي قولها، لكنها بدت الطريقة الأمثل التي أمكنتني التفكير فيها لصوغ السؤال. فما بيني وبين جايك في النهاية أكثر من مجرد علاقة رومانسية مع صبي المدرسة. علاقة أقوى وأكثر ثباتاً.

أظن فحكة مريرة يقول: «ليس تماماً، لو كان ذلك هو الحال لاستطعت القول (سقى صديقي)، لا يسعى قول ذلك حتى».

جايكوب... لماذا؟ ألا يدعك سام نحط بأصدقه أخيراً؟ أوجعك جايك، لقد وعدتني. أنا بحاجة إليك. عادت حالة الفراغ التي أصابها مسبقاً في حياتي. قل أن يأتي جايكوب ويعيد إليها نوعاً من المنطق، ثمثّل أمامي وتواجهني. وعلقت الوحدة في حلقي.

نطق جايكوب كل كلمة على حدة بصوت لم يكن صوته على ما يبدو «السف بيلاً».

لم أصدق أن ذلك ما أراد أن يقوله جايكوب فعلاً. بدت عيناها الغاضبتان تحاولان قول شيء آخر مختلف، لكن الرسالة لم تصلني.

لعل الأمر لا يتعلق بسام في النهاية. ولعل الأمر لا علاقة له كذلك بعائلة كولن. لعله يحاول إنقاذ نفسه من وضع يائس ما. لعلي يجب أن أدعه يقوم بذلك لمصلحته. يجب أن أدعه. سيكون الأمر المناسب.



لكني سمعت صوتي يخرج هماً.

فقد كنت بالنسبة للوي علق الحقيقة إلى الحد الأقصى حتى بدت أقرب إلى الكذبة: «أسفة أنا... لم أستطع قبلاً... أتمنى لو أستطيع أن أغير مشاعري نحوك... جايكوب... قد... أنغير... قد أفعل أن أعطيتني بعض الوقت... لكن لا تركني الآن جايك، لن أحتمل ذلك».

تغيرت ملامح وجهه في لحظة من الغضب إلى الحزن. ومد إحدى يديه المرتجفتين نحوي.

«لا تفكري على هذا النحو بيلاً. أرجوك. لا تلقي باللوم على نفسك، فالذنب ليس ذنبك، فالأمر كله يتعلق بي أنا. أقسم أن لا علاقة لك به».

هست: «كلا، لا يتعلق بك أنت».

جاهد ليسيّط على عواطفه وقد بدا صوته أكثر خشونة. وبدا العذاب في عينيه وهو يقول: «لم أعد أصلح لأكون صديقك أو أي شيء آخر. لم أعد ما كنت عليه في السابق. لم أعد صالحاً».

حدقت فيه بتركيز ودهشة، وعدت أصرخ بصوت ملؤه الخوف واقلق: «ماذا؟ ماذا تقول؟ أنت أفضل مني جايك. أنت صالح! من أخبرك أنك لست كذلك؟ أهو سام؟ إنها كذبة شريرة جايكوب. لا تدعه يفتك بذلك!».

تصلبت معالم جايكوب وغلث من أي تعبير: «ليس على أحد أن يقول لي شيئاً. أنا أعلم ما أنا عليه».

«أنت صديقي! هذا ما أنت عليه! جايك... لا تفعل!».

لكنه كان يتراجع مبتعداً عني.

«أنا أسف بيلاً». كرر ذلك إنما بنبرة متكسرة هذه المرة. واستدار عائداً إلى المنزل راکضاً.

عجزت عن الحراك، وبقيت واقفة في مكاني أحلق في المنزل الصغير، قبدأ أصغر من أن يحوي أربعة صبية ورجلين أكبر سناً. لم أشعر بأي رد فعل في داخلي. لم ترفرف أطراف الستائر في الداخل، ولم أسمع أي صوت أو أرى أي شيء يتحرك، كان المنزل يوجهني بأصدا صامتة وفراغ مطبق.

عاد المطر يسقط رذاذاً وينقط أماكن متعددة من جلدي. لم أستطع أن أحد بنظري عن المنزل. جايكوب سيعود. لا بد أن يفعل.

توقف المطر وكذلك فعلت الرياح. لم تعد القطرات تنهمر من الأعلى بل توجهت غرباً. استطعت أن أشم رائحة المياه المالحة القادمة من البحر، وأن أشعر بخصلات شعري تصفق على وجهي، فتعلق على الأماكن الرطبة منه وتشابك بزموشي. لكنني توقفت أنتظر.

فتُح الباب أخيراً ففقدت وأنا أشعر بالارتياح.

ظهر بيلى في كرسيه المدولب عند المدخل. لم يكن من أحد يقف وراءه.

كانت عيناه تزخران شفقة وهو يقول لي: «لقد اتصل تشارلي بيلاً. أخبرته أنك في طريقك للمنزل».

وضعت شفقتي حداً للأمر بطريقة ما. لم أعلق على كلامه. بل استدردت بشكل آلي وصعدت إلى الشاحنة.

كنت قد تركت النوافذ مفتوحة فشعرت بالمقعد رطباً وزلقاً. لم يكن للأمر أي أهمية. إذ كنت أنا نفسي مبتلة بالكامل.

صوت ما في رأسي حاول تهديتي صارخاً، ليس الأمر بهذا السوء! ليس الأمر بهذا السوء! كان الأمر صحيحاً، إذ لم يكن بهذا السوء. لم تكن تلك نهاية العالم، ليس مجدداً. بل تلك كانت نهاية ما تبقى من شعور بالسلام في داخلي. انتهى كل شيء، وأسدل الستار. لم يكن بهذا السوء، صحيح. لكنه كان سيئاً بما يكفي.

انتهت إلى قطرات انماء تتساقط أرضاً من ملابسي: «سأبدل ثيابي».

كان تشارلي مستغرقاً في التفكير، فقال شارد الدهن: «لا بأس»، قررت أن أسترخ لأنني كنت أشعر بالبرد، لكن حرارة المياه لم تؤثر بما يكفي لتدففتي. كنت لا أزال أتجمد برداً حين استلمت للأمر الواقع وأوقفت المياه. في ظل الهدوء المخيم على المكان، استطعت سماع تشارلي يتحدث مع أحدهم في الأسفل، لففت المنشفة حولي وشققت باب الحمام.

سمعت صوت تشارلي غاضباً وهو يقول: «لا أصدق ذلك. لا معنى لما تقول إطلاقاً».

ساد الصمت مجدداً. وأدركت أنه كان يتحدث عبر الهاتف.

مرت لحظات قبل أن يصرخ، «لا تحمل بيلاً مسؤولية ذلك».

فقدت من مكاني عند سماع صوته، لكنه حين تحدث مجدداً كان صوته منخفضاً جداً: «لقد أوضحت بيلاً منذ البداية أنها لجايكوب مجرد صديق». حسناً، لو كان الأمر كذلك، لم لم تتكلم منذ البداية؟ «ما رأيي». أظنها محقة بهذا الشأن... أقول ذلك لأنني أعرف ابنتي، وأنا قالت إن جايكوب كان يشعر بالخوف من قبل... تمت مقاطعته في منتصف الكلام، وحين أجاب كان يصرخ مجدداً.

«ما الذي تعنيه بقولك؟ إنني لا أعرف صغيرتي بقدر ما أظن؟». أصغى لبرهة قصيرة وجاءت إجابته بصوت منخفض بالكاد سمعته: «إن كنت تظن أنني كنت سأعيد تذكرها بذلك فأنت مخطئ! لقد بدأت للتو تتجاوز الأمر، ويعود الفضل بمعظمه لي ذلك لجايكوب نفسه على ما أظن. إن كان لعلاقة جايكوب بسام أي أثر على عودتها إلى حالة الاكتئاب، فيضطر جايكوب أن يقدم لي بعض الإجابات. أنت صديقي بيلي لكن ما يفعله ابنك يؤذي عائلتي».

ظننت أن وجود جايكوب كان يشفي الحفرة الفارغة في قلبي أو يسدها على الأقل، ويمنعها من التسبب بأذيتي كثيراً. لقد كنت مخطئة. كان يسفر وحسب حفرة خاصة به، بحيث أصبحت الآن مليئة بالشغوب كالجينة السويسرية. تعجبت كيف لم أنفتحت حتى الآن.

كان تشارلي بانتظاري عند عتبة الباب، وبينما كنت أركن الشاحنة خرج من المنزل للقائي.

شرح بينما يفتح لي باب الشاحنة: «اتصل بي بيلي. أخبرني أن شجاراً حصل بينك وبين جايكوب وأنت غاضبة جداً».

ونظر في وجهي مباشرة. وكأنه ارتعب لما رأى المشاعر التي تملأ تقاسيمه. حاولت أن أتلصص تلك المشاعر البادية على ملامحي، لأعرف ما الذي يراه. بدت ملامحي خالية من أي تعبير، باردة. وعرفت حين يذكره هذا.

تمتمت: «ليس هذا بالضبط ما حصل».

لفت تشارلي ذراعه حول كتفي وساعدني للخروج من الشاحنة. لم يدل بأي تعليق حيال ملابسي المبللة. وسألني حين وصلتني: «ما الذي حصل إذا؟». سحب قطعة القماش السميك من ذراعيه بينما يتكلم ولفها حول كتفي، أدركت عندئذ أنني كنت أرتعش.

بدت نبرتي خالية من الحياة وأنا أقول، «سام أولي يقول إنه ما عاد في إمكان جايكوب أن يكون صديقي».

رمقت تشارلي نظرة غريبة يسأل: «ومن قال لك ذلك؟».

«جايكوب». أعلنت قائلة على الرغم من أن ذلك لم يكن ما قاله حرفياً. لكنه كان لا يزال الواقع مع ذلك.

عقد تشارلي حاجبيه، وهو يقول: «انظنين حقاً أن هناك مشكلة مع أولي؟».

«أعلم أن هناك شيئاً ما لكن جايكوب رفض أن يخبرني ما هو».

سادت فترة صمت أخرى قبل أن يجيب بيلي.

لم يعد تشارلي هو تشارلي الذي أعرف بل كان يتحدث ببساطة انضابط صوان.

«حسناً، أجل، إلى اللقاء».

سمعت صوت إعادة سقاة الهاتف إلى مكانها.

أسرعت أمشي على رؤوس أصابعي أجتاز الممر نحو غرفتي.

سمعت تشارلي يتمتم في المطبخ غاضباً.

كان بيلي يلقي باللوم عليّ إذاً. كنت أنا من الحق بجايكوب وقد سئم مني الآن. كان الأمر غريباً، لأنني كنت أخشى أن يفكر على هذا النحو، لكن بعد ما قاله جايكوب أخيراً بعد ظهر هذا اليوم، لم أعد أصدق أنه كذلك.

لكن المسألة كانت تطوي على أكثر من مجرد وضع حواجز من طرف واحد وتفاعلات لاذعاء ببلي. وقد دفعني ذلك إلى الاعتقاد أن ما يخفونه أكبر بكثير مما كنت أتخيل. على الأقل تشارلي يقف في صفى الآن.

لبست البيجاما وتسللت إلى الفراش. بدت الحياة قائمة بما يكفي في هذه اللحظة فسمحت لنفسى أن أغش. كانت الحفرة، بل الحفر تؤلمني الآن، فلم لا أسمح لنفسى بذلك؟ واخترت الذكرى المؤلمة، ليس الذكرى الحقيقية التي تسبب الكثير من الألم، بل الذكرى المزيفة لصوت إدوارد يرن في أذني بعد ظهر ذلك اليوم، رحت أعيد آلاف المرات في رأسي إلى أن غرقت في النوم والدموع لا تزال تنساب بهدوء فوق ملامح وجهي الهادئة.

أبصرت حلماً جديداً الليلة. الأمطار تهطل وجايكوب يمشي إلى جنوبي من دون أن تصدر خطواته أي صوت، على الرغم من أن الأرض كانت تجرش تحت قدمي كأنها مفروشة بالحصى. لكنه لم يكن

جايكوب الذي أعرف لقد أصبح ذلك الحزين المليء بالمرارة. ذكرني هدوء خطواته بشخص آخر، ولاحظت أن ملامحه قد بدأت تتغير. غوب يون بشرته البني الصديق تاركاً وراءه شحوباً. وتحول لون عينيه من ذهبي إلى قرمزي فذهبي مجدداً. كان النسيم الخفيف يتخلل شعره المقصوص قصيراً فيتحول لونه برونزياً مع ملامسة الهواء. وبدت ملامح وجهه أكثر جمالاً تقطع قلبي له. مددت يدي نحوه لكنه تراجع خطوة إلى الوراء وهو يرفع يديه كدرع أمامه. اختفى إدوارد عندئذ.

لم أكن واثقة، حين استيقظت ليلاً، إن كنت قد بدأت البكاء للنوم أو أنّ دموعي قد انهمرت أثناء النوم وكانت تتابع مسيرها الآن ببساطة. حذقت في السقف المظلم. كنت أشعر أننا لا نزال في منتصف الليل، وأني لم أكن قد غرقت في النوم تماماً بل كنت لا أزال في منتصف المرحلة. أغمضت عيني قلقة أنضرع لنوم خالي من الأحلام.

لا بد أنني سمعت عندئذ الضجيج الذي ساهم في إيقاظي في المقام الأول. صوت حاد كان يخربش على نافذتي بصوت عالي، وكأنها أظافر.



## الدخيل

اتسعت عيناى للحد الأقصى من شدة الرعب، مع أنني كنت منهكة ومثوثة ولا أعرف إن كنت نائمة أو مستيقظة.

شيء ما كان يخربش بأظافره على زجاج نافذتي مطلقاً الصوت الرليح الحاد ذاته.

نزلت من السرير مربكة متعثرة بفعل التعاس، أمسح الدموع عن وجهي.

هيئة غامضة ضخمة تترنح بقوة من خلف الزجاج وتنبيل نحوي بحدة وكأنها تنوي كسر الزجاج والانقضاض علي، ارتددت إلى الوراء مرتعبة وحلقت يقفل الباب على صرخة مدوية.

فيكتوريا

لقد أتت بحثاً عني.

لقد أصبحت في عداد الموتى.

لكن ليس تشارلي!

ابتلعت الصرخة المتصاعدة من حنجرتي. علي أن أحافظ على هدوئي أثناء حصول ذلك. بطريقة ما. علي أن أمنع تشارلي من المجيء إلى غرفتي لنلتحقن مما يجري.

ثم ناداني صوت أجش من قلب الظلام.

همس: «يلاً! آخ، يلاً! تباً، إفتحي الشباك».

استغرق الأمر بضع ثوانٍ لأدفع بالرعب بعيداً قبل أن أتمكن من أن أنحرك مجدداً وأتقدم من النافذة وأرفع الشباك. ضوء خافت كان يطل من وراء الغيوم مما ساعدني على التعرف إلى هيئة الشخص.

شهقت: «ما الذي تفعله؟».

كان جايكوب يتعلق بحلر بأعلى شجرة التنوب الصنوبرية الذي زرعها تشارلي في حديقة المنزل الأمامية الصغيرة. وقد مالت الشجرة تحت ثقله للأمام وصار يترنح. كانت قدماء معلقتين في الهواء على ارتفاع عشرين قدماً فأخذ يتمايل، بما لا يبعد عني سوى مسافة قصيرة. خربشت أغصان أعلى الشجرة الجدار الخارجي للمنزل بصوت مرتفع كذلك.

كان في ثورة غضب والشجرة تحته تترنح من ثقل وزنه: «أحاول ألا أنكث بالوعد». طرقت بعيني الدامعتين، وقد تأكدت فجأة أنني ما زلت أعلم.

«أومسح وعدتني أن تتسلق شجرة تشارلي وتترنح معرضاً نفسك للموت؟».

همهم معبراً عن استيائه للنتيجة البائسة في غير محلها، وهو لا يزال يتأرجح محاولاً أن يحصل على بعض التوازن. أمرني: «التعدي من طريقي».

«ماذا؟».

تأرجح مجدداً للوراء ثم للأمام ليزيد من سرعته. أدركت ما الذي ينوي فعله.

«كلا، جايك!».

«إلا أنني تنحيت جانباً، لأن الوقت قد فات على منعه. واندفع مطلقاً مهمة نحو نافذتي المفتوحة».

صرخة أخرى تصاعدت من أعماقي، بينما أنتظر أن يخر ميتاً على تراب الحديقة أو يعطب نفسه بالجدار في أنفصل الأحوال. أصبت بالصدمة حين حطت قدماه بخفة على أرض القرة.

نظر كلانا إلى الباب بشكل عقوي، نحس أنفاسنا منتظرين كي نعرف ما إذا أبقت الضجة تشارلي من نومه. ومرت لحظة من الصمت قبل أن نسمع شخير من القرة الأخرى.

ابتسامة عريضة أضاعت ملامح جايكوب الذي بدا مغتبطاً جداً بنفسه. لكنها لم تكن الابتسامة التي أعرف وأحب. كانت أخرى جديدة تنصف بالمكر الذي حل مكان الصدق والعفوية. إنها الابتسامة التي تظهر على الوجه المرتهن لسام.

كان ذلك أكثر مما أستطيع تحمله.

لقد بكيت حتى النوم من أجل هذا الصبي، رفضه القاسي للهجة كان بمثابة الطعنة التي حفرت ثقباً جديداً في ما تبقى من قلبي، وقد خلف وراءه كابوساً جديداً كجرح ملتهب. كان بمثابة المهانة التي تلي الطعنة. وقد كان هنا الآن في غرفتي يحملني بي وكان شيئاً لم يحصل. والأسوأ أنه على الرغم من طريقة وصوله الصاخبة الغريبة، فقد ذكرني بإدوارد حين كان يتسلل إلى غرفتي ليلاً. معذبني ينكأ الجراح غير الملتهمة بطريقة شريفة.

الوضع الراهن المتزامن مع الشعور العارم بالتعب منعتني من التمتع بمزاج ودي.

همست محاولة أن أضع أكبر قدر من السّم في كلامي: «أخرج من هنا»

طَرَفَ بعينه وقد مسحت الدهشة عن وجهه أي تعبير.

احتج قائلاً: «كلا، جئت كي أعتذر».

«لا أقبل اعتذارك».

حاولت أن أدفعه من النافذة مجدداً، فلن يتأذى في النهاية، إن كان ما أعيشه مجرد حلم. لم يكن هناك من جدوى إذ إنني لم أرحمه من مكانه قيد أنملة، فأنزلت يدي بسرعة وابتعدت عنه.

لم يكن يرتدي قميصاً مع أن الهواء الداخل من النافذة كان يكفي لجعل المرء يرتجف. شعرت بعدم الارتياح لوضع يدي على صدره العاري. كانت بشرته ساخنة جداً كما كان رأسه آخر مرة لمسته فيها. وكأنه لا يزال مصاباً بالحمى.

لم يكن يبدو مريضاً، بل بدا ضخماً. انحنى فوقي بحجمه الكبير فحجب النافذة وكان لا يزال لسانه معقوداً غضباً وحنقاً.

غدا الأمر فجأة أكثر مما أستطيع تحمله، ويدت ليالي السهاد تنهار فوقي دفعة واحدة وكأنها جبل من جليد. كنت منهكة القوى بحيث ظننت أنه قد يغمى علي وأنهار هنا على الأرض أمامه. ترنحت وكافحت لأفتح عيني.

همس جايكوب بقلق: «بيلاً؟»

أمسك بعرفتي حين ترنحت مجدداً، وقادني إلى السرير. إنهارت ساقني حين وصلت إلى حافته، نسقت بقوة فوق الفراش.

سألني والقلق يقضن جيته: «هل أنت بخير؟»

رفعت نظري إليه بعينين لم تجف دموعهما بعد، ووجنتين رطبتين: «كيف عساي أكون بخير، جايكوب؟»

أخذ الهم مكان بعض الحرارة. وافقني الرأي وهو يأخذ نفساً عميقاً ويقول: «أنت محقة، أنا أسف بيلاً». لم يساورني أدنى شك بصديقته اعتذاره على الرغم من ملامح الغضب التي تلوح على وجهه.

«لماذا آتيت إلي هنا؟ لا أريد منك اعتذارات جايك».

همس: «أعلم ذلك. لكنني لن أترك الأمور على الحال الذي أصبحت عليه بعد ظهر هذا اليوم، كان ذلك فظيلاً. أنا أعتذر».

أحدث أمر رأسي قلقاً .. لا أفهم شيئاً.

قاطعتني فجأة وقمة مفتوح دهشة وكان الأنفاس قد علقت في حلقه. وقال: «أعلم ذلك، وأود أن أشرح لك...». ثم أخذ نفساً عميقاً وتابع: «الكني لا أستطيع ذلك...». وكان لا يزال غاضباً حين ختم كلامه بالقول: «أتمنى لو أستطيع».

وضعت رأسي بين يدي، وحجب ذراعي ووضوح كلمات السؤال الذي طرحته عليه: «لماذا؟».

ظل صامتاً للحظة. أملت برأسي نحوه من دون أن أتمكن من رفعه لشدة التعب وتأملت ملامح وجهه. دهشت لما رأيت. كان يتنظر إلي شزراً بعينين خبيعتين، ويصرف أسنانه ويمضن جبينه بتكلف. سأله: «ما الخطب؟».

رفع بصعوبة. فأدركت أنه كان يحس أناسه مني. نشتم محطاً «لا أستطيع».

«لا نستطيع ماذا؟».

تدخل سؤالي فائزاً: «اسمعي بيلاً، أليس لديك سؤال لا نستطيعين إخبار أحده به؟».

رمقني بنظرة العارف فقفزت أفكارني مباشرة إلى عائلة كولن. كنت أمل ألا يبدو الشعور بالذنب واضحاً على وجهي.

وتابع مصراً: «شيء ما شعرت بضرورة إخفائه عن تشاؤلي، وأملك... أمر لم تتحدثني به حتى معي؟ ولن تتحدثني به الآن؟».

شعرت بعينيّ تضيقان، ولم أجب على سؤاله مع أنني كنت أعلم أنه سيعتبر صحتي تأكيداً على قوله.

كان يكافح مجدداً وكأنه يفش عن الكلمات المناسبة.

«هل لك أن تفهمي أنه لعلي أواجه الوضع ذاته؟ أحياناً يقف الولاة

في طريق ما تريدن فعله حقاً، أحياناً لا يكون السر منك لتشعري بحرية إختياره».

لم أتمكن من مجادلته بهذا الخصوص. كان محقاً تماماً فيما يقول. فانا أملك سرّاً لا يعود لي ولا أملك حرية إفشائه. ومع ذلك كان سرّاً أشعر أنني ملزمة بحمايته. سرّاً بدا فجأة أنه يعرف كل شيء عنه.

ومع ذلك كنت لا أفهم كيف ينطق الأمر عليه هو أو سام أو بيلى. ما قصتهم الآن وقد رحل جميع أفراد عائلة كولن؟

«لا أفهم ما الذي جاء بك جايكوب إن كنت تنوي الاكتفاء بطرح الأحاجي بدلاً من تقديم الإجابات».

ومس: «أنا آسف، أعلم أن ذلك مشير للغضب».

نظر أحدهما للآخر لحظة طويلة تحت جثج ظلام الغرفة والياس يغطي ملامحنا.

قال فجأة: «ما بحثني هو أنك تعلمين بالأمس، لاني سبق وأحبرتك بنفسني».

«ما الذي تتحدث عنه؟».

أجده يمساً وكان مذهولاً ومال نحوي وملامح وجهه تتحول في لحظة من بائة إلى حائقة. حذق في عينيّ بوحشية وكانت ثيرته سريعة محمومة. أطلق الكلمات بوجهي مباشرة فشعرت بأنفاسه الحارة على بشرتي: «أظنني أجد طريقة لإنجاح الأمر بيلاً، لأنك تعرفين ما هو! لأنني لا أستطيع أن أخبرك به بنفسني، لكنك إن حزرت به بنفسك! فسيحررنني ذلك!».

«تريدني أن أحزر، أحزر ماذا؟».

«سرّي! يمكنك ذلك. أنت تعلمين الإجابة».

أغمضت عينيّ وفتحتهما أحاول أن أستعيد صفاء ذهني. كنت منهكة. ولم تكن لأي كلمة مما يقول أي معنى بالنسبة لي.



فهم تعابيري الخالية من أي معنى وعادت تقاسيم وجهه تتوتر من الجهد، وهو يقول: «انتظري، لأرى ما إذا كنت أستطيع مساعدتك بشيء».

مهما كان الذي يحاول فعله فقد كان صعباً بما يكفي لجعله يتنفس بسرعة ومشقة.

سألته أحاول عدم تضيق مسار الأمور: «تساعدني؟»، أراد جفائي أن يبطئاً، لكي أجربهما على البقاء مفتوحين.

قال وهو لا يزال يتنفس بصعوبة: «أجل، كأن أعطيك رؤوس أقلام».

أخذ وجهي بين يديه الضخمتين الدافقتين وقربه إلى وجهه. حدّق في عينيّ بينما هو يهمس وكأنه أراد أن تواصل بما يزيد عن مجرد الكلام.

«أتذكرين اليوم الأول للقاءنا على الشاطئ في لا بوش؟».

«بالطبع أذكر».

«أخبريني عن ذلك اليوم».

أخذت نفساً عميقاً وحاولت أن أركز، «سأخبرني عن الشاحنة».

أوما يحثني على متابعة الكلام

«ونحدثك عن - باركك الرايت ...».

«تأبعي».

غدت وجنتائي أكثر دفئاً تحت لمسته حتى أصبحنا بحرارة جسمه لكنه لم يلاحظ وأنا أتابع الكلام، «ذهبنا في نزهة على الشاطئ...». كنت أنا من طلب إليه أن يرافقني للقيام بنزهة أعازله بخرق إنما بنجاح لأخذ المزيد من المعلومات منه.

وكأن يومئ طلباً للمزيد. كانت برتي صامتة غريباً وأنا أقول له.

«أخبرتني قصصاً مخيفة عن أساطير الكويلوت».

أغلق عينيّه وفتحهما مجدداً وقال: «أجل». كانت (أجل) متوترة محمومة وكأنه كان على وشك الاقتراب من موضوع حساس. تكلم ببطء مباعداً بين الكلمات: «أتذكرين ما الذي قلته لك؟».

على الرغم من العتمة التي تسود المكان، لا بد أنه تمكن من ملاحظة تغير لون وجهي. كيف لي أن أنسى ذلك؟ فمن دون أن يدرك ما يفعل، أخبرني جايكوب في ذلك اليوم ما أردت معرفته تحديداً، وهو أن إدوارد كان مصاص دماء.

نظر إليّ بعينين تعرفان الكثير، وقال لي: «فكري جيداً».

تنفست عميقاً أقول: «أجل، أتذكر».

أخذ نفساً عميقاً هو يقاوم: «وهل تتذكرين كل القصص...؟». لم يتمكن من إنهاء جملته. فتح فمه وبدأ أن شيئاً ما يعلق في حنجرته.

سألته: «تقصد كل القصص التي أخبرتي؟».

أوما دون أن ينطق حرفاً.

كنت قد عدت بأفكاري إلى ذلك اليوم لم تكن سوى قصة واحدة تعني لي أكثر أنه قد بدأ برواية قصص أخرى، لكي لم أستطع تذكر المقدمات العديدة الشان لا سيما وأن ذهني منشور متعب. أخذت أهر رأساً.

همهم جايكوب رافراً عن السرير. صعدت نفسيته على جبينه وتنفس بسرعة وغضب، وتمتم يقول لنفسه: «تعلمين ذلك، تعلمين!».

«جايك، أرجوك جايك، أنا متعبة جداً ولن أستطيع الآن أن أتذكر».

ربما في الصباح...».

أخذ نفساً يثبت به نفسه وأوما يضيف بنبرة ساخرة مليئة بالمرارة: «لعلك تستعيدين الذكرى، أظنني أفهم لم لا تتذكرين سوى قصة واحدة من دون سواها». ارتدى مجدداً على الفراش بجاني، وطرح عليّ سؤالاً

بالنبرة الساخرة ذاتها: «هل تمنعين إن طرحت عليك سؤالاً؟ أكاد أموت لأعرف الإجابة عليه».

سألته بقلبي: «سؤال حول ماذا؟».

«حول قصة مصاصي الدماء التي أخبرتك إياها».

رمقته بنظرات حذرة غير قادرة على الإجابة. لكنه طرح السؤال الذي ينوي طرحه بأي حال.

سألني بصوت أجش: «ألم يكن لديك علم صدقاً؟ هل كنت الشخص الوحيد الذي أخبرك من يكون؟».

كيف علم بذلك؟ لماذا قرر أن يصدق القصة، ولماذا الآن؟ اصطفت أسناني. وحدقت فيه مجدداً لا أنوي الكلام. وامتناع أن يفهم ذلك. تتم نبذة أكثر حدة: «أنهت ما الذي أعنيه بالولاء؟ الأمر مشابهاً بالنسبة إلي، إن لم يكن أسوأ. لا يمكنك أن تتصورني كم يمكن للخناق أن يكون ضيقاً...».

لم يعجبني ذلك، لم أحب طريقة إغلاق عينيه وكان به ألم ما حين تحدثت عن الخناق الضيق. ليس الأمر أنه لم يعجبني وحسب بل أدركت أنني أمقته، كنت أمقت كل ما يسبب له الألم. أمقته بشدة. ملأت ملامح وجه سام أفكاري.

بالنسبة لي كان الأمر إرادياً بالضرورة. لقد حفظت سر عائلة كولن بدافع الحب، الحب غير المتبادل، إنما الصادق. لم يبد الأمر مشابهاً بالنسبة لجايكوب.

همست ألامس شوك شعره المقصوص: «أما من طريقة تحررك؟». بدأت يده ترتعشان، لكنه لم يفتح عينيه. وأجاب بضحكة متهمة: «كلا، إنه حكم لمدى الحياة. الحكم المؤبد. والأطول أمداً كذلك ربما».

تاوتت أقول: «لا جايك، ماذا لو هربنا معاً؟ أنت وأنا فقط؟ ماذا

إن غادرنا الديار وتركنا سام خلفنا؟».

همس: «إنه ليس بالأمر الذي أستطيع الهرب منه، بيلاً. مع أنني كنت لأختار الهرب معك لو استطعت».

كانت كفتاه ترتجفان الآن كذلك، وأخذ نفساً عميقاً وأجاب: «إسمعي، علي أن أرحل الآن».

«لماذا؟».

«أولاً، لأنك تبدين على وشك الإغماء في أي لحظة. تحتاجين للنوم وأحتاجك أن تركزتي على كل الاحتمالات ونشطتي ذاكرتك في كل الاتجاهات. ستوصلين للإجابة. عليك أن تفعل ذلك».

«وما هو الب الآخر؟».

الثوب شفتهه وقطب يقول: «يجدر بي أن أتسلل متخفياً. لا يفترض بي أن أراك. سيتساءلون أين عساي أكون. أفترض أن علي أن أجعلهم يعلمون بالأمر جميعاً».

همست: «ليس عليك أن تقول لهم أي شيء».

«الأمر بيان، سيمرفون».

التفتت شرارات الغضب بداخلي: «أنا أكرههم».

نظر جايكوب إليّ بعينين متسعيتين متفاجئتين: «لا بيلاً، لا تكروهي أولئك الشبان. فالذنب ليس ذنب سام أو أي من الآخرين. أخبرتك سابقاً... الأمر يتعلق بي وحدي. سام في الواقع... طيب. وغارد ويول رائعان أيضاً، مع أن بول من نوع... ولطالما كان إمبيري صديقي، لم يتغير شيء». إنه الشخص الوحيد الذي لم تطرأ عليه أي تغييرات بالنسبة إليّ. أشعر بالسوء فعلاً لأنني ظننت سوءاً بسام... من قبل».

سام كان رائعاً بما لا يصدق؟ حملت فيه غير مصدقة لكنني لم أعلق على الموضوع.

سألته: «ولماذا لا يفترض بك أن تلتقيني؟»

تلثم ينظر أمامه ويقول: «ليس الأمر آمناً».

سرت موجات من الخوف في أوصالي بسبب كلامه.

هل كان يعلم ذلك أيضاً؟ لم يكن أحد سواي يعلم بالأمر.

لكنه كان محقاً، كنا في منتصف الليل، التوقيت المثالي للاصطياد.

لا يجدر بجايكوب أن يكون في غرفتي. إن أتى أحدهم إلي، علي أن أكون لوحدي.

نظر إلي مجدداً وهمس: «لرظنت أن في الأمر مثل هذه المخطوطة لما أتيت. لكنني قطعت لك وعداً بيلاً. لم يكن لدي أي فكرة أنه سيصعب الالتزام به إلى هذا الحد. لكن ذلك لا يعني أنني لن أحاول».

لاحظت أنني لم أفهم كلامه، فذكرني: «بعد مشاهدة ذاك الفيلم الثالث... وعدتك ألا أسمح لأي شيء ببلدانك. ونكثت بذلك تماماً بعد ظهر هذا اليوم، أليس كذلك؟»

«أعلم أنك لم تكن تقصد ذلك، جايك، فلا بأس».

أخذ يدي وقال: «شكراً بيلاً. سأفعل ما بوسعي لأكون هنا بجانبك كما وعدتك». ضحك فجأة. لم تكن ضحكته المعهودة ولا شبه ضحكة سام المستجدة، بل مزيجاً غريباً من الاثنين معاً، «ستساعدني كثيراً إذا ما تمكنت من معرفة الأمر لوحده، بيلاً. إبذل جهداً حقيقياً لتوصلي إلى معرفته».

تغضنت قليلاً وأنا أقول: «سأحاول».

نشئذ: «وسأحاول رؤيتك قريباً. وسأحاولون استجوابي بهذا الشأن».

«لا تصغ إليهم».

هز رأسه وكأنه يشك في أن ينجح وقال: «سأحاول، تعالي إلي

واخبريني ما إن تعرفني». أخذت يده ترتعشان فجأة وكان شيئاً ما قد حدث له، وأضاف: «هذا إن كنت لا تزالين ترغبين فعلاً في المجيء».

«ولماذا قد لا أرغب بالمجيء؟»

أصبحت ملامح وجهه فجأة قاسية مريرة، شبيهة بملامح سام مئة في المئة.

قال بنبرة خشنة: «لدي أسبابي، اسمعي علي أن أذهب فعلاً. هل تستطيعين فعل أمر ما من أجلي؟»

أومات وحسب، خائفة من التغيير الذي ألم به.

«اتصلي بي على الأقل، إن لم ترغبني برويتي مجدداً. دعيني أعلم، إن كان الأمر كذلك».

«ذلك لن يحصل...».

رفع يده بقاطعتي: «دعيني أعلم وحسب».

وقف وتوجه نحو النافذة.

اعترضت: «لا تكن مغفلاً جايك. ستكسر قدميك. أخرج من الباب. لن يتفقد تشارلي عليك».

اتجه نحو الباب لكنه تمم: «لن أناذى».

تردد وهو يمر بقربي وحدث بي وكان ألماً ما يطعنه في الصميم رفع إحدى يديه متوسلاً.

أخذت يده فسحبني إليه فجأة بحيث قفزت عن السرير لأصطدم بصدرة.

تمتم بين خصلات شعري يسحقني بين ذراعيه بعناق دببي يقول: «في حال فقط».

شهت: «لا أستطيع التنفس».

أفلتني فجأة لكنه أبقي إحدى ذراعيه حول خصرتي كي لا أقع



أرضاً، دفعني عنه، بنعومة أكثر هذه المرة وأجلسني على السرير مجدداً.  
«نامي قليلاً بيلز» عليك أن تعيدي تشغيل رأسك. أعلم أنك  
تستطيعين ذلك أحياناً لفهمك. لن أحركك بللاً لهذا السبب.

وصل إلى الباب بخطوة واحدة ففتحه على مهل واختفى. حاولت  
أن أصغي لوقع قدميه على السلالم لكنني لم أسمع شيئاً.

استلقيت في السرير وشعرت براسي يدور. كنت منهكة، شديدة  
التشوش. أغلقت عيني محاولة أن أفهم ما يجري، لأجد نفسي قد  
غرقت في اللاوعي بسرعة بحيث نشأت ذهني

لم يكن نوع النوم الساكن الخالي من الأحلام. بالطبع لا. كنت في  
لعنة مجدداً وكنت أديم فيها كالعادة.

مرعان ما أدركت أنه ليس الحلم المعتاد. لم أشعر بضرورة التجول  
أو البحث بل كنت أحوّل للنسبة لأن ذلك ما كان يتوقع مني هناك. لم  
تكن في الواقع الغاية نفسها. فالرائحة كانت مختلفة والضوء كذلك. لم  
تكن تشبه رائحة التراب الرطب في الغاية، بل رائحة مياه البحر الباردة.  
لم أتمكن من رؤية السماء ومع ذلك بدا ضوء الشمس ساطعاً والأوراق  
تشع باللون الأخضر. لم تكن الغاية المحيطة بلا بؤس، بالقرب من  
السطح هناك، كنت واقفة من ذلك، علمت أنني إذا وجدت السطح،  
سأتمكن من رؤية الشمس لذا تقدمت بسرعة ونبعت صوت الأمواج  
الخافت الآتي من البعيد.

ثم رأيت جايكوب. أمسك بيدي وجرني إلى المكان الأكثر ظلمة  
في الغاية.

سألته: «ما الخطب جايكوب؟». كانت ملامحه أشبه بملامح صبي  
صغير خائف. وبدا شعرة حمراء مجدداً، معقوداً إلى الخلف عند  
الرقبة. كان يسحبني بكل قوته، لكنني كنت أقاومه إذ لم أرغب بالدخول  
إلى الظلام.

همس مرتعباً: «أركضي بيلز! عليك أن تركضي!»، الموجة  
المفاجئة من المشاهد التي سبق أن رأيت كادت توقظني.

علمت الآن أنه سبق لي أن رأيت هذا المكان من قبل. هذا لأنني  
أتيت إلى هنا سابقاً، في حلم آخر. منذ ملايين السنين، وفي جزء  
مختلف من الحياة بالكامل. كان ذلك الحلم الذي رأيته بعد ليلة المشي  
على الشاطئ مع جايكوب، ليلة عرفت فيها أن إدوارد مصاص دماء. لا  
بد أن عيش التجربة مجدداً مع جايكوب انتشل الحلم من أعماق ذكرياتي  
الدفينة.

مبتعدة عن الحلم الآن انتظرت أن يدور الشريط مجدداً وأراقبه من  
البعيد. ضوء ما كان يقترب مني قادماً من البحر. كان إدوارد ليظهر في  
غضون لحظة ويمشي بين الأشجار ويشتره تلمع بشكل خافت وعيناه  
داكنتين، خطيرتين. مستدعيني مشيراً إلي بالمجيء إليه مبسماً. سيكون  
جيداً كالملك، وأمانه حادة...

كنت أتخطئ نفسي. شيء آخر يجب أن يحصل أولاً:  
أفلت جايكوب يدي وعوى كالذئب. وسقط على الأرض مترنحاً  
مرتجلاً عند قدمي.

صرخت أناديه: «جايكوب!»، لكنه كان قد اختفى.  
وحل مكانه ذئب ضخم بني مائل إلى الأحمر له عيناان فائمتان  
ذكيان.

انحرف الحلم عن مساره كقطار خرج عن السكة.  
لم يكن ذلك الذئب ذاته الذي حلمت به في حياة أخرى. بل كان  
الذئب الصديق اللون الذي كان لا يبعد عني سوى مسافة قدم في المرج  
منذ أسبوع واحد مضى. هذا الذئب كان عملاقاً متوحشاً وأكبر حجماً  
من الذئب.

حذر بي الذئب بعمق، محاولاً أن يستكشف أمراً مهماً بعينه

الذكيتين. كانت عينا جايكوب بلاك البيتين القاتمتين المألوفتين. استيقظت أصرخ بعل رتي.

توقعت أن يأتي تشارلي يتفقدني هذه المرة. إذ لم يتبع صراخي النمط المعتاد. دفنت رأسي في وسادتي، أحاول خنق الصرخات الهستيرية المتصاعدة. ضغطت بقوة الوسادة القطنية على وجهي، متسائلة ما إذا كنت أستطيع بطريقة ما خنق الترابط الذي خلقت.

لكن تشارلي لم يأت، وتمكنت بالتالي من إخماد صوت الصرير الصادر من أعماقي.

لقد تذكرت كل شيء الآن، كل كلمة قالها جايكوب ذلك اليوم على الشاطئ، بما في ذلك الجزء الذي يسبق الحديث عن مصاصي الدماء (الباردين)، لاسيما الجزء الأول من الحديث.

سألني: «هل تعلمين أيًا من قصصنا القديمة، أصولنا، أقصد عائلة كويلوت؟»

اعترفت: «ليس فعلاً».

«حسنًا، هناك الكثير من الأساطير، يزعم بعضها أنه يعود لزمان ما قبل الطوفان. فتفترض أن أفراد عائلة كويلوت القدامى ربطوا مراكبهم بأعالي أشجار الجبال لتنجو، كما فعل نوح ومنفيته». ابتسم حينئذ ليظهر لي إلى أي مدى يعلو أهمية على التاريخ، وأضاف: «وتزعم أسطورة أخرى أننا ننحدر من عائلة الذئاب، وأنها لا تزال إخواننا حتى يومنا الحاضر. ويمنعنا القانون القبلي من قتلها».

انخفض صوته أكثر وهو يقول: «ثم هناك قصص عن الباردين».

«الباردون؟»

«أجل، هناك قصص عن الباردين بقدّم قصصنا نحن، حتى أن بعضها أكثر حداثة. وفقاً للأسطورة، يعرف جدّي الأعظم بعضهم. إنه من وضع المعاهدة التي أبعدتهم عن أرضنا». قلب جايكوب عينيه.

«جداً الأكبر؟»

«كان الأكبر سنًا في القبيلة كما والدي الآن. كما ترين، فإن الباردين هم أعداء الذئب الطبيعيين، حسنًا ليس الذئب الحقيقي. بل الذئاب التي تتحول إلى رجال، كما أسلافنا. يمكنك تسميتهم بالمتدّبين».

«وللمتدّبين أعداء؟»

«عدو واحد فقط».

شعرت بشيء ما يعلو في قلبي، يكاد يخنقني. حاولت ابتلاعه لكنه ظل عالقًا من دون حراك. حاولت بصره للتخلص منه.

شبهت أقول: «متدّبن».

أجل، لقد كانت تلك الكلمة التي تخنقني.

جنع العالم بأسره عن مساره يميل نحو الاتجاه الخاطئ.

أي نوع من الأمكنة كان ذلك؟ هل يمكن لعالم أن يقوم حقًا حيث الأساطير القديمة تختال على أطراف البلدات الصغيرة العديدة الأهمية في مواجهة الوحوش الأسطورية؟ هل يعني ذلك أن أكثر الروايات استحالة تعتمد جذورها من قلب حقيقة مطلقة ما؟ هل من شيء عقلائي أو طبيعي أصلاً أم أن كل شيء عبارة عن قصص سحر وأشباح؟

أحطت رأسي بكلتا يدي أحاول منعه من الانفجار.

صوت خافت سألني من عمق اللاوعي عن مكنم المشكلة الحقيقية. ألم يسبق لي أن تقبّلت وجود مصاصي الدماء منذ زمن؟ ومن دون نوبات هستيرية في ذلك الوقت؟

بالقبض. أردت أن أصرخ بوجه ذاك الصوت، لأقول، ألا تكفي خرافة واحدة، أيًا كان، ولمدى الحياة؟

ثم أنه لم تمض لحظة واحدة لم أكن أدرك فيها أن إدوارد ينحطّ

كل ما هو طبيعي ويتجاوزوه. لم أنفاجاً لاكتشاف حقيقته، إذ كان من الواضح أنه شيء ما.

أما جايكوب؟ أما جايكوب الذي لم يكن سوى جايكوب بالنسبة لي، ولا شيء أكثر من ذلك جايكوب، صديقي؟ جايكوب، الكائن البشري الوحيد الذي استطاعت أن تربطني علاقة ما... حتى أنه لم يكن كائناً بشرياً أصلاً.

قاومت الرغبة العارمة بالصراخ مجدداً.

ما الذي يعكسه ذلك عني؟

كنت أعلم الإجابة عن ذلك السؤال. والإجابة كانت تقول إن هناك خطباً ما يصيبني بالعمق. وإلا لماذا تمتلئ حياتي بشخصيات من عالم أفلام الرعب؟ ولماذا عساي اهتم بأمرهم إلى هذا الحد بحيث أصاب بالتمزق الأسطوري لدى رحيلهم؟

كان كل شيء في رأسي يدور ويتغير ويعاد ترتيبه بحيث باتت الأمور ذاتها تعني شيئاً مختلفاً عما كانت تعنيه سابقاً.

لم يكن هناك وجود للجماعة. لم يكن لها وجود أصلاً ولا وجود للعصابة كذلك. كلا، بل كان الأمر أسوأ من ذلك. إذ كانت مجرد

أمة.

مرة من خمسة مستنظين عارفة رهبين متعددي الألوان تخفروا بجاني في مرج إدوارد.

فجأة كنت على عجلة من أمري. نظرت إلى الساعة، كان الوقت مبكراً جداً لكن لا يهم. علي أن أذهب إلى لا يوش الآن. علي أن أرى جايكوب وأنحدث إليه ليخبرني أنني لم أجنّ بالكامل.

سحبت أول قطعتي ملابس لامتسهما يدي من دون أن أكثر ما إذا كنا يتلاءمان أو لا. ونزلت السلالم درجتين مع كل خطوة. وكدت اصطدم بشارلي في الممر وأنا أتوجه نحو الباب.

سألني وقد تفاجأ لرؤيتي بقدر ما تفاجأت لرؤيته: «إلى أين تذهبن؟ أتعلمين كم الساعة الآن؟».

«أجل، لكن علي أن أرى جايكوب».

«أجل أن قصته مع سام...».

«لا يهم، علي التحدث إليه الآن».

«لقد ذكرت مكرراً جداً. قطب حبيب حين لم تعبر ملامحي وسألني».

«ألا تريدان تناول الفطور؟».

«لست جائعة». طارت الكلمات من بين شفتي. كان يسد علي طريق الخروج من المنزل. فكرت في أن أميل بجسمي وأتف حول وأفر هاربة. لكنني كنت أعلم أنني سأضطر لشرح الأمر لاحقاً: «سأعود قريباً، اتقنا؟».

قطب تشارلي يقول: «ستذهبن إلى منزل جايكوب مباشرة، أليس كذلك؟ لن نتوقفي في أي مكان على طريق ذهابك إليه؟».

كانت الكلمات تخرج من فمي بسرعة وأنا أرقد: «بالطبع لن أفعل، وأين عساي أتوقف؟».

اعترف: «لست أدري، حسناً، لقد حصل اعتداء آخر، إنها الذئاب مجدداً. كان الحادث قريباً فعلاً من منتجع بالقرب من اليبايغ وهناك شائعة هذه المرة. كانت الضحية نعد عن الطريق العام بضع ياردات فقط عند اختفائها. رأت الزوجة ذئباً رمادياً ضخماً بعد مرور بضع دقائق فقط، بينما كانت تبحث عن زوجها، وعادت طلباً للموت».

تقلصت عضلات معدتي وأنا أسأل: «تعرض لمهاجمة ذئب؟».

كان الألم بادياً علي وجه تشارلي وهو يقول: «اختفى كل أثر له، عدا بضع قطرات دم هذه المرة كذلك. الجوالون يخرجون مسلحين، يصطحبون معهم العديد من المتطوعين. هناك عدد كبير من الصيادين المتלהفين لإقحام أنفسهم في الموضوع، هناك جائزة كبرى لمن يقدم



أحشاء الذئب. سوف يعني ذلك الكثير من إطلاق النار في الغابات. وهذا يسبب لي القلق: هـ رأسه وقال: «حين يصاب الناس بالحماصة تحصل الكثير من الحوادث...».

ارتفع صوتي ثلاثة أضعاف وأنا أسأله: «هل سيطلقون النار على الذئاب؟».

تأملتي عيناه المتريتان وسألني: «وماذا عسانا نفعل سوى ذلك؟ ما الخطب؟».

شعرت بأنه كاد يغمى عليّ لا بد أنني كنت أكثر شحوباً من المعتاد: «إن تحولني إلى محبة لأشجار الغابة من وراء ظهري، أليس كذلك؟».

لم أتمكن من الإجابة. لو لم يكن يراقبني لدستت رأسي بين ركبتي. لقد نسيت بشأن المتزهين المفقودين وآثار الحوافر المدممة.

ولم أربط بين تلك الحقائق والفهم الأولي لمحرج الأمور.

«بسمعي حبيبي، لا تدعي ذلك يرهك، إبق في البلدة وحسب أو على الطريق العام من دون أن تعرجي على أي مكان، ههنا؟».

كررت بصوت ضعيف: «نعم».

«عليّ أن أذهب الآن».

نظرت إليه عن كثب للمرة الأولى هذا الصباح، ورأيت أنه يضع مبدئاً عند وسطه ويسند حذاء التجول.

«أنت لن تذهب لتعقب الذئب أبى، أليس كذلك؟».

«عليّ أن أزيد المساعدة ييلز. الناس يخفون».

ارتفعت حدة صوتي الآن حتى باتت أقرب إلى الهستيريا: «لا أبى، لا تذهب! الوضع خطير جداً».

استدار نحو الباب وفتح لي وقال: «عليّ أن أقوم بعملتي يا ابنتي. لا تكوني متشائمة، سأكون بخير. هل مترحلين؟».

ترددت إذ كانت معدتي لا تزال تنقبض وتشد عضلاتها. ما الذي عساي أقول له لردعه؟ كنت من الدوار بحيث عجزت عن إيجاد حل.

«ييلز؟».

هست: «لعل الوقت لا يزال مبكراً جداً للذهاب إلى لا بوش».

«أو افكك لرأي».

كان هذا آخر ما قاله قبل أن يخرج تحت المطر ويقفل الباب وراءه.

ما إن غلب عن ناظري حتى سقطت أرضاً ووضعت رأسي بين ركبتي.

هل يفترض بي اللحاق بشارلي؟ ما الذي عساي أقوله له؟ وماذا عن جايكوب؟ فجايكوب هو أفضل صديق لي. يحذر بي أن أحذر.

إن كان فعلاً... انقبضت وأجبرت نفسي على نطق الكلمة.

مستذنباً (وكنت أعلم أن الأمر صحيح، كنت أشعر بذلك). فيطلق الناس النار على من كان يحذر بي أن أحذر. هو وأصدقه. بأن الناس سوف يطلقونهم إن ظلوا يركضون في الغابات ككتاب عملاقه.

يحذر بي أن أقول لهم أن يتوقفوا.

عليهم أن يكفوا عن ذلك. تشارلي موجود في الغابات. هل يهتمون لذلك؟ تساءلت في نفسي عن حقيقة الأمر... حتى الآن، لم ينفذ إلا الغربة من البلدة. هل يعني ذلك شيئاً أم أنها مجرد صدقة؟

احتجت لأن أصدق أن جايكوب على الأقل يكثر.

عليّ أن أحذر بجميع الأحوال.

أو... هل سبق لي أن فعلت؟

جايكوب كان أعز أصدقائي، لكنه كان وحشاً أيضاً؟ وحش حقيقي؟ وحش سيئ؟ هل يحذر بي أن أحذر أصلاً، إن كان هو

وأصدقائه... قتل؟ إن كانوا يذبحون الأبرياء من المنتزهين بدم بارد؟ إن كانوا قتلًا مخلوقات آتية من أفلام الرعب بكل ما للكلمة من معنى. فهل سيكون من الخطأ تحذيرهم؟

لم أجد مفرًا من مقارنة جايكوب وأصدقائه بأفراد عائلة كولن. طوقت صدري بذراعي، أجابه ألم الحفرة بينما أفكر فيهم.

من الواضح أنني لم أكن أعلم شيئاً عن المستنبيين. كنت أتوقع رؤية أشكال أقرب إلى ما أراه في الأفلام من كائنات أنصاف الرجال الضخام المكسوين بالشعر، أو شيء من هذا القبيل، هذا إن قدر لي أن أتوقع شيئاً أصلاً. لذا لم أكن أعلم ما الذي يدفعهم للاستيلاء، أو الجوع أو العطش أو مجرد الرغبة بالقتل؟ يصعب الحكم على الأمر في ظل الجهل المطبق.

لكن لا يمكن للأمر أن يكون أسوأ مما تحمله أفراد عائلة كولن في مسيرتهم ليصبحوا خياراً. فكرت في إيزمي وقد اغرورقت عيناها بالدموع لتخيل وجهها الودود المحبب، وإلى أي مدى كانت حنونة معي وعاملتني كألم لي، كما حين سدت أنفها وقد غلبها العار وهربت من الغرفة حين كنت أنزف.

لا يمكن للأمور أن تكون أصعب من ذلك. فكرت في كارلايل والقرون المتعاقبة التي أمضاها في المواجهة والتعلم والتدريب على تجاهل الدم بحيث ينقذ حياة الآخرين في عمله كطبيب.

لا يمكن لأي شيء أن يضاهي صعوبة ذلك. أما المستنبيون فقد اختاروا نهجاً آخر وطريقاً أخرى، فما الذي عساي أخشاه الآن؟

## القاتل

لو لم يكن جايكوب، فكرت في نفسي وأنا أملك الطريق العام المرسوف بأشجار الغابات متوجة إلى لا بوش. كنت لا أزال غير متأكدة من أن ما أقوم به هو الصواب، لكنني عفت نسوية مع نفسي.

لم يكن باستطاعتي التناهي عما يفعله جايكوب وأصدقائه أو زمرته. لقد فهمت الآن ما الذي قاله الليلة الماضية أنني قد لا أتمكن من رؤيته مجدداً، وأنه يمكنني الاتصال به كما اقترح. لكن ذلك يدا عملاً جباناً. كنت أدين له على الأقل بحديث وجهاً لوجه. سأخبره مباشرة أنني عاجزة عن تجاوز ما يحدث. لا أستطيع أن أكون صديقة قاتل دون أن أقول شيئاً وأسمح لأعمال القتل أن تستمر... سيجعلني ذلك وحشاً أيضاً.

لكني لا أستطيع أن أحذره كذلك. سأفعل ما بوسعي لحمايته. توقفت أمام منزل عائلة بلاك بشفتين مزمومتين توتراً. كان يكفيني سوءاً أن يكون أفضل أصدقائي من المستنبيين. فهل يجدر به أن يكون وحشاً كذلك؟

كان المنزل معتماً لا تسطع أنوار من نوافذه، لكنني لم أكثرث لأمر إيقاظهما. خبطت بقبضتي الباب الرئيسي بفضب، فرددت الجدران الصدى.

سمعت بيلى ينادي بعد أن أضاء النور، «أدخلني».

أدركت قبضة الباب فوجدته مفتوحاً. كان بيلى يتكئ على باب المطبخ الصغير يلفّ إزار الحمام حول كتفيه، لم يكن قد جلس في كرسيه بعد. عندما عرف هوية الطارق اتسعت عيناه للحظة وطفئت على وجهه ملامح الرجل الصبور.

«حسناً بيلاً، ما الذي فعلته هنا في هذا الوقت المبكر؟».

«مرحباً بيلى أريد اتحدث الى جايك، أين هو؟».

كذب قائلاً: «لا أعرف حقاً أين يكون».

قلت له بسيرة فيها نور من الممانعة: «هل تعلم ماذا سيفعل تشارلي هذا الصباح؟».

«وهل يفترض بي أن أعلم؟».

«هو ونصف رجال البلدة متشربون في العائات مسلحين لأصابعهم لندوب العملاقة».

تغيرت ملامح بيلى وقلت من أني تعبير.

تابعت قائلة: «لذا أود التحدث مع جايك إن لم تكن لديك مانع».

لوى بيلى شفتيه لحظات طويلة وقال أخيراً وهو يومئ متجهماً بنظريه نحو الممر الصغير بعيداً عن غرفة الاستقبال، «أراهن أنه لا يزال نائماً، إنه يتأخر في العودة الى المنزل كثيراً هذه الأيام. الولد يحتاج للراحة، ربما يجدر بك ألا توقظه».

تمتمت وأنا أمشي نحو الممر: «وقد أتى دوري الآن».

أطلق بيلى تهيدة.

كان باب غرفة جايكوب الصغيرة، الباب الوحيد الموجود في آخر الممر. لم أكلف نفسي عناء الطرق عليه، إذ فتح وحده محدثاً صوتاً نوياً عند ارتطامه بالحائط.

كان جايكوب لا يزال يرتدي قميص الليلة الماضية الرث. وكان لا يزال ممزداً بشكل مائل على السرير الكبير الذي يحتل كل مساحة الغرفة. لم يكن السرير كافياً حتى ولو نام عليه بشكل موروب، فقد كانت قدماه معلقتين من أحد الأطراف ورأسه متدلياً من الجهة الأخرى. قد غط في النوم سريعاً كان يشخر بصوت خفيف وفمه مفتوح. له يتأثر مطلقاً بخبط الباب.

كان نومه العميق يضمني ملامح السكون على وجهه مزبلاً كافة معالم الغضب. كانت تحيط بأسفل عينيه دوائر لم ألاحظ وجودها من قبل على الرغم من حجمه الهيب كال يبدو يافعاً جداً ومهكاً جداً. صغقتي الإحساس بالشفقة.

تراجعت خطوة الى الوراء وأغلقت الباب خلفي بهدوء. حملني بيلى في عييين فضوليتين متحفظتين وأنا أعود بخطى متهملة الى غرفة الجلوس.

«اعتقد أنني سأدعه يرتاح قليلاً». أوما بيلى ونظر أحدنا الى الآخر بخفقات أخرى طويلة. كنت أتحرق للسؤال عن دوره. ما رأيه في ما أصبح أبه عليه؟ لكنني كنت أعلم مدى تأييده لسام منذ البداية، وافترضت بالتالي أن وجود القتل لن يشكل له إزعاجاً لكن لم يسمني أن تصور كيف يمر الأمر لنفسه.

استطعت أن أرى كثيراً من الأسئلة تلتصع في عتمة عينيه لكنه لم يسألني أيّاً منها.

قلت أكرض ضجة الصمت التي تملأ المكان: «إسمع، سأذهب لأمشي على الشاطئ، أخيره حين يصحر أنني انتظره، اتفقنا؟».

وافق بيلى مردداً: «طبعاً، طبعاً».

تساءلت ما إذا كان سيفعل حقاً. لكن إن لم يبلغه، أكون قد حاولت، اليس كذلك؟



قلت السيارة نحو مسح قبرست بنشر وركنتها في الموقف ذي الأرض الترابية. كان الظلام لا يزال يسيطر على المكان، ظلام ما قبل فجر يوم غائم، وبالكاد كنت أرى حين أطفأت أنوار السيارة. اضطرت لفتح عيني وإغلاقهما عدة مرات لأنمكن من التكيف مع التور الخافت قبل إيجاد الممر المؤدي إلى السياج الكثيف من أعشاب البحر الطويلة. كان المكان أكثر برودة هنا والرياح تعصف فوق صفحة المياه السوداء. غرزت يدي عميقاً في جيبي مترة الشتاء. لكن المطر قد توقف على الأقل.

مشيت على الشاطئ نحو الجدار البحري الشمالي. لم أتمكن من رؤية سان جايمس أو أي من الجزر الأخرى، بل حافة المياه الغامضة وحسب. اتخذت خطوات حذرة فوق الصخور متنبهة ألا أتعثر بقطع الحطب المنتشرة التي قدتها السيل.

وحدث ما كنت أبحث عنه قبل أن أدرك حتى أنني كنت أفتش أصلاً. كانت تدر في الظلام على بعد عدة أمت، شجرة بيضاء طويلة حادة إلى الشاطئ، معروفة عميقاً في الصخور. كانت جذورها المعروفة تمتد نحو البحر كمئات الشعيرات الهشة. لم أمتنع أن أكون واثقة أنها الشجرة عينها حيث أجريناً أنا وجايكوب حديثنا الأول، الحديث الذي أطلق عدة خيوط متشابكة ومتداخلة في حياتي. لكنه هذا المكان ذاته تقريباً. مكثت في البقعة التي جلست فيها سابقاً وأخذت أجذب في اللامتاهي.

رؤية جايكوب نائماً غارقاً في البراءة والهشاشة، سرقت متي كل شعور بالشوة وأزالت كل غضب في قلبي. كنت لا أزال عاجزة عن التعامي عما يحدث، كما يبلي، لكنني ما كنت قادرة على إدانة جايكوب كذلك. قررت في نفسي أنها ليست الطريقة التي يعتمدها الحب. حين نهتم لأمر شخص ما، يستحيل أن تعمل المنطق حياله. جايكوب

صديقي سواء قتل أناساً أو لا. لم أكن أعلم ماذا عساي أفعل بهذا الصدد

حين تصوّرتة نائماً، شعرت برغبة جامحة في حمايته. كان ذلك خارجاً عن حدود أي منطق.

سواء كان الأمر منطقياً أم لا، عدت بالذاكرة إلى سكون ملاعحه النائمة محاولة التوصل إلى إجابة ما، إلى طريقة ما لحمايته، بينما تحولت السماء رمادية.

«مرحباً بيلاً».

جعلني صوت جايكوب المنبثق من الظلام أفزع من مكاني. كان صوته ناعماً خجلاً نوعاً ما لكنني كنت أتوقع تحذيراً مسبقاً من جراء وقع خطاه على الصخور لذا كنت لا أزال مذهولة من سكون قدومه. تمكنت من رؤية طيفه في ظل الشمس المشرقة، فبدا عظيماً.

«جايك».

قال ينفخ على بعد خطوات. يوزع ثقل وزن جسمه من قدم لأخرى باضطراب.

«أخبرني يبلي أنك مررت بالمنزل، ثم يستغرق الأمر طويلاً، أليس كذلك؟ علمت أنك مستمكين من التوصل للإجابة».

همست قائلة: «أجل»، لقد تذكرت القصة الصحيحة الآن.

ساد الصمت للحظة طويلة. ومع أن الظلام كان لا يزال يسيطر على المكان شعرت بحلدي بقبض متوحش تحت تأثير نظراته الساعية إلى تفسير معالم وجهي، لكنه حين تكلم مجدداً أتى صوته حاداً حارقاً.

قال يخشونة: «كان يمكن أن تكفي بإجراء اتصال».

أومات مجيبة: «أعرف ذلك».

شرح جايكوب يذرع الأرض الصخرية. ولو أصغيت السمع لما

تمكنت من سماع حفيف قدميه الخافت فوق الصخور من خلف صوت الموج. فيما كانت الصخور تترقع كالمنوج تحت قدمي أنا. طالبني دون أن يوقف خطواته الغاضبة: «لماذا أتيت؟»

«فلنت أن المواجهة أفضل».

زمجر يقول: «أفضل بكثير».

«جايكوب، علي أن أحذرك».

«من العقوليين والصابيين، لا تغفني، نعلم بشأنهم».

أجبت بغير مصدقة، «تطلب مني ألا أقتل! إني مسلحون يا

جايكوب! وهم ينصبون الأفخاخ ويمتحنون الجوائز...».

همهم من دون أن يتوقف عن الحراك. «يمكننا الاهتمام بأنفسنا

لأن يجدوا شيئاً، إنهم يريدون الأمر صعوبة وحسب، ومبيدوا بالأسلحة».

سريعاً كذلك.

«جارك».

«ماذا؟ إنها الحقيقة».

أنتي صوتي شاحباً زائحاً بالتفوق وأنا أقول: «كيف يمكن لك

أن تشعر هكذا؟ إنك على معرفة هؤلاء الأشخاص. تتكلم معهم».

التفتت معدني لمجرد التفكير بالأمر

توقف فجأة ليود بحدة: «ما الذي سمعنا فعله غير ذلك؟»

حوادث الشمس الغيوم إلى صفحة زهرية تميل إلى الغضة فوق

رأسها بث قدادة على رؤية ملامحه الآن، فرائها عذبة محببة عذبة

بالخيانة.

اقترحته عليه همساً: «حسناً، هل نستطيع محاولة ألا نكون

مستذنباً؟».

رفع يديه في الهواء وصرخ قائلاً: «وكانني أملك الخيار! وما الذي

يهتمك من ذلك إن كنت لا تغلقين إلا على الذين يختفون؟»

«لا أنهمك».

حملك بي وضاعت عيناه والثوى فمه عن تكشيرة وهو يقول:

«لعلين ما الذي يدفعني إلى حافة الجنون والقرع بحيث أكاد أبصق؟».

حفلت لملامحه العدائية. بدا أنه كان ينتظر جواباً، فهزرت رأسي.

ارتعشت يده غضباً: «إنك لمنافقة كبيرة بيلاً، ها أنت تجلسين

هنا مربعة! كيف يكون ذلك متصفاً؟».

«منافقة؟ كيف يجعلني الخوف من وحش منافق؟».

نأوه يضغط بقبضتيه المرتعشتين على صدغيه ويفغل عينيه: «هلا

أصغيت لما تقولين؟».

«نعم؟».

تقدم مني خطواتين وانحنى فوق يظفر بعينين غاضبتين. «حسناً،

اعتذر أي ليست نوع الوحش المناسب لك بيلاً. أظن أنني لست بمعلمة

مصاص دماء، أليس كذلك؟».

فكرت من مكاني واففة أرقه نظراته الغاضبة وأصرح بأعلى صوتي

«الأمير لا يتعلق بما أنت عليه أيها المعلم، بل بما تفعله!».

ومجر وكبانه بنصح حقاً: «ما الذي يفترض أن يعنيه كلامك؟».

أخذتني الدهشة تماماً لسماع صوت إدوارد محذراً: «لا تدفعي

بالأمور بعيداً إلى هذا الحد، تحتاجين الآن إلى تهدئة».

حتى أن الصوت الذي دوى في رأسي لم يكن يحمل أي معنى

اليوم. أصغيت إليه مع ذلك. قد أقوم بأي شيء لسماع ذلك الصوت.

رحوته متوسلة الرقة والهدوء في نرتي: «هل من الضروري فعلاً

قتل الناس يا جايكوب؟ أليس هناك من طريقة أخرى؟ أعني، إن كان

مضايير الدماء قد وجدوا طريقة للبقاء من دون اللجوء إلى القتل، أفلا

تستطيع المحاولة أيضاً؟».

استقام في وقفته بحركة سريعة، كما لو أن لكلماتي وقع الصدمة الكهربائية. وارتفع حاجباه واتسعت عيناه تحدقان بي.  
«فعل الناس؟»

«وما الذي تظننا نتحدث عنه؟»

غادره الارتعاش، ونظر إليّ غير مصدق يحدوه بعض الأمل وهو يعترف: «ظننتنا نتحدث عن استمزازك من المستذنبين».

«كلا، جايبك كلا. لا يتعلق الأمر بكونك... مستذنباً». كانت كلماتي تحمل الوعد في طياتها وعلست أنني أعني كل كلمة أقول. لم أكن أهتم فعلاً ما إذا تحوّل نذوب ضخم، إذ كان ليظل جايبكوب.  
«لو أنك فقط تجد طريقة لا تعرّض الناس للأنثى... هذا كل ما يعجزني. هناك أشخاص أبرياء جايبك، مثل تشارلي، ولا يمكنني التناضي عن الأمر فيما أنت...».

فاطعني فيما يلوح على شفتيه طيف ابتسامة: «أهذا كل شيء؟ فعلاً؟ أنت خائفة فقط لأنني قاتل. أهذا هو السبب الوحيد؟».

«أليس هذا السبب كافياً؟»

أخذ يضحك.

«ليس هذا مضحكاً جايبكوب بلالاً!».

وافقتي الرأي وهو يقهقه ضاحكاً: «طبعاً، طبعاً».

خطا نحوي خطوة طويلة وعانقتني عناقاً ديبياً.

وسألني بصوته المرح يطرّف في أذني: «أحقاً وبصدق لا تهتمين

لحقيقة تحوّلني إلى كلب عملاق؟».

شهقت أقول: «كلا، لا أستطيع التنفّس جايبك!».

حررتني من عناقه الحار لكنه أخذ كلتا يديّ بين يديه يقول: «لست قاتلاً ببالاً».

تفحصت ملامح وجهه فانتضح لي أن ما يقوله حقيقة. فسرى الارتياح في أوصالي.  
«أصدقاً ما تقول؟».

وعد بحزم قاتلاً: «أصدقاً».

رميت ذراعي حوله أضمه إليّ، فذكرني ذلك باليوم الأول للقائنا من أجل إصلاح الدراجات النارية. كان أضخم حجماً الآن، وشعرت بأنني مجرد طفلة.

وكما في المرة السابقة مسح شعري بيديه.

اعتذر قاتلاً: «آسف لأنني نعتك بالمنافقة».

«آسفة لأنني نعتك بالقاتل».

وضحك

فكرت في شيء بعدئذ جعلني أبتعد عنه بحيث أتمكن من رؤية وجهه. وفطّب حاجبي بقلق وأنا أسأله: «وماذا عن سام؟ والآخرين؟».

هز رأسه يطلق ابتسامة عريضة وكان عبثاً قد أزيل عن كتفيه: «بالطبع هم لا يقتلون كذلك. ألا تذكرين ماذا نسّيت أنفسنا؟».

طرقت الذكري رأسي بوضوح إذ كنت أفكر في الأمر ذاك النهار: «الخمسة؟».

«تماماً».

«لكني لا أنهم. ما الذي يحصل في الغابات، ماذا عن المنتزهين في الطبيعة، وعن الدماء؟».

عادت الجدية والقلق إلى ملامحه وهو يقرّ: «إننا نحاول القيام بعملنا ببالاً، نحاول حمايتهم، لكننا دوماً نصل متأخرين قليلاً».

«تحمونهم، مما؟ هل هناك فعلاً دب كبير شريد؟».

«حلوتي ببالاً، إننا نحميهم من شيء واحد وحسب، من عدونا



الأوحد. إنهم سبب وجودنا الوحيد، نحن موجودون لأنهم موجودون»  
حدقت به للحظة شاردة الذهن قبل أن أفهم قصده. جفت الدماء  
من عروقي وبدا وجهي شاحباً وهربت صرخة خافتة خالية من الكلام  
ملينة بالرعب من بين شفتي.  
أوما يقول: «ظننتك من بين كل الناس مستدركين ما الذي يجري  
حقاً».

همست أقول: «لورنت، إنه لا يزال هنا».  
رفق جايكوب بعيني مرتين، وأمال برأسه جانباً: «ومن هو  
لورنت؟»

حاولت تنظيم الفوضى التي دبت في رأسي بحيث أتمكن من  
الإجابة: «أنت تعلم من يكون، لقد رأيته في المرح. لقد كنت  
هناك... لقد كنت هناك ومنعته من قتلي». خرجت الكلمات من  
فمي محملة بالتساؤل وأنا أدرك أجزاء الحقيقة الآخذة في الاكتمال.  
أطلق ضحكة مشوكة مفرسة يسأل: «تفقدين شك المصاص الأسود  
الشعر؟ أهذا هو اسمه؟»

ارتعدت أوصالي وأنا أقول بهمس: «ما الذي كنت تفعله؟ كان  
يمكن له أن يقتلك جايك! إنك لا تدرك مدى خطورة...»  
قاطعني بضحك مجدداً: «بيلاً، بالكاد يعتبر مصاص دماء واحد  
مشكلة لزمرة كبيرة كزمرتنا. كان الأمر بغاية السهولة، حتى يمكنك  
القول إنه كان ممتعاً».  
«ما الذي كان بغاية السهولة؟»

«قتل مصاص الدماء الذي كان على وشك أن يقتلك. ولا أعتبر  
ذلك يندرج في إطار القتل».  
صمت للحظة لكنه سرعان ما أضاف قائلاً: «لا يعتبر مصاصو  
الدماء من البشر».

بالكاد تلفظت بالسؤال: «أنت... قتلت... لورنت؟»  
هز رأسه وهو يجيب باعتزاز: «لقد كان جهداً مشتركاً».  
همست أكرر: «هل لورنت ميت؟»

تغيرت ملامح وجهه وهو يقول: «أنت لست مستاءة لموته، أليس  
كذلك؟ كان يريد قتلك... كان يبحث عن صيد له بيلاً، لقد تأكدنا من  
ذلك قبل مهاجمته. تعلمين ذلك، صحيح؟»

«أعلم ذلك، ولست مستاءة. بل...» كان عليّ أن أجلس،  
تعثرت خطوة إلى الوراء إلى أن شعرت بقطعة حطب تلامس رجلي  
فجلست أتابع: «لورنت ميت ولن يعود لقتلي».

«هل جنت؟ لم يكن أحد أصدقائك أو شيئاً من هذا القبيل؟»  
«أصدقائي؟» رفعت عيني أحقد به وقد بحث في الشعور بالارتياح  
نوعاً من التنبؤ والودار. وأخذت أهدّي وعيناي تبللها الدموع، «كلا  
حايك... بل أنا بغاية... بغاية الارتياح. ظننت أنه سيجديني وكنت  
أنتظر مجيئك ليلة، وأتمنى أن يكتفي بقتلي أنا ويترك تشارلي وشأنه.  
لقد شعرت بخوف شديد، جايكوب... لكن كيف؟ لقد كان مصاص  
دماء! كيف تمكنت من قتله؟ كان قوياً جداً وصلباً كالرخام...»

جلس بجانبني وأحاطني بذراعه الضخم مواسياً يقول: «لهذا السبب  
وجدنا بيلز. نحن أشداه أيضاً. يا ليشك أخبرتني من قبل أنك كنت  
تشعرين بالخوف. لم تكوني بحاجة لذلك».

همهمت تائهة في أفكار: «لم تكن قريباً مني».

«هذا صحيح».

«انتظر جايك، ظننتك تعرف. لقد أخبرتني الليلة الماضية أن  
وحدك في غرفتي ليس آمناً. ظننتك تعلم بإمكانية قدوم مصاص دماء.  
ألم يكن هذا ما كنت تتحدث عنه؟»

نظر إليّ للحظة مرتبكاً ومن ثم طأطأ برأسه يقول: «كلا لم يكن ذلك ما عنيته».

«لماذا كنت تظن إذا أن وجودك في غرفتي لم يكن آمناً؟».

ومعني بنظرة محملة بالشعور بالذنب: «لم أقل إن الوضع لم يكن آمناً بالنسبة لي، كنت أفكر فيك أنت».

«لماذا تفعل؟»

نظر إلى الأرض وقذف حصاة بقدمه يقول: «هناك أكثر من سبب يدعوني لعدم الاقتراب منك بيلز. لم يكن يجدر بي أن أطعك على سرنا وذلك لسبب شخصي، لكن جزءاً آخر من الواقع أن ذلك ليس آمناً بالنسبة لك أنت. فإن شعرت بالغضب أو الاستياء الشديدين قد تعرضين للأذى».

أعنت التفكير في ما قاله، وسألت: «حين شعرت بالغضب من قبل... أي حين كنت أصرخ بوجهك... وكنت ترتجف...؟».

طأطأ رأسه أكثر فأكثر وهو يقول: «أجل، كان ذلك تصرفاً أحمق من قبلي. كان يجدر بي أن أسيطر على نفسي بشكل أفضل. أقسمت أنني لن أغضب مهما قلت لك أي أسأت كثيراً خوفاً من أن أحرك، من ألا تتقبلي حقيقتي...».

همست أسأل، «ما الذي قد يحدث... إن اشتد غضبك؟».

أجاب بصوت هامس: «سأتحول إلى ذئب».

«ألا تحتاج لقمر مكتمل لكي يتم لك هذا؟».

قلب عينيه، وتهدد مستعيداً نبرته الجدية: «لا تعتبر أفلام هوليوود كثيراً عن واقع الأمور. لا عليك بيلز، سنهتم بالأمر. وإننا نولي عناية خاصة بشارلي والآخرين، لن ندع مكروهاً يصيبه، نقي بي».

كان ذلك بغاية الوضوح، بحيث كان ينبغي أن أفهمه فوراً. لكن فكرة تصارع جايكوب ورفاقه مع لورنت شتت ذهني فلم أتنبه لتلك

الحقيقة في حينها، لكنها خطرت لي لاحقاً، حين كرر جايكوب كلامه قديماً

سنهتم بالأمر.

لم يكن الأمر قد انتهى.

شهقت وقد صرت قشعريرة في أوصالي: «لورنت ميت».

سألني جايكوب بقلق يلامس وجعتي الشاحبة: «بيلز؟».

«إن كان لورنت قد مات... ومنذ أسبوع... فهناك شخص آخر يقوم بأعمال القتل الآن».

أوما جايكوب وصّر أسنانه متكلماً من خلالهما، كان هناك اثنان منهما، ظننا أن حبيته ترغب بمحاربتنا، إذ إن روايتنا تقول إنهم يشتملون غيظاً عند قتل أحد رفاقهم. لكنها تتأير على الهرب، ومن ثم العودة. لو أننا تعلم ما الذي تسعى وراءه، لسهل علينا الانقضاض عليها. لكن ليس لتصرفاتها أي معنى. إنها لا تنفك تحرم حول الأطراف وكأنها تختبر دفاعاتها، تبحث عن طريقة للتسلل، لكن إلى أين؟ إلى أين تريد الذهاب؟ يعتقد سام أنها تحاول أن نفرقنا، لكي تحظى بفرصة أكبر...

خفت صوته فبدأ أنه آت من مكان عميق، وما عدت قادرة على فهم الكلمات المتقطعة التي يتلفظ بها. نعرق جيني وانقلب أمعاني وكأني أصبت بحمى المعدة مجدداً. بل وكأني مصابة بالحمى فعلاً.

التفت بسرعة مبتعدة واستندت إلى جذع الشجرة. انتفض جسمي بثاقل وانقبضت معدتي الفارغة من الغثيان، مع أنها كانت خاوية لا شيء فيها أنقباضاً.

كانت فيكتوريا هنا. وكانت تبحث عني. وتقتل الغرباء في الغابات، الغابات حيث يذهب تشارلي وزملاؤه بحثاً عن المجرم...

أصبت بدوار مرضي.

أمسك جايكوب بكتفي يثبتني ويمعنني من التعثر بالصخور. كنت

أشعر بأنفاسه الحارة على وجتي وهو يقول: «ما الخطب بيلاً؟»  
ما إن تمكنت من التقاط أنفاسي في خضم التشنجات حتى شهِت:  
«فيكتوريا».

أنت صيحة إدوارد مزمجرة في رأسي لمجرد ذكر الاسم.

شعرت بيدي جايكوب تنقلاتي من السقوط. احتضني برشاقة وألقى  
برأسي المرتخي على كتفه. جاهد ليعيد إلي توازني، ويعمّني بطريقة أو  
بأخرى من السقوط. أبعد خصلة الشعر المتبللة عرقاً عن وجهي،  
وسألني: «مَن؟ هل تستطعين سماعي بيلاً؟ بيلاً؟»

تأوهت على كتفه أقول: «لم تكن حبيبة لورنت بل كانا مجرد  
صديقين قديمين...»

عاد يسألني مرتعباً: «هل تحتاجين لبعض الماء؟ أو لطبيب؟» فقلت  
لي: «ماذا أفعل؟»

شرحت له همساً: «لست مريضة بل خائفة».

لم تكن كلمة «خائفة» في الواقع تفي بالغرض، ولا تعبر عن واقع  
الحال.

رَبَّتْ جايكوب على ظهري: «أخافُكَ من تلك المدعوة فيكتوريا؟»  
أومات مرتعبة.

فقال: «فيكتوريا هي الأنتي الحمراء الشعر؟»

ارتجفت مجدداً أجيب بصوت ضعيف متقطع: «أجل».

«كيف لك أن تعلمي أنها لم تكن حبيته؟»

شرحت له مشنية يدي الموسومة بالنسبة: «أخبرني لورنت أن  
جايكوب كان حبيبها وليس هو».

أحاط جايكوب وجهي بيديه الكبيرتين يثبته ويحذق بعنق في عيني:  
«هل قال لك شيئاً آخر بيلاً؟ إن الأمر مهم. هل تعلمين ماذا تريد؟»

همست: «بالطبع أعلم، إنها تريدني أنا».

اتسعت عيناه فجأة ثم ضاقتا حتى لكادتا تبدوان مغلقتين.  
«لماذا؟»

«إدوارد قتل جايكوب».

كان جايكوب يُحكِم قبضته حول وجهي يبعد عني الإحساس  
بالآلم، كان يثنّي وقلت: «لقد اشتعلت غيظاً فعلاً، لكن لورنت قال  
إنها ظنّت أن قتلي أكثر إنصافاً من قتل إدوارد نفسه. الحبيب مقابل  
الحبيب. لم تكن تعلم، وأظنها لا تزال تجهل، أن... أن...» توقفت  
وابتلعت ريقِي بصعوبة وأضفت: «أن الأمور لم تعد كما كانت بيننا.  
ليس بالنسبة لإدوارد بأي حال».

تشبّثت ذهن جايكوب بسبب كلامي وكانت ملامح كثيرة تمرّق  
تعبير وجهه: «أهلاً ما حصل؟ لماذا رحلت عائلة كولن؟»

شرحت له أهرز كتفي بوهن: «لست سوى كائن بشري، لست شيئاً  
مميزاً في النهاية».

شيء ما كالهدير، ليس هديراً حقيقياً بل أقرب ما يكون إلى الهدير  
البشري زمجر في صدره تحت أذني:

«إن كان مصاص الدماء ذاك أحق بما يكفي...»

تأوهت أقول: «أرجوك، لا تفعل أرجوك».

تردّد جايكوب ثم أوما مرة.

قال مجدداً بملامح جدية تماماً هذه المرة: «إنه أمر مهم. هذا ما  
نحتاج تماماً لمعرفة. علينا أن نبلغ الآخرين فوراً».

وقف وسحبني لأقف أنا كذلك على قدمي. أبقى يدي على خصري  
رِيشاً يتأكد أنني لن أسقط أرضاً.

كذبت أقول: «أنا بخير».



نقل يديه من خصري ليمسك بيدي قائلاً: «لنذهب». وصحبني نحو الشاحنة مجدداً.

سألته: «إلى أين نذهب؟».

اعترف قائلاً: «لست متأكداً بعد. سأدعو لعقد اجتماع، انتظري هنا لحظة، اتفقا».

أوصلني إلى جانب الشاحنة وحرّر يدي.

«إلى أين نذهب؟».

وعندي قائلاً: «سأعود حالاً».

استدار وهرع نحو موقف السيارات واجتاز الطريق متوجهاً نحو الغابة المحاذية. مرّ سريعاً بين الأشجار بخفة غزال.

صرخت أناديه لكنه كان قد اختفى. لم يكن الوقت مناسباً لأن أكون لوحدي. بعد مرور ثوانٍ على غيابه عن ناظري، كنت أتمرّق بشدة. جررت نفسي إلى الشاحنة وأقفلت على نفسي، لكن ذلك لم يجعلني أشعر بأي تحسّن.

فيكتوريا بدأت رحلة اصطيادي... وحده الحظ أنقذني حتى الآن، الحظ وخمسة مستنبيين مراقبين. مهما كان الكلام الذي قاله جايكوب، مجرد فكرة اقترابه من فيكتوريا كانت مثيرة للرهبة. لم أكن أكثرث البتة لمسألة تحوّل حين يكون غاضباً. استطعت أن أنصورها في خيالي بوجهها المتوحش وشعرها المشتعل لهاً أحمر قاتلة لا يمكن تدبيرها أو القضاء عليها...

لكن وفقاً لجايكوب لوونت قد اختفى. هل كان ذلك ممكناً فعلاً؟ لقد سبق لإدوارد أن أخبرني كم يصعب قتل مصاص دماء، واشتدّت قبضة يدي بصورة تلقائية على صدري. وحده مصاص دماء آخر يستطيع إنجاز المهمة. ومع ذلك قال جايك إن هذا ما وجد لأجله المستنبيون...

قال إنهم يولون تشارلي عناية خاصة... وإني يجب أن أضع مسألة إمانه بعهدة المستنبيين. كيف لي أن أفعل ذلك؟ ما من أحد منا بأمين من الأذى! ليس بعهدة جايكوب على الأقل، لاسيما إن كان يحاول وضع نفسه بين فيكتوريا وتشارلي... وبين فيكتوريا وبني. شعرت بأنني على وشك أن اتفقاً مجدداً.

خبطة حادة على النافذة جعلتني أقفز مرتعبة، لكنه كان جايكوب. فتحت قفل الباب بأصابع مرتعشة ممثلة.

سألني وهو يصعد إلى الشاحنة: «أنت خائفة حقاً، أليس كذلك؟».

أومأت بالإيجاب.

«لا تخافي، سنهتم بك وتشارلي أيضاً. أعدك بذلك».

همست قائلة: «إن فكرة عثورك على فيكتوريا أكثر إثارة للرهبة من فكرة عثورها هي عليّ».

ضحك يقول: «عليك أن تنقي بنا أكثر من ذلك. مستوى ثقتك هذا مهين».

هزرت رأسي وحسب. لقد سبق أن رأيت فعل مصاصي الدماء.

سألته: «إلى أين ذهبت للتو؟».

زمت شفتي ولم يقل شيئاً.

«ماذا؟ هل الأمر سرٌّ؟».

قطب حين قائلاً: «ليس فعلاً، لكن الأمر غريب مع ذلك. لا أريد أن تصابي بالفرع».

حاولت التيسم من دون نجاح: «تعلم أنني معتادة على غرابية من هذا النوع».

ضحك جايكوب بسهولة يقول: «توقعت أن تكوني كذلك، حسناً، حين تكون ذئاباً، تتمكن... من سماع بعضنا البعض».

تهذل جفائي ارتباكاً.

تابع حديثه قائلاً: «لا نسمع الأصوات، لكننا نستطيع سماع... الأفكار، أفكار بعضنا البعض. بساعدنا ذلك فعلاً أثناء عملية الاصطناع لكنه يسبب في المقابل ألماً مبرحاً. إنه لأمر محرج، نظراً لعدم وجود أسرار مخفية. أمر مستغرب اليس كذلك؟».

«هكذا ما قصدته الليلة الماضية حين قلت إنك ستخبرهم أنك قدمت لرويتي، مع أنك لا تريد ذلك؟».

«أنت سريعة البديهة».

«شكراً».

«كما أنك بارعة جداً بمسألة الأمور الغريبة. ظننت أن ذلك قد...

يزعجك».

«ليس الأمر... حسناً، لست الشخص الأول الذي عرفت أنه يفهم تلك الأمور، لذا لا يبدو الأمر غريباً بالنسبة لي».

«حقاً؟ التقريبي هل تتحدثين عن معارفك من مصاصي الدماء؟».

«أتمنى ألا نسيبهم هكذا».

ضحك قائلاً: «مهما يكن، سأدعوهم بعائلة كولن إذا».

لغفت ذراعي حول جسمي توسوساً وقلت: «فقط إدوارد...».

وحسب».

بدا جايكوب متفاجئاً وغير راضٍ كذلك.

وقال: «ظننت أن تلك مجرد قصص. لقد سبق وسمعت أساطير عدة حول مصاصي الدماء الذين يستطيعون القيام... بأمر من هذا النوع، لكنني ظننتها مجرد خرافات».

سأله بامتصاص: «وهل عاد منك من خرافة؟».

تشلجت جسمته غضباً: «لا أظن. حسناً سنلتقي سام والآخرين حيث كنا نذهب لركوب الدراجة الثابتة».

أدبرت محرك الشاحنة، وتوجهت عائدة إلى الطريق العام.

سألت بدافع الفضول: «هل تحولت إلى ذئب الآن لتتحدث إلي

سام؟».

مزّ جايكوب رأسه إيجاباً وبدا خجلاً: «تعمدت أن يكون الأمر متفتهاً، حاولت ألا أفكر بك كي لا يعلموا ما الذي يجري. خشيت أن يطلب إلي سام ألا تحضري الاجتماع».

«حتى ذلك ما كان ليمنعني من المجيء». لم أتمكن من التخلص من الفكرة التي تقول لي إن سام شخص متين. فصررت أسناني لمجرد سماع اسمه.

أجاب جايكوب وقد بدا متوجساً: «حسناً، كان ذلك ليمنعني أنا تذكرك كيف أبي عجزت عن إيهاء جملتي الليلة الماضية؟ وكيف عجزت عن إخبارك القصة بأكملها؟».

«أجل، بلوت وكان شيئاً ما يحثك».

«جلى شحكة قائمة: «كنت على وشك الاختناق. قال لي سام إنه لا يمكن أن أخبرك. إنه... زعيم الزمرة كما تعلمين. هو الرأس المبدع. وحين يطلب إلينا أن نفعل شيئاً أو لا نفعله، حين يعني ما يقول، لا يمكننا تجاهله».

تمتعت قائلة: «أمر غريب».

وافقتي الرأي قائلاً: «غريب جداً، إنها مسألة تتعلق بالذناب

وحسب».

أومات ظناً مني أنها الإجابة الأفضل على ما قال.

«أجل، هناك الكثير من الأمور الخاصة بعالم الذناب. لا أزال أنعلم. لا أستطيع أن أقصو كيف كانت الأمور بالنسبة لسام، وهو يحاول التعامل معها بمفرده. الانخراط في هذا العالم مع مجموعة كاملة من الذناب التي تؤمن الدعم، أمر متين بما يكفي».

«وهل كان سام لوحده؟»

انخفض صوت جايكوب وهو يقول: «أجل، حين تحولت، كانت تلك التجربة الأكثر فظاعة وإثارة للرعب، كانت أسوأ من أي شيء استطعت تصوره. لكنني لم أكن وحيداً، إذ كانت هناك أصوات في رأسي تخبرني بما حصل وبما يجب أن أفعل. وقد منعني تلك الأصوات من الإصابة بالجنون، لكن سام... سام كان وحيداً».

كان ذلك يتطلب بعض التكيف. حين شرح لي جايكوب المسألة على هذا النحو، شعرت بأن من الصعوبة بمكان عدم التعاطف مع سام. كان عليّ أن أذكر نفسي باستمرار أنه ما عاد هناك من سبب يدعوني لأكرمه.

سأله: «هل سيفضون لوجودي معك؟»

تغيرت ملامحه وهو يقول: «ربما».

«ربما يجب ألا...»

أكد لي: «بل لا بأس، تعلمين الكثير من الأمور التي قد تساعدنا. لا أقول إنك مجرد كائن بشري جاهل. بل إنك أشبه به... لا أعلم جاسوسة أو شيء من هذا القبيل. لقد كنت خلف أسوار العدو».

قطبت جبينني أفكر في نفسي. هل هذا ما يريده مني جايكوب؟ معلومات سرية تساعدكم على تدمير العدو؟

مع أنني لم أكن جاسوسة، ولم أكن أجمع ذلك النوع من المعلومات. جعلتني كلماته أشعر بأنه خائفة.

لكنني كنت أريده أن يضع حداً لوجود فيكتوريا، ليس كذلك؟ كلا.

أردت أن يوضع حدٌ لفيكتوريا، وكان من الأفضل أن يتم ذلك قبل أن تعذبني وتقتلني أو تلتقي بشارلي أو أي غريب آخر. لكنني لم أشأ أن

يكون جايكوب من يفعل ذلك، ولا أن يحاول حتى. أردته أن يبقى بعيداً عنها مئات الأميال.

تابع كلامه غافلاً عن شرودي: «الامر أشبه بقراءة الأفكار لدى مصاصي الدماء، هذا النوع من الأمور الذي نود المعرفة بشأنه. من المقزز فعلاً أن تكون كل تلك القصص صحيحة. إنها تجعل كل شيء أكثر تعقيداً. هل تظنين أن فيكتوريا تلك تستطيع القيام بشيء خاص؟»

تنهدت وترددت في القول: «لا أعتقد ذلك. كان هو ليلذكر لي الأمور».

«هو؟ تعين إدوارد... آسف، لقد نسيت، لا تحبين ذكر اسمه».

اعتصرت منطقة الوسط من جسمي، محاولة تجاهل الدقات المحيطة بصدري. «كلا، بالفعل، لا أرغب بذلك».

«آسف».

«كيف لك أن تعرفني جيداً جايكوب؟ وكأنك أحياناً تقرأ أفكاري».

«كلا، لا أقرأ أفكارك، أنا أنتبه جيداً وحسب».

كنا قد وصلنا إلى الطريق الترابية حيث علمني جايكوب لأول مرة كيفية ركوب الدراجة النارية.

سأله: «وهل هذا جيد؟»

«طبعاً، طبعاً».

أوقفت السيارة وأطفأت المحرك.

تمسم يقول: «لا تزالين غير سعيدة، أليس كذلك؟»

أومأت محدقة في الغابة الزاخرة بالضباب دون أن أرى شيئاً.

«هل فكرت يوماً أنه... من الأفضل أن... تركيه؟»

أخذت نفساً عميقاً وأخرجته ببطء وقلت: «كلا».

«ربما لأنه لم يكن الأفضل...»



قاطعته متوسلة بهمس: «أرجوك جايكوب، هلا توقفنا عن الحديث بهذا الموضوع؟ لا أستطيع تحمله».

أخذ نفساً عميقاً وقال: «حسناً، اعتذر إذا ما قلت شيئاً أزعجك».

«لا تشاء مني. لو كانت الأمور مختلفة، لكان من الجميل التحدث بالأمم أخيراً مع أحدهم».

أوما يقول: «أجل، لقد أمضيت وقتاً صعباً في إخفاء السر عنك لأسبوعين. لا بد أن العجز عن التحدث إلى أحدهم أشبه بالجميم».

وافقه الرأي قائلة: «أجل، صحيح».

أخذ جايكوب نفساً حاداً كالسكين وقال: «إنهم هنا، فلنذهب».

سألته بينما يفتح الباب: «هل أنت واثق من ذلك؟ ربما من الأفضل ألا أكون هناك».

أجابني ضاحكاً: «ميتاً قلمون مع الأمر. فما الذي قد يخيف ذئباً ضخمة كبيرة؟».

ضحكت ساخرة. لكنني خرجت من الشاحنة وهرعت نحو المقدمة لأقف بالقرب من جايكوب. كنت أتذكر بوضوح تلك الوحوش العملاقة التي رأيتهما في المروج. وكانت يداي ترتعشان كما يدا جايكوب من قبل. إنما ليس غضباً بل خوفاً. أخذ جايكوب يدي بيده وضغط عليها قليلاً وهو يقول: «ها نحن نصل».

أبسمت خوفاً بجباب جايكوب وعيناي تمسحطان الغاية بحثاً عن وجود مستذئبين آخرين. وحين ظهروا من بين الأشجار لم يكونوا كما توقعت. كانت صورة الذئاب قد علفت في مخيلتي. أما ما رأيته أمامي أربعة صبية نصف متعزّين.

ذكرتني منظرهم مجدداً بالتوائم الأربعة الذين ولدوا من بطون واحدة. كان هناك شيء ما في مشيتهم الإيقاعية المتزامنة، المتوازنة الخطوات وهم يتوجهون للوقوف صفّاً مواجهاً على الجهة الأخرى من الطريق. بأجسامهم الطويلة المفتولة العضلات، البنية البشرة، وشعورهم السوداء المقصومة وطريقة تغير ملامح وجوههم في اللحظة ذاتها. بدوا جميعاً فضوليين حذرين. وقد صمغهم الحق في اللحظة التي رأوني فيها مختبئة بظلّ جايكوب.

كان لا يزال سام أكبرهم حجماً، مع أن جايكوب كاد يلحق به. ما كان يمكن اعتبار سام ولداً. كانت ملامح وجهه أكبر سنّاً، ليس لناعية وجود الخطوط أو علامات التقدم بالعمر، بل لناعية التضج والغبير الطاغين على تلك الملامح.

«ماذا فعلت جايكوب؟»

اندفع أحد الأربعة، ولم أستطع التعرف ما إذا كان غارد أو بول وسأل جايكوب قبل أن يتمكن من الدفاع عن نفسه.

وتابع يصرخ رافعاً يديه في الهواء: «لماذا لا تستطيع الالتزام بالقواعد جايكوب؟ ما الذي تظنه بحق السماء؟ هل إنها أكثر أهمية من أي شيء آخر، من القبيلة بأمرها؟ من الناس الذين يُقتلون؟»  
أجاب جايكوب بهدوء: «إنها تستطيع المساعدة».

عاد الولد الآخر يصرخ وقد أخذت بداء ترتعشان: «المساعدة! هذا ممكن جداً! أنا واثق أن هذه المغرمة بالمتلبص تتحرق لمساعدتنا».  
أجاب جايكوب يصرخ بأعلى صوته كذلك وقد لسه انتقاد الصبي الآخر: «لا تكلم عنها على هذا النحو!».

سرت ارتعاده في أوصال الصبي الآخر من كنفه إلى نخاع الشوكي.  
أمره سام يقول: «إهدأ يا بول!».

هز بول رأسه إلى الأمام والوراء ليس بحركة دفاعية بل هي محاولة للتركيز.  
تعتم أحد الصبية الآخرين، غارد ربما: «يا إلهي بول! يفكر على نفسك!».

أمال بول برأسه نحو غارد والثوت شفياً اشمزأزاً، وحملق بي غاضباً. اتخذ جايكوب خطوة إلى الأمام ليقف أمامي ويغطيني بجسمه.  
زمجر بول غضباً: «نعم، أنت محق، إحمها!».

ارتعاده أخرى ومن ثم ارتجاجة سيطرت عليه. تدلى رأسه إلى الوراء وخرج صوت هادر من بين أسنانه.

صرخ كل من جايكوب وسام معاً: «بول!».  
بدا بول وكأنه يسقط للأمام، يرتعد بقوة وعنف. قبل وصوله للأرض بنصف المسافة، صدر ضجيج ممزق وانفجر الصبي.  
فرو فضي غامق اللون تطاير من الولد، وهو يتدمج ويتنفخ إلى

خمس أضعاف حجمه وتحول إلى كتلة ضخمة متربعة مستعدة للانفراض.

كشر الذئب عن أنيابه وخرج من صدره الضخم صوت هادر آخر.  
وكانت عياه تحمقان بي غضباً.

في اللحظة ذاتها كان جايكوب يركض مجتازاً الطريق متجهاً نحو الوحش مباشرة.  
صرخت أنادي باسمه.

عند اجتيازه نصف المسافة، سرت وعشة في عمود جايكوب الفقري، ووثب إلى الأمام وكأنه يغطس في الهواء متوجهاً برأسه أولاً.

وبصرخة حادة ممزقة انفجر جايكوب كذلك. خرج من جلده الذي تطاير منه قطع قماش بيضاء وسوداء. حدثت الأمور بسرعة بحيث كنت سأفوت مشهد التحول بالكامل لو أنني طرقت بعيني للحظة واحدة من الزمن.

في لحظة كان جايكوب يقفز في الهواء ليتحول إلى ذئب بني صلب اللون بملء أفاء، كان من الضخامة بحيث لم أتمكن من استيعاب كيف أن حجمه الحالي يعيش في جايكوب الذي أعرف، والذي صار ذلك وحش المتقبض الآن نحو الأرض استعداداً للوثوب.

التقى المستذئبان في صراع بالرؤوس وقد ملأت أصوات زمجرتهما الغابة بالعودة وتسلفت الأشجار.

كانت القطع البيضاء والسوداء المتبقية من ملابس جايكوب منشورة على الأرض حيث اختفى.

اندفعت إلى الأمام أصرخ قائلة: «جايكوب».  
أمرني سام يقول: «إبقي حيث أنت ييلاً».

كان يصعب سماع صوته فوق صراخ الذئبين المتصارعين. كان ينهش أحدهما الآخر ويمزقه منقضاً بأنياه الحادة على عنقه. بدت الغلبة

لجايكوب المستذنب، من الواضح أنه كان يزيد غريمه حجماً وبأساً على ما يبدو. أخذ ينطح بكفه الذئب الآخر مراراً وتكراراً ويدفعه بعنف نحو الأشجار. صرخ سام متوجهاً للولدين الآخرين الذين كانا يراقبان القتال بتعابير مذهولة: «أخذاهما إلى إيلي».

نجح جايكوب في دفع الذئب الرمادي بعيداً عن الطريق وكانا يحتفيان في الغابة، ومع ذلك كان لا يزال صوت هميمتهما مرئعاً. ركض سام خلفهما بخلع عليه بينما يتقدم راكضاً. اندفع بين الأشجار وهو يرتعش من رأسه حتى أحمض قدميه.

أخذت أصوات النهش والهيمسة تحلفت شيئاً فشيئاً، وفجأة خمد كل شيء. وساد الصمت على الطريق.

بدأ أحد الصبية يضحك.

التفت محدقة به بعينين متسعيتين متجمعتين كالجليد وكأنني أعجز عن طرفهما.

كان الولد يضحك من تعابير وجهي.

قال بضحكة مكبوتة: «ها إليك شيئاً لا ترين مثله كل يوم». بدأ وجهه مألوفاً بشكل غامض وأصغر حجماً من وجوه الآخرين، إنه إمبيري كول.

أجاب غارد، الولد الآخر بصوت هادر: «أما أنا فأفعل، وكل يوم».

خالفه إمبيري الرأي وهو لا يزال يضحك: «لا يفقد بول السيطرة على أعصابه كل يوم، ربما كل يومين من أصل ثلاثة».

توقف غارد ليلتقط شيئاً أبيض اللون عن الأرض. سلمه لإمبيري فتدلت من بين يديه إرباً متمزقة.

قال غارد، «إنها متمزقة بالكامل». قال إيلي إنه الحذاء الوحيد الذي يستطيع دفع ثمنه. أظن أن جايكوب سيمود حافي القدمين الآن».

قال إمبيري وهو يرفع بيده إحدى فودتي الحذاء: «لقد نجت هذه وجيب». وأضاف ضاحكاً: «يستطيع القفز على قدم واحدة».

أخذ غارد يجمع مختلف قطع القماش ويرفعها عن التراب قائلاً: «هلا أحضرت حذاء سام؟ فما تبقى من هذا سيرمى في القمامة مباشرة».

أحضر إمبيري الحذاء، وقفر متجهاً نحو أشجار الغابة حيث اختفى سام منذ بعض الوقت. عاد بعد عدة ثوانٍ يحمل سوار حبل مغطى متدلياً من فوق ذراعه. كما جمع غارد بعض بقايا ملابس جايكوب وبول الممزقة وألقاها على شكل كرة. وقد بدا أنه تذكرني فجأة.

رمقي نظرة متحسسة بقبمبي

وطرح عليّ السؤال قائلاً: «أنت لا تشعرين بذلك على وشك أن تفقدي الوعي أو أنك متقيأتين، اليس كذلك؟».

شهقت: «لا أظن ذلك».

«لا تبدين بحالة جيدة، ربما يجدر بك الجلوس».

تلعثت موافقة على طلبه، وجلست للمرة الثانية هذا الصباح أضع رأسي بين ركبتي.

اعترض إمبيري قائلاً: «كان يفترض بجايك أن يحذرنا».

«ما كان يجدر به إحضار صديقته إلى هنا. فما الذي كان يتوقعه؟».

تنهد إمبيري يقول: «ها قد نخرج الذئب من جحره الآن، حان الوقت ليتعلم».

رفعت رأسي محمقة بالولدين الذين يأخذان ما يحصل بخفة وسألتهما: «ألا تشعران بالقلق عليهما مطلقاً؟».

طرف إمبيري بعينه متدهشاً: «القلق؟ ولماذا عسانا نقلق؟».

«من أن يؤذي بعضهما البعض؟».

وقتها ضاحكين بأعلى صوتهما.



قال غارد: «أمل أن ينهش بول بهشة موفقة، لينهش درسا».

شحب وجهي وبدا أبيض ساطعاً لا لون فيه.

أحباب إميري: «أجل صحيح! هل رأيت جايك؟ حتى أن سام لا يستطيع التحول بمثل هذه السرعة. لاحظ أن بول يفقد أعضائه ويوشك أن يتحول فلم يستغرق سوى نصف ثانية لينتفض علىه. هل استغرق الأمر أكثر من نصف ثانية؟ لا بد أن الولد موهوب».

«مضى على بول في ساحات الصراع وقت أطول. أراهنك بعشر دولارات أنه سيرك أثراً على جايك».

«حسناً، أقول لك إن جايك لا بد سيربح على بول».

تصافحا يضحكان.

حاولت تهدئة نفسي وأنا أرى عدم اكترائهما بما يجري، لكنني عجزت عن نزع صورة القتال الوحشي بين المستذئبين من ذهني. شعرت بمعدتي تنقلب وتنقبض خاوية ممتعضة وكان القلق يبعث الألم في رأسي.

نظر إلي إميري يقول: «دعوا بذهب لرؤية إميلي. تعلم أنها لنفي نطعمام حاصر من أحلما، هل تمنعني في أن تنقلباً إلى هناك بالشاحنة؟».

شعرت بالاختناق وأنا أقول: «ما من مشكلة في ذلك».

رفع غارد حاجبه يقول: «ربما يستحسن بك أن تقود أنت إميري، لا تزال تبدو أنها على وشك أن تنقلباً».

قال إميري: «فكرة جيدة، أين المقاتيح؟».

«إنها في الشاحنة».

فتح إميري باب الجلوس إلى جانب السائق، وأشار إلي بمرح وهو يرفعتي بيد واحدة كالريشة ويجلسني في المقعد: «هيا ادخلي».

نظر إلى المساحة الفارغة المنقبة وقال لغارد: «سيكون عليك أن تجلس في الخلف».

«لا بأس بذلك، إن معدتي حساسة ولا أريد أن أكون بالقرب منها حين تنقلب».

«أراهن على أنها أقوى من ذلك. فهي تعاصر مصاصي الدماء».

سأله غارد: «أتراهن بخمسة دولارات؟».

«موافق، لكنني أشعر بالذنب لسحب نقودك على هذا النحو».

دخل إميري الشاحنة وأدار المحرك في حين قفز غارد بخفة ورشاقة إلى الصندوق. وما إن أغلق إميري الباب حتى قال لي: «لا تنقلباً، اتفقتنا؟ لقد سبق وحصلت على عشرو دولارات وإن نهش بول في جايكوب...». همست قائلة: «حسناً».

قاد إميري الشاحنة في طريق العودة إلى القرية.

«بالمناسبة، كيف تخطى جايك الأوامر؟».

«ما هي تلك الأوامر؟».

«الأوامر، الأوامر، تلك التي تقتضي بعدم إفشاء الأسرار. كيف أخبرك بأمرنا؟».

تذكرت كيف كاد جايك يختنق وهو يحاول قول الحقيقة الليلة الماضية. فقلت له: «لم يفعل، بل لقد حزنزتها بنفسه».

زم إميري شفتيه وكان يبدو مدهوشاً، وقال: «أفترض أن هذا سوف ينجح».

سألت: «إلى أين نذهب؟».

«إلى منزل إميلي. إنها صديقة سام... ليست خطيبته إلى الآن على ما أظن. سيعودون للقائنا هنا بعد أن يويخهما سام لما فعلاه. ويعد أن يتبهر كل من بول وجايك ملابس جديدة، خاصة بول، هذا إن بقيت لديه ملابس أصلاً».

«وهل تعلم إميلي بشأن الد...؟»

«أجل تعلم، ولا تخدقي بها كثيراً، فهذا يزعج سام».

قطبت جبیني أقول: «ولم عاي أحدق بها؟».

بدا إمبري متزعجاً وهو يقول: «كما رأيت للتو، إن التواجد مع المستذنبين فيه مخاطرة». ثم ما لبث أن غير الموضوع: «هل عادت الأمور تسير بخير بعد ما حدث مع مصاص الدماء ذي الشعر الأسود في الغاية؟ لم يكن يبدو أنه صديقك... لكن...»، وهز إمبري كتفيه بلا مبالاة.

«كلا، لم يكن صديقي».

«هذا جيد، لم نشأ أن نكون البادئين ونكسر الاتفاقية بيننا، كما تعلمين».

«أجل، سبق لجايك أن أخبرني عن تلك الاتفاقية التي عقدت يوماً منذ زمن بعيد. لماذا قد بشكل قتل لورنت نقضاً للاتفاقية؟».

كرر إمبري اسم لورنت على شفتيه وكان فكرة ذكر اسم لمصاص دماء قد أعجبته، ثم قال: «حسناً، لقد كنا بالمعنى القسري للكلمة على أرض كولن. لم يكن يسمح لنا مهاجمة أي منهم. ليس خارج حدود أرضنا نحن على الأقل، إلا إذا قاموا هم بخرق الاتفاقية أولاً. لم تكن نعلم ما إذا كان صاحب الشعر الأسود أحد أقرائهم أو لا. بدوت وكأنك تعرفينه».

«وكيف كانوا ليخرقوا الإتفاقية؟».

«إذا قاموا بقتل أحد الكائنات البشرية. لم يكن جايك متيقناً من فكرة السماح للأمور بالذهاب إلى هذا الحد».

«شكراً، سررت لأنكم لم تنتظروا طويلاً».

«إن هذا لمن دواعي سرورنا». بدا وكأنه يعني كلامه حرفياً.

تجاوز إمبري آخر البيوت في أقصى شرق البلدة على الطريق العام فل أن ينعطف نحو طريق ترابي ضيق ملاحظاً: «إن شاحتك بطينة». «عذراً».

عند آخر الطريق كان منزل صغير طلي يوماً باللون الرمادي. لم يكن هناك سوى نافذة واحدة صغيرة بجانب الباب الأزرق العتيق لكن تحته كان يوجد إناء تملأه زهور الأقحوان الأصفر والبرتقالي لتضفي مسحة من الإشراق على المكان.

فتح إمبري باب الشاحنة منشقاً الهواء المحيط بالمنزل وقال: «إن إميلي تطهو الطعام».

قفز غارد من الصندوق متوجهاً نحو الباب الرئيسي لكن إمبري أوقفه بوضع إحدى كتفيه على صدره. رمقتي بنظرة ذات معنى وتحتج.

قال له غارد: «لا أحمل محفظة نفودي الآن».

«لا بأس لكنني لن أنسى».

واجهت ودخلا المنزل من دون أن يطرقا الباب. وتبعتهما بحياء. صدر المنزل، كما لدى بيلي كان يتألف بمعظمه من ملبخ. كانت هناك شجرة ذات بشرة نحاسية حربية وشعر أسود وحمي طويل تنف عند الطاولة بجانب مقسلة الصحنون. تنزع قطع الكعك من القدر الحديد وتضعها على صحن الكرتون. ظننت للمحظة أن إمبري طلب إلي ألا أحدق بإميلي لأنها فاتنة الجمال.

وسألتها بصوت رنان ونبرة موسيقية: «هل أنتما حائمان يا شاب؟».

واستدارت فرأيت كافة ملامح وجهها تغطي نصفه ابتسامة. كانت الندبات تغطي نصف وجهها الأيمن بأكمله من جيبتها عند خط للمشعر حتى ذقنها. إذ كانت ثلاثة خطوط عريضة حمراء ساطعة اللون تسطره بوضوح على الرغم أنها شفيت منذ وقت طويل. كانت

أغاض ذلك إميلي التي راحت تضربه بخفة على رأسه بملقعة خشب  
وتقول: «أتترك القليل لإخوتك».

فاجاني استعمال الكلمة فيما لم يُعجن الآخرون التفكير بها.  
علق غارد على الأمر بالقول: «يا لك من خنزير».

استندت إلى الطاولة أراقب كيف يمازح بعضهم بعضاً كأفراد العائلة  
الواحدة. كان مطبخ إميلي مكاناً ينبعث منه الدفء، خزائنه بيضاء وأرضه  
خشب. على الطاولة المستديرة الوحيدة إبريق زجاجي بلون أزرق باهت  
وأبيض ممتلئ بالأزهار البرية. بدا كلٌّ من إميري وغارد على سجيتهما  
برفتها.

كانت إميلي تمزج خليطاً فيه كمية كبيرة من البيض، في وعاء أصفر  
ضخم. وقد رفعت كفي مسترتهما الأرجوانية اللون فتمكنت من رؤية  
امتداد الندبات حتى أسفل ذراعها وصولاً إلى ظاهر يدها اليمنى.  
إن لمعاشرة المستنبيين مخاطر حقيقية كما ذكر إميري.  
فُتح الباب الأمامي فدخله سام أولاً.

«إميلي». نخرج اسمها من بين شفتيه مفعماً بالحب، وقد شعرت  
بالحرج والتطفل وأنا أراقبه يجتاز الغرفة بخطوة واحدة ويأخذ وجهها بين  
يديه. انحنى يطبع قبلاً فوق ندباتها الداكنة اللون فوق خدّها الأيمن قبل  
أن يتنقل لشفتيها.  
اعترض غارد قائلاً: «كلا، لا تفعلوا أشياء كهذه فأنا أتناول  
الطعام».

اقترح سام وهو يقبل فيها المشوّه مجدداً: «إذا أطبق فمك وأكمل  
تناول طعامك».

همهم إميري متأوهاً

كان ذلك أسوأ من أي قيلم روماني بالنسبة لشخص مثلي، إذ كان  
حقيقياً صارخاً بالحياة والفرح والحب الحقيقي. وضعت الكعكة من

إحدى المخطوط تمتد حتى زاوية عينها اليمنى اللوزية الشكل الغامقة  
اللون. وخطّ آخر يلوي بجانب فمها فيجعلها تبدو دائمة العبوس.  
ممتنة لتحذير إميري حولت ناظري سريعاً إلى الكعك الذي كانت  
تحضره. كانت رائحته شهية، كما التوت البري الطازج.  
قالت إميلي باندعاش: «مَن تكون هذه؟».

رفعت ناظري محاولة التركيز على القسم الأيسر من وجهها.  
أخبرها غارد وهو يهزّ كتفيه: «إنها بيلاً موان». من الواضح أنني  
كنت موضوع أحاديث سابقة: «ولم هي هنا؟».

تمتعت إميلي قائلة: «لندع الأمر لجايكوب ليبرر وجودها».  
وحدّثت بي بتصنّفي وجهها الذي كان جميلاً يوماً بملامح عدائية،  
تسأل: «إذا أنت هي الفتاة صديقة مصاصي الدماء؟».

أجبتها بتصلّب: «أجل، وأنت هي الفتاة المستذئبة».  
ضحكت، وكذلك فعل كل من غارد وإميري. شغّ الجزء الأيسر  
من وجهها دفناً قبل أن تجيب: «أظنتي كذلك».

والفتت إلى غارد تقول: «أين سام؟».  
«فاجأت بيلاً اليوم بول بحضورها».  
قلّبت إميلي العين غير المصابة وتنهتت تقول: «أجل، بول.  
أظنهم سيأخرون بالعودة؟ كنت على وشك أن أبداً بقلي البيض».

أجابها إميري: «لا تقلقي، إن حدث وتأخروا فلن ندع شيئاً يذهب  
هبة».

أطلقت إميلي ضحكة قصيرة وفتحت الثلاثية وهي تقول: «لا أشك  
بذلك. هل أنت جائعة بيلاً؟ إذهي وإجلي كعكة لك».

«شكراً لك». تناولت إحدى القطع من الصحن وبدأت بتضممها عن  
الأطراف. كان طعمها اللبّذ، وقد استساغتها معدتي الخاوية. تناول  
إميري قطعتة الثالثة وابتلعها مرة واحدة.



همس جايكوب بالمقابل: «إنها أمور خاصة بعالم الذئاب».  
أومات محاولة ألا أبدو مذهولة.

سألته بصوت منخفض: «هل أنت بخير؟».

كان الزهو يملأ ملامحه وهو يقول: «لم أصب بأي خدش».

أعلن سام بصوت مرتفع مقاطعاً كل الأحاديث الدائرة في الغرفة الصغيرة: «يا شباب».

كانت إميلي بجانب الموقد تحرك مزيج البيض في المقلاة الكبيرة لكن يد سام كانت لا تزال تلامس أسفل ظهرها بحركة لاواعية منه: «يحمل جايكوب لنا بعض الأخبار».

بدا بول غير متفاجئ. لا بد أن جايكوب شرح له ولسام الأمر سافاً أو أنه عرض أفكاره لهما.

وجه جايكوب كلامه لكل من غارد وإمبري قائلاً: «أعلم ما الذي تسعى وراءه حمراء الشعر» ومن ثم ركل قائمة الكرسي حيث يجلس بول وتابع: «هذا ما كنت أحاول أن أخبرك به من قبل».

سأله غارد: «ماذا بعد؟».

بدت ملامح جايكوب جدية وهو يقول: «إنها تحاول الانتقام لموت حبيبها، لكنه لم يكن أسود الشعر الذي تخلصنا منه. عاتلة كولن قتلت حبيبها العام الماضي، لذا هي تسعى وراءه بيلاً الآن».

لم يكن ذلك الخبر جديداً ومع هذا اقتشر جسمي.

نظر إليّ كل من إمبري وغارد وإميلي بأفواه مفتوحة ذهولاً.

احتج إمبري قائلاً: «ليست سوى فتاة عادية».

«لم أقل إن الأمر منطقي. لكن لهذا السبب تحاول مصاصة الدماء تجاوزنا، إنها تتوجه نحو فوركس».

ظلوا يحدقون بي للحظة أخرى طويلة وأفواههم لا تزال مفتوحة. فأملت برأسي جانباً.

بدي وثبتت ذراعيّ فوق صدري الخاوي. رحت أحتق في الأزهار البرية محاولة تجاهل السكون الذي يلفّ لحظاتها الحميمة معاً، كما نبض الجراح المدوّي.

شعرت بالامتنان لقدوم بول وجايكوب معاً، وصدمت لرؤيتهما بضحكان. بينما كنت أراقب رايت بول يلكز كتف جايكوب الذي قابله بالمثل على منطقة الكليتين. وضحكا مجدداً، كانا يبدوان متوافقين تماماً.

تمحّص جايكوب أرجاء الغرفة إلى أن رأي أن أمتد إلى الطاولة في أبعد زاوية من المطبخ.

جاني بعرج واحتفظ قطعتي كعك عندما مرّ بجانب الطاولة في طريقه إليّ. نعمت حين وصل إليّ جاني يقول: «ألف نيل ما حدث. كيف تسير الأمور؟».

«لا تقلق، أنا بخير، الكعك لذيذ» تناولت قطعتي وعدت نفسها من جديد. انتابني شعور فوري بالتحسن لمجرد رؤية جايكوب بجاني تأوه غارد مقاطعاً حديثنا: «يا رجل!».

رفعت نظري نحوهما لأراه هو وإمبري يعاينان الجرح الطفيف على ظاهر ذراع بول. وكان إمبري يضحك مزهواً.

وتبجح قائلاً: «خمسة عشر دولاراً».

همست لجايكوب وقد تذكرت الرهان: «هل أنت من فعل ذلك؟».

«بالكاد لامسته سيكون على خير ما يرام مع غروب الشمس».

نظرت إلى الخط الممتد على ذراع بول وسألت: «مع مغيب الشمس؟».

وكان من المستغرب أن الجرح بدا كما لو أنه عمره عدة أسابيع عدة.

قال غارد أخيراً وطيف ابتسامة يلوح على زوايتي فمه: «ممتاز، هذا حصلنا على الطعام إذا»:

بسرعة مذهلة رمى جايكوب فتاحة علب من على الطاولة باتجاه رأس غارد. لكن يد غارد كانت أسرع مما كنت أتخيل في الإمساك بالأداة قبل أن ترتطم برأسه.

«ليست بيلاً طعماً».

أجاب غارد من دون خجل: «تعلم ماذا أقصد».

قال سام متجاهلاً ثرثراتهم: «سنغير خططنا، ستترك بعض المصائد ونرى إن كانت تقع فيها. سنفرق، وهذا ما لا أحبه. لكن إن كانت نسعى وراء بيلاً فعلاً، فهي لن تحاول على الأرجح استغلال أعدادنا المتفرقة».

تمتم إميري يقول: «يتبني لكويل أن ينضم إلينا قريباً فتمكن من تشكيل فرق متساوية العدد».

نظر الجميع أمامه. ونظرت إلى وجه جايكوب فرأيت خالباً من الأمل، كما كان حاله بعد ظهر أمس خارج منزله. قمهما بدوا مرتاحين لقدركم هنا في أحضان المطبخ الذي يعمه الفرح، لم يشأ أي من المستذنبين أن يلاقي صديقهم المصير نفسه.

قال سام بصوت منخفض إلى عتمة: «على ذلك»، ثم تابع ببره المعتادة: «بول وغارد وإميري مهتمون بالمحيط الخارجي بينما نهتم أنا وجايكوب بالداخل. سنلتقي حين تصيدها».

لاحظت أن إميلي لم تحبّ وجود سام في المجموعة الأصغر. قلقها جعلني أنظر لجايكوب بقلق أيضاً.

لاحظ سام قلقي، فقال: «يقن جايكوب أن من الأفضل أن تمضي أطول وقت ممكن هنا في لا بوش، فهي لن تعرف مكان وجودك بسهولة في حال خطر لها ذلك».

سألته: «ماذا عن تشارلي؟».

أجاب جايكوب: «لا يزال جتون فصل الربيع سائداً، لذا أظن أن بيلي وهاري سينجحان في إبقاء تشارلي هنا حين لا يكون في العمل».

رفع سام إحدى يديه في الهواء قائلاً: «انتظروا».

نقل نظراته بين إميلي وبينني وتابع: «هذا ما يعتبره جايكوب الأفضل، لكن عليك أن تقرري بنفسك، عليك أن تقيمي مخاطر كلا الخيارين بكامل الجدية. رأيت هذا الصباح كيف يمكن للأمور أن تتحول بسهولة إلى حالة خطيرة، وكيف يمكن لها أن تخرج سريعاً عن السيطرة. إن اخترت البقاء معنا، لا أستطيع أن أقدم لك أي ضمانات حول سلامتك».

تلعثم جايكوب وهو ينظر أمامه قائلاً: «لن أؤذيها».

تكلم سام وكأنه لم يسمعه: «إن كنت تشعرين أن هناك مكاناً آخر أكثر أمناً لك...».

عضقت شفتي، فأني مكان أستطيع الذهاب إليه دون أن أعرض أحدهم للخطر؟ انقبضت مجدداً للتفكير في مسألة جرّ رينيه إلى كل هذا... في جذبها إلى نقطة الاستهداف... فهمت قائلة: «لا أريد أن أقود فيكتوريا إلى أي مكان آخر».

أوما سام يقول: «هذا صحيح، من الأفضل جلبها إلى هنا، حيث نستطيع إبقاء المسألة».

جفكت

لم أشأ أن يحاول جايكوب أو أي من البقية القضاء على فيكتوريا. نظرت إلى وجه جايك فرأيت مسترخي الملامح كما أنذركه قبل اشتعال مسألة اللثاب تلك، وغير مبالية تماماً إزاء فكرة اصطاد مصاصة الدماء.

سألته وأنا أشعر بالصوت يعلق في حنجرتي: «ستتوخى الحذر، أليس كذلك؟».

انفجر الشباب يطلقون ضحكات وعبارات هازقة. ضحك الحبيب مني عدا إميلي. التقت نظراتنا واستطعت أن أرى فجأة التشابه الذي يخنفي وراء الشوش. كان وجهها لا يزال جميلاً، وقد بثت فيه الهموم التي تفوق همومي، حياة اضطرت لتحويل نظري عنها قبل أن يعود ألم الحب الكامن وراء الهم يخزني مجدداً.

أغلقتُ بعدئذ تقول: «الطعام جاهز». ولم يكن للحديث الذي جرى بعد ذلك أي أهمية. هرع الشباب يلتقون حول الطاولة التي يدت صغيرة، معرضة لخطر التحطم، والتهموا البيض الذي يملأ المقلاة الكبيرة التي وضعتها في وسط المائدة بسرعة قياسية. تناولت إميلي طعامها مثلي متكة إلى حافة الطاولة الجانبية متحاشية الغرغاية التي تسود المائدة ولكنها كانت تحيط الشبان بعين العطف. كانت تعابرها تظهر بوضوح أن هؤلاء هم عائلتها.

كل ما كان يجري ويحدث لم يكن ما توقعته تماماً من زمرة مستنسين

أقضيت النهار بطوله في لا بوش، حيث قضيت معظمه في منزل بيبي. وكان قد ترك رسالة صوتية على كبل من هاتف المنزل ومحطة الشرطة فظهر تشارلي عند موعد العشاء مزوداً بقطعتي بيترا. من الجيد أنه اختار قطعتين كبيرتين، إذ تناول جايكوب لوحده قطعة كاملة. لاحظت تشارلي يرمي كلانا بعينين متشككتين طوال السهرة، خاصة جايكوب الذي طرأ عليه الكثير من التغييرات. فسأله عن شعره، فما كان من جايكوب إلا أن هز كتفيه بلا مبالاة يخبره بأن تلك القصة تناسبه أكثر.

كنت أعلم أنه فور مغادرتنا أنا وتشارلي متوجهين للمنزل، سيظهر جايكوب متحولاً إلى ذئب كما لم يتفك يفعل طوال النهار. لم ينقطع هو وإخوته الذئاب عن المراقبة منتظرين أي إشارة تدل على عودة فيكتوريا. لكن بما أنهم هاردوها الليلة الماضية بعيداً عن الشلالات

لبحارة، أي لمنطقة تبعد نصف المسافة عن كندا، وفقاً لجايكوب، فلا يزال عليها أن تعيد المحاولة وتقوم بالغزو مجدداً.

لم يكن يحسوني أي أمل بأنها قد تكف عن المحاولة. لست أتمتع بمثل هذا المستوى من الحظ. رافقني جايكوب إلى الشاحنة بعد الانتهاء من العشاء وتمهل الخطى بالقرب من النافذة منتظراً أن ينطلق تشارلي بسيارته أولاً.

قال لي جايكوب فيما تشارلي يدعي وجود مشكلة في حزام الأمان: «لا تشعرني بالخوف الليلة. ستكون هناك تشاروب على المراقبة».

علقت قائلة: «لن أكون قلقة على نفسي».

«لا تكوني حمقاء، اصطيد مضاصي الدماء متعة، إنه لعجزه الأفضل في كل هذه المعمة».

هزرت رأسي وقلت: «إن كنت أنا حمقاء، فأنت مختل بشكل خطير».

أطلق ضحكة مقتضبة: «ارتاحي قليلاً بيلاً، عزيزتي، تبدين ممتعة».

«أحاول».

انطلق البوق في سيارة أبي يعبر عن نفاد صبره.

قال جايكوب: «أراك غداً. ليكن ميكيك إلى هنا صباحاً أول شيء تغلبه».

«سأفعل».

تبعني تشارلي بسيارته إلى المنزل. بالكاد أعرت أنوار مصابيح السيارات في المرأة الخلفية لسيارتي أي اهتمام. وكنت بدلاً من ذلك أفكر لمن يكون كل من سام وغارد وإمبري وبول. وتساءلت ما إذا كان جايكوب قد انضم إليهم.

حين وصلنا إلى المنزل هزعت نحو السلالم، لكن تشارلي كان خلفي مباشرة.

وسألني قبل أن أتمكن من الهرب: «ما الذي يجري بيلاً؟ ظننت أن جايكوب كان جزءاً من العصاة وأنكما على خلاف». «لقد تصالحنا».

«وماذا عن العصاة؟».

«لا أدري، ومن يستطيع أن يفهم طريقة تفكير مراهق؟ إنهم غامضون. لكنني التقيت سام أولي وخطيبته، إميلي، وقد تصرفا بلطيف معي».

هزرت كتفي وأنهيت جملتي أقول: «لا بد أن الأمر برمته كان سيئاً فهم».

تغيرت ملامح وجهه، «لم أعلم أنه أعلن خطوبته رسمياً على إميلي. هذا جميل، يا للفتاة المسكينة».

«هل تعرف ما الذي حصل لها؟».

«تعرضت لهجوم أحد الدبة في الشمال أثناء موسم تفريخ سمك السلمون، كان حادثاً مرعباً. لقد حدث ذلك منذ أكثر من عام. سمعت أن سام استاء كثيراً من الأمر».

«إنه لأمر فظيع».

منذ أكثر من عام مضى. أراهم أن ذلك يعني أن الأمر حصل حين لم يكن هناك أكثر من مستنذب واحد في لا بيرش. سرت زعنة في أوصالي لمجرد التفكير كيف كان سام يشعر كلما نظر في وجه إميلي.

ظللت مستيقظة الليل بمعظمه أعيد التفكير في أحداث النهار.

فاسترجعت ما جرى على العشاء مع بيلي وجايكوب وتشارلي مروراً بفترة بعد الظهر الطويلة التي أمضيتها في منزل عائلة بلاك، انتظر قلقة أن أسمع شيئاً من جايكوب، وصولاً إلى ما حدث في مطبخ إميلي والرعب

الذي انتابني إزاء صراع الذئاب حتى الحديث الصباحي المبكر مع جايكوب على الشاطئ.

فكرت في ما قاله لي جايكوب صباحاً حول النفاق. فكرت في كلماتك تلك لوقت طويل في الواقع. لم أجد التفكير في أنني متافقة، فما الهدف من الكذب على نفسي؟

تكوّرت حتى بت أشبه بطابة. كلا، لم يكن إدوارد قاتلاً. حتى ماضيه الأكثر ظلاماً، لم يستحله كقاتل؛ للأبرياء على الأقل.

لكن ماذا لو كان قاتلاً بالفعل؟ ماذا لو كان أثناء معرفتي به كأي مصاص دماء آخر؟ ماذا لو كان الناس يخفون في الغابات كما يحصل الآن؟ هل كان ذلك ليعذبني عنه؟

كنت أشعر بالحزن، وأحدثت نفسي كم أن الحب غير عقلائي. كلما غرقت في حب أحدهم، كلما تشوّشت أحكامك وضعفت قدرتك العقلية.

تقلّبت في السرير وحاولت التفكير في أمر آخر. فخطر ببالي جايكوب وإخوته وكيف أنهم يركضون في الظلام. غططت في النوم وأنا أتخيل الذئاب. غير المرئيين، تحت جناح الظلام، يقومون بحمايتي من الحيف. وحين راودني الحلم مجدداً، رأيته أقف في الغابة لكن من دون أن أتجول فيها. كنت أسك بيد إميلي المشوهة وإحداها تقف بشكل مواجه للأخرى في الظلال متظنّتين عودة مستنذبتنا بسلام إلى الديار.



## الضغط

كان فجر فصل الربيع يبرز مجدداً في فوربس. استغرقت بضع لحظات وأنا لا أزال مستلقية في الفراش أفكر في ذلك حين استيقظت صباح نهار الاثنين. خلال فرصة الربيع الماضية تعرضت كذلك لمطاردة الاصطياد على يد أحد مصاصي الدماء. كنت أفكر في ذلك، وآمل ألا يكون ذلك نوعاً من التقليد السنوي.

بدأت اعتاد على نمط الحياة في لا بوش. إذ أمضيت معظم نهار الأحد على الشاطئ فيما كان تشارلي يستمتع بوقته برفقة بيلي في منزل عائلة بلاك. كان يفترض بي أن أكون برفقة جايكوب كذلك، لكن كان لديه عمل آخر يقوم به فاضطرت للتجول وحيدة على الشاطئ كاتمة السر عن تشارلي.

حين مرّ بي جايكوب يتفقدي اعتلر لاضطراره لأن يتركني لهذا الوقت الطويل. أخبرني أن جدول أعماله ما كان ليكون مكتظاً إلى هذا الحد لكن إلى حين إيجاد فيكتوريا كان يفترض بالذئاب البقاء على أهبة الاستعداد.

كان لا يفلت يدي ونحن نمشي على الشاطئ.

دفعني ذلك إلى التفكير بما قاله غارد حول توريث جايكوب لعدديته. افترضت أن هذا ما يبدو عليه الأمر ظاهرياً تماماً. طالما أنا أنا وجايك نعمم الحقيقة، ما كان يجب لتلك الافتراضات أن تضاهيني

طالما أنني وجايكوب نعلم حقيقة الأمور. وهو أمر ما كان ليضاهيني لكن شعور بيده على يدي كان باعثاً للدفع فلم أعترض.

ذهبت نهار الثلاثاء للعمل فلحق بي جايكوب على دراجته ليتأكد من وصولي إلى المتجر آمنة، وقد لاحظ مايك ذلك.

سألني مايك بنبرة لم تغلج في إخفاء الحزن من صوته: «هل تدعدين ذلك الفتى من لا بوش؟ ذلك الطالب في السنة الثانية؟»

هزرت كتفي أقول: «ليس تماماً، بل إنني أمضي معظم الوقت برفقة جايكوب كونه أفضل صديق لي».

ضابت عينا مايك: «لا تخدعي نفسك بيلّا، الفتى يدوب بحبك».

تهتدت أجبه: «أعلم، الحياة معقدة».

نتمت مايك في نفسه: «والفتيات ظالمات».

اعتقدت أنه يسهل التوصل إلى هذا الافتراض كذلك.

تلك الليلة، انضم إلينا كل من سام وإيملي لتناول الحلوى في منزل بيلي. جلبت إيملي قالب حلوى تكسب به قلوباً أفسى من قلب تشارلي. ولاحظت من مباح الحديث الذي تطرق إلى مختلف الأمور العادية أن المخاوف التي انتابت تشارلي حيال وجود عصابات في لا بوش قد تددت.

انسحبنا أنا وجايك باكراً سعياً وراء بعض الخصوصية. ذهبنا إلى الكاراج وجلسنا في سيارته «الرايت». ألقى جايك رأسه إلى مسند المقعد، ووجهه منهك تعباً.

«تحتاج لبعض النوم». قلت.

«سأحصل على القليل منه».

مدّ يده يحتضن يدي. شعرت بجلده يحترق فوق بشرتي.

«هل هذه أمور خاصة بالذئاب؟ أعني الحرارة».

«أجل، عادة ما نكون أكثر حرارة من الناس العاديين. لم أعد أشعر

بالبرد مطلقاً، حيث أستطيع البقاء على هذا النحو»، وأشار إلى صدره العاري وتابع: «في ظل عاصفة ثلجية من دون أن أشعر بالانزعاج. مستحوّل رقع الثلج إلى قطرات مطر حيث أفق».

«كلكم تشفون بسرعة، أهذا خاص بالذئاب كذلك؟».

«أجل، أتودين رؤية ذلك؟ إنه مسلّ جداً. اتسعت عيناه فجأة وهو يضحك. فنش قليلاً في جنب السيارة أمامه، ليخرج مكباً صغيراً حين أدركت نيّاته، صرخت قائلة: «كلا، لا أريد رؤية ذلك! أبعد ذلك الشيء!».

أطلق جايكوب ضحكة منقطعة، لكنه أعاد السكيب من حيث أحضره: «حسناً، إنه لأمر جيد أن نشفى بسرعة مع ذلك. لا يمكن الذهاب لرؤية الطبيب ببساطة وحرارتك تؤثر إلى حتمية موتك».

«صحيح، أعتقد ذلك». فكرت في الأمر للحظة، وسألت: «... وضخامة حجمكم، جزء من ذلك؟ ألهذا السبب نشعرون جميعاً بالقلق على كويل؟».

خلا وجه جايكوب من الأمل وهو يقول: «إن جذ كويل يقول إن حرارته مرتفعة جداً بحيث يمكن قلبي بيضة على جبينه. لن يستغرق الأمر طويلاً الآن. ليس هناك عمر محدد... تأخذ الأمور بالتراكم وفجأة...». توقف عن الكلام للحظة قبل أن يتمكن من المتابعة: «أحياناً، إن أصبت بحزن ما فهو يسرع عملية التحول. لكني لم أكن في الواقع حزيناَ حبال أي شيء، بل كنت سعيداً. ضحك بمرارة وأضاف: «بسيك أنت بشكل كبير. لذا لم يحصل لي ذلك منذ زمن، بل استمر يكبر في داخلي، كنت أشبه بقنبلة. أتعلمين ما الذي أطفئني؟ عدت من حضوري الفيلم فقال لي بيبي، إني أبود غريباً. كان هذا كل شيء، ومن ثم انفجرت. كدت أسلخ وجهه، تخيلي وجه أبي أنا». صرت رعشة في أوصاله وشحب وجهه.

سألته بقلق متعنية لو أن هناك طريقة ما لمساعدته: «هل الأمر متين فعلاً جايك؟ هل تشعر بالشقاء؟».

«كلا، لا أشعر بالشقاء، لم أعد كذلك. ليس بعد أن عرفت الحقيقة. كان الأمر صعباً من قبل». انحنى فوقي بحيث باتت وجنته تلامس أعلى رأسي.

ظل صامتاً للحظة ونساءلت ما الذي يجول في خاطره. لمعي لا أريد أن أعرف.

همست أقول وأنا لا أزال أتمنى لو أستطيع المساعدة: «ما هو الجزء الأكثر صعوبة في الأمر؟».

أجاب ببطء: «الجزء الأصعب هو الشعور بأن الأمور خرجت عن السيطرة. الشعور بأنني غير واثق من نفسي، كما لو أنه يجب ألا تكوني قريبة مني أنت أو أي شخص آخر. وكأنني وحش قد يقوم بإيذاء أحدهم. لقد رأيت إميلي. فقد سام السيطرة على أعصابه للحظة واحدة فقط... وكانت تقف على مقربة منه. وما من شيء يستطيع فعله الآن لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح الآن. أسمع أفكاره، وأعرف كيف يبدو الأمر...».

«من ذا الذي يود أن يكون كابوساً، أو وحشاً؟».

«ثم هناك السهولة التي أنحول بها وتفوّقي على الآخرين في هذا الأمر، هل هذا يجعلني أقل إنسانية من سام أو إميلي، أخشى أحياناً أن أفقد السيطرة على نفسي».

«هل هذا صعب؟ أقصد أن تعود كما أنت مجدداً؟».

«كان الأمر كذلك في البداية، يتطلب التحول والانتقال من وجه إلى آخر بعض الممارسة، لكن الأمر بات أكثر سهولة بالنسبة لي».

«لماذا؟».

«لأن إفرام بلاك كان جد أبي أما كويل أثيرا فكان جد أمي».

سأله بارتياك: «كويل؟».

أوضح جايكوب يقول: «بل جد جد، كويل الذي تعرفين ابن عمي الثاني».

«لكن لماذا مسألة أجداد الأجداد بمثل هذه الأهمية؟».

«لأن إفرام وكويل كانا آخر من تبقى من الزمرة. أما ليفي أولي فكان الثالث، وأنا أحمل دم كلا الطرفين. لم أحظ مطلقاً بأي فرصة تماماً كما لم يحظ بها كويل».

كانت تعابير وجهه واهنة.

طرح عليه سؤالاً آخر يهدد تشجيعه: «وما هو الجرح الأفضل؟».

قال وعادت الانسامة فحادة تلطخ مجنبه: «الجرح الأفضل هو السرعة».

«أسرع من المراجعت الهوائية؟».

«أوما بحماسة: «لا مجال للمقارنة».

«بأي سرعة تستطيع أن...؟».

بعد أن أنهيت سؤالي أجاب: «أركض؟... بسرعة كافية. بم استطيع قياسها؟ بما يكفي للقبض على... ما كان اسمه؟ لورنت؟ أنصرون في هذا الأمر يعني لك أكثر من أي شخص آخر».

كان الأمر يعني لي فعلاً. لم أكن أستطيع أن أنصّر الذئاب تركض أسرع من مصاصي الدماء. حين كان أفراد عائلة كولن يركضون، كانوا يختفون عن الأنظار بسرعة البرق.

«إذاً، أخبريني أمراً لا أعرفه، شيئاً حول مصاصي الدماء. كيف تحمّلت البقاء بقربيهم؟ ألم يخفك ذلك؟».

أجبت باقتضاب: «كلا».

جعلته نبذة صوتي يفكر في الأمر للحظة. وسأل فجأة: «قولي لي لماذا مصاص الدماء ذاك قتل المدعو جايمس، بأي حال؟».

«جايمس كان يحاول قتلي، كانت كالمباراة بالنسبة له. خسرو. هل تتذكر الربيع الماضي حين دخلت المستشفى في فونيكس؟».

شهق جايكوب: «هل اقترب إلى هذا الحد؟».

تلتفت النذب أقول: «كان قريباً للغاية». لاحظ جايكوب تصرفي لأنه كان يمسك باليد ذاتها.

تفحص اليد اليمنى سائلاً: «ما هذا؟». نظر إلى النذب بنظرة مختلفة وشهق يقول: «إنه نذبك المضحك، البارد دوماً».

«أجل، إنه ما تظنه، لقد عضني جايمس».

حفظت عيناه وبدأ وجهه غريباً تعبياً الشحوب تحت اللون السي المائل إلى الصفرة. بدا وكأنه مريض بالمرض.

أخضت كلامه: «نكس. إن كان قد عضك... ألا يفترض بك أن تفحصي نفسك؟».

«هيسأت أنول: «أنقذني إدوارد مرتين، فقد امتص السم من الجرح، كما يحصل عند لسعة الأفعى». تلوّيت عندما وخزني الألم حول أطراف

اليد».

لكنني لم أكن التي تتلوى. إذ كنت أشعر بجسم جايكوب كله يرتجف بالقرب مني. حتى إن السيارة كانت تهتز فينا.

«بحذر جايك، هوّن على نفسك واهداً».

تكلم لاهثاً: «أجل، الهدوء». هز رأسه بسرعة إلى الأمام والوراء.

بعد مرور برهة كانت يدها وحدهما ترتجفان.

«هل أنت بخير؟».

«أجل، تقريباً. حذيتني عن شيء آخر. قولني شيء أشغل بالتفكير فيه».

«ما الذي تريد أن تعرفه؟».

أغمض عيني ليركز: «لا أعلم، بعض الأمور الإضافية المتعلقة بهم ربما، هل يتمتع أي من أفراد عائلة كولن الآخرين... بمواهب إضافية؟ قراءة أفكار الآخرين مثلاً؟».

توددت للحظة. إذ بدا لي السؤال الذي طرحه من النوع الذي يُوجّه إلى المحسوس وليس للعصدين. لكن ما الهدف من إخفاء ما أعرف؟ لم يعد الأمر يشكل فارقاً الآن، ومساعدته على تهدئة نفسه.

لذا تكلمت بسرعة ووجه إميلي المشوه يملأ مخيلتي والشعر الواقف على ذراعي يكشف خوفي، ما كنت لأتخيل كيف يمكن للسيارة الصغيرة أن تحتوي الذئب الضخم الصدئ اللون. قد يمزق تحول جايكوب إلى ذئب الكاراج بأسره وليس السيارة فحسب.

«جاسبر يستطيع نوعاً ما... السيطرة على مشاعر الآخرين المحيطين به. ليس بطريقة سيئة، بل لمجرد تهدئتهم. قد يشكل ذلك مساعدة كبرى لبول». ثم أضفت بنبوة ضعيفة: «إضافة إلى آليس التي تستطيع رؤية ما يمكن أن يحدث، أي المستقبل كما تعلم لكن ليس بشكل حتمي. يمكن للأمور أن تتغير حين يغيّر الشخص المعني مساره...».

كما حين رأتني أحضر... وحين رأت أنني سأصير واحدة منهم. وهما أمران لم يحدثا. كما أن أحدهما لن يتحقق مطلقاً. بدأ رأسي يدور، وبدوت عاجزة عن مسح ما يكفني من الهواء، وكأن رنتي تعطلتا.

كان جايكوب قد عاد يتولى زمام الأمور، ويجلس قربي بهدوء الآن.

«لماذا تفعلين هذا؟». سحب برقي إحدى ذراعي المحكمتي لالتفاف حول صدري، لكنه عاد واستسلم حين أدرك أنني لن أحرمهما بسهولة. لم أكن أدرك حتى أنني حرّكتهما. «كلما أصبت بالحزن تكررين الأمر ذاته، لماذا؟».

أجبت بهمس: «يؤلمني التفكير بهم. يبدو أنني سأصبح عاجزة عن النفس... وكأني أتكرر إلى قطع». استغرقت لكثرة الأمور التي كنت أستطيع البوح بها لجايكوب. لم يعد هناك من أسرار بيننا.

مسح شعري بيده يهدئني قائلاً: «لا عليك، بيلاً، لا عليك. لن أثير الموضوع مجدداً. أنا آسف».

شعّت: «أنا بخير. هذا يحصل طوال الوقت. الذئب ليس ذئبك». قال جايكوب: «نحن ثنائي غريب من نوعه شديد التشوش. يعجز كل منا عن الحفاظ على وضعه الطبيعي».

وافقته القول وأنا لا أزال ألهث: «إنه أمر مثير للشفقة». كان من الواضح أنه مرتاح للفكرة وهو يقول: «لدينا بعضنا على الأقل».

شعرت بالارتياح كذلك ووافقته الرأي: «على الأقل لدينا هذا». كان لا بأس بالأمور حين نكون معاً. لكن مهمة خطيرة قظيمة كانت بانتظار جايكوب الذي كان مجبراً على القيام بها. غالباً ما كنت أمضي الوقت في تلك الأيام وحيدة، عالقة في لا بوش حفاطاً على سلامتي، دون أن يكون لدي ما أفعل فأشغل عن مخاوفي وأبعدها عني.

أحست بالإرباك وأنا أحتل منزل بيلي. درست قليلاً لامتحان مادة الرياضيات في الأسبوع المقبل، لكن النظر في الكتاب لساعات طويلة كان كل ما يسعني فعله. حين لم أجد ما يشغلني، وجدّنتني مضطرة للتحدث إلى بيلي، بدافع الالتزام بالقواعد الاجتماعية السائدة لا أكثر.



لكن يبلي لم يكن من النوع الملائم لملء فراغ ساعات الصمت الطويلة.  
فكرت سبعة الأرباك.

حاولت تسفية لثرة بعد ظهر يوم الأربعاء في منزل إميلي، لإدخال نوع من التغيير. بدا الأمر جميلاً في البداية، فإميلي شخص مرح مليء بالحركة. كنت أهيئ ورائها وهي تحوم في أرجاء منزلها الصغير والحديفة، تكسر الأرض الخشبية وتقتلع صغار الأعشاب الضارة هنا وتصلح مضطربة حديد هناك وتسحب خيطاً صوفياً من ثول قديم، وتطهّر طول الوقت. أيضاً، اعترضت قليلاً على الشبهة الرائجة لدى الشباب جرّاء الركض الإضافي الذي يقومون به، لكن كان من السهل ملاحظة عدم تحبها من الاهتمام بهم. لم يكن البقاء معها مريحاً، فقد كنا في النهاية فتاتي ذئاب.

من سام بالمول بعد محبتي بضع ساعات، غبت ما يكفي من الوقت لأطمئن إلى أن جايكوب كان بخير وأنه ما من أخبار سيئة، واضطرت بعدئذ للمهرب حالة الحب والفرح التي كانت تحيط بهما كانت أفسى من أن اتحمل جرعاتها المريرة وحيلة من دون وجود أحد يحفّ حذو وطأها.

لم يكن أمامي سوى خيار التجول على الشاطئ، أذرع صخوره ذهباً وإياباً. لم يكن الوقت يسديني نفعاً في وحدتي. فيفضل صراحتي المستجلة مع جايكوب، كنت كثيراً ما أفكر وأتكلم عن عائلة كولن. مهما بلغ الجهد الذي حاولته لشغل نفسي، كنت أجد الكثير لأفكر فيه. فشعرت بقلق شديد وحقيقي على جايكوب وإخوته الذئاب، وبالرعب على تشارلي والآخرين الذين يظنون أنهم يصطادون الحيوانات وحسب. كانت أواصر علاقتي بجايكوب تتعمق أكثر فأكثر من دون أن أكون قد قبرت بشكل واضح أن ننحذ العلاقة ذلك المصحح ولم أكن أعلم ما الذي سأفعله حيال هذا الأمر. مع ذلك، لم يكن أياً من تلك الوقائع الهامة

والمخاوف الملحة ليخفف حدة الألم القابع في صدري منذ زمن طويل.  
مكثت، لم أعد أستطيع المشي لأنني عجزت عن التنفس. فجلست على صخرة شبه جانة وتكوّرت متقلقة على نفسي.

وجدني جايكوب على هذا الحال، وعلمت من تعابير وجهه أنه بهم ما الذي يحصل.

اعتصر قوفاً رفيعي عن الأرض لأقف على قدمي ولت ترعبه حزن كنتي. لم أكن أدرك حتى تلك اللحظة أنني كنت باردة والنعش لا إحساس برف جسمي، لكنني كنت عسى لأقل أستطيع التنفس وأنا بين ذراعيه.

لكني جيكوب بالشمعة على عتبة وحش لمني على الشاطئ عاندين: «إنني أفقد عليك فرصة الربيع».

«كلا، أنت لا تفعل. لم تكن لدي أي خطط. لا أظني أحب فرض فصل الربيع بأي حال».

«صطحت عدداً صباحاً في نومه. يمكن للآخرين أن يصعدوا شهر من دوني. سبني أوقناً مرحة».

بدت الكلمة خارجة عن قاموس حياتي في تلك اللحظة، فأنت غريبة غير مفهومة «مرحة؟».

«المرح هو ما تحتاجينه تماماً...»، ونظر باتجاه جبال الأمواج الرمادية متأملاً، وفيما عيناه تتأملان الأفق جاءتته الفكرة.

فقال مزموراً: «عرفت ما ستفعل! إنه وعد آخر أفي به».

«عند تحدث؟»

ترك يدي ووجه إصبعه نحو الجهة الشمالية للشاطئ، حيث تنتصب سلسلة جبلية صخرية على شكل هلال. حدثت في المشهد من دون أن أوهي قصد.

«ألم أعلمك بأن أحذرك للذهاب من على الجبل؟»

ارتعدت أوصالي. وعلفت فوراً: «لكن الطقس بارد».

«أجل، سيكون الطقس بارداً جداً فوق. ألا تشعرين بتغير الطقس مع الارتفاع؟ سيكون الجو أكثر دفئاً غداً. هل أنت مستعدة للمغامرة غداً؟»

لم تكن المياه العميقة تفتح يديها ترحيباً كما بدت الجبال أكثر علواً من حيث نقف.

لكن أياماً عدة كانت قد مضت على سماع صوت إدوارد. وكان ذلك جزءاً من المشكلة. لقد آدمت على صوت الأوهام. وكانت الأمور تزداد سوءاً إن أمضيت وقتاً طويلاً من دون أن أسمعها. قررت القفز عن الجبال فقد يأتيني ذلك بالعلاج الذي كنت أُنشد.

«بالطبع أنا جاهزة. متمرحة».

عادت ذراعاه تحيطان بكففي وهو يقول: «إنه موعد بيننا».

«حسناً، لنذهب الآن كي نحصل على قسط من الراحة والنوم». لم تعجبني البقع الموجودة تحت عينيه والتي بدت محقونة في جلده.

استيقظت صباح اليوم التالي باكراً وأخرجت بعض الملابس خلسة إلى الشاحنة كي أبدل ثيابي في وقت لاحق. اثنتان شعور أن موافقة تشارلي على مشروع اليوم توازي رضاه عن موضوع الدراجات النارية.

بشت فكرة انتزاعي من المخاوف التي أعيشها روح الإثارة. موعد مع جايكوب أو موعد مع إدوارد... ضحك بمرارة. يمكن لجايكوب أن يقول ما يشاء حول كوننا كائنات غربي الأطوار، لكن لم يكن هناك من أحد سواي يتمتع بهذه الصفة عن جدارة. حتى أن فئة المستدئين كانت تبدو طبيعية مقارنة بي.

توقعت أن يلاقيني جايكوب عند الباب، كما اعتاد أن يفعل حين نهدر شاحنتي بإزعاج معلنة وصولي. ولما لم يفعل، فكرت أنه لا يزال

ربداً. سأنتظر وربما يحصل على قسط كافٍ من الراحة. كان يحتاج لفترة النوم هذه، مما كان مبيحاً لشمس النهار أن تسطع أكثر وتشر دفتها في المكان. جايك كان محقاً بشأن دفء الطقس مع أنه تغير كثيراً أثناء الليل. طبقة كثيفة من الغيوم المرصوفة كانت تسبح في الجو الآن، وتركة حاراً رطباً ساكن الأرياح تحت غطاء رمادي. تركت سترتي في الشاحنة.

طرقت الباب بهدوء.

أجاني بيلى يدعوني للدخول قائلاً: «تفضل بيلاً».

كان يجلس إلى طاولة المطبخ يتناول حبوب الفطور الباردة.

«هل لا يزال جايك نائماً؟».

«كلا». وضع ملعته جانباً وانقبضت عضلات حاجبيه.

«ماذا حصل؟». كنت أعلم من تعابير وجهه أن شيئاً ما لا بد

حصل

«لقد افترض كل من إميري وغارد وبول أنراً جديداً في وقت مبكر من هذا الصباح، فانطلقوا حاكم وسام للمساعدة. يأمل سام خيراً. إنها تشارلي في الجبال وتحتمي بها. يظن سام أن لديهم فرصة جيدة لإنهاء «الغيب»».

تمتمت قائلة: «كلا، بيلى، كلا».

أطلق بيلى ضحكة قصيرة مقطعة عميقة: «هل تحبين لا بوش

لدرجة أنك ترغين بتمديد إقامتك الجبرية هنا؟».

«لا تمزح بيلى بهذا الأمر. فهو مخيف جداً».

استحال عليّ أن أقرأ كلام عينيه حيث رسم الزمن تجاعيده وهو

يوافقها القول لا يزال مقتباً بنفسه: «أنت محقة، إن هذه مخادعة».

عضضت شفتي.

لأجواء. نظرت إلى السماء المتراجعة إلى الأعلى والغيوم التي تتحرك  
بتكامل على الرغم من غياب أي ناسم محسوسة على الأرض. كانت  
السم الأقرب رمادية بلون الدخان، لكنني استطعت أن أرى من بين  
الغسق طبقة أخرى بنفسجية اللون مريمة. بُعد السماء خططاً شزمة  
للأرض هذا النهار. لا بد أن الحيوانات تشحن مخابها بالمؤونة.

ما إن حطت قدمي على رمال الشاطئ حتى تمنيت لو أنني ما  
لنيت. لقد شمت هذا المكان. كنت أحضر إلى هنا كل يوم تقريباً  
وأتجول. هن كان يختلف الأمر كثيراً عن كوايبي؟ لكن إلى أين عساي  
أذهب؟ سرت بتشاكل نحو الشجرة وجلست على جذورها المتداخلة.  
أخذت أحدي في السماء الغاضبة أنتظر أن تبلبل قطرات المطر الأولى  
صمت المكان.

حاولت ألا أفكر في الخطر المحقق بجايكوب وأصدقائه. لأن ما  
من شيء قد يحصل له. كانت الفكرة يحد ذاتها لا تحتل. لقد سبق  
وخسرت الكثير، فهل سيحرمني القدر آخر شظايا السكون المتبقية؟ بدا  
الأمر غير منصف، غير متوازن. لمعلي انتهكت إحدى القوانين  
المحبة، أو حاولت أحد الخطوط فأدب نعمة من غير الصواب  
الشروط بالخرافات والأساطير إلى هذا الحد، وإدارة الظهر بالكامل لعالم  
الإنسان. ربما...

كلا. لن يحصل شيء لجايكوب. هذا ما ينبغي علي أن أؤمن به  
وإلا سألت حركتي.

تأوتت وقفزت من مكاني إذ لم أجد قدرة على المكوث أكثر. كان  
الأمر أسوأ من المشي ذهاباً وإياباً.

كنت اعتمد فعلاً على سماع صوت إدوارد هذا الصباح. بدا صوته  
الشيء الوحيد الذي يجعلني أعيش نهاراً آخر. مؤخرأ كانت الحفرة في  
يدي تحترق ألماً وكأنها تنتقم لعند المرات التي قام بها جايكوب

ليس الأمر خطيراً بالنسبة لهم كما تظنين. سام يعرف ماذا يفعل.  
أنت من يجب القلق بشأنها. قمصاصة الدماء لا تريد عراكاً معهم، بل  
إنها تحاول الالتفاف عليهم للوصول إليك.

وضعت قلقي جانباً وسألت: «كيف أن سام يعرف ما الذي  
يفعله؟ لم يسبق لهم إلا أن قتلوا مصاص دماء واحد. يمكن أن يكون  
في ذلك بعض الحذر».

«إننا نأخذ ما نقوم به على محمل الجدبة بيلاً. لا تغفل شيئاً. كل  
ما يحتاجون إلى معرفته انتقل إليهم عبر الأجيال من الأب للابن».

لم يبعث كلامه الطمأنينة في قلبي على النحو الذي قصده ربما.  
فصورة فيكتوريا اللقططة، المفترسة القاتلة كانت حية في ذاكرتي. إن  
تمكن من الالتفاف على الذئاب فستقضي عليهم.

عاد يبلي يتناول فطوره بينما جلست على الأريكة أقلب قنوات  
التلفزيون عشوائياً. لم يدم الأمر طويلاً، إذ بدت جدران الغرفة الصغيرة  
تطبق عليّ، تشعني، تشعني بضيق الصدر والحزن لعدم قدرتي على  
الهرب من وراء الحجاب. التي تغطيها الستائر.

أنت كملتني رئيسة وأنا أخرج نحو الباب وأقول: «أنا عند  
الشاطئ».

لم يساعدني التواجد خارجاً على قدر ما تأملت. كانت الغيوم  
تضغط نزولاً بشغل خفي حال دون تخفيف عبء الضيق الذي أحسه.  
بدت العانة حالية شكل غريب وأنا أمشي نحو الشاطئ. لم أرى أي  
حيوان، ولا حتى سنجاب أو طائر، ولم أسمع أي زقزقة. كان الصمت  
ثقيلاً، غريباً من دون صوت صغير الريح بين الشجر.

كنت أعلم أن الطقس وحده مسؤول عن الوضع ومع ذلك كنت  
أشعر بالضيق وسرعة الغضب. وكانت أحاسيسي البشرية الأضعف  
تستشعر الجو الثقيل والحرارة والضغط وتذكر أن هناك عاصفة ما في

ملاستها. وكانت أطرافها تحرقني.

أخذ الارتفاع الموج يزداد تكسراً عند الصخور بينما أتقدم. مع أن الرياح لم تكن قد بدأت تعصف بعد شعرت بطمطم العاصفة بقتيد حركتي. كان كل شيء حولي يدور في دوامة لكن حيث كنت لم يكن هناك سوى السكون. كان الهواء محملاً بشحنات كهربائية ضعيفة، وكنت أشعر بسكونه منعكساً في شعري.

بعيداً في الأعماق، كانت الأمواج أكثر ارتفاعاً مما هي عليه عند الشاطئ. تمكنت من رؤيتها تتلاطم مرتظمة بالصخور مختلفة سحابة هائلة من وغوة الزرد الأبيض. كان الهواء لا يزال ساكناً مع أن العيوم أخذت تتكثف بسرعة أكبر الآن. كان لمشهد وقع مهيب في النفس، وكان العيوم تتدافع بحركة ذاتية. أقسمت جسمي كله على الرغم من ثقلي أن الوضع يوت ليس سوى حدة من الضغط الجوي.

كان الجرف الصخري أشبه سكنين أسود معروف في حاضرة السماء المتفتحة الوجه. حذقت في السماء أسدك يوم أخيرتي جايكات عن سام وأعصانه. فكرت في العصبية، المستدبين، يرمون أنفسهم في أحضان فراغ الهواء. مشهد السقوط والأجسام المتطوية كان يشق بقوة الحياة في رأسي. تخيلت الشعور المطلق بالحرية الذي يولده السقوط. وتخيلت كيف سيرن صوت إدوارد في أدبي، مخملياً، عاجزاً، مثالباً. شعرت بألسنة الذهب تحن عظاماً في صدري.

لا بد من وجود طريقة لإرواء هذا العطش. كان الألم يزداد حدة بما لا يحتمل في كل لحظة. حملت في الصخور والأمواج المتكسرة.

لم لا؟ ماذا لا أروي عطشي الآن؟

ألم بعدي جايكوب بالطنس من على حافة الصخور، ألم بفعل؟ هل يحدوني أن أنحلي عن شعور الدهر الذي احتاحه شدة، وأنوق إليه أكثر مع تعريض جايكوب حياته للحظر فقط لأن صدفي المستنث

مشفل؟ يعرض حياته للخطر من أجلني في الأساس. فلولا أنا لما كانت ليكتوريا تقتل الناس هنا. . . بل كانت لتكون في مكان آخر بعيداً من هنا إن حدث مكروه لجايكوب، سيكون ذلك بسببي. تغرزت للنتيجة التي توصلت إليها مكياً يحتر عميقاً في قلبي ويدفعني راكضة إلى الطريق نحو منزل بيلى، حيث الشاحة بالتظار.

كنت أعرف الطريق إلى الزفاني الأقرب من الصخور، لكن كان علي أن أفتش عن الحافة الضيقة الثالثة. بينما أتبع مسار الطريق. صرت أبحث عن منعطفات أو طرق فرعية أخرى، مدركة أن جايكوب كان يسوي اصطحابي إلى التنوء الأكثر انخفاضاً وليس إلى القمة. لكن العمر كان يمتد نحو الحافة في خط صيق من دون خيارات. لم ينس لي الوقت لإيجاد طريق آخر بدلاً، فتوة العاصفة كانت تزداد سريعاً. وقد لامني الهواء أخيراً، ورائت العيوم تغرب من الأرض. مع وصولي إلى القمة التي يمتد فيها العمر لتربني بشكل مستدير نحو المنحدر الصخري، بدأت أولى قطرات المطر بالسقوط والتناثر على وجهي.

لم يصعب علي إقناع نفسي بأن لا وقت لدي للبحث عن طريق آخر، كل ما أردته هو الففز عن الحافة الأكثر علواً. كان هذا المشهد الوحيد الذي يترافق في مخيلتي. لم أكن أرضى إلا بالسقطة الطويلة التي شعرتني بأنني أظفر.

كنت أدرك تماماً أنه التصرف الأكثر حماقة ولامبالاة الذي أقدمت عليه يوماً. حملتني الفكرة على التيشم. كان الألم الذي أشعر به في جسمي يخف حدة، وكأن جسمي نفسه يعلم أنه على بعد ثوان من سماع صوت إدوارد.

بدا المحيط بعيداً، أكثر بعداً من ذي قبل، وأنا أمشي بين الشجر. انقضت عضلات وجهي حين خطرت لي فكرة حرارة المياه المحتملة، لكن ما كان ليمعني ذلك من المضي قدماً.



كانت الرياح تعصف بقوة الآن، وتحبب المطر في دوامات مر حولي.

تقدمت باتجاه الحافة أسر عيني على الفراغ الممتد أمامي. بدأت أصابع قدمي تتحسس الأرض خبط عشواء تغازل الجرف الصخري وتعانقه. أخذت نفساً عميقاً وحبسته... وانتظرت.

«بيلا».

ابسمت وزفرت الهواء خارجاً.

أجل؟ لم أجب بصوت مرتفع، مخافة أن تشتت نبرة صوتي الوهم الجميل. بدا صوته حقيقياً جداً، قريباً جداً. فقط عند التعبير عن استنكاره على هذا النحو، كنت أستطيع سماع الذكرى الصحيحة لصوته. بلونتها المخملي ورنثها الموسيقية، لتشكل أجمل الأصوات على الإطلاق.

رجاني الصوت قائلاً: «لا تفعل ذلك».

ذكرته أقول: أردتني أن أكون بشرية، حسناً واقبني إذا.

«لا تفعل أرجوك، لأجلي».

لكنك لن تكون معي إلا على هذا النحو.

«أرجوك».

لم يكن صوته سوى همس آت مع المطر العاصف الذي يبلل شعري وملابسي ويجعلني أبدو وكأنني أنقذ السقطة الثانية لهذا اليوم. وقفت على قدمي.

«كلا بيلا، لا تفعل! كان غاضباً الآن، وكان غضبه محبياً».

ابسمت ورفعت ذراعني إلى جانبي بشكل مستقيم، وكأني عنى وشك الفطس ورقمت وجهي مستقبل المطر. كنت أعرف القواعد جيداً بسبب سنوات السباحة الطويلة في البركة العامة، القدمين أولاً، والمرة

الأولى التي أفقر فيها. انحنيت إلى الأمام وانقبضت امتداداً للوثوب.

وقفزت أظير من فوق الصخور.

أطلقت صرخة وأنا أسقط في الفضاء الواسع كسهب نجمي، لكنها كانت صرخة ابتهاج وليس صرخة خوف. قاومتني الرياح تحاول عيشاً نفسي لقوة الجاذبية التي لا تقهر، فدفعني وأدارتني بسرعة لولبية كما لو كنت صاروخاً متجهاً للأرض.

أجل! دوت الكلمة في رأسي وأنا أشق صفحة المياه الجليدية، كانت أكثر برودة مما كنت أخشى، ومع ذلك لم تصف البرودة إلا إثارة فوق الإثارة.

كنت فخورة بنفسي وأنا أغوص في عمق المياه السوداء الجليدية. لم تنطري التجربة على لحظة رعب واحدة، بل مجرد انفعالات خالصة ترفع نسبة الأدرينالين. لم تكن السقطة مخيفة على الإطلاق. أين التحدي فيها؟

استمر هذا الشعور إلى أن وقعت في قبضة التيار.

كنت شديدة الانشغال بحجم الصخور والخطر الصادر عن الانهيار، والمحددات، فلم أكن مطلقاً حين المياه العميقة التي تنتظر بصمت. ولم يخطر لي إطلاقاً أن التهديد الحقيقي يتروطني من الأعماق، أسفل زيد موج البحر المتكرر على الشاطئ.

نعمت بالأمواج تتصارع في، تنفذني في ما بينها يمبياً ويساراً وإلى الأمام والوراء وكأنها عازمة على أخذ دورها في شقي إلى نصفين، كنت أعرف الطريقة الصحيحة لتحاشي ارتفاع أمواج البحر وانخفاضها باضطراب. لم يكن علي سوى السباحة بموازاة الشاطئ بدلاً من مصارعة الأمواج باتجاه الوصول إلى الرمال بأمان. لكن هذه المعرفة لم تنهني كثيراً وأنا أجهل الطريق نحو الشاطئ.

لم أتمكن من معرفة أين سطح المياه أو كيف أصل إليه.

كانت المياه الغاضبة قاتمة من كل الاتجاهات، لم يظهر أي صرير  
يرشدني إلى الأعلى. كانت الجاذبية رهبة عند التباري مع الهواء، لكن  
لم يكن لها أي تأثير مقارنة بالموج، لم أشعر بأي قوة تشدني للاستمرار  
من أي اتجاه، بل بالتباري بتقاذفي وورميني متلاعباً بي وكأنني محبوس  
خزقة.

حاولت لأحافظ على الهواء في رثتي، وألقي على شمعتي مغبطين  
على آخر محزون للأوكسيجين.

لم يقاچني وهم وجود إدوارد. كان يدين لي بهذا القدر باعتبار أنني  
كنت أحتضر. بل تفاجأت ليقين معلوماتي. كنت على وشك أن أغرق،  
وها أنا أغرق فعلاً.

توسلني صوت إدوارد بإلحاح يقول: «تابعي السباحة!».

إلى أين؟ لم يكن هناك سوى الظلام. وما من مكان أصبح إليه.

أمرني: «توقفي عن ذلك! لا تتجرئي على الاستسلام!».

كانت برودة المياه تصيب ذراعي وساقتي بالخدر. لم أعد أشعر  
بلطم الأمواج كثيراً كما من قبل.

لكنني أصغيت إليه. أجبرت ذراعي على التجهيز وساقتي على دفع  
المياه بقوة أكبر مع أن كل لحظة كانت تتذفني باتجاه مختلف. لا يمكن  
لذلك أن يجدي نفعاً. فما الهدف من المتابعة؟

صرخ لي رأسي: «كافحي! تباً بيلاً، تابعي الكفاح».  
لماذا؟

ما عدت أريد الكفاح. لم يكن الشعور بالدوار المسكر أو البرد  
وعجزني عن تحريك ذراعي بعد أن استسلمت العضلات إرهاباً ما  
جعلني أشعر بالسعادة في البقاء حيث أنا، بل شعرت بالسعادة لأن  
الأمر على وشك الانتهاء. كانت طريقة الموت الأسهل مقارنة بما  
واجهت. لقد كنت مسالمة على نحو غريب.

فكرت قليلاً بالشعارات التي تقال وكيف يرى المرء حياته تومض  
أمام عينيه. كنت أكثر حظاً، ومن كان يريد أن يحضر الإعادة بأي حال؟  
لقد رأيته، ولم تكن لدي أي إرادة للكفاح. كانت صورته شديدة  
الوضوح، أكثر إشراقاً من أي ذكرى. كنت قد خزنت في اللاوعي صورة  
إدوارد بتفاصيلها الخالية من العيوب، واحتفظت بها من أجل اللحظة  
الآخيرة. كان بإمكانه رؤية وجه المثالي الملامح وكأنه هنا فعلاً،  
يشيرته الثلجة البيضاء وشعره وشكل فكه وشماع عبيبه الدهنين نضجاً.  
من الطبيعي أن يشعر بالغضب لاستسلامي. كانت أسنانه تصطك نيفظاً،  
وفتحنا أنه تسعان حنقاً.

«كلا، بيلاً، كلا».

كانت أذناي تفيضان بالمياه الجليدية، لكن صورته كان أوضح من  
أي وقت مضى. تجاهلت كلماته وركزت على رثة صوته فقط. لم  
عساي أكافح وأنا سعيدة جداً حيث أنا؟ مع أن رثتي كانتا تتوقان لمزيد  
من الهواء وعظام ساقتي تفرقان من البرد، مع ذلك كنت سعيدة. وكنت  
قد نيت كيف يكون الشعور الحقيقي بالسعادة.

السعادة. وحدها كانت تجعل كل مرارة محتلة.

غلبتني قوة التيار في تلك اللحظة ودفعني نحو شيء صلب،  
صخرة مخفية في الظلام. ضربتني على الصدر بقوة وخبطتني كما لو  
أنني أرتطم بلوح حديد، واندفع الهواء من رثتي هارباً لبشكل غيمة كثيفة  
من الفقاعات المائية القضية. بدا اللوح الحديد يجزئي، ويسحبني بعيداً  
عن إدوارد، يأخذني إلى أعماق الظلام، نحو القمر.  
آخر فكرة راودتني، وداعاً، أحبك.

## باريس

في تلك اللحظة بالذات طفى رأسى على السطح.

يا له من أمر مفضل، كنت وثقة أنني كنت أعرف.

ما كان التيار ليستسلم. كان يلطم بي على مزيد من الصخور، التي كانت تضرب وسط ظهري بحدة وإيقاعية مجيرة المياه على الخروج من رشتي. انفجرت المياه بكميات كبيرة تدفق شلالات من فمي وأذني. كانت الأملاح تحرق رشتي والمياه تملأ حنجرتي وتثنية منفذ الهواء والصخور تؤلم ظهري.

كنت نائمة في مكاني بطريقة ما مع أن الأمواج تدافع بقوة من حولي. لم أتمكن سوى من رؤية المياه تحيط بي من كل جانب ونفيل إلى وجهي.

«تفتسي!»، أنى الصوت مفترساً بالاضطراب يأمرني وشعرت بقطعة قاسية من الألم حين أدركت صاحب الصوت، إذ لم يكن إدوارد.

لم أتمكن من إطاعة الأمر. شلال المياه المنسكب من فمي لم يتوقف بما يكفي لتنشئ الهواء. والمياه الداكنة الجليدية كانت تملأ صدري وتحرقني.

توسلني جايكوب يقول: «هيا، بيلاً تنفسي!»

لاحظت أمام ناظري نقاط سوداء آخذة في التوسع، حاجبة الضوء. ضربتني الصخرة مجدداً.

لم تكن الصخرة ببرودة المياه. كانت حارة على بشرتي. وأدركت أنها يد جايكوب تحاول إخراج المياه من رشتي. واللوح الحديد الذي سحبني من الماء كان أيضاً... دافئاً شعرت برأسي يدور والنقاط السوداء تغطي كل شيء.

هل كنت أموت من جديد؟ لم يحسني الأمر. إذ لم يكن رجوعه المرة السابقة. لم يكن هناك سوى الظلام الآن. لا شيء يستحق النظر إليه. خفت صوت الأمواج المتلاطمة في الظلام وأصبح هادئاً كما لو كان حقيقياً صادراً من داخل أذني...

سألني جايكوب وكان صوته لا يزال متوتراً لكنه ما عاد مفترساً كما من قبل، «بيلاً؟ يلز حبيتي، هل تسمعينني؟».

امتزجت محتويات رأسي وتقلبت، وكأنها اندمجت بالمياه الداكنة.

سأل شخص آخر: «كم مضى على غيابها عن الوعي؟».

سألني الصوت الذي لم يكن لجايكوب، «حرفتي له. يد من الترقيع والوعي».

أدركت أنني كنت نائمة. لم يعد النار بعث بي. ولم يعد هناك وجع. للتلاطم سوى في رأسي. السطح الذي كنت أمتد إليه كان مالاً بجاً أشبه بملس الخشب.

قال جايكوب وهو لا يزال مهتاجاً: «لا أعرف».

كان الصوت قريباً جداً. واليد دافئة، التي لا بد كانت يده مسحت غصيلة الشعر الرطبة عن وجهي وهو يقول: «بضع دقائق؟ لم يتطلب أمر نقلها للشاطئ كثيراً».

لم يكن صوت الحفيف في أذني صوت تدافع الموج، بل صوت الهواء الذي يدخل رشتي ويخرج منهما. كان كل نفس يحرقني والعمرات الهوائية خشنة وكأنني حفتها بقطعة «سيف». لكنني كنت أنفَس.

وكنْتَ أنتِجَمِدُ أيضاً. آلاف القطرات الحليبية الحادة كانت تصفح وجهي وذراعتي وتزيد البرودة سوءاً.

«إنها تنفَس. مستحسن. علينا أن ندفنها، لا أحب اللون الذي تحول...».

أدركت هذه المرة أنه صوت سام.

«هل من المستحسن أن نقلها من هنا؟».

«ألم تؤذِ ظهرها أو أي شيء حين وقعت؟».

«لا أعلم».

ترددا.

حاولت فتح عيني. تطلَّب ذلك مني دقيقة، لكنني استطعت رؤية الظلام، والغيوم الرمادية ترشني بأمطارها الجليبية.

أتى صوتي متحسراً وأنا أقول: «جايك!».

حجب وجه جايكوب السماء، وشفق يغطي الاوتياح ملامحه. كانت عيناه مبللتين بالمطر، يسألني: «بيلا؟ هل أنت بخير؟ هل يمكنك سماعي؟ هل يؤلمك أي شيء؟».

تلعثمت وشفتاي ترتجفان برداً: «حنجرتي فق... ط».

قال جايكوب: «لنخرجك من هنا إذا». دس ذراعيه تحتي ورفعني من دون جهد، وكأنه يرفع صندوقاً فارغاً. كان صدره عارياً دافئاً، وهو يقوس كتفيه يظللني من المطر. تهادى رأسي فوق ذراعه وأخذت أحلق بالمياه الغاضبة تضرب الرمال من خلفه.

سمعت سام يسأل: «هل أمسكت بها؟».

«أجل، سأخذها من هنا، عد إلى المستشفى أنت، سأنضم إليك لاحقاً. شكرًا سام».

كان رأسي لا يزال يدور. لم تعلق أيًا من كلماته في رأسي بدايةً.

لم يجب سام. ولم يكن هناك أي صوت، فتساءلت ما إذا كان سام قد رحل.

كانت المياه تملأ وتتلوى وتتملأ فوق الرمال، بينما جايكوب يحملني بعيداً، وكأنها تشعر بالغضب لأنني نفذت من قبضتها. بينما أحلق متعبة، نفت نظري غير المركز التماع لون ماء، كانت سمكة صغيرة نارية اللون ترافق على المياه السوداء بعيداً عند الخليج. لم يكن للمشهد أي معنى ونسألت إلى أي مدى كنت واعية فعلاً. كان رأسي يدور مستذكراً المياه السوداء الغاضبة، وشعوري بالضيق حيث عجزت عن إيجاد طريقي صعوداً أو نزولاً. كنت تائهة تماماً... لكن جايكوب، وبطريقة ما...

أتى صوتي متحسراً وأنا أقول: «كيف وجدتي؟».

«كنت أبحث عنك». كان يمشي سريعاً تحت المطر مبتعداً عن الشاطئ متجهاً إلى الطريق. سرت ارتعاده في أوصاله وهو يقول: «نقد تبع آثار عجلات شاحتك، ومن ثم سمعتك تصرخين... لماذا قفزت بيلاً؟ ألم تلاحظي قدوم الإعصار؟ أما كان بإمكانك انتظاري؟».

تمتمت أقول: «أسفة، كان ذلك تصرفاً أحمق».

كانت قطرات المطر تنهمر بحرية من شعره وهو يوافقني الرأي، «أجل كان تصرفاً أحمق للغاية. إسمعي، هلا تمانين تأجيل القيام بالتصرفات الحمقاء ريثما أكون قريباً منك؟ لن أتمكن من التركيز على عملي وأنا أفكر أنك تقفزين من على الجبال من وراء ظهري».

«بالطبع، ما من مشكلة». وافقت على كلامه وبدأ صوتي كمذمن على التدخين. تننحت أزيل الحشرة من حنجرتي ثم انقبضت فجأة، وكأنني قد ابتلعت سكيناً. «ماذا حصل اليوم؟ هل... وجدتموها؟»، كان دوري الآن بالارتعاد مع أنني لم أكن أشعر بالبرد بالقرب من جسمه الدافئ.

هز جايكوب رأسه نفيًا. كان يركض أكثر منه يمشي، سالكاً طريق



قال جايكوب وهو يضعني على الكنب الصغيرة، «يمكنك البقاء هنا، أعني هنا تماماً، سأحضر لك بعض الملابس الجافة».

سمحت لنظري بالتكيف مع عتمة الغرفة بينما يبحث جايكوب عن ملابس في غرفته. بدا صدر المنزل خالياً من دون ببلي بل بدا حزيناً. كان ذلك بيتي بالشئ على نحو غريب، ربما لأنني كنت أعلم أين يبلي. عاد جايكوب في غضون ثوانٍ. رمى كومة من الشياح القطنية الرمادية اللون يقول، «مستبدو كبيرة عليك، ليس هذا مقاسك، لكنها أفضل ما استطعت الحصول عليه. س... سأقف خارجاً بينما تبدلين ملابسك».

«لا تذهب إلى أي مكان، أنا منهكة بحيث لا أستطيع الحراك».

«هنا معي».

جلس جايكوب على الأرض مديراً لي ظهره. تساءلت متى كانت المرة الأخيرة التي نام فيها. بدا مرهقاً مثلي.

ألقي برأسه على الوسادة بجانبني وتساءب قائلاً: «أعتقد أنني أستطيع أن أرتاح للحظة...».

«أنا على رجلي».

يا لهاري وسو المسكينين. كنت أعلم أن تشارلي سيكون معه. فهاري كان أحد أفضل أصدقائه. على الرغم من رأي جايكوب السلبي، كنت أأمل أن ينجو هاري فعلاً، لمصلحة هاري نفسه وكل من سوا وليا وسيت...

كانت أريكة ببلي بجانب جهاز التدفئة وكانت أشعر بالدفة بالرغم من ملاسي المبللة. كان ألم رثتي يدفعني إلى حالة من الإغماء أكثر مما يبقيني مستيقظة. تساءلت ما إذا كان يجدر بي أن أنام... أم أنني أعاني من بعض الارتجاجات؟ بدا جايكوب يشخر بهدوء، فكان ذلك أشبه بأغنية ما قبل النوم للأطفال، وسرعان ما غرقت في النوم.

للمرة الأولى منذ وقت طويل كان الحلم الذي اتباني عادياً. مجرد

منزله. «كلا، لقد هربت مختفية في المياه، لمصاصي الدماء اليد الطولي في هذا المجال، لذا هربت عائداً إلى المنزل، خفت أن تعود إلى هـ سباحة بسرعة مضاعفة. أنت تمضين وقتاً طويلاً هنا على الشاطئ...».

مشى بضع خطوات بتأفف، شيء ما يعلق بحنجرتي.

«هل عاد سام معك... هل عاد الآخرون كذلك؟». كنت أتمنى أنهم توقفوا عن البحث.

«أجل، نوعاً ما».

حاولت أن أقرأ ملامح وجهه وهو ينظر شزراً تحت زخات المطر كانت عيناه مليتين قلقاً والماء.

الكلمات التي لم تعني لي شيئاً من قبل اتخذت الآن معناها. «لقد ذكرت كلمة... مستشفى لسام في وقت سابق. هل تعرض أحدكم للآذى؟ هل واجهتكم؟». ارتفعت نبرة صوتي فبدت غريبة، نخينة.

«كلا، كلا. حين عدنا، كان إميري ينتظرننا لينقل لنا خير أن هاري كليرووتر، أصيب بذبحة قلبية هذا الصباح».

هزئت رأسي محاولة استيعاب ما قاله: «هاري؟ هل يعلم تشارلي بالأمر؟».

«أجل، وهو هناك كذلك مع أبي».

«هل سيكون هاري بخير؟».

ضاقت عينا جايكوب مجدداً: «لا يبدو الوضع بخير».

عاد الشعور بالذنب ليلقي بثقله مجدداً، كم أحسست بظفاعة قيامي بالفقر عن الصخور بشكل غبي. لم يكن يفترض بأن يشعر أحد بالقلق علي الآن. يا له من توقيت غبي للتصرف بعدم مسؤولية.

وسألت: «ما الذي أستطيع فعله؟».

توقف المطر حالاً. لم أدرك أننا وصلنا لمنزل جايكوب إلى أن عبر الباب الرئيسي. كانت الرياح تنصف السقف.

تجول مشوش بين الذكريات القديمة، من مشاهد فوبكس الساحلية إلى وجه أمي ومصور معشاة للشجرة بقرب المنزل. والحلف القديم وجداني الحراب واللب فوق المياه السوداء. . . لكني سببتها كلها حين نعتير المشهد.

الصورة الأخيرة كانت الوحيدة التي علفت في ذهني. لم تكن تحمل أي معنى، مجرد مشهد على المسرح. شرفة تحت جناح الظلام وقمر مرسوم على صفحة السماء. وكنت أراقب فتاة تستند إلى الدرابزين بملايس النوم وتحدث إلى نفسها.

لم تكن للصورة أي معنى. . . لكن حين جاهدت للمعودة إلى الوعي، خطرت لي جوليت.

كان جايكوب لا يزال نائماً، وقد هبط إلى الأرض وبات تحت عميقاً ومتنظماً. ازدادت الظلمة المنتشرة في المنزل الآن. وكان الجو مظلماً في الخارج. شعرت بالتصلب لكنني كنت دافئة وحادة. وكانت حنجرتي تحترق مع كل نفس أنشفه.

كان عليّ أن أفق، لأحضر ماء على الأقل. لكن جنيتي لم يشأ التحرك، أراد الاستلقاء حيث هو من دون أن يتحرك مجدداً مطلقاً.

بدلاً من التحرك، وجدتني أفكر بجوليت مرة أخرى.

تساءلت ماذا كانت لتفعل لو أن روميو تخلى عنها، ليس لأنه نفى بل لأنه لم يعد يهتم لأمرها؟ ماذا لو أن روزاليند منحته الوقت الكافي، وقام بتغيير رأيه؟ ماذا لو أنه، بدلاً من الزواج بجوليت، اختفى وحسب؟

أظنني كنت الآن أعلم كيف ستشعر جوليت.

ما كانت لتعود إلى حياتها القديمة، ليس حقاً. وما كنت لثمضي قديماً، هذا ما كنت واثقة منه، حتى ولو عاشت عمراً مديداً وشاب شعر

رأسها، كل مرة كانت تمنعش عينيها ستري وجه روميو حلف الحنوط المختلفة. وكنت لتقل بالواقع.

وتساءلت ما إذا كانت لتتزوج بأمس في السهانة، لمجرد أن ترضي والديها وتميش بسلام. كلا، على الأرجح أنها لن تفعل. لكن الرواية لم تذكر الكثير عن باريس، لقد كان مجرد شخصية عابرة، تهديد يجبرها على الزواج به.

لكن ماذا لو كان هناك المزيد من الأمور حول باريس؟

ماذا لو كان باريس صديق جوليت؟ أفضل أصدقاءها؟ ماذا لو كان الشخص الوحيد الذي تستطيع الوثوق به وإخباره بكل ما يتعلق بعلاقتها المتدهورة بروميو، هو الإنسان الوحيد الذي يفهمها حقاً ويجعلها تشعر بأنها إنسانة من جديد؟ ماذا لو كان صبوراً ولطيفاً؟ ماذا لو اهتم بها؟ ماذا لو علمت حوليت أنها لن تستطيع العيش من دونها؟ ماذا لو كان يحبها حقاً ويريدها أن تكون سعيدة؟

ثم. . . ماذا لو أنها وقعت بحب باريس؟ ليس كما تحب روميو. ليس على هذا النحو بالطبع. لكن بما يكفي لتريده أن يكون سعيداً هو أيضاً؟

ولم تنس جايكوب العميق البطيء كان الصوت الوحيد الذي يملأ سمعاً كأغنية تدندن لطفل كي ينام، كهمس كرسي مزاز، كنتكتكة غفارب ساعة قديمة تسمعه حين لا تكون مضطراً للذهاب إلى أي مكان. . . إنه صوت الارتياح.

إن كان روميو قد رحل فعلاً من غير عودة، فهل كان سيؤثر فعلاً ما إذا قبلت جوليت بعرض باريس؟ لعلها كان يجب أن تحاول أن تعيش على البقايا. لعل ذلك كان سيجعلها أقرب إلى السعادة.

تحدثت، ومن ثم نأوھت حين جرححت التهيدة حنجرتي. لقد كنت أغوص بعيداً في أحداث الرواية. ما كان روميو ليغير رأيه. لذا لا يزال

الناس يتذكرون اسمه مرتبطاً دوماً باسمها؛ روميو وجولييت. لذا كانت رواية جيدة. ما كانت فكرة انتهاء أمر جولييت مع باريس لتشكل نجاحاً. أغلقت عينيّ وحاولت النوم مجدداً تاركة لخيالي أن يسرح بعيداً عن المسرحية الحمقاء التي لم أعد أرغب في التفكير فيها. ففكرت بدلاً من ذلك في الواقع، في القفز عن الصخور ومدى لاعقلانية هذه الغلظة لم يكن القفز عن الصخور التصرف الوحيد الخاطئ الذي ارتكبت، إذ يضاف إليه ركوب الدراجة النارية وبقية التصرفات اللامسؤولة. ماذا لو حدث لي أي مكروه؟ ماذا كان ليحلّ بشارلي؟ ساهمت الذبحة القلبية التي أصابت هاري بتوضيح الصورة أمامي فجأة. الصورة التي لم أود رؤيتها لأنني إن اعترفت بصدقيتها. سأضطر إلى اعتماد التغيير في حياتي. هل أستطيع أن أعيش حياة مختلفة؟

ربما. لن يكون الأمر سهلاً في الواقع، سأشعر بالشقاء للتخلي عن هلو ساتي ومحاولة العيش كنحس ناضج. لكن ربما يجدر بي أن أفعل ولعلي سأقدر على ذلك، إن كان جايكوب معي.

لا يمكنني اتخاذ مثل هذا القرار الآن، إنه مؤلم جداً. سأفكر في أمر آخر.

صور أحداث بعد الظهر الأليمة تقلبت صفحاتها واضحة في رأسي، فيما أحاول التفكير بأمور جميلة... الإحساس بمقاومة الهواء وأنا أسقطه ظلمة المياه وتدفق التيارات... وجه إدوارد... لبثت أفكر في هذه الأحداث طويلاً، ففكرت بيدي جايكوب الدافئتين تحاولان إعادة الحياة إلى جسمي، بقطرات المياه اللاذعة تقلدُها الغيوم الرمادية... والسنة النيران الغريبة التي تلعو الموج...

شعرت بشيء مألوف حيال التماع اللون على سطح المياه. لا يمكن بالطبع أن تكون السنة النيران.

قطع جبل أفكاري صوت عجلات سيارة على وحل الطريق في

الخارج. سمعتها تتوقف أمام المنزل والأبواب تفتح ثم تغلق. فكرت في الجلوس لكن سرعان ما بذلت رأيي...

كان يسهل التعرف إلى صوت بيلي الذي تعمد أن يكون منخفضاً بحيث لا تسمع سوى همهمة غريبة.

فتح الباب وأضيت الأنوار. عندما فتحت عينيّ شعرت بالعمى للحظة. أما جايك فقد استيقظ مذهولاً يشق قافزاً على قدميه.

تلعثم بيلي يقول: «آسف، هل أيقظناكم؟».

ركزت عينيّ على ملامح وجهه ولما استطعت أن أقرأها، اغرورقت بالدموع.

تأوت قائلة: «آه، بيلي لا!».

طأطأ رأسه ببطء، وبدت ملامحه قاسية مليئة بالأسى، هرع جايك إلى أبيه وأمسك بإحدى يديه. جعل الألم وجهه طفولياً فجأة، فبدا غريباً فوق ضخامة جسمه الرجولي.

كان سام يقف خلف بيلي تماماً يدفع بالكروسي عبر الباب. غاب الهدوء المعتاد الذي يطبع وجهه المريح.

همست قائلة: «أنا آسفة».

أوما بيلي يقول: «سيكون الأمر صعباً على الجميع».

«أين تشارلي؟».

«لا يزال والدك في المستشفى مع سو. سيكون هناك الكثير من الإجراءات».

ابتلعت ريقى بصعوبة.

عاد سام نحو الباب وهو يقول متلعثماً: «يستحسن بي العودة إلى هناك».

سحب بيلي يده من يد جايكوب وغادر المطبخ بسرعة متجهاً إلى غرفته.

حديق جايبكوب في إثره للحظة ثم عاد ليجلس على الأرض يقرب  
غمر وجهه بيديه ورحن أنا أفرك كتفه مثنية لو كان هناك ما أستطيع  
قوله.

بعد لحظة من الصمت، التقط جايبكوب يدي وثنيتها إلى وجهه،  
وتنهّد يسأل: «كيف تشعرين؟ هل أنت بخير؟ ربما كان يجب أن  
أخذك إلى الطبيب أو ما شابه».

«لا تقلق بشأنى».

أدار رأسه لينظر إليّ، كان الاحمرار يحيط بعينيّه وهو يسأل: «ولا  
تبدين بحالة جيدة».

«ولا أشعر بأنى بحالة جيدة على ما أظن».

«سأجلب شاحتك وأعيدك للمنزل، ربما يجب أن تكونى هناك  
حين يعود تشارلى».

«صحيح».

استلقيت بشكاسل على الأريكة أنتظره. كان يبلى يقع في الغرفة  
المجاورة بصمت. شعرت بأنى متطفلة تسترق النظر من خلال الشقوق  
على أسى الآخرين.

لم يطل جايبك الغياب. سرعان ما كسر هدير محرك الشاحنة  
الصمت. ساعدتني لأنهبض عن الأريكة من دون أن يقول شيئاً. وظلّت  
ذراعى تحيط بكتفي تقيني الهواء البارد في الخارج. جلس في مقعد  
السانق من دون أن يسألني ومن ثم قربني منه ليقبّ ذراعى حولي. ألقيت  
رأسى إلى صدره.

سأله: «كيف متعود للمنزل؟».

«لن أعود للمنزل. لم نلق القبض على مصاصة الدماء بعد،  
أذكرين؟».

لم يكن لنوبة الارتجاف التي أصابني أي علاقة بالبرد.  
كان الهدوء يخيم على طريق العودة. وقد عمل الهواء البارد على  
إيقاظي تماماً، فكان عقلي متيقظاً يعمل بسرعة وجهد.

ماذا لو؟ ما هو العمل الصائب الذي يجب القيام به؟  
لم أكن أستطيع أن أتصور حياتي من دون جايبكوب الآن، حتى أنني  
تملّصت من محاولة التفكير بذلك. لقد صار وجوده ضرورياً ليقاني  
بطريقة ما. لكن ترك الأمور على ما هي عليه... هل كان ذلك ظالماً  
كما اتهمنى مايك يوماً؟

تذكرت أميتي لو كان جايبكوب أخي. أدركت الآن أن كل ما أردته  
فعلاً هو إعلان مطالبتى بحق امتلاكه. لم يكن يتباني شعور أخوي وهو  
يحضنتني بهذه الطريقة. كان الأمر يبدو جميلاً، دافئاً، باعثاً على الراحة  
والإلفة. والأمان. كان جايبكوب يمثل برّ الأمان بالنسبة لي.

كان بإمكانى أن أشهر مطالبتى به. كنت أملك مثل هذه القوة.  
كأن عليّ أن أخبره بكل شيء. كنت أعلم ذلك. إنها الطريقة  
الوحيدة لأكون عادلة معه. سيكون عليّ أن أشرح له كل شيء، ليعلم أن  
مشاعري لم تتغير نحوه كصديق، وأنه يستحق من هي أفضل مني، كان  
يغلم أنني منكسرة النفس، ولن يتفاجأ بالأمر، لكن ينبغي له أن يعلم ربما  
مدى حدة ذلك. قد يكون عليّ أن أعترف بأنى مجنونة وأصارحه بشأن  
الأصوات التي أسمعها. يحتاج لأن يعلم كل شيء قبل أن يتخذ قراره.

مع أنى كنت أدرك هذه الحاجة، كنت أعلم أن جايبكوب سيتبلىني  
بالرغم من كل شيء. ولن يتردد لحظة للتفكير في الأمر.

سيكون عليّ الالتزام بذلك، بكل ما تبقى مني، بكل قطعة منكسرة  
من نفسي. ستكون الطريقة الوحيدة لأكون عادلة معه. هل سأفعل؟ هل  
سأفعلها؟

هل محاولة جعل جايبكوب سعيداً خاطئة إلى هذا الحد؟ حتى لو



لم يكن الحب الذي أحسّه تجاهه سوى صدق لقلوبتي الأصلية على الحب، حتى لو كان قلبي بعيداً جداً سارحاً متحسراً على غياب روميو المقلب، هل سيكون الأمر بمثل هذا الخطأ؟

أوقف جايكوب الشاحنة أمام منزلي وأضأ المحرك، فساد الصمت فجأة وكما في مرات كثيرة أخرى، بدا متاعماً مع أفكارتي.

رمى ذراعاه الأخرى حولي، فيات يطوقني بكلتا ذراعيه ويعصرني فوق صدره، ويلصقني به. كان الأمر لطيفاً مجدداً، كما لو أنني صرت شخصاً كاملاً من جديد.

ظننت أنه يفكر بهاري. لكن حين تكلم، كانت نبرته تحملاً الاعتذار: «آسف، بيلز، أعرف أنك لا تشعرين كما أشعر أنا تماماً. لكنني أقسم أنني لا أهتم. أنا سعيد لأنك بخير حتى أنني أريد الغناء. وهذا ما لا يود أحد سماعه بالطبع». رنت ضحكاته في أذني.

ازدادت سرعة تنفسي، فإذا بها مثل كومات من الرمل تتدحرج على جدران حنجرتي.

ألا يريدني إدوارد، مهما كان لا مبالياً، أن أحصل على ما يمكن من السعادة في ظل هذه الظروف؟ ألا يدفعه ما يكفي من مشاعر الصداقة ليريد لي ذلك؟ أعتقد أنه يريد. لن يستكثر عليّ ذلك، لن يمانع أن أمتح القليل من الحب الذي لم يرده هو لصديقي جايكوب. ففي النهاية لم تكن المشاعر ذاتها.

ضغط جايكوب وجهه الدافئة على جبيني بالقرب من شعري. إن أملت بوجهي جانباً، وضغطت شفتاي على كتفه العاري... لم يساورني أدنى شك حول ما سيتبع. سيكون الأمر بغاية السهولة. ما من حاجة لتقديم شروحات الليلة.

لكن هل سأتمكن من ذلك؟ هل سأتمكن من خيانة قلبي الغائب لأنقل حياتي المثيرة للشغفة؟

غزت الفراشات معدتي وأنا أفكر في الالتفات.

لكن بعدئذ، وكما لو أنني كنت في خطر محقق، همس صوت إدوارد المخملي في أذني قائلاً: «كوني سعيدة».

نحمت في مكاني.

شعر جايكوب بنصلي فحزرتني من قبضته تلقائياً ومدّ يده بفتح الباب.

أردت أن أقول له أن ينتظر لحظة، مجرد لحظة واحدة. لكنني كنت عالقة في مكاني، مسرّة أستمع لصدى صوت إدوارد يدوي في رأسي. عصفت الرياح داخل مقصورة الشاحنة.

وخرجت شهقة التعجب من صدر جايكوب وكان أحدهم لكمه في معدته: «يا إلهي!».

صق الباب وهو يدير المفاتيح في الوقت نفسه. كانت يده ترتعشان بشدة بحيث لم أعرف كيف دار المحرك.

«ما الخطب؟».

انطلقت الشاحنة بسرعة تطرطش المياه عن جانبيها في كل مكان. تلفظ بغيظ: «مصاصه الدماء!».

تسارع الدم إلى رأسي فشعرت بالدوار وأنا أسأل: «كيف عرفت؟».

«تباء، أستطيع شم رائحة وجودها».

كانت عينا جايكوب تقدحان شراً مفترماً وتلتصمان في الشارع المظلم. بالكاد كان متنبهاً لثورات الغضب التي يتفجّر بها جسمه، كأن نفسه بنية أشبه بالحفيف: «هل أتحوّل أو أبعدما من هنا؟».

نظر إليّ لجزء من الثانية يتأمل عينيّ المرتعبتين، ووجهي الأبيض شحوباً وعاد يشطّ الشارع قائلاً: «صحيح، أخرجها من هنا».

هذه محرك الشاحنة بعنف. وعلا صوت الإطارات وهو ينفذ الشاحنة متوجهاً نحو المنفذ الوحيد المتوفر. مطع نور الأضواء الأمامية عبر الرصيف مشيراً الخط الأمامي للغاية أمامنا ومغرقاً إحدى السيارات المتوقفة على الجانب الآخر من الشارع.

شهقت أقول: «توقف!».

لقد كانت السيارة السوداء، السيارة التي أعرفها جيداً. لعلني أبعد ما أكون عن هواة السيارات، لكنني أمتطع أن أقول كل شيء عن ذلك السيارة بالتحديد. إنها مرسيدس من نوع S55 AMG. كنت أعرف من قوة الأحصنة ولون الداخل. وقد اختبرت شعور قوة المحرك المنبعثة من الهيكل. وأعرف رائحة المقاعد الجلدة والصبياغ الأسود الذي يجعل لثرة الظهور المصنبة تبدو كالعص من وراء واجح النوافذ السوداء.

إنها سيارة كارلايل.

«توقف!» مررت محدداً، صوت أعلى هذه المرة لأن جايبك كان يظن الشاحنة كالصاروخ.

«ماذا؟!»

«البت هذه فيكتوريا! توقف، توقف! أريد العودة».

داس على المكابح بقوة جعلتني أتمسك جيداً تفادياً للارتطام بلوحة أجهزة القياس.

«ماذا؟»، سألتني مجدداً مشدوهاً. وحذق بي والرعب يحلأ عيني.

«إنها سيارة كارلايل! وهو من عائلة كولن، أعلم ذلك».

راقب طلوع الفجر يبرز في ملامح وجهي، وسرت ارتعاشة عيفة في أوصاله.

«إبدأ حبك! هوذا عليك ما من خطر يحدق بك، أترى؟»

«استرخ».

أجاب مطأطأً يقلق عيني ويقول: «إهدأ، حسناً أهذا».

بينما يركز على عدم التحول إلى ذئب، كنت أهدق من النافذة باتجاه السيارة.

لعله كان كارلايل وحسب، قلت لنفسي. لا تتوقعي أي شيء آخر. ربما إيزمي... توقفني عند هذا الحد، قلت لنفسي مجدداً، إنه كارلايل فقط. وهذا وحده كثير. أكثر ما تمنيت الحصول عليه مجدداً.

تكلم جايبكوب بنبرة الأفاعي يقول: «هناك مصاص دماء في منزلك. وأنت تريدين العودة».

نظرت إليه وقد اقتلعت عيني عن المرسيدس مرتاعة من أن تختفي لحظة أشبح بنظري.

أنى صوتي مليناً بالدهشة رداً على سؤاله «الطلع». بالطبع أريد العودة».

صللت ملامح وجه جايبكوب وأنا أهدق فيه، واحتشأت تحت الفخاخ المبرير الذي ظننت أنه اختفى للأبد. لكن قبل أن يأخذ القدم موقعه تمكنت من رؤية انقباضات الخيانة تلوح في عيني. كانت يده لا تزالان ترتعشان. وبدا أصغر مني بعشر سنوات.

أخذ نفساً عميقاً وهو يسألني بتشاقل ويطه: «هل أنت واثقة أنها ليست خدعة؟».

«هذه ليست خدعة، إنه كارلايل، أعذني».

هزت ارتعاشة كثيفة العريضين لكن عيني كانتا خاليتين من المشاعر ثابتتين، «كلا».

«لا بأس بالأمر جايبك...».

«كلا، عودي لوحك بيلاً». أنى صوت كالفنعة فجعلت. اشتدت عضلات فكاه وعادتا لطبيعتهما.

تابع بالصوت الخشن ذاته يقول: «إسمعي بيلاً، لا يمكنني إعادةتك. فمعاهدة أو من دون معاهدة، العدو موجود هناك».

«ليس الأمر على هذا النحو...».

«علي أن أخبر سام حداً، فهذا يغير مسار الأمور. لا يمكن الفرض علينا على أرضهم».

«جايك، ليست هذه حراً!» لم يصح إليّ. ففغر من الشاحنة وهرب راكضاً.

ناداني واحداً، «إلى اللغاء بيلاً، أمل حفاً ألا تموني» وثب في الظلام يرتد بقوة وعنف حتى بدا منظره مشوشاً، واختفى قبل أن أتمكن من فتح فمي والرد عليه.

تبتني الحزن على المقعد للحظة طويلة. ما الذي فعلته بجايكوب للتو؟

لكن ما كان للحزن أن يبقيني حيث أنا لفترة أطول.

تسللت من مقعدي وأدبرت المحرك مجدداً.

كانت يداي لا تزالان ترتجفان بقدر ما كانت يدا جايكوب. وتطلب مني الأمر المزيد من التركيز. واستندت بالشاحنة بأكتفاه وقفلت عائدة إلى منزلي.

بدا الظلام حالكاً حين أطفأت الأنوار. غادر تشارلي بسرعة بحيث نسي أن يترك النور أمام المنزل مضاً. ترك ذلك لدي بعضاً من الشك. وحسدت في المنزل الغارق بالظلام. ماذا لو كانت تلك خدعة حقاً؟

عدت أنظر إلى السيارة غير المرئية تقريباً تحت الجناح الأسود. كلا. أنا أعرف تلك السيارة.

مع ذلك، كانت يداي لا تزالان ترتجفان بشكل أكبر وأنا أدير المفتاح في الباب. حين أمسكت بالمقبضة لأفحه ألقيت بسهولة تحت يدي. كان العمر حالك العتمة.

أردت أن أقول مرحباً بصوت مرتفع، لكن حلقي كان جافاً. بدا وكأنني بالكاد أستطيع التنفس.

خطوط خطوة نحو الداخل وترددت يدي تبحث عن كبسة الضوء على غير هدى. كان الظلام حالكاً جداً، كما في أعماق المياه. أين هي كبسة الضوء تلك؟

تماماً كما في أعماق المياه المظلمة، حيث اللهب الناري البرتقالي يلتصق على السطح بشكل مستحيل. لا يمكن للهب أن يكون لهباً نارياً، لكن ما الذي عساه...؟ تلمست أصابعي الحائط، لا تزال تبحث، لا تزال ترتعش...

فجأة تردد صدى ما قاله لي جايكوب بعد ظهر هذا اليوم: لقد هربت مختفية في المياه، لمصاصي الدماء اليد الطولى في هذا المجال، لذا هرعت عائداً إلى المنزل، خفت أن تعود إلى هنا سباحة بسرعة مضاعفة.

نجمت أصابع يدي متوقفة عن البحث، وامتد التحمد إلى كل عروفي حمي، وأنا أدرك لماذا لاحظت وجود لون ناروي غريب فوق سطح الماء.

كان شعر فيكتوريا تنفيره الرياح بقوة برتقالياً بلون النار.

لقد كانت هناك تماماً عند العرفاء معي ومع جايكوب. لو لم يكن سام هناك، لو تركنا أنا وجايكوب وحيدين لمصيرنا...؟ عجزت عن التنفس أو الحراك.

أضيء النور مع أن يدي لم تستطيعا إيجاد الكبسة.

أخافني النور المفاجئ، ورأيت أن أحداً كان هناك بانتظاري.

## الزائر

بهده وشحوب غير طبيعيين وعيثن سوداوين واسعتين مركبتين على وجهي، كان الزائر يتظرني من دون حراك في وسط قاعة الاستقبال جميلاً فوق التصور.

اصطكت ركبتاي للحظة، وكدت أقع أرضاً. ثم رميت بنفسي عليها.

صرخت أرتطم بها بقوة: «آليس، آه، آليس!».

نسيت كم كانت صلبة، بدا الأمر وكأنني أصطدم بحائط إسمتي.

«بيلاً؟»، أتى صرتها مزيجاً من الارتياح والارتباك في آن.

أقفلت ذراعَي أطوقها، أنشقت ما استطعت من رائحة بشرتها. لم تكن تشبه أي شيء آخر، لم تكن رائحة أزهار أو مطيبات أو ليمون أو مك. ما من عطر في العالم أجمع يوازي تلك الرائحة. لم تَهِأ ذاكرتي حقها.

لم ألاحظ متى تحوّلت الشهقات إلى شيء آخر، أدركت فقط أنني كنت أبكي بغصة وبصوت متقطع حين جرّنتي آليس إلى غرفة الجلوس ووضعتني في حضنها. بدوت وكأنني أنكؤم فوق حجر بارد، إنما حجر مقطع بما يتناسب مع جسمي بشكل مريح. كانت نفرك ظهري بوتيرة إغناعية متناغمة، تنتظر أن أعيد السيطرة على نفسي.

انتحبت أقول: «أنا آسفة، لكنني سعيدة جداً لرؤيتك».

«الآيس بيلاً، كل شيء على ما يرام».

واقفتها الرأي وقد شعرت بأنها بدت على ما يرام فعلاً.

تهدأت آليس وقالت بنبرة موهجة، «لقد نسيت كم تفيضين حيوية».

نظرت إليها بعينين تندفق منهما الدموع شلالات. كانت عضلات عنق آليس مشتتجة وهي تتعد عني بشفتين مزومتين بإحكام. كانت عيناها سوداوين كقطعتي فحم.

نفخت وأنا أدرك حقيقة المشكلة، كانت عطشى. وكانت رائحة دمي مثيرة للشبهة. لقد مضى وقت طويل على اضطراري للتفكير بهذا النوع من المسائل. «آسفة».

«الذنب ذنبي. مضى وقت طويل لم أخرج للتقيد. ما كان يجب أن أدع نفسي أعطش إلى هذا الحد. لكنني كنت على عجلة من أمري اليوم». كانت النظرات التي وجهتها إليّ محملة بغضب وتابعت: «بالمناسبة، هلا تودين أن تشرحي لي كيف أنك لا تزالين على قيد الحياة؟».

عمل سؤالها نوعاً ما على تهدئتي فتوقفت عن النحيب. وأدركت حالاً ما الذي يحصل، وسب وجود آليس هنا.

ابتلعت وبقى بصوت مسموع وأنا أسألها: «هل رأيته سقط؟».

ضاعت عيناها تخالفاني القول، «كلا، بل رأيته تقفزين».

لويت شفتي وأنا أحاول التفكير في تفسير لا يبدو جنونياً.

هزت آليس رأسها تقول: «لقد أخبرته أن هذا سيحدث، لكنه لم يصدقني، وظل يقول لي: بيلاً وعدتني». جاء التقليد حقيقياً بشكل مثالي بحيث تجمدت مصعوقة والألم يمزق ضلوعي. وتابعت تنقل كلامه: «آليس لا تنظري في مستقبلها أيضاً، لقد سببنا لها ما يكفي من الضرر».



ومضت تعترف: «لكنني إن كنت لا أنظر، فهذا لا يعني أنني لا أرى. أقسم أنني لم أكن أبقيك تحت المراقبة بيلاً. كل ما في الأمر أنني منسجمة معك... وحين رأيتك تقفز، لم أستطع التفكير، فوجدت نفسي في الطائرة. علمت أنني قد أتاخر كثيراً، لكن لم يكن يعني علي أي شيء. ووصلت إلى هنا أفكر أنني قد أستطيع مساعدة تشارلي بطريقة ما وجلبك». وهزت رأسها بارتباك هذه المرة وقالت بصوت مخنوق «رأيتك تقفز في الماء وأخذت أنتظر أن تظهر، لكنك لم تظهر» ماذا حصل؟ وكيف أمكنك فعل ذلك بشارلي؟ هل فكرت في ما قد يسببه ذلك له؟ وفعل ذلك بأخي؟ هل لديك فكرة ماذا كان إدوارد...؟

قاطعتها عندئذ، حالما ذكرت اسمه. كنت لأدعها تكمل كلامها، حتى بعد أن أدركت سوء فهمها للأمور، لمجرد أن أسمع رنة صوتها، لكنني قاطعتها:

«أليس، لم أكن أنوي الانتحار».

ومفتتي بنظرات مريبة تسأل: «هل تقولين إنك لم تقفز من فوق الصخور».

تغضن جبيني: «بلى، ولكنني... قمت بذلك لأهداف ترفيحية وحسب».

قمت ملامح وجهها.

فأصريت على قولتي: «لقد رأيت بعض أصدقاء جايكوب يقومون بالغطس عن طريق القفز من فوق الصخور، فبدلاً لي الأمر... مسلياً، وكنت أشعر بالملل...».

وانتظرت.

«لم يخطر لي أن العاصفة قد تؤثر على مجرى التيارات المائية، لم أفكر في الواقع بحركة المياه من الأساس».

لم تفتح أليس بكلامي. استطعت أن أرى أنها لا تزال تظن أنني كنت أحاول قتل نفسي. فقررت تغيير مسار تفكيرها، «إن كنت قد رأيتني أفقر، لماذا لم تري جايكوب إذا؟».

أملت برأسها جانباً شاردة الذهن.

تأملت القول: «صحيح أنه من المحتمل أنني كنت سأغرق لو لم يقفز جايكوب وراني في الماء. حسناً، ليس من المحتمل بل من المؤكد أنني كنت سأغرق. لكنه قد قفز فعلاً، وأخرجني وجرتني ربما إلى الشاطئ، مع أنني لم أع هذا الجزء من الأحداث. لا يمكن أن يكون قد بقيت تحت الماء لأكثر من دقيقة واحدة قبل أن ينتشلني، كيف يعقل أنك لم تري ذلك؟».

قطبت محارة: «أحدهم انتشلك من الماء؟».

«أجل، لقد أنقذ جايكوب حياتي».

راقبت بفصول بينما تجتاح وجهها مجموعة من المشاعر الغامضة. شيء ما كان يزعجها، أهي رؤيتها لمشوشة للأمور؟ ثم انحنت متعمدة أن تُشَمَّ كفتي.

تصألت.

تعمت تقول وهي تمعن في شيء: «لا تكوني مخيفة».

«ما الذي تفعلينه؟».

تجاهلت سؤالي ووجهت إلي سؤالاً: «من الذي كان معك للتو؟ بدا وكأنكما تتجادلان».

«إنه جايكوب بلاك. وهو أفضل أصدقائي على ما أظن. إنه على الأقل...». فكرت في ملامح وجه جايكوب الغاضبة المطعونة بالخيانة، وتساءلت ما الذي يعنيه بالنسبة لي. أرمات أليس تبدو متهمكة.

قالت: «لا أعلم، لست واثقة مما يعنيه هذا».  
«حسناً، لست مينة على الأقل».

قلبت عينها تقول: «كان من الحماسة بحيث يعتقد أنك ستفعل بمفردك. لم يسبق لي أن رأيت مثل هكذا حماقة تعرض حياة الآخرين للخطر».

أشرت إليها بالقول: «لقد نجوت».

كانت تفكر في أمر آخر: «إن كان التيار يمثل هذه القوة بالنسبة لك، فكيف نجح جايكوب ذاك في إنقاذك؟».  
«جايكوب رجل قوي».

سمعت التردد في صوتي فرفعت حاجبيها.

عضضت داخل شفتي للحظة. أكان ذلك سراً أم لا؟ وأني على  
كذلك، فلمن أدين بالجميل الأكبر؟ لجايكوب أم لآليس؟

توصلت إلى شجة ملأها ألم بصعب إيجاد الإجابة.  
جايكوب يعلم كل شيء، فلم أمتنع ذلك عن آليس؟  
واعترفت في سرعة: «إسمعي إنه من نوع المستحيل. يتحول بنو  
كويل إلى مستنثيين بوجود مصاصي الدماء. هم يعرفون كارلايل منذ  
وقت طويل، فهل كنت مع كارلايل حيث؟».

بهت لون آليس للحظة وبدت عليها سيماء البلاهة لكنها سرعان ما  
استدركت الأمر وطرفت بعينها تنتم: «حسناً، لعل ذلك يفسر  
رائحتك، لكن هل يبرر عدم رؤيتي للأمور؟».

قطبت فمات التجاعيد جبينها الأملس.

كررت أسألها: «أي رائحة؟».

فأجابت شاردة وهي لا تزال مقبضة، «رائحتك فظيعة، مستنث؟  
هل أنت واثقة من ذلك؟».

جفلت حين تذكرت صراخ بول وجايكوب عند قارعة الطريق  
ذلت: «كل الثقة، أعتقد أنك لم تكوني مع كارلايل آخر مرة كان فيها  
مستنثيون هن في فوركس».

«كلا، لم أكن قد وجدته بعد»، كانت آليس لا تزال تائهة في  
أفكارها. اتسعت عيناها فجأة وهي تستدير لتحقق بي بلامح مذهلة،  
«أفضل أصدقائك من المستنثيين؟».  
«أومات بارتباك».

«كم مضى على هذا الأمر؟».

أجبت بلهجة بدت دفاعية، «ليس طويلاً، فجايكوب لم يتحوّل إلى  
مستنث إلا منذ بضعة أسابيع فقط».

نظرت إلي بتجهم تقول: «مستنث يافع؟ هذا أكثر سوءاً! كان  
إدوارد محققاً، أنت عنصر جاذب للخطر. أما كان يجدر بك البقاء بعيدة  
عن المشاكل؟».

تبرمت من نبرتها الناقدة أقول: «لا عيب في المستنثيين».

«لست أعيب من جانب لآخر بحدّة تقول: «إلا حين يفقدون  
أعضائهم، الأمر مشاكلك بيلاً. أي شخص كان يكون بخير حين يغادر  
«مصاصو الدماء البلدة. لكنك بدأت معايشة نوع من الوحوش  
صادقتهم في طريقك».

ما كنت أرغب في مجادلة آليس، وكنت أذكر نفسي بفرح أنها  
كانت هنا حقاً وأناي أستطيع ملامسة بشرتها الرخامية وأسمع رنين صوتها  
الإيقاعي. لكنها كانت تفهم الأمور على نحو خاطئ.

«كلا، آليس، لم يرحل مصاصو الدماء فعلاً، ليس جميعهم بأي  
حال. هما تكمن المشكلة برمتها. لولا وجود المستنثيين، لكانت  
فيكتوريل قد وجدتني الآن. ولولا جايك وأصداؤه لكان لورنت قد قضى  
عليّ قبلها، على ما أظن، لذا...».

هملت بصوت هامس مبحوح: «فيكتوريا؟ لورنت؟»

أومات وقد شعرت ببعض التوتر لما رأيت في عينيها السوداء  
وأشرت إلى صدري أقول: «جاذب الخطر، أتذكرين؟»

هزت رأسها مجدداً: «أخبريني بكل شيء، منذ البداية».

عدت إلى نقطة البداية، أغفلت قصة الدراجات النارية والأصوات  
التي أسمع، لكنني أخبرتها الأحداث بالتفصيل وصولاً إلى حادثة اليوم  
لم يعجب أليس الشرح المقتضب لقصة الضجر والصخور، لذا مارعت  
أخبرها عن اللهب الناري الذي رأيته فوق المياه، وتفسيره له. صفت  
عينها حتى لبدوتا أشبه بشقطين عند سماع هذا الجزء من الحديث  
استغربت رؤيتها بهذه الخطورة وكأنها مصاصة دماء. ابتلعت، يفتي  
بصعوبة وتابعت أخبرها قصة هاري.

استمعت لقصتي من دون مقاطعة. بل كانت تكتفي بهز رأسها بين  
الحين والآخر. أخذ الشق في جبهتها يزداد عمقاً حتى بدا محفوراً بشكري  
أندي في رخام بشرتها. لم تقل شيئاً فصمتت أخيراً بصعقني محدد  
الشعور المستند بالأسى لثوبة هاري. فكرت في نشارلي وأنه سعاد  
سيمود للمزل. بأي حالة سيكون؟

تمتعت أليس تقول: «لم يكن لرحيلنا أي نفع، أليس كذلك؟».

أطلقت ضحكة يتيمة، فبدت هستيرية بشكل طفيف. «مع أن ذلك  
لم يكن الهدف من رحيلكم مطلقاً، أليس كذلك؟ أنتم لم ترحلوا  
لمصلحتي وحسب؟».

عبست وتقلب جبينها غضباً وهي تنظر في الأرض للحظة وتقول:  
«حسناً... أظنني تصرفت باندفاع، من دون تريت اليوم، ما كان يجدر  
بي التطفل ربما».

شعرت بالدماء تجف من عروق وجهي، ومعدتي تنقبض: «لا  
تذهبي أليس». كانت أصابعي تطبق بإحكام على طوق قميصها وقد

أخذت أتعرق وأنا أضيف، «لا تركبني، أرجوك».

ازدادت عينها اتساعاً وقالت كل كلمة بإصرار: «لا بأس. لن  
أذهب إلى أي مكان الليلة. خذي نفساً عميقاً».

حاولت أن أطيعها مع أنني كنت فقدت الإحساس برتي.

نامت وحبتي بينما أركز على نفسي. وانتظرت. إلى أن أصبحت  
أكثر هدوءاً لنقول تعليقاً على حالتي، «تبدلين بحالة سيئة بيلاً».

ذكرتها، «لقد غرقت اليوم».

«الأمور أبعد من ذلك. وضعك مزراً».

جفلت، «إسمعي، أنا أبذل ما بوسعي».

«ماذا تقصدين؟».

«لم يكن الأمر سهلاً، لا أزال أعمل عليه».

عبست، وحذت نفسها: «لقد قلت له ذلك».

تشهدت: «ما الذي كنت تتوقعين رؤيته أليس؟ أعني إضافة إلى  
إيجادي ميتة؟ هل توقعت أن أكون تخطيت الأمر ومضيت في حياتي؟  
تعرفيتي على نحو أفضل».

«كلا، لكن كان يحدوني الأمل».

«لا أظنني حقا كثيراً إذا».

رداً الهاتف.

فززت على قدمي أقول: «لا بد أنه نشارلي».

أمسكت بيد أليس الحجرية وجرتها إلى المطبخ. لم أكن لأسمع  
لها أن تعجب عن ناظرتي.

رفعت السماعة أقول: «نشارلي؟».

أجاب جايكوب من الطرف الآخر: «بل هذا أنا».

«جايك!».

تفرست آليس بمعالم وجهي المدهشة.

قال جايكوب بجفاء: «أناكد تقط أنك لا تزالين على قيد الحياة»

«أنا بخير، لقد قلت لك إنها ليست...»

«أجل، فهمت إلى اللقاء».

أقبل جايكوب الخط بوجهي.

تنهدت وتركت رأسي يتدلى إلى الوراء وأخذت أهدق في السقف

وأقول: «يسبب هذا بمشكلة كبرى».

ضغطت آليس على يدي تقول: «لا يشعرون بالحماصة لكوني

هنا».

«ليس تماماً. لكن ليس هذا من شأنهم بأي حال».

طوفتني آليس «اراعها تقول» «أنا انني سنعده لآليس» نرفت على

الكلام تتأمل الوضع كأنها تكلم نفسها وقالت: «هناك الكثير من الأمور

التي يجب القيام بها والكثير من العقد التي يجب حلها»

«ما هي الأمور التي يجب القيام بها؟»

بدت ملامحها قلقاً فجأة وهي تقول: «لست وثقة. لكن علي

التحدث إلى كارلايل».

هل سترحلين قريباً؟ شعرت بمعدتي تنقلب.

نوسلت إليها: «هل تستطيعين البقاء؟ أرجوك؟ لقد افتقدتك كثيراً»

لم تكن عيناها سعيدتين وهي تقول: «إن كنت تظننيها فكية

جيلة».

«أجل، أضفها فكية رائعة يمكنك البقاء هنا، سيحب لشارلي

الفكرة».

«الذي منزلي بيلاً».

أودت أشعر بالخيبة إنما بالاستسلام لرغبتها ترددت وهي

تفحصني.

«طيب، سأبقى لكني سأحضر بعض الملابس على الأقل».

طوقتها بلذراعي أقول: «أنت الأفضل آليس».

وأضافت بصوت مخنوق: «كما أعتقد أنني بحاجة إلى الصيد،

وفوراً».

تراجعت خطوة للوراء أقول: «آسفة».

سألتني بنبرة مشككة: «هل يمكنك البقاء بعيدة عن المشاكل لساعة

واحدة؟» ثم وقبل أن أتمكن من الإجابة، رفعت إصبعها وأغمضت

عينيها.

كان وجهها ناعماً خالياً للحظة من أي تعبير.

عادت تفتح عينيها وتجيب عن السؤال الذي طرخته بالقول:

«أجل، ستكونين بخير، لهذه الليلة على أي حال».

تغضض وجهها وتلوى لكنها بدت كالملاك مع ذلك.

سألتني بنبرة استجداء: «هل ستعودين؟».

«بعد ساعة واحدة، أعدك».

لظرت إلى الساعة فوق طاولة المطبخ. ضحكت وانحنت فوقي

تقطع قبلة سريعة على وجتي. وتختفي بعدئذ.

أخذت نفساً عميقاً. آليس سوف تعود. فجأة شعرت بنحس أكثر.

كان لدي الكثير لأقوم به فأبقي منشفة بينما أنظر. كان الاستحمام

أولى المهمات المدوجة على قائمة الأعمال. شممت كنفي بينما أخلع

ملاسي استعداداً، لكني ما استطعت شئ شيء سوى رائحة الملح

وأعشاب البحر. وتساءلت عما قصده آليس برائحتي الفظيعة.

حين انتهيت من الاستحمام عدت إلى المطبخ. لم أزل أي إشارات

تدل علي أن لشارلي قد تناول طعاماً مثيراً، ولعله سيكون حاضراً عند

عودته. أخذت أدندن لحناً لا معنى له بينما أتجول في أرجاء المطبخ.



بينما طبق الطعام يدور في المايكروويف حول نفسه، غطيت الأريكة بالشراشف وإحدى الوسادات القديمة. لن تحتاج أليس لذلك لكن فقط من أجل أن يراه تشارلي رؤيته. حرصت على ألا أفسد الساعة. لم يكن هناك سبب يدفعني للقلق، فأليس قد وعدتني.

تناولت طعام العشاء على عجل من دون أن أنذوقه، بل شعرت بالألم الذي يسببه مروره في حلقتي المتجرح. كنت أشعر بالظلمة الشديدة ولا بد أنني شربت نصف خزان من الماء أثناء تناول الطعام. لا بد أن كثرة الملح في جسمي زادت حاجتي إلى الماء.

حاولت مشاهدة التلفاز بينما أنتظر.

كانت أليس هناك، تجلس على سريرها المزعوم بعينين رقيبتين ابتسمت تربت على الوسادة وتقول: «شكراً».

قلت مذهولة، «لقد أبكرت في المعجى».

جلست بقربها وأسندت رأسي إلى كتفها، فطوقتني بذراعها الباردتين تقول: «ما الذي سنفعله بك يلاً؟».

اعترفت أقول: «لا أدري. لقد كنت أبذل قصارى جهدي».

«أصدقك».

وماد الصمت بيتنا.

«هل... هل...؟» أخذت نفساً عميقاً.

كان يصعب التلطف باسمه بصوت مرتفع، مع أنني كنت أستطيع التفكير فيه الآن. «هل يعلم إدوارد أنك هنا؟» لم أمتنع مع نفسي من السؤال. لقد كان ألمي وحدي في النهاية. ووعدت نفسي أن أنعامل معه حين ترحل أشعري، الفكرة بالأسوأ.

«كلا».

هناك طريق وحيدة للتأكد من صحة ما تقول: «ألا يعيش مع يزمي وكارلا يلاً؟».

«يزورهما كل بضعة أشهر».

لا بد أنه يجول مستمتعاً بوقته. قررت مناقشة موضوع أقل خطورة:

«قلت إنك أتيت إلى هنا على متن طائرة، فأين كنت؟».

«في دينالي... أزور عائلة تانيا».

«هل جاسير هنا؟ هل أتى معك؟».

هزت رأسها نفياً. انخفض صونها حتى صار همساً وهي تقول:

«لم يكن موافقاً على تدخلتي... لقد وعدنا...» ثم تغيرت نبرتها

وسألتنى بنبرة تبدو قلقاً: «أعتقد أن تشارلي لن يعارض وجودي

هنا؟».

«يعتقد تشارلي أنك شخص رائع، أليس».

«حسناً، نحن على وشك أن نكتشف».

بالطبع، بعد بضع ثوانٍ، سمعت صوت سيارة الجوال تتوقف في

المرائب. قفزت من مكاني وأسرت لفتح الباب.

كان تشارلي يمشي متاثلاً على مهل، ينظر إلى الأرض وقد تحذب

كتفاه. سرت نحوه ألقاه، لم يلاحظ وجودي إلا بعد أن طوقت خصره

بذراعي. ضمني إليه في المقابل بقوة.

قلت: «أسفة بشأن هاري يا أبي».

«أسفندة حقاً».

«وكيف حال سو؟».

«تبدو مذهولة وكأنها لم تستوعب الأمر بعد. سيبقى سام معها».

كان صوته يعلو ويخفص وهو يهرأسه ويقول: «يا للبلدين

الممكنين. ليا تكبرك بعام واحد فقط، وسيث في الرابعة عشرة من

العمر».

ظلت ذراعاه تطوقاني بقوة بينما نسير نحو الباب مجدداً.

ظننت أنه من الأفضل أن أعلمه بالأمر، فقلت، «أبي؟ لن نبدأ من عندنا».

نظر إلي بذهول. والتفت ينظر من حوله فرأى سيارة المرسيدس على الجهة الأخرى من الشارع، وضوء القنديل يعكس لمعان الذهب الأسود. وقبل أن يتمكن من إبداء أي رد فعل ظهرت آليس عند المدخل.

حينه بصوت خافت تقول: «مرحباً تشارلي، آسفة لقدومي في هذا الوقت السيئ».

استرق النظر إلى الجسم النحيل الواقف أمامه وكأنه يشك في نقوله له عيانه: «آليس كولن؟ أهذا أنت؟».

«أجل، هذه أنا. كنت أمرّ بالجوار».

«هل كارلايل...؟».

«كلا، أنا لوحدي».

كنا نعلم، كلانا أنه لا يقصد السؤال عن كارلايل. اشتدت قبض حول كتفي.

سألته راجية: «هل تستطيع البقاء هنا؟ سبب أن طلبت منها ذلك».

أجاب تشارلي بشكل ألي: «بالطبع نسرنا استضافتك آليس».

«شكراً تشارلي. أعلم أنه وقت عصيب».

«لا بأس بذلك حقاً. سوف أكون مشغولاً لأرى ما الذي قد تحتاجه عائلة هاري. من الجميل أن تحظى بيلاً ببعض الرفقة».

قلت له: «هناك بعض الطعام لك على الطاولة أبي».

«شكراً لك بيلاً». منحني ضمة إضافية قبل أن يتوجه نحو المطبخ.

عادت آليس تجلس على الأريكة وتبعتها. كانت هي هذه المرة من ضمني إليها وأسند رأسي إلى كتفها.

«تبدين متعبة».

هزئت كتفي موافقة: «أجل، هذا ما تفعله بي التجارب التي تكاد تودي بحياتي... إذا ما الذي يظنه كارلايل حيال مجيئك إلى هنا؟».

«إنه لا يعلم. هو وإيزمي كانا في رحلة صيد حين أتيت. سأناكلهم معه حين عودته بعد بضعة أيام».

«لن تقومي بإخباره حين يزورك... أليس كذلك؟» كانت تعلم أنني لا أقصد كارلايل هذه المرة.

قالت آليس بتوجم: «سيقطع رأسي إن فعلت».

أطلقت ضحكة قصيرة ثم تنهدت.

لم أشأ أن أنام. أردت أن أبقى مستيقظة طوال الليل أتحدث إلى آليس. ولم أفهم كثيراً لماذا كنت أشعر بكل هذا التعب لاسيما بعد أن نمت طوال اليوم على الأريكة في منزل جايكوب. لكن حادثة الغرق كانت قد استنفذت كل طاقتي، وما استطعت إيقاظ عيني مفتوحين. استراح رأسي فوق كتفها الحجري وغرقت في نوم أكثر سلاماً مما كنت أتوقع.

استيقظت باكراً في الصباح، من نوم عميق خالٍ من الأحلام وأنا أشعر بأنني حصلت على قسط كافٍ من الراحة، لكن جسمي كان متصلباً. كنت أنام على الأريكة تحت الأغشية التي وضعتها بنفسني من أجل آليس. وقد تمكنت من سماعهما يتحدثان في المطبخ. بدا وكأن تشارلي كان يحضر طعام الفطور.

«ما مدى سوء الأمر تشارلي؟»، سمعتها تسأل بنبرة رقيقة وظننت في البداية أنهما يتحدثان عن عائلة كليرووتر.

تنهد تشارلي يقول، «الأمور سيئة فعلاً».

«أخبرني عنها. أود أن أعرف ما حدث بالضبط بعد ورحيلنا».

ماد الصمت لفترة قصيرة بينما أغلقت الخزانة وبدأ الذي على  
بصفر. انقبضت وارتعدت خوفاً.

بدأ تشارلي يقول ببطء: «لم أشعر بأنني مغلوب على أمري هي  
قط. لم أعلم ما الذي ينبغي فعله في البداية. ففي الأسبوع الأول فكرت  
أن أرسلها للمستشفى للمعالجة. لم تكن تأكل أو تشرب أو تتحرك  
اعتبر الدكتور غير اندي أنها تمر في حالة خبل وسبات عقلي مع تشوش  
واحتاج لكتي لم أسمع له بمعايتها، خشيت أن يخفيها ذلك».

«لكنها تخلصت من هذه الحالة بسرعة مع ذلك»

«أرسلت وراء رينيه لتأخذها إلى فلوريدا. لم أشأ أن أكون... إن  
وجب إدخالها للمستشفى. تمنيت أن يساعدني وحدها مع أمي. لكن  
حين بدأت توحش أعزبتها، استيقظت تريد الثأر. لم أزل في منزلي  
هذه الحالة من قبل. لم تكن من النوع الذي يتصاف بتوكلت  
لكنها كانت تشتعل غضباً. أحبت ترمي ملابسها في كل اتجاه. نظرت  
قائلة إنه لا يمكن لها إيجارها على الرحيل وانتهى بها الأمر بالكلية  
طلبت أن تلك ستكون نقطة التحول. ولم أجد لها شيئاً رغبتنا في لقاء  
هنا. وظهر بداية أنها تتحسن»

حمل تشارلي. كان يصعب عنني الاستماع إليه وأنا أدرك مدى  
الأذى الذي سببه له.

سارعت آليس تقول: «ولكن؟»

«عادت إلى المدرسة والعمل، وكانت تأكل وتشرب وتقوم  
بفروضها المدرسية، وتجيئ حين يوجه أحدهم إليها سؤالاً مباشراً.  
لكنها كانت... فارغة، خاوية من أي مضمون. كان هناك العديد من  
الأشياء البسيطة الأخرى، إذ لم تعد تستمع للموسيقى، وجدت مجموعة  
من الأقراص المدمجة مرمية في سلة المهملات. لم تكن تقرأ ولم تكن  
لتتراجد في الغرفة ذاتها حيث التلفاز من دون أن يعني ذلك أنها كانت

تجنب كثيراً مشاهدته من قبل. وقد تصورت في النهاية أنها كانت تتجنب  
كل ما يذكرها به..»

بالكاد كنا نتحدث، وكنت كثيراً ما أفلت حبال قول أي شيء  
يرعجها، إذ كانت تعجز لأبسط الأمور ولم تكن تتطوع للقيام بأي  
شيء. كانت تجيب فقط إذا طرحت عليها سؤالاً. كانت وحيدة طوال  
لوقت، لم تعد تتصل بأصدقائها وبعد فترة توقفوا عن الاتصال بها  
أيضاً...

كان ليل الأمور بحبيبتنا لا تزال السبعين تصرخ في  
نومها...

استطعت وزينته يرتعد للدكتور وسرت رعدة في أومسلي كدنت  
وتنهيت. لم أجدعه مطلقاً من البداية للحظة واحدة

قالت آليس بوحوم: «أسفة جداً تشارلي»

«اللب آليس ذيك أنت. لطفاً كنت صديقة جيدة باسمه بها»  
كانت حادثة تطوي على تحمله المسؤولية لأحدهم

«لكنها قد رحلت أفضل اليوم»

«ليس منذ بدأت نخرج مع جاكوب تلك لاحظت تحسناً ملموساً  
كثيراً لاحظت وجود بعض اللون في وجهها وبعض نور في عينيها عندما  
نعود إلى المنزل. باتت أكثر معادة».

توقف عن الكلام وكانت نبرته مختلفة عندما عاد يتكلم: «هو  
بصفرها يعام واحد وأعلم أنها تفكر به كصديق، لكنني أظن أن هناك  
تطوراً في العلاقة قليلاً بينهما الآن، أو أن الأمور ذاهبة بهذا الاتجاه».  
كانت لهجة تشارلي أقرب إلى لهجة المحبة. ولم يكن ما قاله تحذيراً  
لآليس بل أراد منها تمرير رسالة لمن يعنيه الأمر. وتابع كلامه بنية  
دفاعية: «جاكوب أكبر مما يدل عليه عمره. فقد اهتم بوالده جسدياً على  
النحو الذي كانت فيه بيلاً ترعى والدتها عاطفياً. فجعله ذلك ناضجاً».

كما أنه وميم يشبه أمه. إنه مناسب ليلاً كما تعلمين».

وافقته آليس الرأي تقول: «من الجيد أنه معنا إذا».

زفر تشارلي كمية كبيرة من الهواء، مبدلاً موقفه باتجاه عدم معارضتها، «حسناً، أظن أن في ذلك بعض المخالفة. لا أعلم. نحن بوجودها مع جايكوب، الملح شيئاً ما في عينيها بين الحين والآخر...» وأساء ما إذا كنت أفهم حقاً مدى الألم الذي تعانيه، الأمر ليس طبيعياً آليس وهو يخيفني، ليس طبيعياً بالمرّة. ليس وكأن أحدهم قد نجس عنها بل كأنها فقدته ميتاً. تكررت نبرة صوته.

بدأ الأمر وكأن أحدهم قد مات، وكأنني قد مت. لأن المسألة كانت أكثر من مجرد خسارة أصدق حب عشته، وكان ذلك لا يكفي لقتل أحدهم. بل المسألة أنني خسرت مستقبلاً بأكمله وعائلة بأكملها. وحياة كاملة اخترت عيشها... .

مضى تشارلي يتكلم بلهجة العاجز: «لا أعلم ما إذا كانت سنخطو المحنة، لست واثقاً ما إذا كانت تلك طريقتهما للشفاء من شيء. فهذا لطالما كانت من النوع الراكد. لا تتجاوز الأمور وتغيّر رأبها».

وافقته آليس بنبرة جافة: «إنها فريدة من نوعها».

تردد تشارلي قبل أن يقول، «آليس... أعلم كم أنت مولعة بها، وأستطيع أن أؤكد لك أنها سعيدة برؤيتك، ولكن... أشعر بنوع من القلق حول ما قد تفعله زيارتك لها».

«وأنا كذلك، تشارلي، أنا كذلك. ما كنت لأتي لو أنني كنت أعلم بذلك. أنا أسفة».

«لا تعتذري عزيزتي، فمن يدري؟ قد يفيدنا ذلك في النهاية».

«أمل أن تكون محقاً».

ساد صمت طويل بينما الشوك تطرق للصحن وتشارلي يمزج طعامه. وتساءلت أين كانت آليس تخفي الطعام.

قال تشارلي بغرابة: «آليس أود أن أطرح عليك سؤالاً».

كانت آليس هادئة وهي تقول: «تفضل».

«هل لن يأتي لزيارتها، آليس كذلك؟». تمكنت من سماع الغضب المكبوت في نبرة صوته.

أجابت آليس بنبرة ناعمة مطمئنة: «هو لا يعرف حتى أنني هنا. آخر مرة تكلمت فيها معه كان في جنوب أميركا».

تصلبت وأنا أستمع للمعلومات الجديدة وأصغيت جيداً.

مهم قاتلاً: «هذا شيء جيد على الأقل، أمل أنه يستمتع بوقته».

اشتمعت رائحة القسوة للمرة الأولى في صوت آليس وهي تقول: «أنا لا أفترض شيئاً تشارلي». كنت أعلم كيف تلتصع عيناها حين تتكلم بتلك النبرة.

سمعت صوت الكرسي يتعد مسرعاً عن الطاولة ويخدش الأرض بخشونة. تصورت تشارلي وقد أنهى طعامه ووقف إذ لم أستطع أن اتخيل آليس محدثة مثل هذا الضجيج. وسمعت صوت المياه منسكباً فوق الصحن. بدأ أنهما لا يقولان المزيد بشأن إدوارد، فقررت أن الوقت قد حان للشهوض من الفراش. تقلبت فوق الأريكة أفتعل ضجيجاً. وتناهت بصوت مسموع. كان الهدوء يخيم على المطبخ. فتمطيت وهممت.

«آليس؟»، أتى السؤال بريشاً بصوتي الأجش وقد أضفى تفرج حنجرتي اللمسة المطلوبة على الكلمة.

«أنا في المطبخ بيلاً». نادتني آليس من دون أن يكون في نبرتها شيء يدل على شكها باستراق السمع لحديثهما، لكنها كانت بارعة بإخفاء مثل تلك الأمور.

اضطر تشارلي بعدئذ للمغادرة، كان يساعد عائلة كليوتر في تحفيزات إجراء الجنائز. كان ليكون يوماً طويلاً من دون وجود آليس



معي، لم نتحدث عن مسألة الرحيل ولم أسألها. كنت أعلم أن لا  
من الأمر لكنني كنت أؤجل التفكير فيه.

تحدثنا بدلاً من ذلك عن أفراد عائلتها إلا واحداً.

كان كارلايل يعمل ليلاً في إيثاكا ويعمل لوقت جزئي في نيس  
إيزمي كانت تعمل على إعادة ترميم منزل من القرن السابع عشر ونفس  
تذكاري تاريخي، في إحدى غابات المدينة الشمالية. إيميت وروزاري  
غادرا إلى أوروبا لتمضية بضعة أشهر عمل أخرى. لكنهما عادا الآن  
جاسبر كان في كورنل كذلك، لدرس الفلسفة هذه المرة. أما آليس  
فكانت تقوم ببعض الأبحاث الخاصة بشأن المعلومات التي أفشيته.  
صدقة الربيع الماضي. لقد نجحت في تفني أثر المكان الذي أمضت فيه  
آخر سنوات حياتها ككائن بشري عادي. الحياة التي لا تملك أي  
ذكريات عنها.

أخبرتني بهدوء: «أدعى ماري آليس براندون، لدي أخت أصغر  
تدعى سينثيا، وابنتها أي ابنة أخي، لا تزال تعيش في يلوكوني».  
«هل وجدت سبب وضعهم لك في ذلك المكان؟» فما الذي قد  
يدفع الأهل للتطرف إلى مثل هذا الحد؟ حتى لو كانت ابتهم بتعسر رؤيتي  
مستقبلة.

اكتفت بهز رأسها، وغرقت عيناها الزرقاوان في التفكير. لم  
أتمكن من إيجاد الكثير عنهم. وقد تفحصت وقرأت كافة الصحف  
القديمة. لم يكن يتم ذكر عائلتي عادةً، إذ لم تكن تنتمي إلى الطبقة  
المشاركة في صنع المناسبات الاجتماعية. لقد تم ذكر خطوبة والدي في  
الصحف كما حفل خطوبة سينثيا. سقط الاسم منها سهواً. كما لم  
إعلان ولادتي ووفاتي، وعشرت على قبري. إضافة إلى أنني اختلست  
النظر إلى أوراق تقديم الطلبات في أرشيف المستشفى القديم. تاريخ  
تقديم الطلب يتوافق مع التاريخ المحفور على قبري.

لم أكن أعلم ماذا أقول، وانتقلت آليس للحديث عن مواضيع أخف  
وطأة بعد برهة.

لقد أعيد لم شمل عائلة كولن الآن، باستثناء فرد واحد يمضي  
فرصة الربيع في كورنل مع تانيا وعائلتها في دينالي. استمعت بشغف  
لأدق تفاصيل الأخبار التي ترويهما على مسمعي. لم تأت على ذكر الخبر  
الانتير إثارة لاهتمامي، وكنت ممتة لذلك. كان يكفيني الاستماع لأخبار  
العائلة التي حلمت يوماً بالانتماء إليها. لم يعد تشارلي إلا بعد حلول  
الظلام، وبدا أكثر إرهافاً من الليلة السابقة. أول ما سيفعله في الصباح  
هو التوجه إلى المقبرة لحضور جنازة هاري، لذا عاد باكراً. ونمت على  
الأريكة جنب آليس مجدداً.

بدا تشارلي أشبه بغريب عند نزوله السلالم قبل شروق الشمس  
مرتدياً بدلة قديمة لم أره يلبسها من قبل. كانت أزرار البدلة مفتوحة،  
فظننت أنها صيقة جداً بحيث لا يمكن إقفال الأزرار. كانت ربطة عنقه  
عريضة نوعاً بما لا يتوافق مع الموضة السائدة. مشى نحو الباب على  
رؤوس أصابعه محاولاً عدم إيقافها. تركته يذهب مدعية الغرق في النوم  
تماماً كما فعلت آليس.

ما إن خرج من الباب حتى جلست آليس. كانت تحت الغطاء  
بكامل أناقتها.

وسألت: «إذاً، ماذا سنفعل اليوم؟».

«لا أعلم، هل ترين شيئاً مثيراً للاهتمام يحصل؟».

ابتسمت تهز رأسها: «لكن الوقت لا يزال مبكراً».

الوقت الذي أمضيته في لا بوش كان يعني إهمال الكثير من  
الاعمال المنزلية وقد قررت إنجاز البعض منها. أردت القيام بشيء ما،  
أي شيء يجعل الحياة أخف وطأة على تشارلي، شيء يجعله ربما يشعر

بحريه من التحسن حين ألمحني لمصر عفيف مرتب وقد سأت من الحمام حيث أبرز علامات الإهمال.

بما كنت أعلم، كنت أليس تكن إلى الفاتمة لحشب إلى جانب الباب تطرح الأسئلة بلا مبالاة حول أصدقائي أو أصدقائنا من المدرسة الثانوية وماذا حل بهم بعد رحيلها. كانت ملامح وجهها عادية خالية من المشاعر، لكنني لاحظت استنكارها عند إدراك ضالة المعلومات التي لدي. أو لعله الإحساس بالذنب الذي ساورني بعد استراق السمع إلى حديثه مع شارلي لأمس.

كنت أمتد إلى مرفقي أفرك أرض مغطس الاستحمام حين رن جرس الباب.

نظرت حالاً إلى أليس فكانت الحيرة تغطي ملامحها حتى أنني لم أقول القلق، وهذا أمر غريب إذ إنها من النوع الذي لا يؤخذ على حين غرة.

«انتظري!»، صرخت باتجاه باب المنزل وأنا أفترق لاسمها.  
قالت أليس وأثر الغضب واضح في صوتها: «... أستطيع أن أخمن تقريباً من قد يكون في الباب، وأظن أنه من الأفضل لي أن أنتحر جانباً».

«تخمين؟»، رددت سؤالي صدى استغرابي. منذ متى وأليس تقوم بتخمين الأمور؟

«إن كان هذا تكرر لقصر نظري الفظيع فعلى الأرجح أن من في الباب هو جايكوب بلاك أو أحد أصدقائه...».

حدثت فيها أجمع قطع الأحجية، وأسأل: «ألا يمكن أن «تري» المستذنبين؟».

تفضن جبينها وهي تجيب: «على ما يبدو». من الواضح أنها كانت مزعجة لهذه الحقيقة، بل في غابة الانزعاج.

رن جرس الباب مجدداً، لمرتين متتاليتين سريعتين تدلان على عدد صبر الطارق.

«ليس عليك أن تدهبي إلى أي مكان أليس، وأنت من قال هذا أولاً».

أطلقت ضحكاتها الرنانة القصيرة التي لم تخلُ من بعض المرارة: «من غير المستحسن وجودنا أنا وجايكوب بلاك في الغرفة ذاتها، نقي بي».

طبعت قبلة سريعة على وجنتي قبل أن نخفي عبر باب شارلي ومن خلال النافذة الخلفية من دون شك.

عاد الجرس يرن.

## الجنابة

عدوت أبط السلاط بأقصى سرعة ممكنة، وفتحت الباب على مصراعيه.

لقد كان جايكوب بالطبع قد تكون آليس متعافية عن الحفنة لكنه ليست غبية.

كان يقف بطوله الفارع بعيداً عن الباب، ساداً أنه بقرف، لكن عند ذلك كانت ملامحه رقيقة وكأنه أشبه بفتاة. لم تخدعني تلك الملامح. استطعت أن أرى يديه ترتجفان.

كانت موجات العدائية تحيط به من كل جانب. وقد أعادت إلى ذهني فترة بعد الظهر البشعة حين فضل سام عليّ، وشعرت بلذتي يرتفع للأعلى كرد دفاعي.

كانت سيارة جايكوب «الرايت» متوقفة عند المنعطف حيث عذرت خلف المقود وإمبري يجلس في المقعد بجانب السائق. كنت أعلم ما يعتنيه ذلك، كانا يخشيان من أن يأتي وحده إلى هنا. أحزنني هذا وأزعجني نوعاً ما. لم تكن عائلة كولن كما يفكرون.

قلت أخيراً عندما لم يتكلم: «أهلاً».

لوى جايك شفتيه وهو لا يزال يقف بعيداً عن الباب. كانت عيناها تلتصمان وهما تتفحصان واجهة المنزل.

اصطكت أسناني: «إنها ليست هنا. هل تريد شيئاً؟».

تردد بسأل: «هل أنت لوجلحك؟».

تهتت أقول: «أجل».

«هل أستطيع التحدث إليك للحظة؟».

«بالطبع تستطيع جايكوب، تفضل».

نظر جايكوب من فوق كتفيه نحو صديقيه في السيارة. لمحت إمبري يهز رأسه بشكل طفيف. لسبب ما أزعجني تصرفه بما لا يوصف.

اصطكت أسناني مجدداً، وتلعثمت أقول في نفسي: «جان».

احترقت عينا جايكوب وهو يلتفت للنظر إليّ بحاجبيه الشخين السوداويين المقوسين بغضب فوق العينين الغائرتين. تشتت عضلات فكي ومشي متجاوزني يدخل من الممر، ليس هناك من كلمات يمكن أن تصف طريقة مشيته.

فعل أن أغلق الباب علقت نظراتي بعيني غارد أولاً وإمبري من بعده. لم تعجيني نظراتهما إليّ. هل يظنان فعلاً أنني سأسمح بأن يصاب جايكوب بأي أذى؟

كان جايكوب لا يزال خلفي في غرفة الاستقبال يتأمل فوضى تشار الأغطية التي تجم المكان.

«حفل للثلاثين؟»، سألني بنبرة هارئة.

أجبت بمستوى الحدة ذاته: «أجل».

لم أكن أحب جايكوب حين يتصرف بهذه الطريقة.

«وما الذي تراه؟».

عاد يسد أنه بقرف، وكأنه يشتم رائحة كريهة.

«أين هي صديقتك؟» استطعت أن ألاحظ المغزى من وراء استعماله لكلمة «صديقتك».

«لديها بعض الأعمال تقوم بها. اسمع، جايكوب، ما الذي تريد؟»

شيء ما في جو الغرفة جعل طابعه أكثر حدة، وكانت ذراعاً ترتجفان. لم يجب على سؤالي. بل سار نحو المطبخ يمشط المكان بعينه الغاضبتين.

تبعت، فوجدته يذرع المساحة الصغيرة.

اعترضت طريقه فتوقف عن السير وأخذ يحدق بي، وسألته: «ما خطبك؟»

«لا أحب وجودي هنا».

لذعتني كلماته.. جففت فتوترت نظرة عينيه.

تمتمت: «إذاً أسفة لأنك اضطرت للمجيء. لماذا لا تخبرني تريد فتمكن من الرحيل؟»

«لدي بضعة أسئلة أطرحها عليك. لا يجدر بالأمر أن يستعزف طويلاً. علينا العودة لمراسم الجنازة».

«حسناً لننه الأمر إذاً». لعلني كنت أبالغ قليلاً بإظهار عداوتي لكني لم أشأ أن أعلم كم أن الأمر مؤلم. كنت أدرك أنني لست مصيفة فقد فضلت مصاصة الدماء عليه الليلة الماضية في النهاية.. كنت أنا من أد أولاً.

أخذ نفساً عميقاً فكفت يداه فجأة عن الارتعاش. ولبست ملامح وجهه قناع الهدوء.

قال ببساطة: «أحد أفراد عائلة كولن يقيم معك هنا».

«أجل، أليس كولن؟».

أوماً مستغرقاً في التفكير، «لكم من الوقت متبقى هنا؟».

كانت نبرة المحارب لا تزال تطبع كلماتي وأنا أقول: «قدر ما تشاء. إنها دعوة مفتوحة».

«هل تظنين أنك تستطيعين... أرجوك هلا تشرحين لها حول وجود الأخرى، فيكتوريا؟».

شحب وجهي. «لقد أخبرتها».

أوماً: «يجب أن تعلمي أننا لا نستطيع سوى مراقبة متطقتنا بوجود أحد أفراد عائلة كولن هنا. لن تكوني بأمان إلا في لا بوش. لم يعد يعني حمايتك».

أجبت بصوت منخفض: «حسناً».

ثم أبعد ناظريه يتطلع من النافذة. لم يتابع كلامه.

«هل هذا كل شيء؟».

لم يشح بناظريه وهو يجيب: «أمر آخر بعد».

انتظرت أن يكمل لكنه لم يفعل، وسألت في النهاية: «ما هو؟».

طرح سؤاله ببرودة وهدوء: «وهل سيعود بقية أفراد عائلة كولن الآن؟».

ذكرتني طريقته تلك بسام الهادئ الطباع على الدوام. كان جايكوب يشبه سام أكثر فأكثر... تساءلت لماذا يضايقتني ذلك إلى هذا الحد؟

لم أقل شيئاً الآن. أخذ ينظر إلى وجهي متفحصاً.

«حسناً؟»، جاهد ليخفي التوتر المتلطي خلف ملامحه الهادئة.

أجبت في النهاية مكروه: «كلا، لن يعودوا».

لم تتغير ملامح وجهه: «حسناً، هذا كل شيء».

حملت به، وقد عادت نار الانزعاج تشتعل من جديد وأنا أقول: «حسناً، انطلق الآن. إذهب وأخبر سام أن الوحوش المخيفة لن تعود تعقبكم».

كره لا يزال هادئاً: «حسناً».

هذا ما بدا الأمر عليه. خرج جايكوب من المطبخ بسرعة. انتظرت



أسمع صوت الباب الأمامي يفتح، لكنني لم أسمع شيئاً. كل ما استطعت سماعه صوت تككات الساعة فوق الموقد، وتعجبت لمدى الهدوء الذي صار عليه.

يا للكارثة. كيف تمكنت من إبعاده عني بهذه السرعة القياسية؟

هل سيغفر لي عندما ترحل أليس؟ ماذا إن لم يفعل؟

تكرمت فوق طاولة المطبخ ودفنت وجهي بين يدي. كيف أفقدت الأمور؟ ماذا كان بوسعي أن أفعل سوى ذلك؟ حتى في أبعد تصوراتي، ما استطعت التفكير في طريقة أفضل أو في مسار أمثل لسير الأمور.

«يالاً...؟»، سألني جايكوب بصوت مشوش.

انتزعت وجهي من بين يدي لأرى جايكوب يقف متردداً في باب المطبخ. لم يكن قد رحل في حين كنت أظنه فعل. رأيت قطرات نقية ملتصقة على راحتي، فادركت حينئذ أنني كنت أبكي. اختفت ملامح جايكوب الهادئة ليصبح وجهه مضطرباً غير واثق. عاد بسرعة ليقف أمامي مباشرة يحني رأسه فتصبح عيناه أقرب إلى مستوى عيني.

«لقد فعلت ذلك مجدداً، أليس كذلك؟»

سألت بصوت متكسر: «فعلت ماذا؟».

«أسف. تكثت برعدي».

تلعثمت أقول: «لا بأس. كنت أنا من بدأ هذه المرة»

تلوى وجهه: «كنت أعلم بمشاعرك حيائهم. ما كان يفترض بالأمر أن يفاجئني إلى هذا الحد».

كنت أستطيع أن أرى الاشتعزاز في عينيه. رغبت أن أشرح له حقيقة أليس، أن أدافع عنها بوجه أحكامه المبرمة ضدها. لكن شيئاً ما حذرني من أنه لم يكن الوقت المناسب لذلك.

لذا اكتفيت بالقول مجدداً: «آسفة».

«وعينا لا نعلق حيال ذلك. اتفقنا؟ إنها تزورك وحسب، أليس كذلك؟ وسترحل، وستعود الأمور لطبيعتها».

«ألا يمكنني أن أكون صديقتكما في وقت واحد؟»، سألته بصوت لا يخفي كل أثر لجرح أشعر به.

هز رأسه ببطء: «كلا، لا أظنك تستطيعين ذلك».

تنشقت الهواء وحدقت في قدميه الكبيرتين: «الكنك منتظرني، أليس كذلك؟ وستظل صديقي مع أنني أحب أليس؟».

لم أرفع نظري إليه مخافة أن أرى ما الذي يظنه حيال الجزء الأخير من الجملة. استغرق الرد دقيقة ليخرج من فمه فظنت أنني أحسنت بعدم النظر إليه.

أجاب بخشونة: «أجل، سأظل صديقك دوماً. لا فرق من تعجين».

«أتعدني بذلك؟».

«أعذك».

شعرت بذراعيه تطوقانني، وألقيت براسي على صدره وأنا لا أزال أتنشق الهواء من أنفي: «هذا محبب».

«أجل». ثم اشم شعري يصدر صوتاً يعبر عن اشمئزاز.

«ما الأمر؟»، رفعت نظري إليه لأرى أنه عاد يسد أنفه من جديد.

«لماذا يفعل بي الجميع هذا؟ ليست رائحتي كريهة».

لاح طيف ابتسامة على ثغره: «بل رائحتك شبيهة برائحتهم. لذبة جداً، لذبة بما يقفز النفس. و... جليدية. وهذا يحرق أنفي».

«حقاً؟»، بدا الأمر غريباً، لأن رائحة أليس كانت رائحة، بالنسبة لأنف إنسان بأي حال: «لكن لماذا تظن أليس كذلك أن رائحتي كريهة؟».

اطاح مزالى بابتسامته: «لعل رائحتي لا تعجبها كذلك».

الفتيت برأسي على صدره مجدداً أقول: «رائحتكما تعجبني».

كنت سأفتقده كثيراً حين يرحل. أردت الاحتفاظ بهما معاً، أردت لأليس أن تبقى للأبد. كنت سأموت، مجازياً، حين ترحل. لكن كيف كان يفترض بي عدم رؤية جايك لمدة من الزمن؟ يا لها من فوضى، فكرت مجدداً. همس جايكوب يردد صدى أفكارى: «أشتاق إليك كل لحظة. أمل أن ترحل قريباً».

«يمكن للأمور أن تكون خلاف ذلك جايك».

تهدد يقول: «بل لا يمكن أن تكون، بيلاً، أنت تحبينها. لذا يستحسن بي ألا أقرب منها. أنا واثق أنني لا أملك أعصاباً قوية تكفي لتحمل ذلك. سيصاب سام بالجنون إن نقضت الاتفاقية، ثم...».

تحوّلت نبرة صوته إلى هازئة وهو يتابع: «إنك لن تحبي على الأرجح أن أقتل صديقك».

انقبضت وابتعدت عنه حين قال ذلك، لكن قبضة ذراعيه اشتدت حول جسمي ترفضان أن تتركاني. «ما من هدف من تغادي الحفيظة هكذا هي الأمور بيلاً».

«لا أحب كيف هي الأمور».

حرر جايكوب إحدى ذراعيه بحيث تتمكن راحة يده البنية الكبيرة احتضان ذقتي يرفع وجهي لأنظر إليه، «كانت الأمور أقل تعقيداً حين كنا مجرد كائنين بشريين عاديين».

تهددت.

حدق أحداً بالآخر لحظة طويلة. كانت يده رقيقة على بشرتي علمت أن وجهي لا يعكس سوى إمارات الحزن، لم أشأ أن أقول له وداعاً الآن، مهما بدا الوقت لنا معاً قصيراً. بدا وجهه في البداية انعكاساً لوجهي لكن ملامحه تغيرت حين لم يشح أحداً بظفريه.

حررتني من بين ذراعيه ورفع يده تتلمّس رؤوس أصابعه وجتني نزولاً إلى فكي، شعرت بأصابعه ترتعش ليس غضباً هذه المرة. ضغطت راحة كفه على وجتني فبات وجهي مسجوناً بين يديه الحارقتين.

همس يقول: «بيلاً».

تجمدت في مكاني.

كلّا! لم أكن قد اتخذت القرار بعد. لم أكن أعلم ما إذا بإمكانني القيام بذلك وقد انتهى وقتي الآن للتفكير. لكنني سأكون حقا ما إذا فكرت أن رفضي له سيأتي من دون عواقب الآن.

حدقت بوجهه في المقابل. لم يكن جايكوب رجلي، لكن يمكن له أن يكون كذلك. كانت ملامح وجهه محبة ومألوفة. كنت أحبه بعدة طرق مختلفة حقيقية، كان مصدر الراحة والأمان. يمكن لي الآن، حالاً، أن أختار الانتماء له.

أليس قد عادت، لكن ذلك لم يغير شيئاً. فالحب الحقيقي قد ضاع للأبد. ما كان الأمير ليعود ويمنحني ثبلة الحياة التي توقفتني من نومي المسحور. ففي النهاية، لم أكن الأميرة. ما هي القواعد التي تضعها القصة لأنواع القبل الأخرى؟ النوع العادي الذي لا يفك أي سحر؟

قد يكون الأمر سهلاً، مشابهاً لللمسة يد أو عناق. قد يبدو الأمر جميلاً. قد لا يظهر بمظهر الخيانة، ثم إنني كنت أخون من؟ أخون نفسي وحسب. أبقى عليه على وجهي، وأنحنى جايكوب فوقني يقترب بوجهه مني. وكنت لا أزال مزعزعة القرار بالمطلق.

رنين الهاتف الحاد جعلنا نقفز، لكنه لم يشتت تركيزه. سحب يده من تحت ذقتي ومدها ليرفع السماعة، مبقياً اليد الأخرى فوق وجتني. وظلت عيناه تسجنانني بنظرات مسمرة. كنت بغاية الارتباك والتشوش لأبدي أي رد فعل أو لاستفيد من لحظات الانشغال.

أجاب جايكوب بصوت منخفض وحاد، «منزل عائلة سوان».

أجاب أحدهم وتغيرت ملامح جايكوب فوراً. استقام في وفن وسقطت يده عن وجتي: حَلَّتْ عيناه من أي تعبير وفرغت ملامح وجهه من أي معنى كنت أستطيع المراهنة بكل المبلغ الزهيد المختصص لأنساط الجامعة أن آليس كانت على الطرف الآخر.

انتشلت نفسي من الذهول ومددت يدي لأخذ الهاتف. فتحير جايكوب تصرفي.

أجاب جايكوب بنبرة مهلدة: «ليس هنا».

كان هناك رد من المتصل بدا أنه طلب لمزيد من المعلومات لأن جايكوب أجاب مرغماً: «إنه يحضر إحدى الجنازات».

أقبل جايكوب الخط، وتمتم همساً: «مصاص دماء مرف».

كانت ملامح الوجه التي التفت إلي مستورة بقناع من المراة.

شهقت غاضبة، «وجه من أفلت الخط؟ في منزلي أنا، مستعداً».

هاتفني؟

«هوني عليك! كان هو من أفلت الخط بوجهي».

«هو؟ ومن هو هذا؟».

اتسمت ملامحه بالمهانة والازدراء وهو يقول: «الدكتور كارلايل».

كولن».

«لماذا لم تسمح لي بالتحدث إليه؟».

أجاب جايكوب ببرودة: «لم يطلب التحدث إليك».

كانت ملامحه رقيقة، خالية من التعابير، لكن يديه كانتا ترتجفان.

«سأل عن مكان تشارلي فأخبرته. لا أظنني خرقت قواعد اللياقات الاجتماعية».

«أصغ إلي جايكوب بلاك...».

لكن من الواضح أنه لم يكن يصغي، إذ نظر من فوق كتفه بسرعة

وكأن أحدهم قد ناداه باسمه من الغرفة المجاورة. اتسعت عيناه وتصلب جسمه وأخذ يرتجف. أصغيت جيداً كذلك لكنني لم أسمع شيئاً.

قال بسرعة: «إلى اللقاء بيلز». وهرع مجتازاً الباب الرئيسي.

ركضت وراءه: «ما الأمر؟».

واصطدمت به، إذ استدار على عقبيه يلعن ويشتم في نفسه. استدار مجدداً مصطدماً بي ثانية. تعثرت وسقطت أرضاً فتشابكت ساقي باقيه.

اعترضت أصرخ فيما هو يحوّر الساق بعد الأخرى.

جاهدت لأرفع نفسي عن الأرض بينما انطلق يعدو نحو الباب الخلفي. يتجمد في مكانه مجدداً.

كانت آليس تقف من دون حراك عند أسفل الدرج.

قالت بنبرة مخنوقة: «بيلز».

استجمعت قوتي ووقفت أهرع لأقف بجانبها. كانت عيناه ذاهلتين بعيدتي الغور ووجهها شاحباً شديد البياض. وكان اضطرابها الداخلي ينعكس ارتعاشاً يضرب جسمها النحيل.

صرخت قائلة، «ما الأمر آليس؟»، وأخذت وجهها بين يدي أحاول تهدئتها. صبت نظرها فجأة عليّ بعينين متسعيتين متألعتين.

كل ما همست به كان: «إدوارد».

تفاعل جسدي مع مفراعات الرد بأسرع مما فعل عقلي. لم أفهم لماذا كانت الغرفة تدور بي أو من أين يأتي الهدير الذي يصم أذني. كان عقلي يعمل بجهد عاجزاً عن فهم ملامح وجه آليس الغريبة وطريقة ارتباطها بإدوارد، في حين كان جسدي يترنح سعياً للارتواء في أحضان الإغماء قبل أن يصعقني الواقع.

انحرقت السلال أمام عيني.

فجأة دوى صوت جايكوب في أذني يطلق سبلاً من الكلام المبتذل. شعرت بنوع غامض من الاستنكار يملأ المكان. من الواضح أن أصدقاءه كانوا يؤثرون عليه سلباً.

كنت ممددة على الأريكة من دون أن أفهم كيف وصلت إليها. كان جايكوب لا يزال يطلق السباب والشتائم. شعرت بوجود هزة أرضية ما. إذ إن الأريكة كانت تتأرجح بي.

طالبها سؤاله: «ما الذي فعلته بها؟»

تجاهلته أليس تقول: «بيلاً؟ بيلاً؟ استفيقي، علينا أن نسرع».

حذرهما جايكوب بالقول: «إبقي بعيدة».

أمرته أليس: «إهدأ جايكوب بلاك. لا تريد حقاً فعل ذلك وأنت قريب منها إلى هذا الحد».

ردّ جايكوب كلامها بحدة، لكنه كان يبدو أكثر هدوءاً هذه المرة «لا أعتقد أنني سأواجه مشكلة في الحفاظ على تركيزي».

أتى صوتي ضعيفاً وأنا أطرح السؤال مع أنني لم أكن أرغب بسماع الإجابة: «أليس؟ ماذا حصل؟»

ولولت تجيب: «لا أعلم. ما الذي يظنه؟!؟»

جاهدت لأجلس على الرغم من الشعور بالدوار. أدركت أنني كنت أتمسك بذراع جايكوب للحفاظ على توازني. وكان هو من يرتجف وليس الأريكة.

عندما رصدت عيناى أليس مجدداً، رأيتها تسحب هاتفاً محمولاً من حقيبتها. تراقصت أصابعها فوق الأرقام بسرعة فأغبشت.

كان وقع كلامها كالسوط وهي تقول عبر الهاتف: «روز، أريد التحدث إلى كارلايل الآن. حسناً حالما يعود. كلا، سأكون على متن الطائرة. إسمعي هل وصلكم أي شيء عن إدوارد؟»

توقفت أليس عن الكلام وأخذت تصغي بملامح يصعقها الدهول بمرور كل لحظة. فتحت فمها بما يدل على سيطرة الرعب وكان الهاتف يرتجف بين أصابعها.

شهقت تقول، «لماذا، لماذا قد تفعلين ذلك روزالي؟»

مهما كان الجواب الذي تلقته، فقد جعل عضلات فكها تنقبضان غضباً. قلحت عيناها شرراً وضائقاً.

«أنت مخطئة في كلا الأمرين مع ذلك روزالي. لذا ستكون تلك مشكلة، ألا تظنّين؟ أجل، هذا صحيح. إنها بخير تماماً. كنت مخطئة... إنها قصة طويلة... لكنك أخطأت في هذا أيضاً؛ لهذا السبب أنصّل... أجل هذا بالضبط ما رأيته».

كان صوت أليس حاداً وهي تقول مكشرة، «لقد تأخرت قليلاً على قول ذلك روز. وفري تمثيل دور الحزن لمن يصدقك». أفقلت أليس الخط يبدى متشجنين.

كان العذاب يملأ عينيها وهي تلتفت إليّ.

سارعت للقول: «أليس. كارلايل قد عاد. لقد اتصل قبل...» ما كنت قادرة على السماح لها بالتكلم. كنت أحتاج لبضع ثوانٍ إضافية قبل أن أدعها تقول شيئاً وقد قضت كلماتها على ما تبقى فيّ من رمق.

حدقت بي بذهول وسألت بنبرة فارغة: «منذ متى؟»

«قبل ظهورك بنصف دقيقة».

كانت بغاية التركيز الآن وهي تنتظر جوابي على سؤالها، «ما الذي قاله؟»

التفت إلى جايكوب أقول: «لم أتحادث إليه».

نقلت أليس نظراتها الخارقة باتجاهه. جفل لكنه حافظ على مكانه بقربي. كان يجلس بطريقة غريبة وكأنه يحاول أن يشكل من جسمه درعاً لحمايتي. وتمتم بحزن: «سأل عن تشارلي فأخبرته أنه ليس هنا».



طالبته آليس بنبرة جليدية: «أهذا كل شيء؟»

ردّ جايكوب بأشمتزاز: «أقلّ الخط برجيبي».

كانت وعشة تسري في أوصاله وتهزني معه.

ذكرته أقول: «قلت له إن تشارلي يحضر الجنائز».

انقضت آليس وعادت تنظر إليّ: «ماذا قال بالضبط؟»

«قال له، 'هو ليس هنا' ونحن سأله كارلايل 'أين هو تشارلي' أجاب جايكوب، 'إنه يحضر الجنائز'».

تأوهت آليس وسقطت على ركبتها.

همست أقول: «قولي لي آليس».

قالت يائسة: «لم يكن كارلايل من اتصل».

كشّر جايكوب عن أنيابه وصاح بها يزجرها: «هل تمنعيني بالكاذب؟»

تجاهلته آليس تصب كامل تركيزها على ملامحي النائية. لم تكن كلماتها سوى همسات مخنوقة: «كان ذلك إدوارد. يظنك ميتة».

عاد عقلي يعمل مجدداً. لم تكن كلماتها تلك هي التي أغشى سماعها. وقد أوضح الارتفاع الذي شعرت به أفكاري.

تنهدت وأنا أسترخي وأسألها: «لقد أخبرته روزالي أنني قتلت نفسي، آليس كذلك؟»

أجابت آليس وقد عادت عنهاها تقدحان شرراً: «أجل».

تابعت وقد خفض الرعب صوتها فخرج همساً: «تدافع عن نفسك بالقول إنها صدقت الأمر... هم يتكلمون على حديسي ورؤيتي للأمور إلى حد بعيد، لاسيما وقد اكتشفت الآن أن هناك خللاً يعتريه. لكن أن تتعقبه وتخبره أألم تدرك... أو نيالي...؟»

وقطعت قائلة: «وعندما اتصل إدوارد بالمنزل ظن أن جايكوب قال له إن تشارلي يحضر جنازتي أنا».

لذعتني معرفتي مدى قربي... لم أكن بعيدة سوى بضع مستمترات عن سماع صوته. حفرت أظافري عميقاً في ذراع جايكوب لكنه لم يشعر أو يجفل.

نظرت إليّ آليس باستغراب تهمس قائلة: «أنت لست حزينّة للأمور».

«حسنًا، كان توقّعت شيئاً، لكن سيتم إصلاح الأمور. حين يتصل في الممرّة المقبلة سيخبره أحدهم... حقاً... ماذا...»

خفت نظراتها الكلمات فعلقت في حنجرتي.

لماذا كانت مرتاعة إلى هذا الحد؟ هل كان وجهها الآن يتلوى شفقة أم رعباً؟ ما الذي قالت لروزالي للتموّ؟ شيء ما يتعلّق بما رأيته... وآخر بحزن روزالي، لكن روزالي لن تشعر بالحزن قط على أي شيء يحدث لي. إلا إذا تعرّض أحد أفراد عائلتها للأذى، إن تعرّض أخوها...

همست آليس تقول: «بيلا، إدوارد لن يتصل مجدداً».

نطقت شفاهي بصمت كل كلمة على حدة: «أنا، لا أفهم».

لم أتمكن من دفع ما يكفي من الهواء لأنطق الكلمات فعلاً بشكل مسموع فتمكن من أن تشرح لي ما قصده بقولها.

«إنه ذاهب إلى إيطاليا».

لم يستغرقني فهم معنى كلامها سوى طريقة عين.

حين عاودني كلام إدوارد الآن لم يكن التقليد المثالي لأوهامي وتخيلاتني، بل كان صدى ذكرياتي ذات النبرة العادية. لكن الكلمات وحدها كانت تكفي لتمزيق قلبي وترك الجراح مفتوحة. كلمات من زمن أراهن فيه بكل ما أملك أو بما أستطيع أن أقترح بأنّه كان يحبني.

حسنًا، ما كنت لأعيش من دونك، قال بينما كنا نشاهد في هذه الغرفة بالتحديد روميو وجولييت يموتان. لم أكن واثقاً كيف أقوم

بذلك... كنت أعلم أن إيميت وجاسبر لن يساعداني مطلقاً... لذا  
كنت أفكر في أنني قد أذهب إلى إيطاليا وأقوم بما قد يثير حفيظة عائلة  
فولتوري... وهؤلاء لا تغضينهم إلا إذا أردت أن تموتي.  
إلا إذا أردت أن تموتي.

«كلا!»، كانت الصرخة المستنكرة من الحدة والقوة بعد الهمس  
بحيث قفزنا جميعاً من مكاننا. شعرت بالدماء تتسارع إلى وجهي إذ  
أدركت ما الذي قد رآته. «كلا! كلا! لا يمكن! لا يمكنه القيام  
بذلك!».

«لقد اتخذ قراره حالما أكد صديقك أن الوقت قد فات على  
إنقاذك».

«لكنه كان هو من... رحل! لم يعد يريدني! فما الفرق الآن؟ كان  
يعلم أنني ساموت يوماً ما!».

أجابني أليس بهدوء: «لا أعتقد أنه فكّر يوماً في أن يعيش بعدك  
لفترة طويلة!».

صرخت: «كيف يجرؤ؟» ففزت واقفة، فوقف جايكوب غير واثق  
بضع نفسه بيني وبين أليس مجدداً.

دفعته بعرفتي أفتح لنفسي طريقاً بعيداً عن جسمه المرتعش وقلت  
بنفاذ صبر، يائسة، «ابتعد عن طريقي جايكوب!».

رجوت أليس قائلة: «ماذا سنفعل؟».

يجب القيام بشيء ما: «ألا يمكننا الاتصال به؟ ألا يمكن لكارلايل  
أن يفعل؟».

هزت رأسها تقول همساً: «كان هذا أول ما حاولت القيام به. لقد  
ترك هاتفه المحمول في سلة النفايات في مكان ما في ريو، أجاب  
أحدهم...».

«لقد قلت لي سابقاً، علينا الإسراع. كيف ذلك؟ لنقم بالأمر مهما

يكن». انغصص صوتها حتى صار همساً وهي تقول بعدم ثقة: «بيلا،  
أنا... أنا لا أعتقد أنني أستطيع أن أطلب منك...».

أمرتها أقول: «أطلب!».

وضعت يديها على كتفي تثبتي في مكاني وأصابعها تمشي بشكل  
متقطع تؤكد كلماتها: «علنا قد تأخرنا. رأيتك يذهب إلى عائلة  
فولتوري... يطلب منهم الموت». انقبض كلانا وشعرت فجأة بأنني ما  
عدت أستطيع أن أرى شيئاً. طرقت باضطراب أبتلع الدموع وهي تقول:  
«الأمر يعتمد على ما يختارون. لا أستطيع أن أرى شيئاً إلا بعد أن  
يتخذوا القرار. لكن إن رفضوا، وقد يفعلون، لأن آرو مونغ بكارلايل  
ولن يقوم بما يسيء إليه، سيلجأ إدوارد إلى خطة بديلة، إنهم يحمون  
مدنيتهم جيداً. وإن قام إدوارد بما يخل بأمنهم يعتقد أنهم سيوقفونه،  
وهو محزن لأنهم سيفعلون».

حدثت بها وقد اشتدت عضلات فكي غضباً وإحباطاً لم أسمع ما  
قد يجعلنا نبقى واقفتين في مكاننا.

«لذا إن وافقوا أن يسدوه هذه الخدمة، نكون قد تأخرنا. وإن  
رفضوا ونفذ خطته البديلة ليسيء إليهم بما يكفي من السرعة، نكون قد  
تأخرنا كذلك. أما إذا استسلم لرغباته التمثيلية... نكون قد حظينا  
ببعض الوقت».

«لنذهب!».

«إسمعي بيلا، سواء حظينا ببعض الوقت أو لا، فسنكون في قلب  
مدينة الفولتوري وسأعتبر شريكته في الجريمة إذا ما نجح في تنقيذ  
مخططه. ولن تكوني سوى كائن بشري، ليس جاهلاً وحسب، بل ذكي  
الرائحة كذلك. ستكون فرصة مؤاتية وسيقضون علينا جميعاً، مع أنه في  
حالتك، لن تشكلي عقاباً قاسياً، لاسيما عند موعد تناول العشاء».

سألتها غير مصدقة: «هل هذا ما نعتنا من الذهاب؟».

قمت بعملية حسابية ذهنية لأعرف كم تبقى من النقود في حسابي وتساءلت ما إذا كانت آليس ترضى إقراضي الباقي، «سأذهب وحدي .. كنت تشعرين بالخوف».

«لست أخاف سوى من إمكانية تعرضك للقتل».

قلت باسمشراز: «أكاد أقتل نفسي يومياً. قل لي ماذا علي أن أفعل».

«تركين ملاحظة لتشارلي. وأنا أتصل بشركة الطيران».

شبهت أقول: «تشارلي».

لم يكن ذلك يعني أن وجودي يحمله ولكن لا يمكنني تركه وحيداً في مواجهة ..

كان صوت جايكوب خشناً منخفضاً وهو يقول: «لن أزع مكروهاً بصيب تشارلي. ولتذهب المعاهدة إلى الجحيم».

نظرت إليه فتجهم لرؤية الرعب على وجهي.

فاضعتني آليس بالحاح، «أسرع بيلاً».

هرعت إلى المطبخ أفتح الأدراج وأرمي محتوياتها أرضاً بحثاً عن قلم. فقدمت لي بد ناعمة بنية البشرة واحداً.

كتبت:

أبي، أنا برفقة آليس إدوارد واقع في ورطة. يمكنك توبيخي حين أعود. أعرف أنه توقيت سيئ. أسفة جداً. أحبك كثيراً بيلاً.

همس جايكوب يقول: «لا تذهبي». كان كل أثر للغضب قد زال بغياب آليس عن ناظريه.

لم أكن أنوي تضييع الوقت في مجادلة جايكوب. فقلت له وأنا أغادر الغرفة: «اهتم بتشارلي أرجوك، أرجوك».

كانت آليس تنتظرنني عند المدخل تعلق حقيبة على كتفيها.

«إجلبي محفظتك، محتاجين لبطاقة الهوية. قل لي رجاءً أن تدرك جواز سفر، فلا وقت لدي لأزور واحداً».

أومات وركضت على السلالم بركبتين واهنتين ممثلة لرغبة أمي بالزواج من فيل على شاطئ المكسيك. وكما باقي خططتها، لم تلقَ هذه طوبىها إلى النجاح. لكن ليس قبل أن أقوم بكافة الترتيبات والإجراءات العملية التي استطعت إليها سبيلاً من أجلها.

عبثت بمحتويات الغرفة. وحشوت حقيبة ظهري قميصاً نظيفاً وسروالاً ووضعت فرشاة أسناني وهرعت عائدة أهبط السلالم. إنشني شعور غريب باللفة مع الوضع. على الأقل، وخلافاً للمرة السابقة، حين غادرت فوركس هرباً من عطش مصاصي الدماء لأعثر عليهم. لم أكن مضطرة اليوم لوداع تشارلي شخصياً.

علق كل من آليس وجايكوب في قبضة المواجهة عند المدخل، يقفان بعيدين بما لا يحمل على الافتراض أن حديثاً ما كان يدور بينهما. بدا أن أحدهما لم يلاحظ عودتي الصاخبة.

كان جايكوب يتهمها بشرة غاضبة. «قد تسكنين من السيطرة على نفسك أحياناً لكن أولئك المتحنيين الذين تقودينها إليهم ..».

كانت آليس تشتعل غيظاً كذلك وهي تنجيب: «أجل، أنت محق أيها الكلب. فقولتوري هم جوهر وجود نوعنا وأساس قشعره بدنك ووقوف كل شعرة فيه عند اشتمام رائحتي. وموضوع كل كوابيسك وحزع غرائذك. لا تنظن أنني لا أدرك ذلك».

صرخ بوجهها، «تقودينها معك كمس بحمل قبينة نبيد إلى حفلة ما».

«أنظن أنها ستكون بحال أفضل هنا بوجود فيكتوريا طلبت في المكان».

«تستطيع أن تدبر أمر حمراء الشعر تلك».

«لماذا لا تزال طليقة تصطاد على هواها؟»

دمدم جايكوب يهدر كالرعد وقد سرت في أوصاله ارتعاده.

صرخت فيهما بنفاد صبر: «كفّا عن ذلك! لتتجدالا حين نعود!  
فلنذهب!»

استدارت آليس متجهة إلى سيارتها واختفت في عجل. أسرع  
خلفها متوقفة بشكل آلي لأقلل الباب ورائي.  
تمسك جايكوب بلذراعي بيلا مرتجفة: «ارجوك بيلا. اني أتوسل  
إليك».

كانت عيناه تلتمعان تحت الدموع. عقلت غصة في حلقها...

«عليّ فعل ذلك جايك...»

«بل ليس عليك فعل أي شيء، حقاً. يمكنك البقاء معي هنا  
يمكنك أن تظلي على قيد الحياة من أجل تشارلي ومن أجلي».

هدر صوت محرك سيارة كارلايل المرمسدس. وتعالى صوت  
الهدير حين أمعنت آليس الضغط على دواسة الوقود بنفاد صبر.

هوّزت رأسي وسيتاي ترشان الدموع شلالات. حررت ذراعي من  
قبضته فلم يمانع.

اختنقت الكلمات في طريقها: «لا تمؤني بيلا. لا تذهبي. لا  
تروحي».

ماذا لو لم أره مجدداً؟

فاقمت الفكرة حدة الدموع الصامته، فخرجت من أعماق قلبي  
شهقة بكاء. طوقت خصره بلذراعيّ أدفن الوجه المبلل دموعاً في صدره.

وضع يده الكبيرة يلامس شعر مؤخرة رأسي وكأنه يريد منعي من  
الرحيل.

سحبت يده ولثمت الراحة الضخمة أعمس: «إلى اللقاء جايك».

أسفة».

لم أحتمل النظر في وجهه.

هرعت إلى السيارة. كان باب المقعد بجانب السائق مفتوحاً ينتظر

قدومي. رميت حقيبتي على المقعد الخلفي من فوق مسند رأس المقعد  
الأمامي ودخلت أصفق الباب ورائي.

أخرجت رأسي من النافذة وصرخت: «إنّبه تشارلي». لكنه كان قد  
اختفى. وبينما ضغطت آليس دواسة الوقود بقوة مجدداً تدير مقدمة  
السيارة باتجاه الطريق أطلقت الإطارات صراخاً شبه إنساني، ولمحت  
خرقة ملابس بيضاء عند حافة الأشجار، وفردة حذاء.



## السياق

أجريت المعاملات الخاصة بركوب الطائرة من دون أن نضيق أي ثانية لبدء رحلة العذاب الحقيقي. كانت الطائرة تركز بثبات على المدرج بينما المضيفات تتجولن بين المقاعد توبتن الحقائق في الحجرات فوق رؤوس الركاب للتأكد من أن كل شيء في مكانه. كان طاقم الطائرة يمدون رؤوسهم من حجرة القيادة يتحدثون مع الركاب المارين. كانت يد ثقيلة على كتفي، تثبتي بينما أرتد في مقعدي إلى الأمام والوراء.

ذكرتني بصوت منخفض: «هذا أفضل من الركض».

كنت أومئ بما يتناغم مع الارتداد.

أخيراً ابتعدت الطائرة بتكاسل عن المدرج. وأخذت سرعتها تزداد بثبات فازداد عذابي أكثر. توقعت أن أشعر بقليل من الراحة عندما وصلت سرعتها إلى ما يرفعها عن الأرض، لكن اضطرابي ونفاد صبري لم ينقصا.

رفعت آيس الهاتف عن ظهر المقعد أمامها قبل أن تصل الطائرة إلى ارتفاع ثابت في الجو، تدير ظهرها للمضيغة التي كانت تنظر إليها باستنكار. شيء ما في ملامح وجهي أوقفها عن الاعتراض.

حاولت أن أفهم ما الذي تقوله آيس همساً لجاسبر. لم أشأ أن أسمع الكلام مجدداً، لكن بعضاً منه تسرب إلى مسامعي.

«لا يعني أن أكون واثقة، أظن أراه يقوم بمختلف الأمور، لكنه لا ينفك يغيّر رأيه... أعمال قتل في أرجاء المدينة، مهاجمة الحراس، ورفع السيارات فوق رأسه في الساحة العامة... إضافة للعديد من القيام بالأمور التي تستفزهم، وهو يعلم أنها الطريقة الأسرع لإستشارة رد فعلهم...».

انخفض صوت آيس حتى بات بالكاد مسموعاً مع أنني لم أكن أبعد عنها سوى بضعة مستترات. فأصغيت لسمعتها تقول: «قل لإيميت لا، حسناً إذهب وراء إيميت وروزالي وأعدهما... فكر في الأمر جاسبر. إذا رأى أيأ منا، ماذا تظن أنه سيفعل؟».

أوبأت تتابع: «بالضبط. أعتقد أن بيلاً هي فرصتنا الوحيدة، إن كان أماننا أي فرصة أصلاً... سأقوم بكل ما يعني فعله... لكن حضر كارلايل للامر، لا أستحسن وجود احتمالات ليست بالحسان».

أردت تضحك ثم توقفت فجأة بغصة. حملت نبرتها الرجاء وهي تقول: «لقد فكرت في ذلك... أجل، أهدك جاسبر. سأخرج بطريقة أو بأخرى... وأحبك».

أقفلت الخط وأسندت رأسها إلى المقعد وأطبقت عينيها تقول: «أكره أن أكذب عليه».

توسلتها أقول: «أخبريني بكل شيء آيس. لا أفهم. لماذا قلت لجاسبر أن يوقف إيميت، لماذا لا يمكن أن يأتي للمساعدة؟».

همست وعيناها لا تزالان مغلقتين، «السببين، الأول ذكرته له، سنحاول أن نوقف إدوارد بنفسينا إذا ما استطاع إيميت العثور عليه قد نتمكن من إيقافه لما يكفي من الوقت لإقناعه بأنك لا زلت على قيد الحياة. لكننا لا نستطيع التقرب من إدوارد متخفيين. وإذا أنا قادمين لإيقافهم فيصرف بشكل أسرع. قد يرمي بسيارة بويك بعرض الحائط. وسيعاقبه الفولتوري لذلك. وهذا هو السبب الثاني بالطبع الذي لم

أستطع قوله لجاسبر، لأنهم إن كانوا هناك، وقتلت عائلة فولتوري أخي.  
ستواجه معهم بيلاً». ثم فتحت عينيه وحدقت بي بنظرات متوسلة: «لو  
وجدت فرصة أمامنا للفوز... لو كان هناك من طريقة أمامنا نحن  
الأربعة لإنقاذ أخي عبر المحاربة من أجله، سيكون الأمر مختلفاً ربما  
لكننا لا نستطيع، ولا يمكنني أن أخسره بهذه الطريقة، بيلاً».

أدركت لماذا كانت عيناها تتوسلاني أن أفهم قصدها. كانت تحمي  
جاسبر على حسابنا وعلى حساب إدوارد كذلك ربما. وقد تفهمتها، ولم  
أظن بها سوءاً، أو مات.

سألته: «ألا يستطيع إدوارد سماعك؟ أَلن يعلم ما إن يقرأ أفكارك  
أني على قيد الحياة وأن لا معنى لكل ما يقوم به؟».

لم أطرح السؤال لأنني كنت أنتظر أي تفسير. بل كنت لا أزال  
عاجزة أن أصدق أن يظهر مثل رد الفعل هذا. إذ لم يكن لما يفعله أي  
معنى! تذكرت بوضوح مزمع كلماته ذلك اليوم على الأريكة بينما كنا  
نشاهد روميو وجوليت يتحران، الواحد لئلا الآخر. لم أكن لأعيش من  
دونك، قال ذلك وكأنها ستكون تلك النهاية الحتمية. لكن الكلمات التي  
تلفظ بها يوم تركني في الغابة محت كل ذلك بالقوة.

أوضحت تقول: «لو أنه يسمعي فقط! لكن صدقي أو لا، يمكن  
الكذب بالفكر». فحتى لو كنت قد متّ فعلاً، كنت سأحاول إيقافه.  
وكنت سأظن أفكر «إنها حية، إنها حية» بقدر ما أستطيع. وهو يدرك  
هذه الحقيقة، صريت أسناني بغضب صامت.

«لو كانت توجد طريقة للقيام بذلك من دونك بيلاً، ما كنت  
عرضت حياتك للخطر. هذا تصرف خاطئ من قبلي».

هزمت رأسي بنفاد صبر: «لا تكوني حمقاء. إنه آخر ما أفلق  
بشانه. أخبريني ما الذي قصده بقولك إنك تكرهين أن تكذبي على  
جاسبر».

ابتسمت وعلى وجهها علامات الخوف: «وعدته بأنني سأخرج من  
هناك قبل أن يقتلوني أنا أيضاً. وهذا ما لا أستطيع أن أضمن  
حصوله... ليس على المدى الطويل». رفعت أحد حاجبيها وكأنها  
تجبرني على التفكير في الأمر بعز يد من الجدية.

سألته همساً: «من هم أولئك الفولتوري؟ ما الذي يجعلهم أكثر  
خطراً من إيميت وجاسبر وروزالي ومنك؟» كان يصعب عليّ أن أتصور  
أمراً أكثر إثارة للخوف من ذلك.

أخذت نفساً عميقاً ورمت نظرة سريعة من فوق كتفي. واستدوت  
في اللحظة ذاتها لأرى رجلاً يجلس في المقعد شيخ ينظره بعيداً وكأنه  
لم يكن يصنني إلينا. بدا أنه ينتمي إلى طبقة رجال الأعمال ببذله  
السوداء وربطة عنقه التي توحى بالسلطة وكومبيوتر شخصي على مكتبه.  
بينما حدثت فيه بانزعاج فتح الكومبيوتر ووضع السماعات على أذنيه  
بشكل لافت للانتباه.

اقتربت من أليس أكثر حتى التصقت شفتاها بأذني وهي تروي  
قصتها بنبرة أقرب إلى النفس.

قالت: «تفاجأت لكونك تعرفت إلى الاسم. وأنت فهمت مباشرة  
ما الذي قصده بقولي إنه كان متوجهاً لإيطاليا. ظننت أنني قد أضطر  
للشرح. لكم أخبرك إدوارد من أمور؟».

«لم يقل سوى أنها عائلة عتيقة قوية، كما لو أنها عائلة ملكية. وأن  
ما من أحد يستفزها إلا إذا أراد أن... يموت». خرجت الكلمة  
مخنوقة.

قالت بصوت أكثر انخفاضاً وكلمات محسوبة، «عليك أن تفهمي،  
إننا نحن عائلة كولن، نتمتع بميزات فريدة من نوعها بأكثر مما تظنين.  
من غير الطبيعي لكثير منا أن يعيش معهم بسلام. والأمر ممثل بالنسبة  
لعائلة تانيا في الشمال. يعتقد كارلايل أن الامتناع عن امتصاص الدماء

يسهل الطريق أمام التحضر وإقامة روابط مبنية على المحبة بدلاً من أن تهدف فقط إلى المصلحة والبقاء على قيد الحياة. حتى أن مجتمع جايمس الثلاثي الصغير كان واسعاً بشكل غريب وقد رأيت كيف نخلي لورنت عنه بسهولة، نزعنا يمضي وحيداً، أو أزوجاً على وجه العموم. عائلة كارلايل هي الأكبر والأوسع انتشاراً على حد علمي، مع استثناء واحد؛ عائلة فولتوري. هناك ثلاث منهم في الأساس، آرو، وكايوس وماركوس.

تلعثمت قائلة: «لقد رأيتهم، في صورة موجودة في مكتب كارلايل».

أومأت أليس: «انضمت إليهم الثلاث من الإناث مع مرور الزمن وتكون الخمسة عائلة. لست واثقة، لكنني أشك في أن عمرهم العديد هو ما يمنحهم القدرة للعيش معاً بسلام. فعددهم يزيد على ثلاثة آلاف عام. أو لعلها قدراتهم الخاصة ما تعطيهم القدرة الإضافية على التحمل. كما إدوارد وأنا، آرو وماركوس...»

أضافت قبل أن تمسك بي السؤال: «أو لعله حب السلطة ما يورث بينهما. الملكية وحسب».

«لكن إن كان هناك خمسة فقط...».

صححت لي تقول: «خمسة يشكلون عائلة واحدة، لا يتضمن ذلك حارسهم».

أخذت نفساً عميقاً: «يبدو ذلك... خطيراً».

أكدت لي تقول: «كان هناك تسعة أعضاء من الحراس الدائمين، هذا آخر ما سمعناه. الباقون كانوا انتقاليين. الأمور تتغير. معظمهم موهوب كذلك، يتمتع بقدرات هائلة، قدرات تجعل ما أستطيع القيام به يبدو خدعة تافهة. الفولتوري اختاروهم لقدراتهم الجسدية أو لقدرات أخرى».

فتحت فمي ثم أطيقتة. لم أعتقد أنني أريد أن أعرف ما الاحتمالات البينة.

أومأت مجدداً وكأنها فهمت بالضبط ما الذي أفكر به تقول: «لا يدخلون في الكثير من المواجهات. ليس هناك من هو أحق بما يكفي للعب معهم. يبقون في مدينتهم ولا يرحلون إلا عند نداء الواجب».

نساءلت أقول: «الواجب؟».

«ألم يخبرك إدوارد عما يفعلون؟»

أجبت ورجعي غالي من أي تعبير: «كلا».

عادت أليس تنظر من فوق رأسي. باتجاه رجل الأعمال ورجعت

تفرزت فمها الجار من أذني.

«لهذا السبب دعوتهم بالأسرة الملكية... لطيفة الحاكم. كانوا على مدى ألفية كاملة، في موقع وضع القواعد، مما يترجم في الواقع معاقبة مقترفي الذنوب. هم ينفذون واجبه بحسب».

اتسمعت عيناوي دهشة. وأنا أسأل بصوت مرتفع جداً: «هل هناك قواعد؟».

«اصمتي!».

همست بغضب: «أما كان يجدر أحدهم ذكر الأمر لي؟ أعني، لقد أردت أن أكون... واحدة منكم! أما كان يجدر أحدهم شرح القواعد لي؟».

أطلقت أليس ضحكة وحيدة على رد فعلي. «ليس الأمر بهذا التعقيد بيلاً، ليس هناك سوى تقييد أساسي وحيد، وإن فكرت في الأمر قد تعرفينه بنفسك».

فكرت في الأمر أقول: «كلا، لا أملك أي فكرة».

هزت رأسها بخيبة أمل وقالت: «لعله أمر بغاية الوضوح. علينا أن نتكلم بشأن وجودنا».

تلعثمت مندهشة. كان الأمر واضحاً.

وتابعت تقول: «إنه أمر منطقي، ولا يحتاج معظمنا لحفظ النظام. لكن بعد مرور بضع قرون، يشعر بعضنا بالملل. أو الجنون. لا أعرف فيتدخل الفولتوري لتسوية الأمر مع البقية». «إذا إدوارد...»  
«يخطط لضرب تلك القواعد بعرض الحائط وفي قلب مدينتهم، المدينة التي أبقوها في انس ثلاثة آلاف عام، منذ زمن أثروري. إنهم يحمون مدينتهم بقوة بحيث لا يسمحون بالصيد داخل جدرانها. لعل فولتيرا أحد أكثر مدن العالم أماناً، من هجوم مصاصي الدماء على الأقل».

«لكنك قلت إنهم لا يغادرون، فكيف يأكلون؟»

«لا يرحلون. بل يجلبون الطعام من الخارج، من أماكن بعيدة جداً أحياناً. هذا يمنح الحرس شيئاً يقومون به حين لا يخرجون لتدمير مستفرد، أو يحمون فولتيرا من التعرض...»

«من حالات كهذه، كإدوارد». أنهت جملتها. ما أذهلني كم بات بسهولة علي قول اسمه الآن، لم أكن أعرف تماماً ما الذي تغير. ربما لأنني لم أكن فعلاً لأعيش طويلاً من دون رؤيته، أو أنني لم أكن أخطط للعيش أبداً إن كان الوقت قد فاتنا. أراحي أن أعرف أن طريق خروجي كان سهلاً.

تمتمت تشعر بالقرف: «أشك أنهم صادفوا وضعاً كهذا. لا يوجد هناك الكثير من مصاصي الدماء الذين يرغبون بالانتحار».

كان الصوت الذي خرج من أعماقي خافتاً لكن أليس علي ما يبدو قد فهمت أنها صرخة ألم. فاحاطت كفتي بذراعها النحيل القوي.  
«سنفعل ما بوسعنا بيلاً. لم يته الأمر بعد».

سمحت لها بأن تهدئ بالي مع أنني كنت أعلم أن فرصنا ضئيلة، ليس بعد. وسوف تقبض عائلة فولتوري علينا إذا عشنا معها».

تصلبت أليس، «تقولين ذلك وكأنه أمر جيد».

هزرت كفتي.

«توقني عن ذلك بيلاً، وإلا عدنا إلى نيويورك مباشرة نحو فوركن».  
«ماذا؟»

«تعرفين أمراً. إن كنا قد تأخرنا على إدوارد، سأفعل ما بوسعني لأعيدك إلى تشارلي، ولا أريدك أن تتورطي في المشاكل. أنفهمين ذلك؟»

«بالطبع أليس».

ابتعدت عني قليلاً بحيث تتمكن من الحلقة بي لتقول: «لا مشاكل».

تمتمت: «أحلف بشرفي الكشفي».

قلبت عينيها.

«دعيني أركز الآن، أحاول أن أرى ما الذي يخطط له».

تركت ذراعيها تطوقاني، لكنها أسندت رأسها إلى ظهر الكرسي وأطبقت عينيها، ضغطت بأصابع يدها الأخرى على صدغيها تفرك مفكرة.

راقبتها بذهول لوقت طويل. أصبحت من دون حراك بالكامل، وصار وجهها كمنحوتة صخرية، مرت دقائق طويلة، ولو لم أكن أعرفها جيداً لظننتها نائمة. ولم أجرؤ على مقاطعتها وسؤالها عما كان يجري.

تمنيت لو أنني أستطيع التفكير في موضوع آمن. لم أكن أستطيع السماح لنفسني التفكير في الأمور المعربة التي بانتظارنا، أو التفكير بالرعب الأكبر من احتمال فشلنا. كل ما أردته هو أن أصرخ بأعلى صوتي.

حتى أنني عجزت عن توقع أي شيء. لعلني إن كنت محظوظة



جداً، جداً جداً، سأتمكن بطريقة ما من إنقاذ إدوارد. لكنني لم أكن مر الغياب بحيث أعتقد أن إنقاذه قد يعني بقايتي معه. فأننا لم أصبح مختلفة، مميزة عما كنت في السابق. ما من سبب مستجد يجعله يريدني الآن سأراه مجدداً، وأخسره مجدداً. . .

جابهت رياح الألم. سيكون ذلك الشمن الذي أدفعه مقابل إنقاذ حياته. وسأدفعه.

كانوا يعرضون فيلماً ماء، وكان الجالس بجاني يضع سماعات على أذنيه. كنت أراقب أحياناً الشخصيات التي تظهر على الشاشة لكنني استطعت أن أميز ما إذا كان فيلماً عاطفياً أو فيلم رعب.

بعد فترة بدت وكأنها الأبدية. أخذت الطائرة تهبط نحو مدينة نيويورك. ظلت أليس تائهة في دھولها. ترددت وأنا أمد يدي لألمسها فعدلت وسحبها تكرر الأمر عشرات المرات قبل أن تلامس الطائرة أرض المطار محدثة خضة كبرى.

قلت أخيراً: «أليس، علينا الذهاب، أليس».

لامست ذراعها

فتحت عينيها ببطء شديد، وأملت برأسها من جهة لأخرى للتحقق سألت بصوت منخفض مدركة وجود الرجل المتنبه لكلامنا: «هل من جديد؟»

تنفست عميقاً تقول بصوت بالكاد سمعته: «ليس تماماً. إنه يقترب، إنه يقرر بشأن كيفية الطلب».

كان علينا أن نهرع للحاق بالطائرة الأخرى، لكن ذلك كان جيداً. أفضل من الانتظار. ما إن أصبحت الطائرة في الجو، أغلقت أليس عينيها وعادت إلى الوضعية السابقة. وانتظرت بقدر ما أوتيت من الصبر. وحين حلت العتمة مجدداً، فتحت النافذة لأحلق في ظلام الخارج الذي لم يكن أفضل من الظلام في الداخل.

شعرت بالامتنان لقيامي على مدى شهور بممارسة تمرين السيطرة على الأفكار. بدلاً من الغرق في احتمالات مثيرة للربح لم أكن أنوي النجاة منها بغض النظر عما قالته أليس، أخذت أفكر في مشاكل أخف وطأة. مثلاً، ما الذي سأفعله لشارلي إن عدت؟ تلك كانت يحد ذاتها مشكلة شائكة تشغلني لعدة ساعات، ثم ماذا عن جايكوب؟ لقد وعد أن ينتظرنني، لكن هل لا يزال لوعده معنى الآن؟ هل سينتهي الأمر بي وحيدة في فوركس، لا أحد معي؟ لعلي لم أرغب بالنجاة مهما حدث. لم تكد تمضي لحظات حتى لامست أليس ذراعي، فأدركت أنني غططت في النوم.

همست لكن صوتها بدا لي مرتفعاً في المكان المظلم المني، بالنيام.

لم أكن مشوشة الذهن، لم يتسن لي الوقت الكافي لأدخل في هذه الحالة.

«ما الخطب؟»

التصمت عينا أليس في ظل الضوء الخافت المتبعث من ورائنا. ابتسمت مكشوفة، «ليس خطباً، بل الأمر صحيح، لقد قلبوا أوجه النظر في المسألة، لكنهم سيرفضون».

سألت مترنحة: «عائلة فولتوري؟»

«بالطبع بلاء، ركزي معي، أستطيع أن أرى ما الذي سيقولونه له».

«أخبريني».

أقرب منا أحد المضيفين على رؤوس أصابعه قائلاً: «هل أحضر لكما سيدتي بعض الوصادات؟». أتى همسه بمشابة تأنيب لحديثنا العالي الصوت نسبياً.

أشرقت ابتسامة أليس الساحرة وهي تقول له: «كلا، شكراً لك».

بدت تعابير المضيف مذهولة وهو يستدير متعشراً إلى الورا.

همست بنبرة صامتة أقول: «أخبريني».

همست تقول في أدبي: «إيهم يهتمون لأمره، يجدونه موهوباً وقد يستفيدون من تلك الموهبة. سيقدمون له عرضاً لينضم إليهم».

«ماذا سيقول لهم؟»

ضحكت مجدداً تقول: «لا أستطيع أن أرى بعد، لكنني أراه أنه سيكون رداً مشرقاً. إنها أولى الأخبار الجيدة، أول مهلة لنا. هم يشعرون أن هذا مستغرب، لا يريدون القضاء عليه فعلياً «مسرف» هذا هو التعبير الذي قد يستعمله آرو وهذا يكفي للإحراج على جعله خلافاً كلما طال الوقت الذي أمضاه على تنفيذ خطته. كان ذلك أفضل لنا»

لم يكن ذلك كافياً لينحني الأمل، لبث في الارتياح الذي كنت تشعر به بوضوح. هناك العديد من الظروف التي قد تجعلنا نتأخر، فيعبر الوقت. وإن لم أتخط جدران «فولتوري» لن أتمكن من منع أليس من إعادتي للديار.

«أليس؟»

«ماذا هناك؟»

«أشعر بالحيرة. كيف ترين بمثل هذا الوضوح الآن؟ في حين أنك في أحيان أخرى ترين للبعد، أشياء لا تحصل؟»

ضائق عيناها واشتدت العضلات المحيطة بهما. تساءلت ما إذا كانت قد علمت بم أفكر.

«الأمر واضح لأنه مباشر وقريب، وأنا أركز عليه فعلاً. الأمور البعيدة تحصل على مسجيتها وتأتي لي لوحدها، هذه مجرد ومضات، ومضات باهتة ممكنة الحصول. ثم إنني أرى الأمور المتعلقة بي بأوضح مما أرى تلك الخاصة بك. أما الأمور المتعلقة بأدوارد فهي أسهل بكثير لأنني متناغمة جداً معه».

ذكرتها: «لكنك ترينني أحياناً في ما تبصرين».

هزت رأسها تقول، «ليس بمثل هذا الوضوح».

أطلقت تنهيدة: «أتمنى لو أنك كنت محقة بشأن الرؤيا المتعلقة بي في البداية، حس رأيت أموراً خاصة بي، قبل أن نلتقي حتى . «ماذا تقصدين؟»

بالكاد أطلقت تنمته الكلمات أقول: «لقد رأيت أنني أصبحت واحدة منكم».

تنهدت بدورها: «كان ذلك احتمالاً قائماً في ذلك الوقت».

كررت أقول: «في ذلك الوقت»

ترددت تقول قبل أن يبدو عليها أنها اتخذت قرارها: «في الواقع بيلاً... أظن صدقاً أن الأمور قد تخطت حدّ التفاهة. إني أفكر في نفسي. في ما إذا أعترك بنفسي».

حدثت فيها وقد صعقتني الصدمة. فقاوم دماغي الكلمات مباشرة.

لم أكن أستطيع أن أحتمل خيبة الأمل في حال بدلت رأيها.

تساءلت تقول: «هل خفت؟ ظننت أن هذا ما تريدته».

شهقت أقول: «أجل، أجل! قومي بذلك الآن أليس! يسعني أن أساعدك كثيراً، ولن أؤخرك، عضيتي».

حذرت تُسكتني. كان المضيف ينظر باتجاهنا مجدداً. فهمست تقول: «حاولي أن تفكري بطريقة عاقلة! لا نملك ما يكفي من الوقت. علينا الوصول إلى فولتيرا غداً. ستلويين ألماً لعدة أيام. ولا أظن أن هذا سيعجب الركاب الآخرين».

عضقت شفتي أقول: «إن لم تفعل ذلك الآن، فستغيرين رأيك».

عيسيت وكانت ملامحها حزينة: «كلا، لا أظنني سأفعل. سيثور غضباً، لكن ما الذي سيتمكن من فعله حيال ذلك؟».

تسارعت دقات قلبي، «لا شيء مطلقاً».

ضحكت بهدوء ثم تنهدت: «أنت تتفني بي كثيراً بيلاً. لست واثقاً من أنني أستطيع ذلك. قد ينتهي بي الأمر إلى قتلك».

«سأغامر».

«أنت في غاية الغرابة، حتى بالنسبة لكائن بشري عادي».

«شكراً لك».

«ليس الأمر سوى فرضية فقط في هذه المرحلة بأي حال. علينا أن نبقى على قيد الحياة حتى الغد رغم الصعاب».

«فكرة مديدة»، كان لدي على الأقل ما يحدوني على الأمل إذا ما نجونا. إذا ما حافظت أليس على وعدا، عفتني، ولم تقتلني. لن أسمح لإدوارد بالابتعاد عني وسألتحق به أينما ذهب، لن أسمح له. لعله حين أصبح جميلة وقوية لن يعود يرغب بالانشغال عني مطلقاً.

حشنتي تقول: «عودي للنوم الآن. سأوقظك إذا ما استجد شيء ما».

تعمت أقول: «طيب»، مع أنني كنت واثقة أن النوم غادر عيني.

سحبت أليس ساقيهما ورفعتهما فوق المقعد تثنيهما وتلف ذراعيهما حوليهما وتسد جبينيهما إلى ركبتيهما. أخذت تترنح إلى الأمام والوراء من دون تركيز.

أسندت رأسي إلى المقعد أراقبها. قامت بإغلاق ستار النافذة لتعجب الضوء الخافت للشرق.

تلمعت أسألها: «ما الذي يحصل؟».

أجابني بهدوء: «لقد قالوا له لا». ثم لاحظت الغياب الفوري للحمامة.

علقت غصة في حلقتي رعباً وأنا أسأل: «ما الذي سيقعله؟».

أبدأ الأمر فوضوياً في البداية. لم أكن أتلقى سوى ومضات، إنه يغير خطه بسرعة».

التي بالسؤال: «أي نوع من الخطط؟».

همست تقول: «كانت ساعة سيئة، لقد قرر الخروج للاصطياد».

نظرت إلي فأدركت أنني لم أفهم.

أوضحت تقول: «في المدينة. انتررب كثيراً، غير رأيه في الدقيقة

الأخيرة».

تلمعت أقول: «لن يرغب بال يخيب أمل كزلايل».

ليس في النهاية.

«هل سيكون أماننا متسع من الوقت؟».

لاحظت بينما أطرح السؤال تغييراً في الضغط في الحجرة. شعرت بالظاهرة توجه نزولاً.

«آمل ذلك... إن أصرت على قراره الأخير ربما».

«وما هو ذلك القرار؟».

«سيبقى الأمر بسيطاً. سيعمد إلى المشي تحت أشعة الشمس

وحسب».

المشي تحت أشعة الشمس فقط. هذا كل شيء».

سيكون ذلك كافياً، كان مشهد إدوارد في السهل مشعاً ملتصعاً، وكأنه مصنع من آلاف قطع الألماس يحرق ذاكرتي لا يمكن لكائن بشري أن ينسى مشهداً كهذا. لا يمكن لعائلة الفولتوري السماح بذلك. ليس إن أرادوا الحفاظ على سرية مدينتهم.

نظرت إلى أشعة الضوء الخافت تناسب من التوافد المفتوحة.

همست والرعب يعلق في حنجرتي: «سوف نتأخر كثيراً».

هزت رأسها تقول: «إنه الآن يعمل إلى اتخاذ القرار الأكثر درامية».

يريد أكبر جمهرة ممكنة من الناس، لذا سيختار الساحة العامة، تحت ساعة البرج. الجدران مرتفعة هناك. سيظهر إلى أن تحتل الشمس قرص السماء».

«إذاً لدينا حتى الظهر».

«إن كنا محظوظين. وإن التزم بقراره».

أتى صوت الطيار عبر جهاز الاتصال الداخلي، معلناً بالفرنسية أولاً ثم بالإنكليزية وشوك هبوط الطائرة. أصدرت أحزمة الأمان صوتاً ورومضت.

«كم تبعد المسافة من فلورنسا إلى فولتيرا؟».

«يعتمد ذلك على السرعة في القيادة... بيلاً؟».

«أجل؟».

رمقتني نظرة متشككة تسأل: «إلى أي مدى تعارضين سرقة السيارات الفخمة؟».

توقفت سيارة بورش صفراء بشكل مفاجئ أمامي. والتمعت أحرف كلمة TURBO المتصلة القضية على ظهرها. وأخذ كل من أفراد الحشود المتجمهرة من حولي على رصيف المطار يحدق بالمشهد.

«أسرع بيلاً!» صرخت آليس بنفاد صبر عبر نافذة الباب المفتوحة بجانب السائق. ركضت نحو الباب ورميت بنفسي إلى الداخل، أسرع وكأنني أردتي جورباً أسود في رأسي.

اعترضت قائلة: «أما كان بإمكانك اختيار سيارة أقل لفتاً للانتباه آليس؟».

كان داخل السيارة من الجلد الأسود وكان الزجاج أسود اللون كذلك. شعرت بأمان أكبر كما عند هبوط الليل.

كانت آليس تخط طريقها بسرعة قصوى مخترة زحمة منطقة المطار

الخائفة، متسللة بين السيارات بينما انقبضت وأخذت أعيت مفتشة على غير هدى عن حزام الأمان.

صححت لي تقول: «السؤال المهم هو ما إذا كان بإمكانني أن أسرق سيارة أسرع. ولا أعتقد ذلك. أنا محظوظة».

«أنا واثقة أنها ستكون قوية ومريحة عند العواقب التي تسد الطريق». رجعت صوت ضحكة عميقة تصيف: «اصدقيني بيلاً، إن وضع لنا أحدهم عائقاً يسد طريقنا ستتجاوز فبصيح وراءنا». وضغطت على دواسة الوقود كأنما لتثبت وجهة نظرها.

لربما كان عليّ أن أراقب من الزجاج بينما تمرّ مشاهد فلورنسا ومن بعدها توسكانة سريعاً من أمام ناظري. كانت تلك رحلتي الأولى إلى أي مكان في العالم والأخيرة ربما. لكن قيادة آليس وطئت الرعب في قلبي على الرغم من أنني كنت أثق بقدراتها وراء المقود. وكان الاضطراب يعذبني مما يمنعني من التمتع بمشاهدة أطلال أو البلدات التي تسبجها الجدران والتي تبدو أشبه بقصور من البعيد.

«هل راودك المزيد من المشاهد؟».

تمتعت آليس تقول: «هناك شيء ما يحصل. نوع من الاحتفال. الشوارع تمتلئ بالناس، وهناك الكثير من الرايات الحمراء. ما هو تاريخ اليوم؟».

لم أكن متأكدة تماماً وأنا أجيب، «أهو التاسع عشر، ربما؟».

«يا له من أمر يشير للسخرية. إنه عيد القديس ماركوس».

«وماذا يعني ذلك؟».

أطلقت ضحكة قاتمة تقول: «تقيم المدينة احتفالاً بالمناسبة كل سنة. وبحسب الأسطورة، فإن أحد المرسلين المسيحيين وهو الأب ماركوس، ماركوس الفولتوري في الواقع، أخرج جميع مصاصي الدماء من فولتيرا منذ ألف وخمسمئة عام. وتقول الرواية إنه استشهد في



رومانيا وهو لا يزال يحاول إبعاد آفة مصاصي الدماء. لا معنى لذلك بالطبع إذ أنه لم يغادر المدينة مطلقاً. لكن من هنا تتبع بعض الخرافات المتعلقة بأمور كالصلبان والثوم. لقد نجح الأب باستعمالها تماماً. وبإعداد مصاصو الدماء يزعمون فولتيرا. فغدا الأمر احتفالاً في المدينة واعترافاً بأهمية الشرطة، ففي النهاية، فولتيرا مدينة آمنة بشكل مدخل وقد حصلت الشرطة على اعتبارها». كانت الابتسامة فوق ثغرها تهكمية عندئذ.

بدأت أدرك ما الذي قصدته بقولها شيئاً للسخرية.

«لن يكونوا سعداء كثيراً إذا عيث إدوارد معهم يوم عيد القديس ماركوس. أليس كذلك؟»

هزت رأسها وكانت ملامح وجهها مليئة بالاشياء وهي تجيب «لا. سيتصرفون بسرعة».

أشجبت بنظري بعيداً، أحارب كي لا تنغرز أسناني في شفتي. لا يكن سيلان الدماء من شفتي بالفكرة السديدة الآن.

كانت الشمس تحتل قرص السماء الزرقاء الباهتة بشكل مخيف. تحققت من صحة الخبر أقول: «هل لا يزال ينوي تنفيذ خطته عند الظهور؟».

«أجل. إنه مصمم على الانتظار. وسيكونون بانتظاره».

«قولي لي ما الذي عليّ فعله؟».

أبقت عينيها على الطريق المتعرجة وكانت الإبرة على لوحة المقاييس تتجه إلى أقصى اليمين مشيرة إلى السرعة القصوى.

«ليس عليك فعل أي شيء. ليس عليه سوى أن يراك قبل أن ينتقل للضوء. وعليه أن يراك قبل أن يراني».

«وكيف مستنجد في القيام بذلك؟».

بدأ أن سيارة حمراء كانت تسرع متجهة للوراء بينما أليس تلتفت حولها.

«سأضعك عند أقرب نقطة ممكنة ثم تركضين بالاتجاه الذي أرشدك إليه».

أومأت.

وأضأت: «حاولي ألا تتعشري. لا وقت لدينا لحصول إرتجاجات اليوم».

زمجرت. وكأنها تتحدث عني تماماً، عن التي تخرب كل شيء وتدمر العالم بأسره في لحظة خرق وإرباك.

ظلت الشمس تتسلق سلم السماء، بينما تسابق أليس خطاها.

كانت الشمس ساطعة جداً وراعتني ذلك. قد لا يشعر بضرورة انتظار فترة التطهير في النهاية.

أشارت أليس إلى مدينة القصر الواقعة عند أعلى نقطة على التل الأقرب، «هناك».

أخذت أحدي وقد شعرت بأولى دلائل نوع جديد من الخوف. بدت كل دقيقة منذ صباح أمس تعود لأسبوع مضى، حين نطقت أليس اسمه عند أسفل السلالم. ولم يتأبني سوى نوع واحد من الخوف. مع ذلك، وبينما أحدي بالجدران المنيعة اللون والأبراج التي تتوج قمة المنحدر، شعرت بنوع آخر من الرعب، أكثر أناقة.

كنت أقترض أن المدينة بغاية الجمال. لقد أرعبتني بالكامل.

أعلنت أليس بشرة جليدية هامة: «فولتيرا».

## فولتيرا

بدأنا نتمسك المنحدر وأصبحت الطريق أكثر اكتظاظاً. بينما نشق طريقنا صعوداً، أصبحت السيارات من التلاصق بحيث عجزت أليس عن اختراقها بجنون. تمهلنا نزحف خلف سيارة ييجو صغيرة. تأوهت أقول: «أليس».

بدأت عقارب الساعة تسرع في دورانها. حاولت تهدئتي بالقول: «إنها الطريق الوحيدة لدخول المدينة». لكن صوتها كان من الضعف بحيث لم يشعرني بالارتياح. تابعت السيارات سيرها إلى الأمام تشق الطريق واحدة تلو الأخرى كانت الشمس تسطع مشرقة على المكان وكأنها قد توسعت مظلة السماء.

زحفت السيارات، سيارة بعد الأخرى نحو المدينة. بينما كنا نقترّب، استطعت أن أرى السيارات تتوقف إلى جانب الطريق، والناس يترجلون منها ليقطعوا ما تبقى من المسافة شياً على الأقدام. طننت بداية أن نغاد الصبر يدفعهم نحو هذا التصرف. وهذا ما أستطيع فهمه بسهولة.

لكننا التفتنا بعدد حول أحد المنعطفات فتمكنت من رؤية المواقف المكتظة بالسيارات، والحشود التي تعبر البوابة. لم يكن يسمح لأحد باجتيازها بسيارته.

همست بالحاح: «أليس».

فقلت: «أعلم». كان وجهها منحوتاً من الجليد.

بما أنني كنت أنظر للخارج الآن وكنا نزحف ببطء يمكننا من الملاحظة، علمت أن الطقس كان شديد الرياح. كان الناس المحتشدون الزاحفون نحو البوابة يتمسكون بقمعاتهم ويذبحون خصلات الشعر عن وجوههم. كانت ملايسهم تتطاير من حولهم. لاحظت كذلك انتشار اللون الأحمر أينما كان. فالقمصان الحمراء والقميعات الحمراء والأعلام الحمراء كانت تتدلى كشرائط طويلة إلى جانبي البوابة تتطاير مع الرياح. ورأيت امرأة قد طار الشال القرمزي الذي كانت تلف به رأسها عنقها بقوة غضب. وأخذ يتلوى مع الريح متمسلاً وكأنه كائن حي. حاولت أن تفتز عن الأرض لتطاله لكنه ظل يرفرف مضطرباً نحو الأعلى كغمامة دماء فوق الجدران الباهتة.

تكلمت أليس بتهرة سريعة حادة تقول: «بيلاً، لا يمكننا أن أرى ما الذي سيقدره الحارس الآن، إن لم ينجح الأمر عليك أن تدخل وحيدة. عليك أن تركضي. استمري في السؤال عن بالازو دي برايبوري والركض بالاتجاه الذي يرشدونك إليه. لا تنهني».

أخذت أعيد الكلمة على مسامعي مراراً وتكراراً كي ترسخ في ذهني «بالازو دي برايبوري، بالازو دي برايبوري».

«أو إسألني عن ساعة البرج، إن كانوا يتكلمون الإنكليزية، سأجول في المكان محاولة إيجاد نقطة معزولة ما خلف المدينة حيث أستطيع أن أتسلق الحائط».

أومأت أقول: «بالازو دي برايبوري».

«سيكون إدوارد تحت ساعة البرج إلى الجهة الشمالية للساحة. هناك زقاق ضيق إلى اليمين. ستجدينه واقفاً في الظلال هناك. عليك أن تتلفت انتباهه قبل أن يمضي إلى بقعة الشمس».

أومات بغضب هذه المرة.

كانت السيارة التي تقودها آليس قد وصلت إلى الخط الأمامي ورأينا رجلاً باللباس الكحلي يوجه أرتال السيارات بعيداً عن الساحة المكتظة بالناس. وكانت السيارات تلتف في نصف دائرة تمود أدرابي لإيجاد مكان تترك فيه إلى جانب الطريق. ثم كان دور آليس.

أشار لها شرطي السير بكسل ولا مبالاة.

زادت آليس السرعة تتخطاه باتجاه البوابة. صرخ يقول شيئاً ما لكنه بقي في مكانه، يلوح بتهيج ليمنع السيارات الأخرى من أن تحذو حذونا السيئ.

كان الرجل الوائف عند البوابة يرتدي زياً مماثلاً. بينما تقترب منه كانت حشود السياح المارين تحذو بفضول في سيارة البورش المتطولة المبهرجة والتي تزجهم على الطريق.

خطا الحارس ليحوسط الطريق، فانحرفت آليس بالسيارة قل أن توقفها. كانت الشمس تشرق ساطعة على زحاج نافذتي وكانت هي في الظلال. مدت يدها بسرعة إلى خلف المقعد وتناولت شيئاً ما من حقيبتها.

دار الشرطي حول السيارة وكانت تعابير وجهه قاسية ودق على الزجاج بغضب.

أنزلت آليس الزجاج نصفه، وراقبت ملامحه الملهولة وهو ينظر إلى الوجه خلف الزجاج الأسود. كانت لكنته ثقيلة وهو يغزل بالإنكليزية: «أعتذر آنتسي، لكن لا يسمح بالمرور إلا للحافلات السياحية اليوم». أنت نبرته معتدرة وكأنه يتمنى لو أنه يحمل أخباراً سارة للشابة الخارقة الجمال.

قالت آليس تطلق ابتسامة مشرقة: «إنها جوة خاصة».

مدت يدها من النافذة إلى ضوء الشمس. تجمدت في مكاني إلى

أن أدركت أنها ترتدي قفازاً بنيّاً يغطي ذراعها حتى مرفقها. أخلت يده التي ما لبثت أن ارتفعت عن الزجاج وسحبها إلى داخل السيارة. وضعت شيئاً ما في راحة اليد الخشنة وثنت الأصابع فوقه.

صعقه الدهول حين أخرج يده ونظر إلى رزمة المال السمكة. ورقة النقد الظاهرة للعيان كانت عبارة عن ألف دولار.

تلثم يقول: «هل هذه مزحة؟».

كانت ابتسامة آليس تعمي الأبصار: «فقط إن كان الأمر يضحكك». حلق فيها بعينين متسعيتين. ونظرت بثوتر إلى الساعة على لوحة القياس أمامنا. إن كان إدوارد لا يزال مصمماً على تنفيذ مهمته، فلم يتبق أمامنا سوى خمس دقائق.

أشارت إليه وهي لا تزال تبسم: «أنا مستعجلة قليلاً».

طرف الحارس مرتين ثم دس المال داخل مشرته. ابتعد خطوة إلى الوراء ولوح مشيراً لنا بالذهاب. بدا أن أحداً من المارة لم يلاحظ التبادل البسيط الذي حصل للتو. تابعت آليس القيادة إلى داخل المدينة وتنهت كلانا بارتياح.

كانت الطريق ضيقة جداً، مرصوفة بحجارة بنية صغيرة تشابه الأبنية الغبراء الباهتة التي تظلل الشارع المعتم. كانت ظلمته توحى بأنه زقاق. كانت الرايات الحمراء تزين الجدران التي لا تبعد عن بعضها سوى بضعة أمتار تضربها الرياح التي تصفر في العمر الضيق.

كان المكان مكتظاً وكانت زحمة المارة تعيق تقدمنا. حثني آليس تقول: «لم يعد المكان بعيداً». وكنت أتمسك بقبضة الباب استعداداً لأرمي بنفسي إلى الخارج ما إن تطلب مني ذلك.

اتخذت القيادة طابع الانطلاق والتوقف السريعين، وكان الناس يلزمون السيارة بقبضات غاضبة مطلقين شائتم سرورت لعدم فهم معناها. انحرفت بالسيارة باتجاه ممر ضيق لا يمكن أن يكون لمرور السيارات،

والدهشة تسود الوجوه المحاطة باللون الأحمر من كل اتجاه. تجهمت ملامح وجه امرأة شقراء وهي تكثر بوجهي محيطة وجهها وغنتها بشال أحمر بدا كما يو أنه جرح تنزف منه الدماء. أحد الأولاد المرفوعين على كتفي أحدهم ضحك بوجهي فكشفت شفاته المفترتين عن ابتسامة مجموعة أنياب مصاصي الدماء الشبيهة بالبالستيك.

دفعني زحمة الجموع الغفيرة بالاتجاه الخاطئ. سررت لوجود الساعة في مكان واضح للعيان وإلا ما استطعت الحفاظ على المسار الصحيح. لكن كلا عقارب الساعة كانتا تشيران نحو الشمس العديمة الرحمة. مع أنني كنت أتخطى مندفعة بين الجموع كنت أعلم أنني قد تأخرت كثيراً. لم أكن قد اجتزت نصف المسافة بعد. لم أكن لأنجح أو أصل في الوقت المناسب. لم أكن سوى حمقاء، بطيئة بشرية وكنا نسوت جميعاً لهذا السبب.

تسببت لو تظهر أليس. تمنيت أن تتمكن من رؤيتي من بين الظلال معلّم أنني فشلت فتعود إلى جاسبر.

أصغيت من فوق أصوات التعجب والدهشة محاولة أن أسمع صوت الاكتشاف، صوت الشهقة أو ربما الصراخ لرؤية أحدهم إدوارد. لكن الحشود كانت قد انشقت ورأيت الطريق تنفتح أمامي. اندفعت بإلحاح نحو المساحة المنفتحة، ولم أدرك إلى أن جرحت ذقني بالحجارة أن هناك نافورة مياه مربعة الشكل تتوسط الساحة.

كدت أصرخ من الفرح والارتياح وأنا أخطو فوق حافة البركة وأشق طريقني في المياه التي تصل إلى مستوى الركبتين. كان رذاذ المياه يعمطني على طول الطريق، وكان الهواء جليدياً على الرغم من الشمس الساطعة. وكانت الرطوبة تحوّل البرد مؤلماً على كافة أنحاء جسمي. لكن النافورة كانت غاية في الاتساع مما مكنتني من اجتياز وسط الساحة في غضون ثوان معدودة. لم أتوقف عند الحافة المقابلة بل استعنت

إذ اضطر الناس للموقوف في مداخل المحال بينما تشق السيارة طريقها بمشقة تاركة أثرها على جانبي الطريق. كان شارع آخر بانتظارنا عند الطرف الآخر، حيث الأبنية أكثر ارتفاعاً تميل نحو بعضها البعض فلا تترك منفذاً لاختراق أشعة الشمس ووصولها إلى الأرض. كادت الأعلام المتدلية من الجانبين تتلامس. كان المكان أكثر اكتظاظاً هنا من أي شارع آخر. أوقفت أليس السيارة وكان الباب قد انفتح قبل أن تتوقف تماماً.

أشارت إلى حيث يفتح الشارع على فسحة مضيئة تقول: «هناك. إننا على الطرف الجنوبي من الساحة، اجتازيها بشكل مستقيم متجهة إلى يمين ساعة البرج. سأجد طريقاً ما...».

علّق الثَّغْرُ في حلقها فجأة فكان صوتها حين تكلمت مجدداً همساً: «إنهم في كل مكان!».

تجمدت في مكاني، لكنني دفعتني خارج السيارة تقول: «لا تأبهي لهم ييلاً، لم يعد لديك سوى دقيقتين، أسرع ييلاً، أسرع!».  
صرخت وهي تندفع خارج السيارة.

لم أصير لأراقب أليس تذوّب بين الظلال. ولم أتوقف لأغلق الباب خلفي كذلك. دفعت جانباً بامرأة سمينة وهرعت راكضة أنظر أمامي لا أعير انتباهاً سوى للحصى الممتدة تحت قدمي. أصبت بالعمى المؤقت لضوء الشمس الساطع لدى خروجي من المعمر المعتم إلى الساحة الرئيسية. صفقتي الهواء وأخذ شعري يتطاير ويدخل عيني ليزيد من حالة نشوش النظر تفاقمًا. لا أعجب أنني لم أدرك الحائط البشري إلا بعد أن اصطدمت به.

لم يكن هناك ممر أو مجرّد شق يفصل الأجساد المتلاصقة أستطيع النفاذ منه. كنت أشقّ طريقني دافعة الأجساد عتي بفضب وأجابه الأيدي التي تدفعني للوراء. سمعت صرخات غضب وانزعاج وألم حتى بينما أشق الطريق بصعوبة لكنني لم أفهم أيّاً منها. كانت غمامة من الغضب



بالجدار القليل الارتفاع للوثوب ورميت بنفسي على الحشود.

صار الجميع أكثر امتعداً الآن للابتعاد من طريقي لتجنب المبهمة الجليدية المتقطرة من ثيابي وأنا أركض. نظرت إلى الساعة مجدداً.

رئين عميق مدوّ سيطر على الساحة، يخبط الحجارة تحت قدمي فأشعر بها تهتز. كان الأولاد يصرخون ويقطون آذانهم، فأخذت أصرخ وأنا أركض.

صرخت بأعلى صوتي: «إدوارد!» وأنا أدرك عدم جدوى الأمر. كان ضجيج الحشود صامداً للأذان، وكان صوتي ضعيفاً قطع التعب أنفاسه. لكنني لم أستطع التوقف عن الصراخ.

دقت الساعة مجدداً. مررت بطفل فوق ذراعي أمه فرايت شعره أبيض تحت أشعة الشمس الساطعة. حلقة من الرجال طوال القدم بالسترات الحمراء الزاهية كانت تطلق التحذيرات بينما أشتق صفوفها عادت ساعة البرج تدق مجدداً.

على الجهة المقابلة لمكان وقوف رجال السترات الحمراء، بانث فسحة بين الحشود، مساحة خالية بين المتفرجين المتجولين حولي على غير هدى. بحثت عينا في الممر الضيق المعتم إلى يمين الساحة الواسعة تحت الساعة. لم أتمكن من رؤية أرض الشارع، كان لا يزال هناك العديد من الناس الذين يسدون الطريق أمامي.

دقت الساعة مجدداً.

بانث الرؤية صعبة الآن. عدم وجود أشخاص من حولي فتح منفذاً أمام الرياح لتلفح وجهي وتحرق عيني. لم أكن متأكدة من أن ذلك كان السبب وراء الدموع التي ملأت عيني أو أنه الشعور بالهزيمة مع سماع الساعة تدق مجدداً.

عائلة صغيرة مؤلفة من أربعة أشخاص كانت تسد مدخل الزقاق الضيق، الفتاتان مكسوتان بالقساطين القرمزية مع شرائط مناسبة تشد شعر

رأسيهما الأسود الفاحم إلى الأعلى. لم يكن الأب طويل القامة بدا لي أنني أستطيع رؤية شيء يلتصق من فوق كتفه بين الظلال. اندفعت نحوهم أحاول أن أرى من وراء الدموع. أخذت الساعة تدق فرفعت الفتاة الصغرى يديها تسد أذنيها.

كانت الفتاة الأكبر سنّاً التي يرتفع رأسها عن خصر أمها بقليل تتأبط ساق والدتها وتحقق في الظلال خلفهم. رأيتها وأنا أراقب تشد مرفق أمها وتشير بإصبعها نحو الظلمة. دقت الساعة مجدداً وكنت قريبة جداً هذه المرة.

قريبة بما يكفي لأسمع الصراخ العالي النبرة. حدق الوالد في يدهشة وأنا أشتق الطريق من خلالهم وأصرخ منادية باسم إدوارد.

قهقت الفتاة الأكبر سنّاً تقول شيئاً ما لأمها وتشير نحو الظلال بنفاد صبر. انحرفت ملتفة حول الأب فأبعدت الفتاة من طريقي وانطلقت كالسهم نحو المساحة المتفرجة خلفهم بينما الساعة تدق من جديد.

صرخت أقول: «إدوارد، لا!». لكن صراخي تاه في زحمة هدير الدقات.

كنت أستطيع رؤيته الآن. وأستطيع أن أرى أنه لا يراني.

نقد كان هو فعلاً، لم أكن أهلوس هذه المرة. عرفت أن أوهامي كانت تعتربها الشوائب أكثر مما كنت أدرك وأنا لم تفه حقه بالمطلق.

تسمر إدوارد في مكانه كالتمثال على بعد بضعة خطوات من أول الزقاق. كانت عينا مغلقتين تحيط بهما حلقات بنفسجية اللون، وذراعه ممدودتين إلى جانبيه باسترخاء وراحته مفتوحتين. كانت ملامح وجهه هادئة للغاية وكأنه يحلم بأشياء حميلة. كان صدره العاري يكشف عن بشرة رخامية وقطعة قماشية تغطي قدميه. الضوء المنعكس من رصيف الساحة يشع باهتاً من بشرته.

لم أشهد شيئاً أكثر جمالاً. أعجبت به على الرغم من أنني كنت

أركض، أشهق، وأصرخ. ولم يعد للأشهر السبعة المنصرمة أي معنى.  
ولم يعد للكلمات في الغاية أي معنى. ولم أعد أكثر ما إذا كان يريدني  
أو لا. لم أكن أريد شيئاً من الدنيا سواه، مهما كانت المدة التي  
سأعيش.

عادت الساعة تدق وخطا خطوة واسعة نحو الضوء.

صرخت: «لا! أنظر إليّ يا إدوارد».

لم يكن يصغي، لاح على ثغره طيف ابتسامة. ورفع قدمه ليتخذ  
الخطوة التي تضعه في دائرة ضوء الشمس مباشرة.

اصطدمت به بكل ما أوتيت من قوة جعلتني أرتد إلى الوراء وآكد  
أقع أرضاً لو لم يمسك بي ويثبتني. انقطعت أنفاسي وارتج رأسي.

فتح عينيه ببطء بينما الساعة تدق مجدداً.

نظر إليّ بدهشة صامتة.

قال بصوت ملؤه العجب والقليل من التسلية: «هذا مذهل. لقد  
كان كارلايل على حق».

حاولت أن أشهن لكن لم يكن صوتي مسموعاً وأنا أقول له:  
«إدوارد، عليك العودة إلى الظلال. عليك أن تتحرك!».

بدا مربكاً مشوش الدهن. مرر يده برقّة فوق وجنتي. بدا أنه لم  
يلاحظ أنني كنت أدفعه للعودة إلى الوراء. لم يكن يتحرك من مكانه  
وكانني كنت أدفع بجدران الأزقة. دقت الساعة مجدداً، لكن دقاتها لم  
تثر فيه أي ردّ فعل.

كان الأمر بغاية الثرابة، كنت أعلم أن خطراً محدقاً يهدّد حياة كلّ  
منا، مع ذلك وفي تلك اللحظة بالذات كنت أشعر بأنني بخير. أشعر  
بأنني كاملة. استطعت أن أشعر بقلبي يخفق بين ضلوعي وبالدم يتدفّق  
حاراً وسريعاً في عروقي. عبأت رثتي حتى الثمالة برائحة بشرته العطرة.

بدا وكأن الحفرة في صدري ما كانت يوماً. كنت كاملة، ليس أنني  
شفيت، بل كأنه لم يكن هناك أي جرح أصلاً.

أغلق عينيه مستغرقاً في التفكير ودسّ شفتيه في شعري يقول: «لا  
أصدق كم كان الأمر سريعاً. لم أشعر بشيء، إنهم طييون جداً».

كان صوته مستساغاً مخملياً وهو يتمتم: «الموت الذي امتص رحيق  
أنفاسك لم يترك أثره على جمالك». أدركت أنها سطور قالها روميو في  
قبره. أعلنت الساعة آخر دقاتها، لكنه تابع قائلاً: «لا تزال رائحتك كما  
كانت دوماً، لم تتغير. لذا لعلة الجحيم. لكن لا يهم. سأقبل به».

قاطعته أقول: «أنا لست ميتة. ولا أنت ميت كذلك. علينا الرحيل  
يا إدوارد. لا يمكن أن يكونوا في مكان بعيد من هنا».

صارعت لأتحرر من بين ذراعيه وتقوس حاجباه بارتباك.

سألني بلهجة: «ما كان ذلك؟».

«لسنا ميتين. ليس بعد! لكن علينا الخروج قبل أن تنصرف عائلة  
فولتوري...».

بدت ملامح الفهم على وجهه. وقبل أن أتمكن من إنهاء حملتي،  
جذبني بسرعة بعيداً عن حافة الظلال، يديرني بسهولة حتى يلتصق  
ظهره بالجدار ويدير ظهره لي وهو ينظر نحو الزقاق. كانت ذراعه  
مفتوحتين أمامي تحمياني.

تسللت من تحت ذراعه لأرى شكلين مظلمين يظهران من بين  
الحشود.

كان صوت إدوارد ناعماً هادئاً في الظاهر وهو يقول: «مرحباً أيها  
السيد، لا أعتقد أنني سأكون بحاجة إلى خدماتكما اليوم، سأفتر لكما  
إرسال تحياتي لمعلميكما».

همس صوت أحد الرجلين مهدداً: «هل لنا أن نتابع حديثنا على  
نحو أكثر ليابة؟».

أتى صوت إدوارد أكثر خشونة الآن وهو يقول: «لا أظن ذلك ضرورياً، أعرف ما هي تعليماتكما يا فيليكس، لم أخرج أي قاعدة».

قال الطيف الآخر بنبرة مهدئة: «لم يكن فيليكس يقصد فقط اقترابك من ضوء الشمس. هيا لنجد مكاناً أكثر ظلاً». كان كلاهما مستراً بعباءة ومادبة تكس أذيالها الأرض وتموج في الريح.

أجاب إدوارد بنبرة جافة: «سألتك بك بيلاً، لماذا لا تعودين إلى الساحة وتستمتعين بمجريات الإحفال؟».

همس الطيف الأول يرمقني بخبث: «كلا، إجلب الفتاة».

كان ادعاء التحضر قد اختفى من صوته وهو يقول: «لا اعتقد ذلك». كانت نبرة إدوارد غفيرة باردة. وكان ينقل وزنه من منق لأخرى، فاستطعت أن أدرك أنه كان يستعد للقتال.

تكررت شفتاي تلتفظان بكلمة «لا».

فتمتم بحيث لا يسمعه أحد سواي يأمرني بأن أصمت.

حذر الطيف الآخر الأكثر هدوءاً يقول: «فيليكس».

والفتت نحو إدوارد يقول: «ليس هنا، آرو يؤذ بسلطة التحدث إليك مجدداً، إذا قررت ألا تجربنا على التدخل في النهاية». وافق إدوارد قائلاً: «بالطبع، لكن هي تذهب طليقة».

أجاب الطيف المهذب بنبرة نادرة: «أعشى أن ذلك ليس ممكناً علينا التقيد بالقواعد».

«أعشى بهذه الحال ألا أتمكن من قبول الدعوة يا ديميتري».

همهم فيليكس يقول: «لأبأس». كانت عينا تقيمان الطيف الداكن اللون، فأدركت أن فيليكس ذاك كان ضخماً جداً ممثلاً وطويل القامة. وذا كتفين عريضتين. ذكرني حجمه الضخم بحجم إيميت، تنهيد ديميتري يقول: «سيخيب ظن آرو».

أجابه إدوارد: «أنا واثق أنه سيتمكن من تخطي خيبة أمله تلك».

تسلل فيليكس وديميتري مقتربين من بداية الزقاق وقد افترق أحدهما عن الآخر قليلاً ليحيطا بإدوارد من كلا الجانبين. قصداً جره بعيداً إلى داخل الزقاق لتفادي لفت الأنظار. لم تكن أشعة الضوء لتجد منفذاً إلى بشرتهما. كانا يشعران بالأمان داخل عباءتهما.

لم يتحرك إدوارد من مكانه قيد أنملة. كان يحكم على نفسه بالموت وهو يرقم بحمايتي.

فجأة أمال إدوارد برأسه جانباً نحو ظلمة الزقاق الذي تعصف فيه الريح، وقام ديميتري وفيليكس بالمثل استجابة لصوت أو حركة حائبتين عن أحاسيسي التي تتخذ طابعاً بشرياً.

هزج أحدهم مقترحاً: «هلا أحسنا التصرف؟ هناك سيدت في المكان».

اقتربت أليس بخفة لتقف بجانب إدوارد، تتخذ وضعية متهاونة.

لم يكن يبدو عليها أي أثر للتوتر. بدت نحيلة للغاية، هشة للغاية. وتأرجحت ذراعها بشكل طفولي.

استقام مع ذلك كل من ديميتري وفيليكس في وقفتهما تأهباً. وقد لوحّت نسمة الهواء القادمة بين جدران الزقاق عباءتهما. وتجهّم وجه فيليكس. من الواضح أن وجود سيدتين في المكان لم يعجبهما.

ذكرتهما تقول: «نحن لسنا وحدنا هنا».

نظر ديميتري من فوق كتفه باتجاه الساحة حيث العائلة الصغيرة والفتاتان بالفساتين الحمراء يراقبوننا. كانت الزوجة تتحدث بنبرة ملحة إلى زوجها مسرّة عينها على الخمسة المجتمعين. أشاحت بنظرها بعيداً حين تشابكت نظراتها مع نظرات ديميتري. ابتعد الرجل بضع خطوات نحو الساحة ورت على كتف أحد الرجال المغلف بالسرة الحمراء.

هز ديميتري رأسه يقول: «أرجوك يا إدوارد، لكن واقمين».  
وافق إدوارد يقول: «لنفعل، وسترحل بهدوء الآن، ليس هناك  
تصرف أكثر حكمة من هذا».

تنهد ديميتري محبطاً يقول: «دعنا على الأقل نناقش الأمر على  
حدة».

انضم ستة رجال باللباس الأحمر إلى أفراد العائلة يراقبوننا بعلاميح  
قلقة. كنت أعني تماماً الوضعية الدفاعية التي كان إدوارد يتخذها بوقوفه  
أمامي. وكنت واثقة أن هذا ما يشير حقيقته، أردت أن أصرخ وأمرهم  
بالهرب. اصطكت أسنان إدوارد بشكل مسموع وهو يقول: «لا».

ابتسم فيليكس،

«كفى».

جاء الصوت من خلفنا مرتفعاً زاجراً.

استرقت النظر من تحت ذراع إدوارد الأخرى لأرى شيئاً أسود  
قائماً نحونا. عرفت من طريقة انتفاخ العباءة التي يملأها الهواء أنه واحد  
منهم كذلك. ومن عساه يكون سوى ذلك؟

ظننته في البداية شاباً يافعاً. كان القادم الجديد بنحور أليس ذا شعر  
بني فاتح قصير. وكان الجسم الذي تحيط به الشاة الأقمم لوناً، تاحلاً  
مختلاً. لكن معالم الوجه كانت من الوسامة بحيث يصعب أن تعود  
لصبي. فالسحنة الوادعة العينين، الممتلئة الشفتين تجعل أجمل الملائكة  
تبدو عجبية الهيئة، على الرغم من لون الحدة الأحمر الباهت.

كان حجم الشخص الذي ظهر علينا تافهاً بحيث ارتبكت لرد الفعل  
الذي لحق ظهوره. استرخى كل من ديميتري وفيليكس على الفور  
وتراجعا خطوة إلى الوراء متخليين عن وضعيتهما الهجومية ليمتزجا  
مجدداً بظلال الجدران الشاهقة.

إدوارد كذلك أنزل ذراعه وتهلّل في وقفته إنما استسلاماً.

تنهد بتقدير وتسليم يقول: «جاين».

ثنت أليس ذراعها فوق صدرها، دون أن تعكس ملامح وجهها أي  
علامة للانفعال أو التأثير.

تكلمت جاين بصوت طفولي رتيب تقول: «اتبعوني». وأدارت  
ظهرها ومشت بهدوء في الظلام.

أشار فيليكس لنا بالتقدم أولاً، وهو يتشم مغتبطاً بنفسه.  
أليس تبعت جاين الصغيرة فوراً. أما إدوارد فلفت ذراعه حول  
خصري بإحكام وجرتني يسير وراءهما. انحرف العمر نزولاً وقد ضاق  
قليلاً. رفعت نظري إليه وفي عيني أسئلة غاضبة، لكنه اكتفى بهز رأسه.  
مع أنني لم أكن أسمع وقع خطوات كنت متأكدة أنها خلفنا.

سأل إدوارد بنبرة عادية بينما نمشي: «حسناً أليس، أفترض أنه لا  
يجدر بي أن أفتاجاً لوجودك هنا».

أجاب أليس بالنبرة ذاتها: «الذنب ذنبي. كان من واجبي وضع  
الأمور على السكة الصحيحة».

«ماذا حصل؟» جاءت نبرة صوته لائقة وكأنه بالكاد يهتم بما  
يجري. تصورت أن سبب ذلك وجود الأذان الصاغية خلفنا.

التمعت عينا أليس وهما تنظران نحوي ثم إلى البعيد وهي تقول:  
«إنها قصة يطول شرحها. باختصار، قفزت بيلاً من فوق الصخور، لم  
تكن تحاول قتل نفسها بل تجربة نوع من الرياضات الخطرة التي باتت  
نحبها مؤخراً».

احمر وجهي ونظرت عيناى أمامنا مباشرة تتيامن الطيف الأسود  
الذي لم أعد أراه. استطعت أن أتخيل ما الأفكار التي تتناهى إليه من  
أليس الآن. الاقتراب من حافة الغرق، مصاصو دماء يتبخثرون،  
وأصدقاء مستذنبون...

همهم إدوارد باقتضاب وقد اختفت النبرة الهادئة من صوته.



كان هناك منعطف يؤدي إلى زقاق آخر والأرض لا تزال في انحدار  
لذا لم ألاحظ أن الطريق غير ناهض إلى أن وصلت إلى الحدار الحجري  
الخالي من النوافذ. ولم أستطع رؤية المدعوة جالين الصغيرة في أي  
مكان.

لم تتردد آليس لحظة ولم تتوقف عن السير وهي تحفظو نحو  
الحائط. ثم، وبرشاقة متناهية تنزلق في إحدى الفتحات إلى جانب  
الطريق.

بدا وكأنه مسرب ماء غائر حتى أعمق نقطة عند الرصيف. لم  
ألاحظ وجوده إلى أن اختفت آليس، لكنني قد لاحظت وجود فتحة في  
الشبك، صغيرة ومظلمة.

تسمرت في مكاني أخشى التقدم.

قال لي إدوارد بصوت خفيض: «الأسوأ بيلاً، سوف تلتقطك آليس  
من الجهة الأخرى».

نظرت إلى الفتحة بنظرة متشككة. تصورت أنه سينزل من خلا  
الفتحة قلبي إن كان فيليكس وديميتري ينتظرا خلفنا بصمت مقطنين  
بنفسهما.

جلست على الأرض أدلي ساقي من الفتحة الضيقة. همست  
بصوت مرتجف: «آليس؟».

طمأنني تقول: «أنا هنا بيلاً».

أتى صوتها بعيداً من الأعماق فشرعت بحال أفضل.

أسلك إدوارد بمعصمي فشرعت بيديه باردتين كما حجارة الشتاء،  
وهو ينزلني في الحفرة المظلمة.

سأل: «متعبة؟».

فأجابت آليس تنادي، «أنزلها».

أغمضت عيني بحيث لا أرى الظلمة. وأطبقت شفتي بإحكام كي  
لا أصرخ. أنلت إدوارد يدي فسقطت.

كانت نقطة قصيرة وصامتة. لفحني الهواء لجزء من الثانية قبل أن  
أزفر الهواء بين ذراعي آليس التي كانت بانتظاري.

توقعت أن أصاب بكدمات ورضوض بفعل قبضتها الصلبة وهي  
تساعدني للموقف على قدمي.

كان النور خافتاً، لكن الظلام الحالك لم يكن يعم المكان. فالضوء  
المنبعث من الفتحة في الأعلى كان ينشر بعض الشعاعات المنعكسة من  
الحصى الرطبة تحت قدمي. اختفى الضوء للحظة قبل أن يسع نور  
إدوارد الأبيض بجائبي. وضع ذراعه حولي يقربني منه قبل أن يجزني  
بسرعة إلى الأمام معه. طوقت خصره البارد بكلتا ذراعي ومشيت أنلّس  
الطريق الوعرة المفروشة بالحصى. دوى صوت الشبك المسدل فوق  
الفتحة ورائنا برنات حديدية لامتناهية.

انطفأ النور الخافت وغرق المكان في ظلام حالك. أرجع المكان  
صدى وقع قدمي اللتين تخبطان أرض المساحة السوداء، فبدت واسعة  
جداً، مع أنني لم أكن متيقنة تماماً من صحة اعتقادي هذا. لم تكن هناك  
أصوات أخرى سوى ضربات قلبي ووقع خطاي على الحصى الرطبة،  
إلى أن اخترق الصمت همس تهيلة من خلفي.

كان إدوارد يحكم قبضته حولي، مذل اليد التي لم تكن تطوقني  
ليحضن وجهي ويمرر إبهامه الناعمة فوق شفتي. وكنت أشعر بين الحين  
والآخر بوجهه على شعري، فأدركت أنه الاتحاد الوحيد الذي يمكننا  
الحصول عليه فتعلقت به أكثر.

شعرت في تلك اللحظة أنه كان يريدني وكان ذلك كافياً لبعوضني  
عن الإحساس بالرعب المنبعث من المشي في خندق تحت الأرض  
وتسلل مصاصي الدماء خلفنا سعياً وراء غثيمة. لعل عناق له لم يكن

نابعاً سوى من الإحساس بالذنب، اللذنب نفسه الذي أجبره على القعود إلى هنا للإقدام على الموت حين أدرك أنني قد أكون قتلت نفسي بسببه لكنني شعرت بشفتيه تلثمان جبيني برقة وصمت، فلم أعد أكثر للدافع.

استطيع أن أكون معه مجدداً على الأقل قبل أن أموت. وهذا أفضل من أعيش حياة مديدة.

تمنيت لو أستطيع أن أسأله عما سيحدث الآن. كنت يائسة لمعرفة كيفية موتنا، وكان المعرفة المسبقة بالأمر تخفف من وطأته. لكنني لم أستطع الكلام ولو همساً نظراً للمحيطين بنا. إذ يمكن للآخرين أن يسمعوا كل نفس وكل ضربة قلب.

ظل الممر تحت أقدامنا يتحدّر نزولاً في غور الأرض مما جعلني أشعر بضيق الأماكن المغلقة. وحدها يد إدوارد التي كانت تلامس وجهي كانت تمنعني من الصراخ.

لم أستطع معرفة مصدر الضوء. لكن المكان كان يتحول من أود إلى رمادي شيباً فشيئاً. كنا قد وصلنا إلى النفق المقوس. ألواح الأبواب الطويلة الرطبة الغارقة بين الصخور الرمادية كانت ترشح ماء وكأنها تنزف حبراً أسود.

كنت أرتجف ظناً مني أنه الخوف. لكن ما إن أخذت أسناني تصطك بقوة، حتى أدركت أنه البرد. كانت ثيابي لا تزال مبللة والحرارة تحت المدينة متدنية. تماماً كبشرة إدوارد.

أدركنا الأمر معاً في اللحظة ذاتها، فأفلتني إدوارد ممسكاً بيدي فقط.

قلت له بصوت مرتجف متقطع: «كلا». ورميت بذراعي حوله. فما معني إن تجمّدت برداً. من يعرف كم الوقت قد تبقى لنا؟ أخذت يده الباردة تدفئ ذراعي عن طريق الاحتكاك.

حسناً الخطى عبر الممر، أو بدا لي أننا كنا نسرع كثيراً. أزعج تقدمي البطيء أحدهم، فيليكس على ما أظن فكنت أسمعهم ينفتح تدمراً بين الحين والآخر.

عند نهاية النفق كان هناك مشبك، وكانت القضبان الحديدية، الشخينة بحجم ذراعي، صلبة.

كان الباب الصغير المؤلف من قضبان متشابكة أقل سماكة مفتوحاً على مصراعيه. دخله إدوارد مطأطأً وأسرع نحو غرفة حجرية أوسع وأكثر إضاءة. صفق الستار المشبك بقوة مصدراً دويماً هائلاً، تبعه صوت القفل. شعرت بخوف هائل من النظر ورائي.

على الجهة الأخرى من الغرفة المستطيلة الشكل كان باب خشبي مشبك آخر. استطعت أن أرى أنه بغاية السماكة لأنه كان مفتوحاً كذلك.

دخلنا عبر الباب ونظرت حولي مذهولة، وقد شعرت بالاسترخاء تلقائياً. أما إدوارد الواقف بجانبى فكان متوتراً وقد اشتدت عضلات نكته.

## الحكم

كنا في بهو مضاء عادي. كانت الجدران مطلية باللون الأبيض المصفر، والأرض مغطاة بسجاد رمادي صناعي. وكانت أضواء بيضاء مستطيلة الشكل مرزعة في السقف تبعد بينها مسافات متساوية. كنت ممتهن لأن الجو أكثر دفئاً هنا. بدت القاعة رائعة بعد ضيائية قنوات الصرف الصحي الموحشة.

بدا إدوارد غير موافق على تقييمي للمكان. تجهم وجهه وهو ينظر إلى نهاية الممر نحو الشكل الأسود الغامض الواقف بجانب المصعد. جزني إدوارد بجانبه فيما مشيت أليس على الجانب الآخر. أصدر الباب صريراً وهو ينفلق وراءنا، وسمع صوت وقوع شيء ثقيل بينما القفل يعود إلى مكانه.

كانت جاين تنتظر بجانب المصعد تفتح لنا الباب. كانت تعابير وجهها تدل على عدم المبالاة.

ما إن أصبحنا داخل المصعد، شعر مصاصو الدماء الثلاثة من عائلة فولشرز بمزيد من الاسترخاء. خلعوا العباءات عنهم تاركين البرانس تسقط عن أكتافهم. كانت بشرة كل من فيليكس وديميتري زيتونية اللون نوعاً ما، وبدت غريبة مقارنة مع شحوب وجيهيما. كان شعر فيليكس مقصوصاً بشكل قصير أما شعر ديميتري فكان موجاً طويلاً حتى كتفيه. كانت حدقات عينيها قرمزية عند الأطراف تميل إلى السواد مع اقترابها

من البؤبؤ. كانت الملابس التي يرتدونها تحت الملابس الحديثة باهتة اللون ليس لها صفة تذكر. انقبضت وتكتلت في الزاوية التصق بإدوارد. كانت يده لا تزال تفرك ذراعي. لكنه لم يُشع بنظوه عن جاين.

لم يدم مكوثنا في المصعد طويلاً. وخرجنا إلى ما يبدو غرفة استقبال باهرة فاخرة. كانت الجدران مزانة بالخشب والأرض مغطاة بالسجاد الأخضر السميك. لم تكن هناك نوافذ بل لوحات مضاء ساطعة للريف التوسكاني تملأ المكان. وكانت الأرائك الجلدية الفاتحة اللون مرتبة بطريقة توحى بالدفع والطاولات المماعة الزجاجية تحمل عدداً من الأواني الكريستالية التي تحوى أزهاراً ملونة. ذكرتنني رائحة الأزهار الفواحة بالمقابر.

توسط الغرفة طاولة لماعة مرتفعة من خشب الموهاغرنى. بهت لوني وبانت علي سيماء التغفل وأنا أنظر إلى المرأة الواقفة خلفها.

كانت طويلة ذات بشرة غامقة اللون وعينين خضراوين. كانت لتكون بغاية الجمال لو كانت برفقة آخرين ولكن ليس هنا. لأنها كانت بكل تكاوينها إنسانة عادية كما كنت أنا. لم أفهم ما الذي كانت تفعله هذه الكائن البشرية حتى العظم هنا تبدو عليها ملامح الارتياح محاطة بهذا العدد من مصاصي الدماء.

ابتسمت بتعذيب مرحبة بقدمونا تقول: «مرحباً جاين».

لم تظهر سيماء الدهشة على ملامح المرأة وهي ترى من يرافق جاين. وكان إدوارد، بصدره الماري الباهت تحت الأضواء، وأنا، منفوشين قيحين بالمقارنة معها.

أومأت جاين تقول: «جيانا أكملت سيرها نحو الأبواب المزودة في آخر الغرفة وتبعناها. مَر فيليكس بجانب الطاولة فغمز جيانا التي فهتقت بدورها. على الجهة الأخرى من الأبواب الخشبية كان ينتظرنا نوع آخر من الاستقبال. يمكن للمصبي الشاحب اللون بالبدلة الرمادية أن

يكون أخا جاين التوأم. كان شعره أغمق لوناً وشغفاه أقل بروزاً لكنه كان وسيماً كذلك. اقترب لملأقاتنا واتسم مقرباً منها يقول: «جاين».

أجابت تعانق الصبي وتقو: «أليك».

قتل كل منهما وجنة الآخر. ثم نظر إلينا.

أصدر ملاحظته ينظر إليّ: «أرسلوك للمجيء بواحد فأنتيت بإثنين... نصف، عمل جيد».

ضحكت فأشرق صوته ابتهاجاً كطفل يناغي.

حيّاه أليك بالقول: «أهلاً بعودتك يا إدوارد. تبدو أفضل مزاجاً»

واقفه إدوارد القول بنبرة فارغة: «مبدئياً». رمقت ملامح إدوارد القاسية، وتساءلت كيف كان ليكون مزاجه أكثر سوداوية.

أطلق أليك ضحكة وتفحطني وأنا أتمسك بإدوارد وسأل متشككاً: «هل هذه سبب كل المشاكل؟»

تبسم إدوارد وحسب وبانت على وجهه علامات الإزدراء قبل أن يتصلب.

نادى فيليكس من خلفنا يقول: «ديس».

استدار إدوارد وهممة عميقة خافتة في صدره.

ابتسم فيليكس ورفع يده مثنيّاً لإصبعه مرتين في إشارة لإدوارد للتقدم.

لامست آليس ذراع إدوارد تحلوه بالقول: «صبراً».

تبادلا نظرة طويلة وتمنيت لو أستطيع سماع ما دار بينهما، وما الذي كانت تقول له. ظننت أنه شيء يتعلق بعدم مهاجمة فيليكس لأن إدوارد أخذ نفساً عميقاً واستدار ينظر نحو أليك.

قال له أليك وكان شيئاً لم يحصل: «ميسر آرو كثيراً برؤيتك مجدداً».

اقتربت جاين تقول: «إذا دعونا لا يجعله ينظر».

أوما إدوارد مرة.

مشى أليك وجاين يداً بيد نزولاً نحو قاعة أخرى أكثر اتساعاً وترتيباً. هل هناك من نهاية لحكاية القاعات المتلاحقة تلك؟

تجاهلا الأبواب المغطاة بالذهب عند طرف القاعة متوقفين في منتصف الطريق ليزيحا جانباً قطعة خشب تكشف عن باب خشبي آخر عادي. لم يكن الباب مقفلاً. وفتحته أليك أمام جاين لنمر.

أردت أن أتأوه حين سحبتني إدوارد نحو الجهة الأخرى من الباب. إذ كانت عبارة عن الساحة الحجرية ذاتها والرزاق ومجاري الصرف الصحي. وكان الجو مظلماً وبارداً مجدداً. كانت الغرفة الحجرية الخارجية التي تؤدي إلى غرفة أكبر منها واسعة. وكانت تفتح على أخرى كهفية أكثر إضاءة ومستديرة كبرج القصر الدوار... اعتقد أنها كانت هكذا بالضبط.

على ارتفاع طابقين، كان ضوء الشمس يتسلل مستطيلاً من الشقوق الطويلة على الأرض الحجرية في الأسفل. لم يكن هناك من أضواء اصطناعية. الأثاث الوحيد في الغرفة كانت بضعة كراسٍ ضخمة شبيهة بالمروش موزعة بشكل عشوائي على مستوى واحد على طول الجدران المقوسة. في وسط الدائرة في الوهلة الصغيرة، كان مسرباً آخر. تساءلت ما إذا كانوا يستعملونه كمنخرج شبيه بالحفرة وسط الشارع.

لم تكن الغرفة فارغة. إذ كان بضعة أشخاص مجتمعين تدور فيما بينهم أحاديث خفيفة. كان همس الأصوات الخفيف الرقيق أشبه بحفيف الهواء الناعم. بينما أراقب شاهدت امرأتين شاحبتين بثوبين صفيين تتوقفان في بقعة ضوء، فتتطلق من جسيميهما ألوان قوس قزح كما ضوء الزجاج المنشور على جدار أغبر اللون.

التفت الوجهان المتأنقان نحونا ونحن ندخل الغرفة. كان معظم



الخالدین یرتدون سراویل وقمصاناً لا تلتفت الأنظار علی الطریق فی الخارج. لكن الرجل الذي تكلم أولاً كان یرتدي أحد الأتواب الطويلة السوداء بالكامل التي تصل أذبالها حتى الأرض. ظننت للحظة أن شعري الأسود الطویل كان جزءاً من البرنس.

نادی بفرح واضح: «جاین، عزیزتی! ها قد عدت». أنتت نبرن بلهفة رقیة.

تقدم إلى الأمام برشاقة سریالية جعلتني أشفق وأفتح فمي. حتى آلیس التي بدت حركاتها راقصة لم تكن تضاهي رشاقته.

وازدادت دهشة حين طاف مقرباً بحيث استطعت رؤية وجهه. فلم يكن جذاباً بما يفوق الطبيعة كما بقية الوجوه المحيطة به (إذ إنه لم يقترّب وجيداً بل برقعة مجموعة كاملة تتحلّق حوله، معضمين بتيعة والآخر يتقدم عليه بخطوات الحراس الشخصیین الحذرة). لم أستطع أن أقدر ما إذا كان وجهه جميلاً أو شعراً. اعتقد أن ملامحه كانت مثالية. لكنه كان يختلف عن بقية مصاصي الدماء كما كانوا هم يختلفون عنی. لقد كانت بشرته بيضاء اللون، شبه شفافة كما قشر البصل، وبدت ناعمة بشرتهم مقابل سواد شعره الطویل الذي یؤطر وجهه. شعرت برغبة غریبة مرعبة للمس وجنته لأعرف ما إذا كانت ناعمة بشرتي آلیس وإدوارد. إن كانت أكثر نعومة كالنوردة. كانت عیاء حمراوین تماماً كنون أغین المحيطین به، لكنهما كانتا غائبتین مشوشتین، فتساءلت ما إذا كان نظره تأثر بالمنظر المبهّر فی الخارج.

اقترّب من جانین وأخذ وجهها بین يديه الورتین وطبع قبلة خفيفة علی شفتيها المستلثتین ثم تراجع إلى الوراء ماسیابة متناحية.

بدت تعابیرها كطفل ملانكي وهي تنسم فائلة: «أجل، أبها المعلم. لقد أعدته حياً كما طلبت».

ردّ ابتسامتها یقول: «آه جاین، یا لك من مصدر للراحة».

التفت بعینه الغائمتین نحونا وإزدادت ابتسامته إشراقاً حتى أصبحت ولیة من الفرح.

ابتهج یصفق یدیه معاً: «واکبس وبیلاً كذلك، یا لها من مفاجأة سارة، بل رائعة!».

حذقت مذهولة وهو ینادي أسماءنا بتلقائية وكأننا مجرد أصدقاء قدامی مررنا بهم فی زيارة غیر متوقعة.

استدار ینظر إلى مضیفا الضخم الحجم المضطرب الحركة یقول: «فلیکس هلا تکرّمت وأبلیت أشقاءنا بوجود رقیة. وائق أنهم لن یرغبوا بأن یفوتهم مثل هذا الحدث».

تخاضر، أبها المعلم. «أوما فلیکس واخفی عائداً من حیث أئی».

عدت مصاص الدماء الغریب یلتفت نحو إدوارد كجدّ وله یرید تویخ حفيده: «أرايت یا إدوارد؟ ماذا قلت لك؟ ألسنت سعیداً لأنی لم أحقق لك ما طلبته بالأمس؟».

وافقه الرأي وقد انقبضت عضلات ذراعه فوق خصري: «أجل، أنا سعید لذلك آرو».

تنهد آرو یقول: «أحب النهایات المعیدة. فهي نادرة الحصول. لكنی أود سماع القصة الكاملة. کیف حصل ذلك؟ آلیس؟» استدار ینظر إلى آلیس بعینین فضولینین غائمتین یقول: «بدا أن اخاك یظنك منزّهة عن الخطأ، لكن من الواضح أن بعضها قد حصل».

أطلقت ابتسامه مذهلة وهي تقول: «أنا أبعد من أن أكون منزّهة عن الخطأ. فكما رأیت الیوم أرتكب من الأخطاء بقدر ما أقوم بإصلاحها». بدت مرتاحة وهي تقول كلامها إلا أن قبضتي یديها كانتا مشدودتین بعصیة.

وتخّها آرو یقول: «أنت بالغة التواضع. لقد شهدت بعضاً من

أعمالك البطولية ويتبغي أن أعترف أنه لم يسبق لي أن شهدت قط شيئاً يضاهي موهبتك، هذا أمر رائع!»،

رقت بعينها ترمق إدوارد نظرة سريعة. ولم يغفل آرو فعلتها. قال «أسف لأننا لم نتعارف بطريقة مناسبة تماماً، أليس كذلك؟ أنا أشعر وحسب أنني أعرفك منذ زمن وعادة ما لا أعترف بنفسى. لقد عرّف أخوك أحدنا إلى الآخر الباردة بطريقة خاصة جداً. كما ترين، أنتِ بعض من مواهب أخيك، ولو أنني أقل منه بكثير في بعض النواحي» هزّ رأسه وكانت نبرته تحمل الحسد في طياتها.

أضاف إدوارد بنبرة جافة: «وأقوى بكثير كذلك». ثم التفت نحو أليس وقال موضحاً: «يحتاج آرو إلى التواصل الجسدي لسمع أفكارك، لكنه يسمع أكثر بكثير مما أستطيع. تعرفين أنني لا أسمع إلا معرفة ما يجري في رأسك في هذه اللحظة. أما آرو فيسمع كل فكرة خطرت لك يوماً».

رقت أليس حاجبيها الدقيقين وأحسّ إدوارد رأسه.

لم يفت هذا التصرف كذلك آرو.

تنهد آرو يشير إلى كليهما وتبادل النظرات الذي حصل للتو يقول: «لكن أن تتمكن من سماع الأمور عن بُعد... سيكون ذلك مناسباً جداً».

نظر آرو من فوق كتفه، فالتفتت الرؤوس تنظر بالاتجاه ذاته بمن في ذلك جاين وأليك وديميتري الذين كانوا يقفون إلى جانبها بصمت.

كنت الأكثر يظناً في الالتفات. كان فيليكس قد عاد وخلفه بطوف رجلان آخران ممن يلبسون العباءات السوداء. بدا كلاهما شديد الشبه بآرو حتى أن أحدهما كان لديه شعر آرو المتموج ذاته. الآخر كانت لديه بعض الخصل البيضاء المماثلة للون وجهه. إلا أن الوجهين كانا بيضاوين وورقيين كالورقة.

اكتمل ثلاثي لوحة كارلايل، دون أن تطرأ عليه أي تغييرات منذ ثلاثئة عام حين رسم.

دندن آرو بصوت رخيم: «ماركوس، كايوس، انظروا! لا تزال بيلاً حية في النهاية. وأليس هنا معها. أليس هذا رائعاً؟».

لم يظهر أن الرجلين الآخرين سيخشاوان كلمة «رائع» للتعبير عن الوضع. فالرجل الأسود الشعر بدا ضجراً بالكامل، وكأنه قد رأى الآلاف من مواقف آرو الحماسية. أما الوجه الثاني فبدا متعضاً تحت الشعر الثلجي.

إلا أن غياب حماسهم لم يكبح اغتياب آرو.

أنت نبرة صوته مغتاة تطير كريشة في الغرفة: «دعونا نستمع لنفص».

غادر الرجل ذو الشعر الأبيض يجرد قدميه متوجهاً نحو العروش الخشبية. وتوقف الآخر بجانب آرو ومدّ يده فظننت بداية أنه يريد مصافحة آرو. لكنه بالكاد لامس راحة يده قبل أن ينزل اليد المدودة إلى جانبه. قوس آرو أحد حاجبيه وتساءلت في نفسي كيف أن بشرته الورقية لم تتجدد من أثر اللسمة.

زفر إدوارد نفساً هادئاً ونظرت إليه أليس بفضول.

قال آرو: «شكراً يا ماركوس، هذا مثير للاهتمام».

أدركت بعد مرور بضع ثوانٍ أن ماركوس كان يتيح لآرو قراءة أفكاره عبر اللمس.

لم تبدّ على ماركوس أمارات الاهتمام. فتسلل يتعد عن آرو ليتضم إلى الرجل الآخر الذي لا بدّ أن يكون كايوس الجالس بجانب الحائط. تبعمها مصاصا دماء آخران بصمت، هما كما ظننت سابقاً الحارسان الشخصيتان. أدركت كذلك أن المرأتين بالملابس الصيفية قد اقتربتا للوقوف بجانب كايوس على النحر ذاته. بدت فكرة حاجة مصاصي

الدماغ إلى حراس شخصيين سخيفة بالكامل لكن لعل القدامى مصابون بالوهن كما توحى بشرتهم.

كان آرو يهز رأسه وهو يقول: «مذهل، مذهل جداً».

بدأت ملامح آليس غاضبة. التفت إدوارد نحوها وشرح لها مجدداً بصوت خفيض ونبرة سريعة: «ماركوس يرى العلاقات، وقد أحدثت متانة علاقتنا».

ابتسم آرو وهو يكرر لنفسه: «مناسب جداً».

ثم تكلم معنا يقول: «أؤكد لكما أن مسألة إدهاش ماركوس تتطلب الكثير». تمتعت في ملامح ماركوس الهامدة فأدرت أن آرو محق في ما قاله.

بدأ آرو مستغرقاً في التفكير وهو يحديق بذراع إدوارد الملتفة حول خصري وهو يقول: «يصعب عليّ فهم ذلك إلى الآن». لم يكن سهلاً بالنسبة لي تتبع مسار أفكار آرو الفرضية وبذلك جهداً لأتمكن من فهم معنى كلامه وهو يقول: «كيف تستطيع الوقوف قريباً منها إلى هذا الحد؟».

أجاب إدوارد بهدوء: «لا يخلو الأمر من المشقة».

«ومع ذلك أقول، يا للأسف!».

أطلق إدوارد ضحكة خالية من المرح يقول: «أنا أنظر إلى المسألة فأقول يا لها من جاذبة».

أتى كلام آرو مشككاً وهو يقول: «جائزة غالية الثمن».

«فرصة ثمينة».

قال آرو: «لو لم أستم راتحتها في ذكرياتك، لما اعتقدت أن نداهم أحدهم ليكون يمثل هذه القوة. لم أشعر بشيء كهذا أنا نفسي يضحي معظمنا بالكثير مقابل جائزة كهذه» ومع ذلك أنت...».

أنهى إدوارد الجملة بنفسه يقول بنبرة هازئة: «تضعيها من يدك».

ضحك آرو مجدداً: «كم أفتقد صديقي كارلايل! أنت تذكرني به كثيراً، لكنه لم يكن حاد الطبع هكذا».

«كارلايل يتفوق عليّ في عدّة مجالات».

«لم أفكر قط أن كارلايل قد يبيع في كل المجالات التي تستدعي ضبط النفس لکنك تخجله في هذا الإطار».

كان صوت إدوارد نافذ الصبر وهو يقول: «بالكاد أفعل». بدا وكأنه قد سئم المقدمات. وقد زاد ذلك من خوفي، لم أستطع أن أمتنع نفسي من تصور ما الذي يتوقع أن يحصل لاحقاً. كان آرو يفكر ملياً وهو يعترف: «لقد أدخل نجاح كارلايل الرضا في نفسي. ذكرياتك عنه تسعدني مع أنها تذهلني فوق التصور. يدعشني كم أشعر... بالرضا عن مدى النجاح الذي حققه في سلوك الطريق المغاير للمعرف الذي اختاره بنفسه. توقعت منه أن يضعف أو يفنى مع الوقت. وقد هزئت من خططه لأجد أن آخرين يشاركونه رؤيته المميزة. ومع ذلك أشعر بالسعادة لكونني كنت مخطئاً».

لم يقدم إدوارد أي إجابة.

تنهد آرو يقول: «لكنك أنت تمالك نفسك بقوة! لم أكن أعلم بأن التمتع بمثل هذه القوة أمر ممكن. أن تعود نفسك الامتناع عن تلبية النداء ليس لمرة واحدة فحسب، بل مراراً وتكراراً، لو لم أشعر بذلك بنفسه لما صدقت الأمر».

ظلت ملامح وجه إدوارد خالية من أي تعبير إزاء إعجاب آرو. كنت أعرف معنى كل تعبير يظهر على ملامحه. لم يغير مرور الزمن ذلك، فأدرت أن هناك ما يفور ويزيد تحت السطح الهادي. وجاهدت لأحافظ على رتيبة نفس منظم.

ضحك آرو يقول: «أتذكر فقط كيف تغريك... يشعروني ذلك بالظلم».

أحسّ إدوارد بالتوتر.

طمأنه آرو يقول: «لا تشعر بالانزعاج. لا أضمر لها أي أذى. لكنني أشعر بالفضول وحسب حيال أمر محدد». نظر إلي باهتمام وسأل برفع يده بحماسة: «أسمح لي؟».

أجاب إدوارد بفتور: «اسألها هي».

صاح آرو متعجباً: «بالطبع، يا له من تصرف غير لائق!» وتوجّه إليّ مباشرة بالسؤال: «بيلاً، يذهلني كيف أنك تشكّلين استثناءً لـموجة إدوارد المؤثرة، حدوث أمر كهذا مثير للاهتمام! وكنت أتساءل بما أن مواهبنا تتشابه بطرق مختلفة إن سمحت لي أن أحاول معرفة ما إذا كنت تشكّلين استثناءً بالنسبة لي كذلك؟».

التمعت عيناى فنظرتان إلى إدوارد بارتعاج. على الرغم من فرط تهذيب آرو الواضح، لا أعتقد أنني كنت أملك الخيار فعلاً. كانت فكرة السماح له بملامستي تثير الرعب في نفسي، وبشكل متناقض تماماً أثارني وجود فرصة تمكّنتي من ملامسة بشرته الغريبة.

أوما إدوارد يشجعني، لكنني لم أعرف ما إذا كان يفعل ذلك لأنّ يثق بأن آرو لن يؤذي أو لأنه أدرك أنه ما من خيار آخر.

التفت نحو آرو مجدداً ورفعت يدي ببطء أمامي فأيتها ترتعش. اقترب متي بالنسيابة تامة، أعتقد أنه فعل ذلك بقصد طمأنتي. لكن ملامحه الهشة الغريبة المستهجنة المخيفة كانت أبعد من أن تثبّ البطمأنينة في نفسي. النظرة التي تسرد وجهه كانت أكثر ثمة من كلماته.

مدّ آرو يده وكأنه يريد مصافحتي ولاستني بشرته التي بدت هشة رقيقة. كانت صلبة لكنني مع ذلك شعرت بهشاشتها كما لو أنها مجرد صفائح صخرية رقيقة وليست رخاماً صلباً كما ظننت. كما أنها كانت أكثر برودة مما توقعت.

ابتسمت لي عيناها المغشيتان تحدقان في عيني، فاستنحلت عليّ أن

أصبح بنظري بعيداً. كانت تلك العيناان تسمرانني بطريقة غريبة، غير مستحبة.

تغيرت ملامح آرو بينما أراقب. بدأت أعمدة الثقة ترتفع لتحلّ مكانها طلائع التشكيك، يتبعها الإنكار قبل أن تعود لتلبس قناع الوذ.

قال وهو يحرر يدي ويتعد: «أمر مثير جداً للاهتمام».

رمت إدوارد بنظرة سريعة، ومع أنها بدت هادئة أظن أنني لمحت طيف إعجاب بالنفس.

ظل آرو يتعد مستغرقاً في التفكير. دام هدوءه بضع لحظات وعيناه تنتقلان بيننا نحن الثلاثة. ثم هز رأسه بشكل مفاجئ.

وقال لنفسه: «أتساءل أولاً ما إذا كانت متبعة بوجه مواهبنا الأخرى». جاين عزيزتي؟

صاح إدوارد يقول: «لا! أمسكت أليس بذراعه تدعوه إلى تمالك نفسك فأبعدتها عنه بعنف».

ابتسمت جاين الصغيرة لآرو بسرور تقول: «أجل، أيها المعلم».

كان إدوارد يصيح الآن فعلياً وكانت زمجرته تمزق أعماقه وهو يحملني في آرو. خيم السكون على الغرفة فجأة وبدأ الجميع يراقبونه وكأنه قد ارتكب معصية اجتماعية. رأيت فيليكس يبتسم ويتقدم خطوة إلى الأمام. رمقه آرو نظرة فتجمّد في مكانه فوراً وتحولت ابتسامته إلى تعابير مستاءة متبرّمة غضباً.

ثم تكلم إلى جاين يقول، «كنت أتساءل أيتها الغالية ما إذا كانت، بيلاً متبعة بوجه قدراتك».

بالكاد استطعت سماع كلام آرو في ظل همهمة إدوارد الغاضبة. أفلتني ووقف أمامي يحجبني عنهم. طاف كايوس حولنا مع من يحيط به ليراقب ماذا يحصل.

التفتت جاين فنظرت إلينا نعلو وجهها ابتسامة مغتبطة.



صرخت آليس بينما يستعد إدوارد للوثوب على الفتاة الصغيرة: «لا تفعل!».

وقبل أن أتمكن من إظهار أي رد فعل، وقبل أن يتمكن أحد من وضع نفسه بينهما، وقبل أن يصاب حارسا آرو لشخصيين بالتوتر كان إدوارد مرمياً على الأرض.

لم يكن أحد قد لمس، لكنه كان ملقياً على الأرض المفروشة بالحصى يتلوى بالأم واضح، وأنا أصدق مذعورة.

ما كانت جاين توجه ابتسامتها إلا نحوه، فأكملت قطع الأحجية في رأسي الآن وفهمت ما الأمر. فهمت ما قاله آليس عن الملكات الخائفة الهائلة، ولماذا يتعامل الجميع مع جاين بمثل هذا القوار ولماذا رمى إدوارد نفسه في طريقها قبل أن تتمكن من التأثير علي.

صرخت أقول لها: «توقفي!» فجاء صوتي مدوياً في ظل الصمت السائد وقفزت أضع نفسي بينهما، لكن آليس رمت بذراعيها حولي في قبضة حديدية متجاهلة رفضي وصراعي لها. لم ينبس إدوارد ببنت شفة وهو يتكوى ويتقبض على الأرض فوق الحصى. شعرت أن رأسي يكاد ينفجر من الألم لمشاهدته يتألم.

«جاين». ناداها آرو بصوت هاديء. فنظرت إليه بسرعة وهي لا تزال تبسم برضا، وعيناها تضاءلان. ما إن أمشحت بنظرها بعيداً حتى هدا إدوارد.

أمال آرو برأسه نحوي. فوجهت جاين ابتسامتها باتجاهي.

لم ألاق نظرتها حتى. كنت أراقب إدوارد من وراء قضبان سجن آليس التي كانت تحبسي بين ذراعيها، بينما لا أزال أقاوم عبثاً.

همست آليس في أذني بصوت متشنج: «هو بخير».

فيما هي تبلغني بذلك جلس إدوارد ثم قفز عن الأرض يقف على قدميه. تشابكت نظراتنا فرأيت أن الرعب قد أخذ منه كل ما أخذ. ظننت

بداية أنه يعاني ذلك جراء ما عاناه. لكنه نظر بعدئذ نحو جاين ثم عاد يلتفت إلي، وقد ظهر عليه الارتياح لما رآه.

نظرت إلى جاين كذلك لكنها لم تعد تبسم. بل كانت تحملق بي وقد انقبضت عضلات فكها لشدة تركيزها. تراجعت إلى الوراء أنتظر حصتي من العذاب.

لم يحدث شيء.

عاد إدوارد يقف بجانبى مجدداً. لاس ذراع آليس فسلمتي إليه.

أخذ آرو يضحك قائلاً: «إنه أمر رائع!».

مهممت جاين بغضب وهي تنحني إلى الأمام وكأنها على وشك الوثوب.

قال لها آرو بلهجة مطمئنة وهو يضع يده الضوئية على كتفها: «لا تغضبي أيتها الغالية، إنها تشوشنا جميعاً».

تفوسست شفة جاين إلى الأعلى تكشف عن أنيابها وهي لا تزال تحملق بي.

أطلق ضحكات أخرى يقول: «أنت شجاع جداً يا إدوارد لتحمل بصمت. لقد طلبت مرة إلى جاين أن تفعل بي ما فعلته بك بداعي الفضول وحسب، ف...» وهز رأسه بإعجاب وتقدير.

حملق به إدوارد مشمئزاً.

تنهد آرو يقول: «والآن ماذا نفعل بكم؟».

تصلب كل من إدوارد وآليس، إذ كان هذا هو الجزء الذي ينتظران معرفته. وبدأت أنا أرتجف.

سال آرو يحذوه الأمل: «أفترض أنه لا توجد فرصة لتغيير رأيك، ستشكل مواهبك إضافة ممتازة لجماعتنا الصغيرة».

تردد إدوارد ورأيت بطرف عيني كلاً من فيليكس وجاين يقطبآن.

بدا إدوارد يزن كل كلمة قبل أن يقولها: «أفضل... ألا أفعل».

سأل آرو يقول والأمل لم يغيب عن صوته: «وأنت أليس هل تهتمير للانضمام إلينا؟».

أجابت أليس: «كلا، أشكرك».

رفع آرو حاجبيه يقول: «ماذا عنك يا بيلا؟».

أتى همس إدوارد خفياً في أذني، وحدقت في آرو ذاهلة.

كان كايوس الأشيب من كسر الصمت يطالب آرو همساً بالقول «ماذا؟».

ويخه آرو بحمية: «لا بد يا كايوس أنك رأيت طاقتها الكامنة. لا أشهد موهبة واعدة منذ أن وجدنا إليك وجاين. هل تتخيل الإمكانيات المحتملة في حال أصبحت واحدة منا؟».

أشاح كايوس بنظرة بعيداً يطلق اعتراضاً مسموعاً في حين التمتعت عينا جاين بتحفظ على إجراء المقارنة.

كان إدوارد يشتعل غضباً بجانبه. تمكنت من سماع صوت الهدير في صدره لا ينفك يرتفع. ما كنت لأسمح أن تتوتر أعصابه بسببي.

تكلمت بنبرة بالكاد تكون مسموعة وصوت متقطع خوفاً: «كلا، شكراً لك».

تهدد آرو يقول: «من سوء حظنا، يا للأسف».

قال إدوارد: «هل يعني كل ذلك أنه إما أن ننضم إليكم أو نموت؟ كما ظننت عندما تم إحضارنا إلى هذه الغرفة. أليس هذا كثير بالنسبة لقوانينكم؟».

أدهشتني نبرة صوته. بدا وكأنه يستشيط غضباً ومع ذلك كان يتوخى شيئاً من توجيه كلامه وقد اختاره بعناية فائقة.

طرف آرو مذهولاً يقول: «بالطبع لا، إننا مجتمعون هنا يا إدوارد بانتظار عودة هايدي وليس أنت».

قال كايوس: «آرو القانون يطالب بهم».

حملق إدوارد بكايوس يسأل: «وكيف ذلك؟» لا بد أنه كان يعلم ما الذي يفكر فيه لكنه بدا مصمماً على جعله يجاهر بأفكاره.

أشار كايوس بإصبعه العظمي اتجاهي يقول بصوت هش رقيق أشبه بجلده: «إنها تعرف الكثير. لقد كشفت أسرارنا».

ذكره إدوارد قائلاً: «هناك بضعة كائنات بشرية تعرف اللغز هنا كذلك». وفكرت في وظيفة الاستقبال الجميلة التي رأيناها في الأسفل.

تلوى كايوس وظهرت ملامح جديدة على وجهه، أكان يفترض به أن يبتسم؟

واقفه القول: «أجل صحيح، لكن حين يصبحون غير ذي فائدة لنا، يصبحون خدماً لنا. لكن خططك حيالها تختلف. إن خاتمتك وقضحت سرّك، فهل أنت مستعد للقضاء عليها؟ لا اعتقد ذلك».

بدأت الكلام همساً أقول: «أنا لا...» أسكتني كايوس بنظرة جليدية.

تابع كلامه يقول: «ولا تنوي أن تجعلها واحدة منا كذلك، وهكذا تشكل عورة تهدد وجودنا».

مع أن هذا صحيح، حياتها فقط متضيع هدرأ. يمكنك أن ترحل إذا شئت».

اصطلكت أسنان إدوارد.

تابع كايوس بنبرة أقرب إلى الرضا عن النفس: «هذا ما ظننت...» انحنى فيليكس إلى الأمام بحماس.

قاطعه آرو وقد بدا حزيناً للمتحي الذي اتخذ الحديث: «إلا...».

أطلق ضحكة مدوية وهو لا يزال يعني رأسه إلى الأمام. رفع نظره ببطء، وكانت عيناه تلتمعان تشويقاً يقول: «كان ذلك مذهلاً».

ابتسمت آليس بنبرة جافة: «سررت لاستمتاعك بالأمر».

هز رأسه يقول: «وكيف لا عندما أرى الأمور التي سبق ورأيها سيما تلك التي لم تحصل بعد».

ذكرته بصوت هادئ، تقول: «لكنها متحصل».

«أجل، إنها أمور مقدرة الحصول. ما من مشكلة بالطبع».

بدت خيبة الأمل والمرارة على كايوس، كما بدا أنه يشارك هذين الشعورين مع كل من فيليكس وجاين.

اعترض كايوس يقول: «آرو».

ابتسم آرو: «عزيزي كايوس، لا تشفجر وتحنق. فكّر في الاحتمالات المفتوحة. قد لا ينضمون إلينا اليوم لكن هناك دوماً أمل في المستقبل. تصوّر البهجة التي تستطيع آليس اليافعة وحدها أن تُدخلها إلى أمرتنا الصغيرة... ثم إنني أشعر بفضل عارم لرؤية بيلا تتحول».

بدا آرو مقتنعاً بما عرف، ألم يدرك مدى تعلق روى آليس باعتبارات خاصة؟ وبأنها قد تفكر في تحويلي اليوم لتعود وتغير رأيها غداً؟ وأن ملايين القرارات البسيطة؛ قراراتها وقرارات الكثيرين غيرها بمن في ذلك إدوارد قد تغير مسارها والمستقبل بالتالي.

وهل يهم فعلاً ما إذا كانت آليس تنوي تحويلي أو لا، هل سيشكل تحويلي إلى مصاصة دماء فارقاً في حين يرفض إدوارد الفكرة إلى هذا الحد؟ إن كان الموت بالنسبة له بديلاً أفضل من التواجد معي طوال الوقت ومن تشكيلي مصدر إزعاج أبدي له؟ كنت شديدة الارتباك حتى شعرت أنني غارقة باليأس والإحباط حتى أذنتي...

سأك إدوارد بنبرة عادية: «وهل نستطيع الذهاب الآن؟».

لوى إدوارد شفتيه وتردد للحظة قبل أن يقول: «وإن فعلت؟».

ابتسم آرو وقد بدا سعيداً مجدداً: «ستتمكن من أن تعود بحرية إلى ديارك وسأرسل معك تحياتي لصديقي كارلايل». ازداد تردده وهو يضيف: «لكنني أخشى أن عليك أن تعني ما تقول».

رفع آرو يده أمامه. واسترخى كايوس الذي كان متجهماً وحذراً.

زَم إدوارد شفتيه حتى أصبححتاً خطاً رقيقاً، نظر في عيني فرددت نظراته.

همست له أقول: «إعني ما تقول أرجوك».

هل كانت فكرة مقبلة إلى هذا الحد فعلاً؟ هل يفضل أن يموت على أن يغيرني؟ شعرت أنني تلقيت لكمة في معدتي.

تأملني إدوارد بملامح معدبة.

ابتعدت آليس عنا وتقدمت نحو آرو، الثغتنا نراقبها. رفعت يدها كما فعل هو.

لم تقل شيئاً، ولوح آرو بيده باتجاه حارسه القلقين وقد تحدى ليمعنا تقدمها. لا قاهها آرو في منتصف الطريق، وأخذ يدها بحفاوة وفي عيني نظرة طماعة.

أحنى رأسه فوق يديهما المتلاصقتين، وأغمض عيني مركزاً وقت آليس من دون حراك، وتعاير وجهها خالية من أي تعبير. سمعت ألسن إدوارد تصطك.

لم يتحرك أحد من مكانه. بدا آرو متجمداً فوق يد آليس. أخذت الثواني تمر بطيئة وشعرت بوطاة الضغط النفسي تزداد وأنا أتساءل كم من الوقت سيمر قبل أن يطول بما لا أحتمل وقبل أن يتخذ منحى خاطئ أكثر مما هو عليه الوضع الحالي.

مرّت لحظة أخرى مثيرة للأعصاب كسر بعدها آرو الصمت.

أجاب آرو بسرور: «أجل، أجل، لكن تعالوا لزيارتنا مجدداً، لقد كان الأمر رائعاً للغاية!».

كانت عينا كايوس بالكاد مفتوحتين فبدتا فجأة أشبه بعيني سحلية ثقيلة الجفون وهو يعد قاتلاً: «وستزوركهم نحن كذلك، لتأكد أنك حافظت على ما قلته، لو كنت مكانك لما توائمت في التنفيذ. فنحن لا نمنح فرصاً ثانية».

اشتدت عضلات فكّي إدوارد لكنه أوماً بالموافقة.

ابتسم كايوس مغتبطاً وعاد إلى حيث يجلس ماركوس من دون حراك وبلا مبالاة بما يحدث.

همهم فيليكس، فابتسم آرو مغتبطاً يقول: «فيليكس، سنحصل هايدي في أي لحظة الآن لذا صبراً».

كان صوت إدوارد يحمل نوعاً من الحدة وهو يقول: «في هذه الحال يستحسن ألا نتأخر في الرحيل».

وافقه آرو الرأي يقول: «أجل، إنها فكرة جيدة. يمكن للحوادث أن تحصل في أي لحظة. انظروا في الأسفل رجاءً بينما يحلّ الليل. إن كنتم لا تمانعون طبعاً».

قال إدوارد: «بالطبع». بينما انقبضت لفكرة انتظارنا طوال النهار قبل أن نتمكن من الهرب.

أضاف آرو مشيراً بإحدى أصابعه لفيليكس بالاقتراب فتقدم الأخير في الحال. فك آرو شرائط العيابة التي يرتديها مصاص الدماء الضخم ونزعها عن كتفيه يقول لإدوارد: «تفضل، لبس هذه. تبدو لافتاً للأنظار نوعاً ما».

ارتدى إدوارد العيابة الطويلة تاركاً رأسه مكشوفاً، فتنهد آرو ويقول: «إنها ثلاثتك تماماً». أطلق إدوارد ضحكة قطعها لجاء لينظر من فوق كتفه ويقول: «شكراً يا آرو، منتظر في الأسفل».

قال آرو وعيناه تشرقان وهو ينظر إلينا: «إلى اللقاء أيها الأصدقاء اليافعين».

قال إدوارد بلهجة ملحة: «لنذهب».

أشار ديميتري إلينا لتبعه وأعد الطريق التي سنسلك وقد بدت أنها المنفذ الوحيد.

قربني إدوارد منه بخفة، وكانت آلبس قريبة من الجهة الثانية تبذو على وجهها ملامح القسوة. وتمتمت تقول: «ليس بسرعة».

حدقت بها مرتعبة، لم يكن يبدو عليها سوى الحسرة. عندئذ فقط سمعت هذر أصوات خشنة تتعالى من الغرفة الملاصقة.

دوى صوت أحد الرجال يقول: «حسنًا، هذا غير عادي».

أجاب صوت أنثوي ممتعضاً: «إنه دون الروسط».

حشد كبير كان يدخل من الباب الصغير، فامتلات الغرفة الحجرية الأقل اتساعاً. أشار إلينا ديميتري مجدداً بإفساح الطريق فالتصقت ظهورنا بالجدران الباردة لندعهم يمرّون.

الثاني في المقدمة، الذي بدا أميريكياً، نظر من حوله بإعجاب.

استطعت أن أسمع آرو يقول بنبهة مغتاة صادرة عن غرفة البرج الكبير: «أهلاً بالضيوف! أهلاً بكم في فولترا!!».

أما البقية الذين كان يبلغ عددهم ربعين أو أكثر ساروا كقضيعة يتبع الثنائي. بعضهم كان يتفحص المكان كسائح حتى أنه كان يلتقط الصور التذكارية. أما البعض الآخر فبدا مرتبكاً، وكان القصة التي قادنهم إلى هذا المكان لم تعد تحمل أي معنى. لفت انتباهي على وجه التحديد امرأة قصيرة القامة داكنة البشرة. كان تحيط بمنقها سبعة وكانت تحكم قبضتها على الصليب المثدلي من الطرف. كانت تمشي بخطى أكثر تمهلاً من الآخرين فلامس أحدهم بين الميس والآخر لتطرح عليه - والآخر



بلغة غير مألوفة. بدا أن أحدهم لا يفهم ماذا تقول، وغدا صوتها أكثر رعباً.

أخذ إدوارد وجهي بين يديه ودفن رأسي في صدره، لكن الوقت كان قد فات. كنت قد فهمت ما جرى.

ما إن ظهرت أزل فرصة حتى دفعني إدوارد بسرعة نحو الباب شعرا بالرعب يسيطر على ملامح وجهي والدموع تملأ عيني. كانت القاعة المذقبة زاخرة بالصمت خالية إلا من امرأة وحيدة خلابة على صورة تمثال. نظرت إلينا بفضول لاسيما أنا.

حياها ديميتري من خلفنا يقول: «أهلاً بعودتك يا هايدي».

ابتسمت هايدي بذهول، فذكرتني بروزالي، مع أنهما لا تشابهان لبنة. إلا أن جمالها كان كذلك استثنائياً يصعب محوه من الذاكرة. بدت عاجزة عن إشاحة نظري.

كانت ملابسها تظهر قوام جمالها ومفاتيحها. فكنت ساقاها الطويلتان تبرزان من تحت تنورة قصيرة جداً. أما سترتها فكانت ذات كمّين طويلين وعنق لكتنها كانت ضيقة جداً حمراء اللون. أما شعرها البني الطويل فكان لماعاً وعيناها تشرقان بلون بنفسجي غريب، لعله طيف اختلاط الأزرق مع الأحمر.

أجاب بصوت حريري ناعم وعيناها تتقلان بين وجهي وعباءة إدوارد الرمادية: «ديميتري».

أجاب ديميتري بإطراء يقول: «صيد جيد».

وفهمت فجأة معنى الملابس اللافتة التي كانت ترتديها. . . لم تكن صيادة وحسب بل طعاماً كذلك.

أشرقت ابتسامتها تقول: «شكراً لك، ألن تأتي؟».

«بعد لحظات، احتفظي لي بالبحس».

أومات هايدي وطأطأت رأسها تدخل عبر الباب لكن ليس قبل أن ترمقني بنظرة فضولية أخرى.

حت إدوارد الخطى بحيث اضطورت لأن أركض كي ألحق به. مع ذلك، لم تنجح في اجتياز الباب المزين عند طرف الغرفة قبل أن يبدأ الصراخ.

## الرحلة الجوية

تَرَكْنَا ديميتري في قاعة الاستقبال الفاخرة، حيث لا تزال جيانا في مكانها وراء الطاولة اللماعة، موسيقى ناعمة مبهجة كانت تنبعث من مكبرات صوت مخفية.

حدّرنا يقول: «لا ترحلوا قبل حلول الظلام».

أوما إدوارد وغادر ديميتري على عجل.

لم تظهر الدهشة على جيانا جراء الحديث المتبادل، مع أنها نظرت إلى إدوارد الملفت بالعباءة بعين المكر.

سألني إدوارد همساً بثيرة خفيفة جداً بالنسبة لسمع امرأة بشرية عادية: «هل أنت بخير؟».

إن استطعنا اعتبار المخمل خشنًا، فقد كان صوت إدوارد خشبًا مطعماً بالقلق. تصورت أن الأمر ناجم عن الوضع الضاغط الذي مررنا به.

قالت آليس: «من الأفضل أن تسمح لها بالجلوس، وإلا تحطمت إلى قطع».

دُرِكت عندئذ أنني كنت أرتجف بشدة، وأن ارتعاده تسري في أوصالي كلها وتهزني حتى اعظم، حتى أن أسناني أخذت تصطك والغرفة تدور بي وتأرجح. وتساءلت للحظة ما إذا كان هذا الشعور يتاب جايكوب قبل تحوُّله إلى مستذنب.

سمعت صوتاً لا معنى له، صوتاً غريباً يتناقض مع النغمات الموسيقية الهادئة التي تملأ المكان. شئت الارتجاف انتباهي فلم أتيقن من مصدر الصوت.

سحبني إدوارد إلى الأريكة الأبعد عن عيني الكائن البشري الفضوليتين يقول لي: «اهدئي يا بيلًا، اهدئي».

اقتربت آليس تقول: «أظنها تعاني نوبة هستيريا، ربما يجدر بك صفعها لتستيقظ منها».

رمقها إدوارد نظرات تهتاج غضباً.

أدركت عندئذ ماذا يحصل. الضجة كانت صادرة عني. إنها الصرخات الممزقة مع الشهقات تنبع من أعماقي. هذا ما كان يحملني على الارتجاف.

أخذ يردد بثيرة مهددة: «لا بأس، أنت بأمان الآن، أنت بأمان».

أأخذني في حضته ولفني بالعباءة الصفوية يحميني من برودة جسمه. كنت أعلم أنه من الحماسة التصرف على هذا النحو، فمن كان يدري كم يتسنى لي من الوقت للنظر في وجهه؟ كان هو بأمان وكنت أنا بمأمن كذلك، وكان يمكن له أن يتخلى عني ساعة نصبح طليقين. إذا اغرورقت عيناها بالدموع، فستحجبان ملامح وجهه فلا أعود أراها بوضوح مما يعتبر (سرافاً لا فائدة منه، سيكون ذلك جنوناً مطبقاً).

لكن خلف العينين الباكييتين حيث لا تستطيع الدموع أن تمحو الصورة، كنت لا أزال أستطيع رؤية صورة الوجه المرتعد للمرأة صاحبة السبعة التي تحمل الصليب.

كنت أبكي بصوت متقطع الآن وأنا أنول: «كل هؤلاء الأشخاص».

همس يقول: «أعلم».

«إنه أمر قبيح».

«أجل، إنه كذلك. يا ليتك لم تري ذلك».

أسندت رأسي إلى صدر إدوارد البارد مستعملة قمائش العباءة لأمسح دموعي. أخذت بضعة أنفاس عميقة أحاول تهدئة نفسي.

سأل صوت ناعم مهذب يقول: «هل يعني إحضار شيء؟».

كانت تلك جيانا، تحني فوق كتف إدوارد وفي عينيها نظرة قلق لا تزال مع ذلك تحتفظ بنوع من المهنية والبرودة في آن معاً. يبدو أنها لم تنزعج من اقتراب وجهها من وجه مصاص دماء عدائي. إما أنها كانت غافلة عن هذه الحقيقة، وإما أنها كانت بارعة جداً في أداء عملها.

أجاب إدوارد ببرودة: «كلا».

أومات تبسم لي ثم اختفت.

انتظرت إلى أن أصبحت بعيدة بما يكفي لعدم سماعنا، سألته: «هل تعلم ما الذي يجري هنا؟» كنت قد بدأت أضبط نفسي وكانت أنفاسي تعود إلى وتيرتها المعتادة.

أخبرني إدوارد يقول: «أجل، إنها تعلم كل شيء».

«هل تعلم أنهم سيقتلوننا يوماً ما؟».

أجاب: «تعلم أن ذلك احتمال قائم».

أدهشني قوله.

وجدت صعوبة في قراءة تعابير وجه إدوارد وهو يقول: «إنها تأمل أن يُقوا على حياتها».

شعرت بالدماء تجف من عروق وجهي وأنا أقول: «أتريد أن تصبح واحدة منهم؟».

أوما مرة وكانت عيناه حادتين تراقبان ردة فعلي.

ارتعدت أوصالي وأنا أهرس لنفسي أكثر مما أطرح سؤالاً أنتظر إجابة عنه: «كيف يمكن لها أن تريد ذلك؟ كيف يمكن لها أن تراقب كل هؤلاء يدخلون تلك الغرفة الشنيعة وترغب أن تكون جزءاً من كل ذلك؟».

لم يجب إدوارد عن السؤال، بل تلوّى.

وحدقت في معالم وجهه الفاتكة الجمال، محاولة أن أفهم سبب تغيّرها. صمقتني حقيقة وجودي هنا بين ذراعَي إدوارد مهما كانت عابرة، وأنا لم تكن في هذه اللحظة بالذات على وشك أن نقتل.

شهقت أبكي مجدداً وأنا داي اسمه. لقد كان ذلك عملاً أحمق، فالدموع كانت من الغزارة بحيث منعني من رؤية وجهه مجدداً، وكان ذلك حماقة مني لا تغتفر. لم أكن أملك من الوقت إلا حتى مغيب الشمس. وكما في الرواية التي تحدثت عن مواعيد محددة لانتهاه مفعول السحر.

سألني بنبرة لا تزال قلقة وهو لا يزال يفرك ظهري بنعومة: «ما الخطب؟».

لفتت ذراعي حول عنقه، هل يمكن أن يكون هناك ما هو أسوأ من ذلك؟ هو يدفعني بعيداً عنه وأنا أقرب منه أكثر. فسألته: «هل من الخطأ أن أشعر بالسعادة في هذه اللحظة؟» تقطع صوتي مرتين وأنا أقول له ذلك.

لم يدفعني بعيداً عنه. بل ضمّني إلى صدره الجليدي بقوة أكبر يعتصرني حتى وجدت صعوبة في التنفس مع أن رثتي لم تصاب بأي أذى. وهمس يقول: «أعلم ماذا تقصدين بالضبط. لكن لدينا العديد من الأسباب لتكون سعيدين. أحدها أننا لا نزال على قيد الحياة».

وافقته الرأي أقول: «أجل، وهو سبب جيد».

وتنفس يقول: «وأننا معاً». كانت أنفاسه عطرة للغاية بحيث جعلت رأسي يدور.

أومات وحسب متأكدة أنه لا يعلّق الأهمية التي أعلقها أنا على مسألة وجودنا معاً.

«وإن كنا محظوظين بما يكفي منظر أحياء حتى الغد».

فقلت بصعوبة: «أمل ذلك».

أكدت لي آليس: «يشر الطالع إلى أمور جيدة».

لقد كانت بغاية الهدوء حتى كدت أنسى وجودها. وأضافت بشرة راضية: «سأرى جاسبر في أقل من أربع وعشرين ساعة».

يا لها من محظوظة آليس. تستطيع على الأقل الوثوق بمستقبلها.

لم أستطع أن أبعد ناظري عن وجه إدوارد طويلاً. أخذت أتأمله متمنية أكثر من أي شيء ألا يأتي المستقبل أبداً، وأن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد، أو إن لم تدم فأتمنى ألا أعيش بعد ذلك.

حقد إدوارد بي مباشرة، كانت نظرة عينيه الداكتين رقيقة. وكان من السهل أن أدعي أنه يشعر كما أشعر تماماً. لذا كان هذا ما فعلته. أدعيت حصول ذلك لأزيد من حلاوة اللحظة.

لامست أطراف أصابعه الدوائر الموجودة تحت عيني، وقال: «تبدين متعبة».

همست بالمقابل وأنا أتمعن بالكدمات البنفسجية أسفل حذقتي لبنتين: «وأنت تبدو عطشاً».

هز كفي يقول: «لا أهمية للأمر».

عرضت رغباً عن إرادتي أسأل: «هل أنت متأكد؟ يمكنك البقاء مع آليس». كنت أفضل في الواقع أن يقتلني على أن يبتعد عني خطوة واحدة.

تنهد فلامست أنفاسه العطرة وجهي وقال: «لا تكوني مخيفة. لم يسبق أن سيطرت على هذه الناحية من شخصيتي بقدر ما أفعل الآن».

كانت ملايين الأمثلة تدور في رأسي. أحدها طفا إلى السطح ولامس شفتي وكاد يخرج لكنني حبسته ومنعته من الخروج. لم أشأ أن أفسد اللحظة، هنا في هذه الغرفة بالذات التي تشعرنني بالغثيان تحت عيني شخص قد يتحول وحشاً.

كان سهل وأنا بين ذراعيه أن أتخيل أنه يريدني. لم أشأ أن أفكر في دوافعه في هذه اللحظة بالذات، وسواء كان يدعي ذلك لييقيني مادنة بينما نحن في دائرة الخطر، أو أنه كان يشعر بالذنب وحسب لجهة مكان وجودنا وأنه شعر بالراحة لعدم تحمله مسؤولية موتي. لعل الفترة التي فرقتنا كانت كافية كي لا يضجر من عنفاتي الآن. لكن لا يهم، كنت أكثر سعادة بالادعاء.

رسوت بهدوء بين ذراعيه أعيد تذكر ملامح وجهه، أدعي...

كان يحذق بوجهي وكأنه يقوم بالمثل بينما يناقش هو وآليس مسألة العودة إلى الديار. كانا يتحدثان بشكل سريع وصوت خفيض بحيث أدركت أن جيانا لا تستطيع فهم ما يقولان، حتى إنني فوّت فهم نصف ما ورد في الحديث. بدا أنه ينطوي على مزيد من السرقات. وتساءلت في نفسي ما إذا وجدت سيارة البورش الصفراء طريقها إلى مالكةها. وسألت آليس في إحدى المرات: «ماذا عن كل هذا الحديث بشأن المغنين؟».

قال إدوارد: «مفتيتي». وأنت كلمانه وهو يلفظ الكلمة مغنا.

«أجل، تلك». قالت آليس ذلك فركزت معها للحظة. إذ كنت قد تساءلت بهذا الخصوص من قبل حين ذكر. شعرت بكتفي إدوارد المحيطتين بي تهتزان وهو يقول: «يطلقون اسماً على الشخص الذي له رائحة تعني ما تعنيه ببلا بالنسبة لي». يدعونها بالمغنية لأن دمها يعني لي». أطلقت آليس ضحكة.

كنت أشعر بما يكفي من التعب لاستغرق في النوم، لكنني حاربت الإرهاق والتعب. لم أكن لأفوت لحظة واحدة من الوقت الذي أمضيه معه، كان بين الحين والآخر وأثناء حديثه مع آليس يتحنن لطبع شفاه الزجاجائتان الساعمتان قبلة مفاجئة على شعري أو جبينني أو رأس أنفي.



وكان الأمر كل مرة أشبه بصدمة كهربائية لقلبي الغارق في سبات منذ زمن. بدا صوت الدقات يملأ الغرفة بأكملها.

شعرت وكأنني في الجنة، جنة تقع في قلب الجحيم.

أضعت مسار الزمن بالكامل. لذا حين انقبضت ذراعني إدوارد حولي ونظر هو وأليس باتجاه الطرف الآخر من الغرفة بقلق ارتعدت أوصالي. وتكررت فوق صدر إدوارد حين رأيت أليك يعبر الباب الكبير، بعيني الباقوتين المشعيتين. كان لا يزال ناصعاً في بدلة الرمادية على الرغم من تناول وجبة بعد الظهر.

وكان يحمل أخباراً جيدة.

أخبرنا أليك بنبرته الدافئة التي توحى أننا أصدقاء قدامى: «يمكنكم الرحيل الآن، نطلب منكم عدم التجول في المدينة».

لم يتصنع إدوارد الإجابة وهو يقول بنبرة جليدية: «ما من مشكلة في ذلك».

ابتسم أليك وأوما واختفى مجدداً.

قالت لنا جيانا بينما يساعدني إدوارد لأقف على قدمي: «سيروا بمحاذاة القاعة إلى اليمين والثفوا حول الزاوية نحو مجموعة المصاعد. امهبطوا طابقين لتصلوا إلى ردهة الاستقبال التي تصلكم بالشارع. استودعكم الآن». أضافت جملتها الأخيرة بلباقة تامة فتساءلت ما إذا كانت كفأتها كافية لإنقاذ حياتها.

ومقتها أليس بنظرة غاضبة.

شعرت بالارتياح لمعرفتي بوجود مخرج آخر. لم أكن متأكدة أنني أستطيع تحمّل جولة أخرى تحت الأرض.

غادرنا عبر ردهة فائقة الفخامة. كنت الوحيدة التي استدارت تنظر إلى قصر العصور الوسطى الذي يأوي واجهات فاخرة. كنت ممثلة لعدم تمكّني من رؤية البرج من حيث أقف.

كانت الاحتفالات لا تزال في أوجها وسط الشارع حيث الأضواء على وشك أن نضاء بينما نجتاز الأزقة الضيقة المرقعة بالحجارة. وكانت السماء غائمة باهتة فوق رؤوسنا، لكن الأبنية التي تعج بها الشوارع جعلت المكان أكثر ظلمة.

كانت الحشود أكثر ظلمة كذلك. ولم تكن عباءة إدوارد استثناءً يلتفت الأنظار كما كان ليحصل في ليلة عادية في فولتيرا. كان هناك آخرون ملتفين بعباءات لماعة سوداء، والأنياب البلاستيكية التي رأيتها لدى الطفل في الساحة في وقت سابق من النهار، واسعة الانتشار لدى البالغين.

تختم إدوارد يقول: «يا له من أمر تافه».

لم لاحظ متى اختفت أليس التي كانت تسير بجانبني. كنت قد نظرت إليها لأطرح عليها سؤالاً، فوجدت أنها اختفت.

مست مرتاعة: «أين أليس؟».

«ذهبت تستعيد حقائبك من حيث تركتها هذا الصباح».

كنت قد نسيت أنني أستطيع الوصول إلى فرشة أسناني، فأشعرتني كلامه بتوقع من السعادة.

تكهنت أقول: «ولتسرق سيارة أيضاً، أليس كذلك؟».

ضحك يقول: «ليس قبل أن نخرج من هنا».

بدا الطريق طويلاً جداً نحو المدخل. أدرك إدوارد أنني كنت منهكة القوى، فلف ذراعه حول خصري وساعدني على السير.

ارتعدت وهو يجزّني عبر الطريق المقطر الحجري المظلم. بدا باب القلعة المشبك القديم كباب قصص ما، يهدد بالسقوط فوق رأسينا وسجنا وراءه.

قادني نحو السيارة الداكنة اللون التي كانت بانتظارنا في بقعة ظلال - إلى يمين البوابة وكان محركها يعمل، تفاجأت لتسلل إلى جانبي في

المقعد الخلفي بدلاً من الإصرار على قيادة السيارة بنفسه.

بدت على آليس ملائحة الاعتذار وهي تشير بغموض إلى لوحة أجهزة القياس وتقول: «أسفة. لم تتوفر أمامي عدة خيارات».

ضحك إدوارد يقول: «لا بأس آليس، لا يمكن أن تكون جميعها من نوع turbo».

تهتدت تقول: «لعله يجدر بي اقتناء إحداها، إنها مذهلة!».

وعدها إدوارد: «مأستري لك واحدة كهدية في عيد الميلاد».

استدارت آليس نحوه وقد أشرفت ملامح وجهها، فأصابني ذلك بالقلق إذ كانت تسير بسرعة تتحدر على طرقات التل المتعرجة.

قالت له: «لكن صفراء اللون».

ظلت ذراعاً إدوارد تطوقاني بإحكام. وشعرت بالدفء والراحة بين ثنايا العباءة الرمادية اللون. تمتع بقول: «تستطيعين النوم الآن بيلاً، لقد انتهى الأمر».

كنت أعلم أنه يقصد أن الخطر قد زال والكوابيس داخل جدران المدينة العتيقة المعتمدة قد انتهت، لكنني وجدت صعوبة في ابتلاع ربي قبل أن أجيب.

«لا أريد أن أنام. لا أشعر بالتعب».

فقط الجزء الثاني من الجملة كان ينطوي على كذبة. لم أكن لأطبق عيني لحظة واحدة. كان الضوء المنبعث من لوحة أجهزة القياس داخل السيارة خافتاً، لكنه كان كافياً لأنامل ملامح وجهه.

طبعت شفتاه قبلة أسفل أذني، وشجمني يقول: «حاولي».

هزأت رأسي رفضاً للفكرة.

تهتد تقول: «لا تزالين عتيقة كما كنت دوماً».

لقد كنت عتيقة بالفعل، فعمادت جفني الثقيلين وتغلبت عليهما.

الطرقات المعتمدة احتلت الجزء الأكثر صعوبة من الرحلة. في حين أن الأضواء المشعة في مطار فلورنسا سهلت الأمر تماماً ومنحتني فرصة لأنظف أسناني وأبدل ملابسني وأرتدي أخرى نظيفة. كما قامت آليس بشراء ملابس جديدة لإدوارد، فارتدتها مخلقاً للعباءة الداكنة في إحدى سلات المهملات في أحد الأزقة. الرحلة الجوية إلى روما لم تكن طويلة لذا لم تنح المجال أمام وقوعي ضحية الإرهاق. لكنني كنت أعلم أن الرحلة من روما إلى أثينا مسألة تختلف بالكامل، فطلبت إلى المضيفة أن تحضر لي الكولا.

اعترض إدوارد: «بيلاً». كان يعرف أنني أعاني من عدم تقبّل الكافيين. كانت آليس تجلس خلفنا مباشرة وسمعتها تهمس شيئاً للجاسبر عبر الهاتف.

ذكرته أقول: «لا أريد أن أنام».

وأعطيته عذراً يمكن تصديقه لأنه صحيح فقلت: «إن أطيقت عيني الآن فسأرى أموراً لا أريد رؤيتها. سأرى الكوابيس».

لم يجادلني بعد ذلك.

كان الوقت مناسباً جداً للتحديث والحصول على الإجابات التي أحتاج إليها، لا أحتاج إليها وحسب، بل أريد معرفتها حقاً. إذ كنت قد أصبت بلياس لما قد أسمع من إجابات. كان أماننا متسع من الوقت الذي لن يقطع أحد على متن الطائرة حيث لا يستطيع الهروب مني، ليس بسهولة على الأقل. وما من أحد يستطيع سماعنا هنا سوى آليس. كان الوقت قد تأخر، ومعظم الركاب قد أطفأوا الأنوار يطلبون رسادات بأصوات خفيفة. سيساعدني الكلام على مجابهة الإرهاق.

لكنني، وعلى نحو متفاير، عضضت على لساني أمتنع سيل الأسئلة المتدفقة في رأسي. لعل الإرهاق قد شوش قدرتي على عقل الأمور، لكنني تأملت من تأجيل النقاش أن أكسب بعض الساعات الإضافية

برفقته، لعلني أرجىء الحديث إلى ليلة لاحقة على طريقة شهزاد.

وهكذا أسرفت في تناول الصودا ومقاومة دافع إغلاق جفني، بدا إدوارد بغاية السرور وهو يطوقني بين ذراعيه وأصابه تلمس وجهي مراراً وتكراراً. لامست وجهه أيضاً. لم أستطع أن أردع نفسي عن لمسه مع أنني كنت أخشى أن يؤذيني ذلك لاحقاً حين أعود وحيدة. واظب على تقبيل شعري وجبيني ومعصمي... لكنه لم يقترب من شفتي وكان ذلك جيداً. فكمن من المرات يمكن للقلب أن يتجرح ويتزق ويضفي يخفق؟ لقد حملت الأيام القليلة الماضية الكثير من الأمور التي كانت كفيفة بالقضاء عليّ، لكن ذلك لم يجعلني أكثر قوة. بل على العكس، شعرت أنني في منتهى البشاشة بحيث يمكن لكلمة واحدة أن تحطمني.

لم يقل إدوارد شيئاً، لعله كان يأمل أن أستسلم للنوم أو أنه لم يكن لديه ما يقوله.

تغلبت على جفني الثقيلين. وكنت لا أزال مستيقظة حين وصلنا إلى مطار أنلانتا، حتى أنني تمكنت من رؤية أشعة الشمس تسفل من بين غيوم سياتل قبل أن يُسدل إدوارد ستار النافذة. كنت فخورة بنفسي إذ لم أفوت لحظة واحدة.

لم يشعر إدوارد وأليس بالذهشة لحجم الاستقبال الذي لقيناه عند مطار سي تاك لكنه وضعني على أهمية الاستعداد. كان جامبر أول من رايت لكن بدا أنه لا يرى سوى أليس. أسرعرت تقف إلى جانبيه لكنهما لم يتعانقا كبقية الأزواج المتلاقيين. بل اكتفى كل منهما بالتعديت في وجه الآخر. ومع ذلك كانت اللحظة تتمتع بخصوصية بحيث دفعني لأشبح بنظري بعيداً. أما كارلايل وإيزمي فكانا ينتظران في إحدى الزوايا في ظلال أحد الأعمدة الضخمة. اقتربت إيزمي مني تعانقني بحرارة وبغربة لأن ذراعي إدوارد كانتا لا تزالان تحيطان بخصري.

همست في أذني: «شكراً جزيلاً لك».

ثم رمت ذراعيها حول إدوارد وبدأت كأنها ستبكي لو كان ذلك ممكناً.

زيمجرت تقول: «لن تعرّضني لمثل هذا الموقف ثانية».

ضحك إدوارد معتدراً: «أسف يا أمي».

قال كارلايل: «شكراً يلاً، إننا مديون لك».

تلمعت أقول: «قليلاً». كان النعاس قد بدأ يسيطر عليّ جرّه الليلة الخالية من النوم. وشعرت برأسي يتفصل عن جسمي.

وتخت إيزمي إدوارد بالقول: «تكاد تموت من التعب. لناخذها إلى المنزل».

لم أكن واثقة أن المنزل هو ما أريده في هذه اللحظة، تعثرت نصف نائمة وأذاً أسير على أرض المطار وإدوارد وإيزمي يجرانني. لم أعلم ما إذا كانت أليس وجامبر خلفنا وكنت أوهن من أن أستدير لأتحقق من ذلك.

كنت شبه نائمة، لكنني كنت أمشي مع ذلك حتى وصلنا إلى السيارة. مفاجأة رؤية إيميت وروزالي مستندين إلى السيارة السوداء تحت أضواء المرآب الخافتة أيقظتني نوعاً ما. وشعرت بإدوارد يتصلّب.

همست إيزمي تقول: «لا تفعل، إنها تشعر بالسوء لما حدث».

أجاب إدوارد دون أن يحاول خفض صوته: «عليها أن تشعر بذلك».

خرجت كلماتي منهكة وأنا أقول: «ليس الذنب ذنبها».

رجته إيزمي تقول: «دعها تحاول إصلاح ما فعلت، سنستقل السيارة مع أليس وجامبر».

زيمجر إدوارد وهو يحملني في الشقراء الجميلة.

قلت له: «أرجوك يا إدوارد». ما كنت راغبة في الصعود في السيارة

مع روزالي بقدر ما كان هو، لكن كفاني ما أحدثت من شقاق بين أفراد هذه العائلة.

تنهد وجرّني إلى داخل السيارة.

جلس كلٌّ من روزالي وإيميت في المقعدين الأماميين من دون أن يقولوا أي كلمة، بينما سحبتني إدوارد إلى الداخل وأجلستني في المقعد الخلفي مجدداً.

عرفت أنني لن أتمكن من مقاومة ثقل جفتي أكثر، فأسندت رأسي إلى صدره باستسلام وتركتها يطبقان. شعرت بهدير المحرك.

بدأت روزالي كلامها بالقول: «إدوارد».

لم يتكلم عليها إدوارد سوى بكلمة: «أعلم».

سألته روزالي بركة: «بيلاً؟».

فتحت عينيّ وحدهما على أثر الدهشة.

سألته بتردد: «ما بك يا روزالي؟».

«آسفة جداً يا بيلاً. أشعر بالاستياء لكل ما حصل، وبالامتنان الكبير لمتعتك بما يكفي من الشجاعة لإنقاذ أخي بعد ما فعلته بك. أرجوك قولني إنك تسامحيني».

كانت كلماتها مربكة متكلفة بسبب الحرج لكنها كانت صادقة.

تلعثمت أقول: «بالطبع أسامحك يا روزالي».

كنت لأتعلق بأي فرصة متاحة لأخفّ من كراهيتها لي، فتأبعت: «لم يكن الذنب ذنبك أبداً، فأنا من قفز عن الصخور اللعينة. بالطبع أسامحك».

خرجت الكلمات من فمي مفعمة بالانفعالات والمواقف.

ضحك إيميت يقول: «لن تسجل عليها مثل هذا الموقف إلى أن تسترد وعيها بالكامل».

أجبت وأنا أتناهب أقول: «أنا صاحبة».

أصرّ إدوارد يقول: «لندعها تنام». لكن صوته كان أكثر دفئاً.

ساد بعد ذلك الصمت، فلم يعد يسمع سوى صوت المحرك الهادي. لا بد أنني غفوت لأنني لم أشعر بإدوارد يخرجني من السيارة إلا بعد ثوانٍ معدودة. لم أتمكن من فتح عيني، وظننت بداية أننا لا نزال في المطار.

لكنني سمعت بعد ذلك صوت تشارلي.

ناداني من البعيد: «بيلاً».

غمغمت كلمة تشارلي بشكل غير مفهوم وأنا أحاول أن أنفخ عني السبات.

همس إدوارد في أذني: «إبقي هادئة. لا بأس، لقد عدت إلى منزلك بأمان، نامي وحسب».

ضجّ صوت تشارلي وهو يصرخ بوجه إدوارد وقد اقترب منا أكثر الآن: «لا أصدق أنك تملك الجرأة لتريني وجهك هنا».

تأوهت أقول: «كفى يا أبي». لكنه لم يسمعني.

وسأل: «ما خطبها؟».

أكد له إدوارد بهدوء: «إنها منهكة وحسب تشارلي. أرجوك دعها ترتاح».

صرخ تشارلي مجدداً: «لا تقل لي ماذا عليّ أن أفعل. أعطني إياها. أبعد يدك عنها!».

حاول إدوارد تسليمي لتشارلي لكن أصابعي تثبتت به. شعرت بيد أبي تحاول شدّي من ذراعي.

قلبت بصوت أكثر ارتفاعاً: «كفى يا أبي». بالكاد نجحت في فتح عيني لأحدق بتشارلي وأقول: «يمكنك أن توبخني أنا».



كنا نقف أمام منزلي. وكان الباب الأمامي مفتوحاً والغيوم تلبّد السماء فوق رؤوسنا مما يضرب التكهّن بالوقت.

وعندي تشارلي يقول: «بلطبع سأفعل. ادخلي إلى البيت». تنهدت أقول: «حسناً أنزلي».

وضعتني إدوارد أرضاً. تمكنت من إدراك أنني أقف على قدمي، لكن لم أكن أستطيع الشعور بهما. سرت متناقلة إلى أن شعرت بأرض العمر ترتفع لتصنع وجهي. لكن إدوارد سارع للإمساك بذراعي قبل أن أسقط أرضاً.

قال لأبي: «دعني أحملها إلى الأعلى ومن ثم أرحل». صرخت مرتاعة: «لا!».

لم أكن قد حصلت على الإجابات بعد. وعليه أن يبقى إلى أن أعرفها على الأقل، أليس كذلك؟

وعندي إدوارد همساً بصوت خفيض يستحيل أن يرقى لمسامع تشارلي: «لن أكون بعيداً عنك».

لم أسمع إجابة تشارلي، لكن إدوارد توجه نحو المنزل. لم أنو على فتح عيني أبعد من السلال. كان آخر ما شعرت به يد إدوارد الباردة تقتلع أصابعي بجهد عن سترته.

## الحقيقة

شعرت بأنني نمت لوقت طويل جداً. ركان جسمي متصلباً وكأنني لم أتحرك طيلة فترة النوم. كان ذهني مشوشاً بظيء الحركة، وكانت الأحلام الملوّنة والكوابيس الغريبة تدور في دوامة لامتناهية داخل رأسي تنبض بالحياة، تشكل مزيجاً هجيناً من القصص الجهنمية والمبهجة. شعرت بحدة الخوف وملل الانتظار كجزء من حلم مرعب يشل حركة قدمي ويجعلهما عاجزتين عن الركض بسرعة كافية. . . كما أبصرت عدداً من الوحوش والشياطين حمر العيون التي تثير كياستها المتحضرة الرعب في النفوس. كانت أحداث الحلم حيّة نابضة بحيث استطعت تذكر الأسماء. لم يحتل الرعب الجزء الأكبر والأقوى والأكثر وضوحاً من الحلم. بل كانت صورة الملاك هي التي اتسمت بأكبر قدر من الوضوح.

لم يكن من السهل أن أستيقظ وأدعه يذهب. لم يدخل هذا الحلم في إطار الأحلام التي أود التخلص منها وعدم زيارتها مجدداً. جامدت للحفاظ على فلول الحلم الجميل بينما عقلي يصبح أكثر يقظة ويركّز على الواقع. لم أقف على تذكر في أي يوم من الأسبوع نحن، لكنني كنت واثقة أن جايكوب أو المدرسة أو العمل بانتظاري. أخذت نفساً عميقاً متساءلة كيف سأواجه يوماً آخر في حياتي.

شيء بارد لامس جبيني بمنتهى الرقة الباردة. أطبقت عيني بشدة.

كنت لا أزال أحلم على ما يبدو، لكن شعوراً انتابني يقول إن الأمر حقيقي بما يفوق الواقع. كنت على وشك الاستيقاظ... وكل شيء على وشك أن يختفي في أي لحظة الآن.

لكنني أدركت أن الأمر كان على قدر من الواقعية والروعة أكبر من أن يكون حقيقياً. الذراعان الحجريتان اللتان تخيلتهما تطوقانني كانتا ملموستين. إن شطحت في مخيلتي إلى أبعد من ذلك، سأندم لاحقاً. بتهيدة مستسلمة فسخت جفني ليفتحا فأطرد بالوهم بعيداً.

خرجت شهقة من الأعماق وسارعت أعطي عيني بقبضتي يدي.

من الواضح أنني سرحت بخيالي بعيداً جداً. لا بد أنني اقترفت خطأ فادحاً بالسماح لأوهام مخيلتي أن تخرج عن السيطرة. حسناً، لم تكن «سماح» الكلمة المناسبة إذ كنت قد «أجبرتها» على الخروج من يدي بفعل هلوساتي، وبات عقلي ينهشني الآن.

لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ معدودة لأدرك أنني طالما أعيش لحظات من الجنون سأستمتع بعيش الأوهام التي أحبها.

فتحت عيني مجدداً فرايت أن إدوارد لا يزال هناك، لا يبعد وجهه المثالي الملامح سوى بضع سنتمترات عن وجهي. أنى صوته خافتاً قليلاً وهو يسألني: «هل أخفئك».

لا بأس بذلك طالما أن الأوهام قد ولّت. فوجهه، وصوته ورائحته وكل ما يتعلق به كان أفضل من الغرق. راقب الجزء الجميل من مخيلتي تغتير ملامح وجهي بقلق، كانت حدقاته شديديتي السواد تحتها ظلال أشبه بلون الكدمات. تفاجأت لرؤية ذلك، إذ إن إدوارد الذي أبصره في هلوساتي كان دائم الشعور بالشبع.

أغمضت وفتحت عيني مرتين أحاول يائسة تذكر آخر الأمور الحقيقية التي حصلت لي. كانت أليس تحتل جزءاً من الحلم، وتساءلت

ما إذا كانت قد عادت أصلاً، أو أن ذلك مجرد ديباجة ما. لقد ظننت أنها عادت يوم كدت أغرق...

قلت بصوت متحشرج من كثرة النوم: «يا له من كلام فارغ».

«ما الأمر بيلاً؟».

قطبت بحزن، وكان وجهه أكثر قلقاً من قبل.

تأوهت أسأل: «أنا ميتة، أليس كذلك؟ لقد غرقت، يا للهول! سوف يقتل ذلك تشارلي».

قطب إدوارد كذلك يقول: «أنت لست ميتة».

تحديته لأرفع حاجبي: «لماذا لا أستيقظ إذا؟».

«بل أنت مستيقظة بيلاً».

هزئت رأسي أقول: «بالطبع، بالطبع، هذا ما تريدني أن أعتقد، ومن ثم أشعر بمزيد من السوء حين أستيقظ فعلاً. هذا إن استيقظت أصلاً، لأنني ميتة. هذا مريع. يا تشارلي المسكين... ورينيه وجايك...»، ارتعدت أوصالي لما فعلت.

كانت ابتسامته المقتضبة متوجمة حين قال لي: «أدرك أنك تمزجين بيني وبين الكوايس التي ترين، لكن لا يسعني أن أتصور ما الذي فعلته ليتهي بك الأمر في الجحيم؟ هل ارتكبت أي جريمة في بعدي عنك؟». تغضن وجهي: «بالطبع لا. وإن كنت في الجحيم، فلن تكون معي».

أطلق تهيدة.

كانت أفكارتي تصبح أكثر وضوحاً. أشحت بنظري عنه للحظة رغماً عني باتجاه النافذة المعتمة المفتوحة، وعدت ألثفت إليه. كنت قد بدأت أتذكر تفاصيل الأمور... وشعرت بحمرة خفيفة غير اعتيادية تدفع وجنتي وأنا أدرك ببطء أن وجود إدوارد بجانبني حقيقي، واقعي وأني أضيع الوقت بالتفاهات.

«إذاً، هل حصل كل ذلك فعلاً؟»، وجدت أن من المستحيل إعادة تصنيف حلبي في إطار الواقع. لم يستطع ذهني تقبل الفكرة. كانت إنسانته لا تزال متوترة وهو يقول: «الأمر متوقف عليك. إن كنت تقصدين وشوك موتنا معاً في إيطاليا، فهذا صحيح». كنت مستغرقة في التفكير وأنا أقول: «يا للغرابة! لقد ذهبت إلى إيطاليا فعلاً. أتعلم أنني لم أسافر طيلة حياتي إلى أبعد من البوكوريك؟». قلب عينيه يقول: «لعله يجب أن تعودني للنوم. أنت لا تقولين كلاماً مفهوماً».

بات كل شيء واضحاً في رأسي الآن، فقلت، «لم أعد أشعر بالتعب. كم الساعة الآن؟ كم استغرقت في النوم؟». «لم تتجاوز الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. وهكذا تكونين قد نمت أربع عشرة ساعة». كنت أتمطى بينما يجيبني، إذ كنت أشعر بالتصلب في كل أنحاء جسمي.

سألته: «وماذا عن تشارلي؟». قطب إدوارد يجيب: «ناتم. لعلك تعلمين أنني أخالف القواعد الآن. حسناً، ليس تماماً، إذ طلب إلي ألا أدخل من الباب مجدداً، فدخلت من النافذة... ومع ذلك أفهم أن قصده كان واضحاً، وأني خالفت إرادته». سألته وعدم التصديق يتحول إلى حلق: «وهل منعك تشارلي من دخول المنزل؟».

كانت عيناه حزيتين: «وهل تتوقعين منه شيئاً آخر؟». أما عيناها فكانتا غاضبتين. قد يكون لي حديث مع أبي، ربما يجدر بي أن أذكره أنني أصبحت راشدة. لم يكن ذلك ليشكل فارقاً كبيراً بالطبع لكن من حيث المبدأ، فقد تجاوزت سن المراهقة. وسرعان ما

ستختفي الأسباب التي تمنعني من القيام بأي شيء. وهكذا حولت مسار تفكيرتي نحو أمور أقل إيلاًماً. «ماذا سأقول له؟»، سألت بدافع الفضول الحقيقي محاولة الحفاظ على المنحى الطبيعي للحديث كما السيطرة على نفسي كي لا أخيفه وأبعده بنحون اشتياقي إليه. «ماذا تقصدين؟».

«ما الذي سأقوله لشارلي؟ ما العذر الذي سأقدمه لتبرير اختفائي عن المنزل... لكم يوم ثبت؟»، حاولت أن أعدّ الساعات في رأسي.

ضاعت عيناه لكنه كان يتسم بطبيعية أكبر هذه المرة وهو يقول: «ثلاثة أيام فقط. كنت آمل في الواقع أن يكون لديك تبرير مقنع، إذ لا أملك مثل هذا التبرير».

هممت أقول: «يا له من أمر رائع». اقترح محاولاً تهدئتي: «لعله يخطر ببال أليس عذراً ما». وقد أراحني كلامه فعلاً. من يهشم أصلاً لما عليّ التعامل معه لاحقاً؟ كل ثانية من وجوده هنا، قريباً مني على هذا النحو بوجهه الوسم الملامح مشرقاً بفعل ضوء الساعة الرقمية، هي ثانية قيمة يجب عدم إضاعتها سدى.

«إذاً». بدأت كلامي منتقية السؤال الأقل أهمية الذي يثير مع ذلك اهتمام كبيراً لدي. كنت قد وصلت إلى المنزل سالمة وقد يقرر أن يتركني في أي لحظة، لذا كان عليّ أن أحثه على الكلام. ثم أن البجعة المؤقتة التي أعيش فيها لن تكتمل من دون أن يملأها صوته، فقلت، «ما الذي كنت تفعله منذ ما قبل ثلاثة أيام؟».

يسيطر ملامح القلق على وجهه: «لا شيء مثير للاهتمام فعلاً». تلثمت أقول: «بالطبع لا».

«ولماذا تبدو هذه الملامح على وجهك؟».

التوت شفتاي وأنا أفكر ملياً: «إن كنت في النهاية مجرد حلم، لكنت قلت هذا الكلام تماماً. لا بد أنني استنفدت قدرتي على التخيل». تنهد يقول: «وإن أخبرتك ماذا كنت أفعل حقاً، فهل متصدقين في النهاية أنك لست ترين كابوساً؟».

رددت بازدياد: «كابوس!»، لم يصدر عنه أي رد فعل، وكان ينتظر إجابتي فقلت بعد أن فكرت ملياً: «ربما، إن أخبرني».

«كنت... أصطاد».

انتقدته أقول: «أهذا أفضل ما لديك؟ هذا لا يثبت أنني مستيقظة». تردد ثم قال ببطء منتقياً كلماته، «لم أكن أصطاد... بل كنت أجرب قدراتي في... التعقب. لست بارعاً في ذلك».

سألته وقد أثار الأمر اهتمامي: «وما الذي كنت تتعقبه؟».

«لا شيء مهم». لم تأت ملامح وجهه متوافقة مع ما قاله، إذ بدا حزناً متزعجاً.

«لست أفهمك».

تردد في الإجابة وبدأ وجهه ممزقاً بالحزن تضيئه ظلال خضراء منعكسة من الساعة الرقمية.

أخذ نفساً عميقاً يقول: «أنا... أنا أدين لك باعتذار. بل أدين لك بأكثر من ذلك بكثير. لكن عليك أن تعلمي...». بدأت الكلمات تتدفق سريعاً، إنها الطريقة التي أتذكر أنه كان يعتمد عليها حين يكون مهتاجاً بحيث كنت أضطر لأن أصب كل تركيزي معه لأفهم كل ما يقول. وتابع: «... أنه لم يكن لدي أي فكرة. لم أدرك مدى الفوضى التي خلقتها ورائي. كنت أظن أنك بأمان هنا. بأمان كبير. لم تكن لدي أي فكرة عن عودة فيكتوريا...». التوت شفتاه مجدداً حين ذكر اسمها، «أعترف بأنني حين رأيته في تلك المرة الوحيدة، كنت أولي اهتماماً أكبر لأفكار

جايمس. لكنني لم ألاحظ أن لديه مثل هذا التجارب معها. أو أن لديها مثل هذه المشاعر تجاهه. أعتقد أنني أدرك السبب الآن، كانت تثق به كثيراً ولم يخطر لها أنه سيخلدها يوماً. كان فرط ثقتها به هو ما جعل مشاعرها مشوشة حياله، وهذا ما منعتني من رؤية عمق أحاسيسها والرابط الذي يشدها إليه. لا يعني أن ذلك يبرر لي ما تركتك تواجهين. حين سمعت ما قلته لآليس، أو ما رأيته هي نفسها، حين أدركت أن عليك أن تؤمني على حياتك بين أيدي مستذئبين، مثقلين، غير ناضجين، وهو الأمر الأسوأ إضافة إلى وجود فيكتوريا...». ارتعد وتوقف سيل الكلمات للحظة قبل أن يتابع: «أرجو أن تعرفي أنه لم تكن لدي أدنى فكرة عن الموضوع. أشعر بالتعزز حتى الأعماق الآن وأنا أعلم أنك تسفين بين ذراعتي بأمان. إنني السبب الأكثر بؤساً...».

قاطعتني، أقول: «كفى».

حدقت في بعينين حزينتين. وحاولت إيجاد الكلمات المناسبة التي تحرره من التزامه الوهمي الذي يسبب له الكثير من الألم، كانت كلمات يضعب قولها. لم أكن أعلم إن كنت أستطيع قولها من دون أن أصاب بالانهيار. لكن عليّ أن أحاول القيام بالأمر على النحو الصحيح. لم أشأ أن أكون مصدر شعوره بالذنب والألم في حياته. يجب أن يكون سعيداً مهما كان الثمن.

كنت آمل حقاً أن أماطل بشأن الجزء الأخير من حديثنا. إذ إن ذلك سيضع حداً للأمور سريعاً.

إن أشهر الادعاء وتمثيل دور الشخص الطبيعي على تشارلي ساعدتني على أن أحافظ على هدوء ملامحي.

قلت، «إدوارد» شعرت باسمه بحرق حنجرتي في طريقه للخروج. استطعت أن أشعر بطيف الحفرة يتسع مجدداً حالما يعود ويختفي من حياتي. لم يسعني أن أتصور كيف سأنجو هذه المرة. فقلت له: «عليك



أن تكف عن التفكير على هذا النحو الآن. لا يمكنك فعل ذلك. لا يمكنك أن تدع ذلك... ذلك الشعور بالذنب... يسيطر على حياتك. لا يمكن أن تتحمل مسؤولية الأمور التي تحصل لي هنا، لست مذنباً بأي خصوص، بل إنها قسوة الحياة عليّ. لذا إن صدمتني حافلة أو تعرضت لأي حادث في المستقبل، عليك أن تدرك أنه لا يجدر بك إلقاء اللوم على نفسك. لا يمكنك أن تهرب إلى إيطاليا لأنك تشعر بالأسى لعدم تمكنك من إنقاذ. وحتى لو كنت قفزت عن الصخور بغية الانتحار فيكون ذلك خياراً، ولن يكون الذنب ذنبك. أعلم أن... أن من طبيعتك تتحمل مسؤولية كل ما يحدث. لكن لا يجدر بك أن تسمح لذلك أن يقودك نحو التطرف. هذا تصرف لأمسؤول، فكّر في كارلايل وإيزمي...»

كنت على وشك أن أفقد أعصابي. توقفت عن الكلام لآخذ نفساً عميقاً آمل أن يجلب لي ذلك بعض الهدوء. كان عليّ أن أحرره من هذه المسؤولية. عليّ أن أحرص على عدم حصول ذلك مجدداً. همس يقول: «إيزابيلا ماري سوان».

سيطرت على وجهه أغرب ملامح رأيها يوماً. بدا أشبه بالمجنون. تابع يسألني: «هل تعتقد أني طلبت إلى عائلة فولتوري قتلني لأنني كنت أشعر بالذنب؟»

استطعت أن أشعر بملامح خالية من التعبير تسود وجهي: «ألم تفعل؟»

«أفعل ماذا؟ أشعر بالذنب؟ بشكل مفرط. أكثر مما تستطيعين تصوره».

«ما الذي تقصده إذا؟ لا أفهمك».

أجاب بصوت رقيق وعينين متفرستين: «بيلا، ذهبت إلى فولتوري، لأنني ظننتك ميتة. حتى لو لم يكن لي علاقة بموتك... ارتعد

إدوارد بينما يتلفظ بالكلمة الأخيرة همساً: «حتى لو لم يكن الذنب ذنباً أنا، كنت سأذهب إلى إيطاليا. من الواضح أنه كان يجدر بي أن أكون أكثر انتباهاً. كان يفترض بي أن أتحدث إلى أليس بدلاً من تقبل الأمر عند سماعه من روزالي. لكن، ماذا كان ينبغي بي أن أفكر حين أخبرني الولد أن تشارلي يحضر الجنازة؟ ما هي الاحتمالات التي كان يمكن أن أفكر بها؟

تمتم شارد الذهن: «الاحتمالات...». كان صوته منخفضاً جداً بحيث لم أتأكد أنني سمعته بشكل صحيح: «الاحتمالات تلعب ضدنا دائماً. فترتكب خطأ بعد آخر. لن أنتقد روميو مجدداً». قلت له: «ما زلت لا أفهمك. هذه هي وجهة نظري، فما الذي تقصده؟»

«عذراً؟»

«ماذا لو كنت ميتة فعلاً؟»

تألمني بارتياح للحظة طويلة قبل أن يجيب: «ألا تذكرين شيئاً مما قلته لك سابقاً؟»

«بل إنني أتذكر كل ما قلته لي؟». بما في ذلك الكلمات التي تناقض كل ما تبقى.

لامس طرف إصبعه البارد شفتي السفلى يقول: «يبدو أنك أسأت فهمي بيلا». أغمض عيني وهرّ رأسه إلى الأمام والوراء وطيف ابتسامة يلوح على وجهه الجميل. «ظننت أنني أوضحت لك الأمر مسبقاً بيلا. لا أستطيع أن أعيش في عالم لا تكونين فيه».

شعرت برأسي يدور وأنا أبحث عن الكلمة المناسبة، وقلت: «أنا مشوشة». نجحت في اختيار الكلمة إذ إنني لم أفهم ما الذي يقوله.

بحق في عمق عيني بنظراته الصادقة العميقة وقال: «أنا كاذب بارع - بيلا، لا بد أنني كذلك».

تجمّدت في مكاني وتصلبت كل عضلة من عضلات جسمي . شعرت بقلبي يتمزق بين ضلوعي وخطف الألم أنفاسي . هرّ كئيفي محاولاً أن يخفف حدة تصلبي . انكمش فجأة وهو يقول : «دعيني أنهي كلامي ! أنا كاذب جيد ، هذا صحيح ، أما أن تصدقيني بهذه السرعة ، فذلك مضمّن» .

انتظرت بصمت وكنت لا أزال متجمدة في مكاني :

«حين كنا في الغابة ، وكنت أودعك . . .» .

لم أسمح لنفسي بأن أتذكر ذلك ، وجاهدت لأركز على اللحظة الراهنة وحسب .

همس يقول : «ما كنت لتسمحي لي بالذهاب . أمكنتي رؤية ذلك . لم أشأ الرحيل . . . شعرت أن ابتعادي عنك سيقتلني . . . لكني كنت أعلم أنني إن عجزت عن إقناعك بعدم حيي لك ، ستحتاجين لوقت أطول كي تمضي بحياتك قدماً . أملت أنك إن اعتقدت بأنني سأتابع حياتي بعدك ، ستقومين أنت بالمثل» .

همست دون أن تحرك شفتاي : «انفصال هادئ» .

«بالضبط . لكن لم يخطر لي يوماً أن الأمر سيكون سهلاً . كنت أعرف أنك لن تصدقيني ، وأن هذا أقرب إلى المستحيل ، قمضيت أتع نفسي بالكذبة وأكررها على مسمي لساعات لمجرد أن أززع بذور الشك في رأسك . فكذبت ، وأنا آسف بشأن ذلك ، آسف لأنني آذيتك وآسف لأن جهودي ذهبت سدى . أعتذر لأنني لم أتمكن من حمايتك من حقيقتي . كذبت لأحميك لكني لم أنجح . آسف .

لكن كيف أمكنك أن تصدقيني؟ بعد آلاف المرات التي أخبرتك فيها أنني أحبك ، كيف استطعت أن تسمحي لكلمة واحدة أن تفقدك ثقتك بي؟»

لم أقدم أي إجابة . كانت الصدمة قد أخذت مني كل مأخذ .

«استطعت أن أرى ذلك في عينيك . لمست الشك فيهما ، وأنت قد تصدّقين أنني ما عدت أريدك . وكان ذلك الأمر الأكثر سخافة بالنسبة لي ؛ وكأنه من الممكن لي أن أعيش من دون أن أكون بحاجة إليك» . كنت لا أزال مسخرة في مكاني . لم تكن كلماته مفهومة لأنها كانت مستحيلة .

هرّ كئيفي مجدداً ، ليس بقوة إنما بما يكفي لتصطك أسناني قليلاً .

تهدد يقول : «بيلاً ما الذي كان يجول في خاطرك؟» .

بدأت أبكي . اغرورقت عيني بالدموع وانسكبت فوق وجتاي .

شهقت أبكي وأقول : «كنت أعرف ، كنت أعرف أنني كنت أحلم» .

ضحك مرة واحدة ضحكة غاضبة مجبطة وقال : «أنت لا تصدقين .

كيف سأقول لك ذلك لتصديقني؟ أنت لست نائمة ، ولست ميتة . أنا هنا وأحبك . لطالما أحبيتك ، وسأحبك دائماً . كنت أفكر فيك طوال الوقت وأنخيل وجهك كل ثانية كنت فيها بعيداً عنك . حين أخبرتك أنني لا أريدك ، كان ذلك أسوأ أنواع الكذب» .

هززت رأسي بينما استمرت الدموع تنسرب من زوايا عيني .

همس يقول : «أنت لا تصدقيني ، أليس كذلك؟ كيف يمكن لك أن تصدقي الكذبة ولا تصدقين الحقيقة» .

بالرغم من الضوء الخافت ، استطعت أن أرى أن وجهه كان أكثر شحوباً مما هو عليه عادة .

شرحت بصوت تقطع مرتين : «لم تعتبر حبك لي يوماً أمراً منطقياً .

لطالما عرفت ذلك» .

ضاحت عيناه وتصلبت عضلات فكيه .

وعدني يقول : «سأثبت لك أنك مستيقظة» .

احتضن وجهي بين يديه الحديديتين ، متجاهلاً مقاومتي حين حاولت أن أبعد وجهي .

همست أقول: «لا تفعل أرجوك».

فتوقف لا تبعد شفاه سوى بضع مستعثرات عن شفتي.

طالبي يقول: «ولم لا؟»، أحسست بأنفاسه على وجهي فأدارت رأسي.

قلت له: «عندما أستيقظ...».

فتح فمه ليعترض لذا راجعت كلامي أقول: «حسناً، إنس ذلك، لكنني أخاف أنك عندما ترحل مجدداً، سيكون الأمر صعباً جداً بالنسبة لي».

تراجع قليلاً ليحلق في وجهي.

«بالأمس حين لامستك كنت مترددة جداً... حذرة جداً، ومع ذلك لا تزالين كما أنت. أريد أن أعرف السبب. هل لأنني تأخرت كثيراً؟ هل لأنني أذيتك كثيراً؟ لأنك سرت بحياتك قديماً، كما أردت لك أن تفعل؟ سيكون ذلك... عادلاً تماماً. لن أجادلك حول قوارك، لذا لا تحاولي أن توقري لي ما تبقى من مشاعرك. أخبريني الآن من فضلك ما إذا كنت لا تزالين تستطيعين أن تحبيني، بعد كل ما فعلته بك. هل تستطيعين؟».

«أي سؤال أحسن هو هذا؟».

«أجيبني وحسب، أرجوك».

حدقت فيه للحظة قائمة طويلة: «المشاعر التي أكتها لك لن تتغير. بالطبع أحبك، ولا يسعني فعل شيء حيال ذلك!».

«هذا كل ما أردت سماعه».

شعرت بقمه على شفتي بعدئذ، ولم أستطع مقاومته. ليس لأنه أقوى مني آلاف المرات بل لأن إرادتي وهنت واختفى كل أثر لها لحظة التقاء شفاهنا. لم تكن قبلة حذرة كسابقاتها على ما أذكر، وقد أحبيت

ذلك. كان الأمر ليمزقني بجميع الأحوال لذا سأحصل على أكبر قدر منه الآن طالما أستطيع.

لذا بادلت العناق بحرارة ودقات قلبي المتقطعة تنبض بنوعانية وأنفاسي تلهت بعشوائية وأصابعي تتحرك بينهم متلصقة وجهه. شعرت بجسده الرخامي الملاصق لجسدي بتناغم، وكنت سعيدة أنه لم يصغ إلي. لا شيء في العالم يوازي ألم الاشتياق لهذا الشعور. كانت يداه تلامسان وجهي تذكران تفاصيله جيداً. وكانت يداي تقومان بالمثل، ولحظة تحررت شفاه كان

يهمس باسمي.

حين بدأت أشعر بالدوار، كان هو يتراجع للوراء ويضع أذنه على قلبي.

استلقت في مكاني مذهولة أنتظر أن يصبح تنفسي أكثر بطشاً وهدوءاً.

قال بنبوته المعتادة: «بالمناسبة، لن أتركك».

لم أقل شيئاً، وبدا أنه لمس الشك في صمتي.

رفع وجهه وتسمرت نظراته على عيني وهو يقول: «لن أذهب إلى أي مكان، ليس من دونك». توقف عن الكلام لبرهة ثم أضاف بنبوة أكثر جدية: «تخلت عنك في البداية لأنني أردت لك أن تحظي بقرصة عيش حياة طبيعية بشرية سعيدة. كنت أدرك ما الذي أفعله بك، إذ كنت أبقيك في دائرة الخطر، وأسرقك من العالم الذي تنتمين إليه، وأخاطر بحياتك كل لحظة أكون فيها معك. لذا كان علي أن أحاول أن أبتعد. كان علي القيام بشيء ما، وبدا لي أن الرحيل هو الطريق الوحيد، لو لم أعتقد أنك ستكونين بحال أفضل بعيداً عني لما فكرت في الرحيل. أنا أناني جداً. أنت وحدك الأكثر أهمية مما أريد... أو أحتاج. وما أريده واحتاجه هو أن أكون معك، وأعلم أنني لن أتمتع مطلقاً بما يكفي من

القوة لأنخلي عنك مجدداً. لدي الكثير من الأسباب التي تجعلني أبقي،  
وأشكر السماء على ذلك! يبدو أنك لن تكوني بأمان مطلقاً، ولو فرقتنا  
آلاف الأميال».

همست أقول: «لا تعدني بشيء». إذا عللت النفس بالأمان...  
وعدت بسلة فارغة... ساموت حتماً. سيفعل تحليل النفس بالأمنيات ما  
عجز عنه كل مصاصي الدماء عديمي الرحمة.

التمعت عيناه غضباً وهو يقول: «أنظنين أنني أكذب عليك الآن؟»  
«لا، لا أظنك تكذب». هزرت رأسي محاولة أن أربط الأمور  
منطقياً لي رأسي، أن أقلب فرضية حبه لي، وأظل في الوقت عينه  
موضوعية، حيادية لأنجنب الوقوع في فخ الأمل.

«قد تكون ما تقول... الآن. لكن ماذا عن الغد، حين تفكر في  
الأسباب التي جعلتك تباعد عني أصلاً؟ أو الشهر المقبل حين يحاول  
جاسبر الإقراض علي؟».

انقبض وانخذل.

فكرت في الأيام الأخيرة من حياتي التي سبقت تخليهِ عني،  
وحاولت أن أراها من منظار ما يخبرني به الآن. عندما تصورت بأنه  
تركني وهو لا يزال يحبني وأنه تركني من أجلي اتخذت فترات صمته  
المقلق البارد معنى مختلفاً.

تكهنت أقول: «وكانك لم تدرس قرائك الأول، أليس كذلك؟  
سيتهي بك الأمر بجميع الأحوال بأن تقوم ما هو صائب».

أجاب: «لست بالقوة التي تظننني أتمتع بها. لم يعد الصواب  
والخطأ يعنيان لي الكثير، كنت سأعود بأي حال. قبل أن تنتقل لي  
روزالي الأخبار، كنت قد تجاوزت محاولة البقاء حياً أسبوعاً بعد آخر أو  
حتى يوماً بعد آخر. كنت أجاهد لأبقى على قيد الحياة ساعة تلو  
الأخرى. كانت مسألة وقت وحسب، ولم يكن ليمضي منه الكثير قبل

أن أظهر عند نافذتك وأتوسل إليك أن تعيديني إليك. وسيسعدني أن  
أتوسل إليك الآن، إذا أحببت».

تغضن وجهي: «كن أكثر جدية، لو سمحت».

أصر محملاً يقول: «أنا كذلك. هلا تحاولين، أرجوك، الإصغاء  
لما سأخبرك به؟ هلا تسمحين لي أن أشرح لك ما الذي تعنيه لي؟».

انتظر يتفرس معالم وجهي وهو يتكلم ليتأكد أنني كنت أصغي فعلاً.

«قبلك بيلاً، كانت حياتي أشبه بليلة مظلمة لا قمر فيها. كانت

مظلمة جداً، لكن كانت هناك نجوم، نقاط مضيئة، ومنطق».

.. ومن ثم لمعت في سمائي كشمس. وفجأة اشتعلت الشرارة

ورسدها التالى والبهاء. وحين ذهبت وسقط الشهب من عليان واختفى

عادت الظلمة. لكنها لم تكن كالظلمة التي كانت، فقد أعمى الضوء

عيني. واختفت النقاط المضيئة وما عدت أستطيع رؤية النجوم. وما عاد

أي شيء يتمتع بالمنطق».

أردت أن أصدقه. لكن تلك كانت حياتي أنا تماماً من دونه هو

وليس حياته هو من دوني أنا.

تلعثمت أقول: «ستكيف عيناك مع الضوء الجديد».

«هنا تكمن المشكلة. إنهما عاجزان عن ذلك».

«وماذا عن انشغالاتك الأخرى؟».

أطلق ضحكة تخلو من كل أثر للبهجة: «كانت تلك مجرد جزء من

الكتابة حبيبي. لم يكن هناك ما يشغلني عن... العذاب والألم. لم

ينبض قلبي لما يقارب تسعين عاماً، لكن ذلك كان مختلفاً. وكان قلبي

قد اختفى... وكأنني كنت فارغاً. وكأنني قد تركت كل ما في داخلي هنا

معك».

تمتمت أقول: «هذا مضحك».

تنزّس أحد حاجبيه المرسومين: «مضحك؟».



«اعتي غريب... كنت أظنني وحدي في تلك الدوامة، فقدت أجزاء كثيرة مني كذلك، لم أكن قادرة على تنشق ما يكفي من الهواء لوقت طويل». عبأت رثتي أنعم برفاهية الإحساس، وأضفت، «أما قلبي، فكان ضائعاً لا محالة».

أطبق عيني وألقى أذنه فوق قلبي يستمع لدقاته مجدداً. سمحت لوجعتي أن تضغط برفق وتلمست شعره أشعر به على جلدي واثنت رائحته اللذيذة المسكرة.

سألته بدافع الفضول كما بدافع الحاجة لأن أشغل نفسي، «إذاً لم يكن التعقب أحد مشاغلك؟». كنت أدنو من دائرة الخطر المسماة الأمل. لن أتمكن من ردع نفسي طويلاً. قلبي كان يخفق بسرعة ويغني بين ضلوعي.

تهجد نجيب: «كلا. لم يكن ذلك مطلقاً أحد الأمور التي تشغلني عنك. بل كان واجباً».

«ماذا يعني ذلك؟».

«يعني أنه وعلى الرغم من أنني لم أتوقع أن تشكل فيكتوريا أي خطر عليك، لم أكن لأسمح لها بأن تنجو... حسناً كما قلت لك كنت فاشلاً في ذلك، لقد تعقبتها حتى تكساس، ثم اتبعت مساراً خاطئاً قادني إلى البرازيل. وقد أتت إلى هنا فعلاً. حتى أنني لم أكن في القارة الصحيحة! وأثناء تلك الفترة كلها، أسوأ من أسوأ مخاوفي...».

«كنت تتعقب فيكتوريا لأصطيادها!»، زعقت ما إن وجدت صوتي. تقطع صوت شخير تشارلي الآتي من البعيد وعاد إلى وتيرته المنتظمة.

أجاب إدوارد يتفحص ملامحي الثائرة غضباً بنظرة مرتبكة: «ليس كما يجب. لكن أدائي سيكون أفضل هذه المرة. لن تعيش ما يكفي لتلوث الهواء».

نجحت في أن أتلفظ كلمات مخنونة فأقول، «هذا أمر مقروغ منه». كان الأمر عبارة عن جنون مطبق. فحتي لو توفر كل من إيميت وجاسبر لمساعدته، حتى لو حصل فعلاً على عون إيميت وجاسبر، كان الأمر أكثر سوءاً من تخيلاتي الأخرى التي تصور جايكوب بلاك مثلاً بمواجهة فيكتوريا الشريرة المتوحشة، لا تفصل بينهما سوى مسافة صغيرة. لم أكن أحتمل رؤية إدوارد في هذا الموقف، على الرغم من أنه كان أصلب عوداً من صديقي المفضل شبه البشري.

«لقد تأخرت كثيراً لأتخلص منها. لعلني تركتها تغلت مني في المرة السابقة، لكن ليس الآن، ليس بعد أن...».

قاطعته مجدداً أحاول أن أبدو هادئة: «ألم تعدني للتو بأنك لن ترحل؟». طرحت السؤال وأنا أحارب الكلمات التي أتلفظ بها، أمنها من أن تنغرس في قلبي. «لا يتطابق ذلك كثيراً مع مسألة التعقب المستدامة، أليس كذلك؟».

قطب وجهه وقد أخذ صوت الهمهمة يعلو في صدره وهو يقول: «لن أخلف بوعدي بيلاً، لكن فيكتوريا يجب أن تموت قريباً».

قلت محاولة أن أخفي الرعب الذي دب في قلبي: «دعنا لا نتمسح. لعلها لن تعود. لعل زمرة جايك أخافتها فهربت. ليس هناك من سبب يدعو للبحث عنها. ثم أنني أواجه مشاكل أخطر من مشكلة فيكتوريا».

ضاعت عينا إدوارد، لكنه أوماً يقول: «هذا صحيح. فالمستثنون مشكلة كذلك».

زمجرت أقول: «لم أكن أتحدث عن جايكوب. مشاكلني تتخطى حفة من الذئاب المراهقين الذين يورطون أنفسهم بالمتاعب».

ربدا إدوارد على وشك أن يقول شيئاً لكنه غيّر رايه، اصطكت أسنانه وخرجت الكلمات غاضبة من بينها: «حقاً؟ وما الذي عساه يكون أخطر

مشاكلك؟ بحيث يجعل عودة فيكتوريا تبدو مسألة تافهة».

راوغت أقول: «حسناً، دعنا نسميه ثاني أعظم خطر يهددني».

واقفني بارتياب: «طُيْب».

توقفت عن الكلام لبرهة غير واثقة من قدرتي على التلفظ بالاسم، وذكرته بهمس مكتوب: «هناك آخرون سيأتون بحثاً عني».

تنهد لكن رد فعله لم يكن بالقوة التي تصورت بعد أن شهدت موقفه من قصة فيكتوريا.

«وهل تشكل عائلة فولتوري ثاني أعظم خطر يهددك؟».

«لا يبدو أن الأمر يحزنك».

أجاب بخفة: «حسناً، لدينا متسع من الوقت للتفكير في الأمر. الوقت بالنسبة لهم مفهوم يختلف تماماً عما يشكله بالنسبة لك أولي. إنهم يعدّون السنين كما نعدّ نحن الأيام. لن يدهشني أن تبلغني الثلاثين من العمر قبل أن تخاطري على بالهم مجدداً».

سرت في أوصالي ارتعاده.

الثلاثين.

أي أن عوده لم تكن تعني شيئاً في النهاية. إن كنت سأبلغ الثلاثين يوماً، فهذا يعني أنه لم يكن يخطط للبقاء كل تلك المدة. الألم المبرح الذي خلفه قوله ذاك جعلني أدرك أنني كنت قد بدأت ابني الأمل، من دون أن أستاذن نفسي لفعل ذلك.

«ليس عليك أن تشعرني بالخوف، لن أسمح لهم بأذيتك». قال ذلك وهو يشعر بالقلق إزاء رؤية الدموع التي بدأت ترطب جفني.

«بينما أنت معي». إذ إنني لم أكن أهتم بما سيحصل لي حين يتركني.

احتضن وجهي بكلتا يديه الباردتين بحثاً وعينه تخترقان أعماق

روحي بجاذبية خارقة وقال: «لن أتركك ثانية البتة».

همست أقول: «لكنك قلت حين أبلغ الثلاثين». تسربت الدموع من حافة الجفن بينما أضيف: «ماذا؟ هل ستبقى معي وتتركني أتقدم في السن؟ أم ماذا صحيح؟».

رقت عيناه وتصلب فكاه: «هذا ما أنوي فعله بالضبط. وهل أملك خياراً؟ لا يمكنني البقاء من دونك، لكني لن أدور روحك».

«أهذا حقاً...»، حاولت أن أحافظ على نبرة مائدة لكن السؤال كان قاسياً وصعباً. تذكرت ملامح وجهه حين كاد أرو يتوسله ليحولني إلى شخص خالد. واسترجعت صورة الاشتمزاز. أكان إصراره على الحفاظ على طبيعتي البشرية مجرد قضية الحفاظ على روعي أم أنه لم يكن واثقاً من رغبته بالاحتفاظ بي طول كل تلك المدة؟

«حقاً ماذا؟»، سألتني يتظر أن أطرح عليه السؤال.

لكنني طرحت سؤالاً مختلفاً. قاسياً وصعباً أيضاً ولو بمستوى أقل. «لكن ماذا سيحصل حين أصبح جدّ مسنة فيظنني الناس أمك، أو جدتك؟». كان صوتي خافتاً يزخر بالنفور، وتمكنت من رؤية وجه جدتي في مرآة الحلم.

باتت الرقة تسيطر على كل ملامح وجهه الآن. مسح الدموع التي تروي وجنتي بشفتيه وشعرت بأنفاسه قريبة من بشرتي وهو يقول: «لا يعني لي ذلك شيئاً. ستظلين دوماً أجمل ما في عالمي. بالطبع...». تردد يتقبص نوعاً ما قبل أن يتابع: «إن هجرتني بعد أن تصبichi أكبر مني سناً، سأنفهم ذلك بطلاً. أعذك أنني لن أقف في طريقك إن أردت أن تتركني».

بدت عيناه كقطعتي حجارة ذاتية وصادقتان بالكامل. تكلم وكأنه قد أمعن التفكير بخطته البلهاء تلك.

سأله: «لكنك تدرك أنني سأموت في النهاية، أليس كذلك؟».

لقد فكر في ذلك أيضاً، فأجاب: «سألتك بك حالما أستطيع».  
«إن هذا...» أخذت أبحث عن الكلمة المناسبة فقلت، «مفتزز  
للنفس فعلاً».

«بيلاً، إنها الطريقة الوحيدة الصحيحة المتبعة...».

قلت له: «دعنا نراجع الأمر للحظة»، الشعور بالغضب يسهل  
الطريق أمام الوضوح والحسم. «أنت تتذكر الفولتوري، صحيح؟ لا  
يسمعي البقاء بشرية للابد. حتى لو لم أخطر ببالهم إلى أن أبلغ الثلاثين  
من العمر. أنظفهم سينسون فعلاً؟».

أجاب يهز رأسه ببطء: «كلا، لن ينسوا. لكن...».  
«لكن ماذا؟».

ضحك بينما أرمقه بقلق. لعلي لم أكن المجنونة الوحيدة.  
«لدي بضع خطط حيال ذلك».

قلت بشرة تزداد قسوة مع كل كلمة: «وتلك الخطط، تتمحور  
جميعها حول الحفاظ على طبعتي البشرية».

تصلب لموقفي المعلن وأنت نعمة صوته رشيقة وملامح وجهه  
الجميل يسودها الاعتداد بالنفس: «بطبيعة الحال».

ومق أهدنا الآخر نظرات شزر للحظة طويلة. ثم أخذت نفساً عميقاً  
وعذلت كتفي أبعد ذراعيه عني لأتمكن من الجلوس باستقامة.

سألني يقول: «هل تريدني أن أرحل؟»، نسي قلبي إحدى دقائقه  
وأنا أدرك كم تعذبه الفكرة، مع أنه حاول إخفاء ذلك.

«كلا، بل أنا من سيرحل».

راقبني وأنا أنزل عن السرير بارتياح أهيمن في الغرفة المعتمة على  
غير هدى بحثاً عن حدثاتي.

سألني: «وهل لي أن أعرف إلى أين تذهبن؟».

أجبت وأنا لا أزال أفتش: «سأذهب إلى منزلك».  
نهض ووقف إلى جانبي، وقال بلمهجة عادية جداً: «ها هو  
هذا لك. كيف تنوين الذهاب؟».

«بشاحتي».

قال محاولاً ردعي: «قد يوقظ ذلك تشارلي».

تهتدت قائلة: «أعلم، سأتعرض للتوبيخ على مدى أسابيع، ولن  
يكون ذلك أسوأ مما تعرضت له حتى الآن».

«لن تعرضي لشيء». سيليقي باللوم عليّ وليس عليك».

«إن كان لديك اقتراح أفضل، فأني أذان صاغية».

«إقني هنا». اقترح قائلاً دون أن يحدوه الأمل.

«غير ممكن. لكن بينما أذهب تصرف وكأنك في بيتك». حدثته  
مدهولة للبشرة الطبيعية التي خرجت بها الكلمات المغيظة، وتوجهت نحو  
الباب.

وجدته أمامي مباشرة يسد عليّ الطريق.

قطبت والفتحت نحو النافذة. لم تكن تعلو عن الأرض كثيراً وكانت  
الأرض بمعظمها مغطاة بالعشب.

تهتد يقول: «حسنًا، سأوصلك».

هززت كتفي أقول: «في كل حال، ربما يفترض بك أن تكون هناك  
كذلك».

«ولماذا؟».

«لأنك الأكثر تصلباً برأيك. وأنا واثقة أنك تحتاج لفرصة من أجل  
مراجعة آرائك».

سأل: «آرائي حول أي موضوع؟».

«لم يعد الأمر يتعلق بي وحسب. وأنت لست محور العالم كما

تعلم». القصة مختلفة تماماً بالنسبة لعالمي الخاص. «إن كنت مستمع للفولتوري بالانقضاء علينا لسبب سخيف يتعلق بالحفاظ على طبيعتي البشرية، فلا بد أن تبدي عائلتك رأيها حول هذا الشأن».

سأل بكلمات متباعدة: «بأي شأن؟».

«حول مسألة القناء أو عدمه، سأعرض الموضوع على التصويت».

## التصويت

كان عدم الرضا واضحاً على وجهه. لكن من دون أي نقاش إضافي، أخذني بين ذراعيه وقفز بي كالقط من النافذة بسهولة لنحط على الأرض من دون إصدار أدنى ضجة. كان المكان أبعد بقليل مما توقعت.

قال بصوت يزخر بعدم الرضا: «حسناً إذاً، إصعدي». ساعدني لأصعد إلى ظهره، وانطلق راكضاً. على الرغم من مرور كل هذا الوقت، شعرت بأن الأمر روتيني، سهل. من الواضح أنه شيء يصعب نسيانه كما لو أنه ركوب دراجة.

كان الصمت والظلام يخيمان على الغابة حيث يركض. كانت وتيرة تنفسه بطيئة منتظمة. كان الظلام حالكاً بحيث كانت الأشجار تختفي وراءنا، أنبأتني قوة الهواء الذي يصفق رجهي بمدى سرعتنا. كان الهواء رطباً فلم أشعر بعيني تحترقان كما فعلتا على طريقنا نحو القصر في إيطاليا، وقد أراحني ذلك. ولم يُخَفِّنِي الليل كذلك. بدت العتمة لي مألوفة تحميني كما لو أنني طفلة تلعب تحت اللحاف.

تذكرت أنني كنت أخاف كثيراً من الركض في الغابة على هذا النحو. وكنت معتادة على إغماض عيني. بدارة فعل سخيفاً بالنسبة لي الآن. أبقيت عيني متسعيتين وأسندت ذقني إلى كتفه ووجنتي إلى رقبته. كنا نسير بسرعة هائلة، بما هو أفضل من ركوب الدراجة بمئة مرة.



أدبرت وجهي نحوه وضغطت بشفتي على رقبة الحجرية.

قال بينما الأشجار تركض بسرعة باتجاه معاكس، «شكراً. هل يعني ذلك أنك قررت بأنك مستيقظة؟».

أطلقت ضحكة طبيعية غير متكلفة. بدت وكأنها تأتي في الإطار المناسب: «ليس فعلاً، بل إنني أحاول ألا استيقظ. ليس الليلة».

تمتم وكأنه يقول لنفسه أكثر مما يخبرني: «سأستعيد ثقتك مجدداً بطريقة ما، ولو كان ذلك آخر شيء أقوم به في حياتي».

أكدت له أقول: «أنا أثق بك، لكنني لا أثق بنفسي».

«هلا شرحت لي ذلك من فضلك؟».

تمكنت أن أعرف أنه أبداً في سيره، لأنني شعرت بالهواء يتوقف وأدركت أننا أصبحنا على مقربة من المنزل. أظن أنني في الواقع سمعت صوت هدير نهر ما يتدفق تحت جناح الظلام في الجوار.

بدلت مجهوداً كي أجد الطريقة المناسبة لصوغ الإجابة وقلت، «حسناً، لا أثق بأنني... أكفي. بأنني أتمتع بما يجعلني أمتحك. لا أملك أيّاً من المواقفات التي تجعلني واثقة أنني سأحتفظ بك».

توقف عن السير وأنزلني عن ظهره. لم يرفع يديه التاعمتين عني بعد أن أوقفني على قدمي مجدداً، وطوقني بذراعيه يضممني إلى صدره بقوة.

همس يقول: «ستحتفظين بي للأبد ولن يفرقنا شيء». لا تشككي بذلك.

لكن كيف لا أفعل؟

تمتم يقول: «لكنك لم تخبريني مطلقاً...».

«أخبرك بماذا؟».

«بأعظم مشاكلك».

تنهدت ورفعت يدي الأيمن بسبباني رأس أنفه وقلت: «سأمنحك فرصة وحيدة لتحزن بنفسك».

أوماً قائلاً: «أنا أسوأ من الفولتوري». ثم أضاف عابساً: «أظن أنني أمتحنت ذلك».

قلبت عيني أقول: «أسوأ ما يمكن للفولتوري فعله بي هو قتلي». انتظر أن أكمل ونظراته متوترة.

«لكن أنت تستطيع التخلي عني... ولا يمكن للألم الناجم عن فولتوري وفيتوريا معاً أنفسهم أن يوازي ألم خسارتك مجدداً».

حتى نحت جناح الظلام، استطعت أن أرى ملامح وجهه تتلوى حزناً، فذكرتني بمنظوره تحت نظرات جاين المعذبة. شعرت بالاشمئزاز والندم لقول الحقيقة.

ممسك الأيمن وجهه: «لا تحزن».

التوت شفاهه عن ابتسامة لم يصل أثرها إلى عينيه وقال: «آه لو كان هناك من طريقة لأجعلك تتأكدين أنني لن أتركك. الوقت، وحدة الوقت سيكفل بإقناعك».

أعجبتي فكرة الوقت تلك، فوافقته الرأي قائلة: «حسناً، فليكن».

كانت لا تزال ملامح العذاب تغطي قممات وجهه. حاولت إلهاءه بأمور تافهة أخرى.

«إذاً، وبما أنك متبقى، هل لي أن أستعيد أغراضي؟». طرحت السؤال بما استطعت من الخفة والهدوء.

نجحت محاولتي إلى حد ما، فضحك، لكن ملامح الحزن لم تفارق عينيه. أخبرني قائلاً: «لم تخف أغراضك مطلقاً من منزلك. أعلم أنني كنت مخطئاً بعدم أخذها بما أنني وعدتك بأن تنعمي بالسلام من دون أشيله نذكرك بي. القرص المدمج والصور والبطاقات، كلها موجودة تحت أرضية غرفتك».

أوما وقد بدا متحمساً على ما يبدو لبهجتي بمعرفة الحقيقة النافذة.  
لم يكن ذلك كافياً لمسح آثار الألم عن وجهه.

قلت له ببطء: «أعتقد، حسناً لست واثقة، لكنني أتساءل...»  
أظنني كنت أعرف بالأمر طيلة الوقت.

«ما الذي كنت تعرفه؟»

ما كنت راغبة إلا بإزالة مسحة الألم من عينيه، لكن ما إن تلفظت  
بالكلمات حتى بدت أصدق مما كنت أتوقع

«جزء مني، اللاوعي ربما، لم يكف يوماً يؤمن أنك لا تزال تهتم  
لأمر يقائني على قيد الحياة. لعل ذلك كان السبب وراء سماع  
الأصوات».

ساد صمت عميق بيننا للحظة قبل أن يسأل بتيرة خالية من أي  
تعبير: «أصوات؟»

«حسناً، إنه صوت واحد وحسب، صوتك أنت. إنها قصة  
طويلة».

عندما رأيت النظرة القلقة على وجهه تمنيت لو أنني لم أفتح  
الموضوع. هل سيظنني مجنوناً كما يفعل الآخرون؟ هل كان الجميع  
محققاً بهذا الشأن؟ لكن الملامح التي كانت تظهره وكأن شيئاً ما يعذب قد  
اختفت على الأقل.

كانت نبرته عادية على نحو غير طبيعي وهو يقول: «لدينا متسع من  
الوقت».

«إنها قصة مثيرة للشفقة».

ظل ينتظر صامتاً.

لم أكن واثقة كيف سأشرح الأمر له: «هل تذكر عندما حدثتك  
أليس عن الرياضات الخطرة؟».

أجاب من دون تفكير أو تيقن: «تعتين مسألة ففرك عن الصخور  
على سبيل التناية»

«أجل صحيح، وقصة الدراجة النارية قبل ذلك...».

«الدراجات النارية؟»، كنت أعرف تلك النبرة جيداً وأدرك أنها  
تخفي النيران خلف قناع الهدوء.

«أظنني لم أخبر أليس بذلك».

«كلا، لم تفعلني».

«حسناً، في ما يتعلق بهذه القصة... إسمع، اكتشفت أنه حين  
أقدم على تصرف خطر أو أحمق... أستطيع أن أتذكرك بمزيد من  
الوضوح». تابعت الاعتراف وأنا أشعر بأني عاقلة بالكامل، «استطعت أن  
أذكر نبرة صوتك حين تكون غاضباً. كنت أستطيع سماعك وكأنك تقف  
هنا بجاني. كنت أحاول في معظم الأحيان ألا أفكر فيك، لكن سماع  
صوتك لم يكن يسبب لي الكثير من الأذى، وكأنك تقوم بحمايتي  
مجدداً. وكأنك لا تريدني أن أصاب بالأذى. حسناً، أتساءل ما إذا كان  
السبب وراء سماعك بهذا الوضوح، يعود إلى أنني كنت أعرف دوماً في  
أعماقي أنك لم تتوقف عن حبي».

حين تكلمت مجدداً كانت كلماتي تحمل هادئة محمّلة بالصدق  
والقناعة. كنت أدرك الحقيقة في أعماقي،

أما كلماته فخرجت من حنجرتة نصف مخنوقة وهو يقول،  
«كنت... تخاطرين... بحياتك... من أجل أن تسمعي...».

قاطعته أقول: «انتظر لحظة. أعتقد أنني أبصر رؤية ما».

فكرت في تلك الليلة في بورت أنجلس، حين شهدت أول  
تخيّلاتي. كنت أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الجنون أو تحقيق  
الأمنيات.

لكن ماذا لو...

ماذا لو آمنت بصدق أن شيئاً ما صحيح وكنت مخطئاً بالكامل؟ ماذا لو كنت تصر بعناد على أنك محق بحيث لا تعود تأخذ الحقيقة في الاعتبار؟ هل تستسكت صوت الحقيقة أو أنها ستحاول اختراق جدار الصمت؟

الخيار الثالث يقول إن إدوارد كان يحيني، الرابط الذي كان يجمع بيننا لا يكسر الغياب ولا المسافة ولا الوقت. ومهما كان يفوقني تميزاً ووسامة وذكاء، لقد تغير بما لا رجعة فيه تماماً كما فعلت أنا. وكما سأكون له دوماً وسيكون هو لي.

هل كان ذلك ما كنت أحاول إقناع نفسي به؟

«آه».

«بيلاً؟».

«آه، حسناً، فهمت».

سأل بنبرة غير منتظمة متوترة: «ماذا فهمت؟ ما الذي رأيته؟».

قلت متعجبة: «أنت تحبني».

مع أن عيني كنا لا تزالان قلقين، أشرق وجهه بالابتسامة الملنونة التي أعشقها وقال: «أحبك بصدق».

انتفخ قلبي فشعرت بأنه كاد ينفجر ويففز من بين ضلوعي. شعرت بأنه يملأ صدري ويسد حلقي فيمتعني من الكلام.

لم يكن يريدني على النحو الذي أريده؛ أي للأبد. الخوف على روحي، الخوف على الميزات الإنسانية التي لم يشأ أن يأخذها مني جعلني بأني من حجر حالة عدم الخلود. لكن مقارنة مع خوفي من عدم رغبته بي، بالكاد بدت روحي، ذاك السياج الحاجز ذات أهمية. أخذ وجهي بين يديه الباردتين وقبّلني بشغف حتى شعرت بالغابة تدور من حولي. ثم أسند جبينه إلى جبيني ولم أكن الوحيدة التي تتنفس بوتيرة أسرع من العادة.

أخبرني يقول: «تعرفين، كنت أكثر براعة مني في ذلك».

«أكثر براعة بأي معنى؟».

«في البقاء على قيد الحياة. لقد بذلت مجهوداً على الأقل. كنت تتبطلين كل صباح، تحاولين أن تكوني طبيعية من أجل تشارلي، وتتابعين نمط حياة عادي. بينما حين لم أكن متهمكاً بالتعقب... كنت عديم الفائدة بالكامل. لم أكن أستطيع البقاء مع عائلتي أو مع أي كان. أشعر بالحرج في الاعتراف أنني كنت أتوقع وحيداً وأترك للشقاء أن يأخذ مني كل مأخذ، وهذا أكثر إثارة للشفقة من سماع الأصوات. وتعلمين بالطبع أنني سمعتها أيضاً».

شعرت بارتياح عميق لأنه بدا متفهماً حقاً، وبالعزاء لأن ذلك كان يعني له. ولم يكن ينظر إليّ بأي حال وكأنني أبعد مجنونة. بل كان ينظر إليّ وكأنه... يحبني.

صححت له أقول، «بل كنت أسمع صوتاً واحداً فقط».

ضحك وقربني إليه حتى بتنا نمشي جنباً إلى جنب ونسير إلى الأمام.

أشار بيده نحو العتمة ونحن نمشي وهو يقول: «إنني أمازحك فقط». كان هناك شيء شاحب وضخم أدركت أنه المنزل: «لا يهمني البتة ما يقولون».

«بات هذا يعنيهم أيضاً الآن».

مز كتيه بعدم مبالاة.

قادني عبر الباب الرئيسي المفتوح إلى المنزل المظلم وأشعل النور. كانت الغرفة كما أذكرها تماماً، حيث لبيانو والأرائك البيضاء الشاحبة والسلام الهائلة. ما من غبار ولا أغصان بيضاء. نادى إدوارد الجميع بالاهم بنبرة أستعملها للحديث العادي، «كارلايل، إيزمي، روزالي، إيميت، جامبر، أليس». لكنهم سيسمعون.

سرعان ما كان كارلايل يقف بجانبني وكأنه كان هناك من قبل أن أحضر. وابتسم يقول: «أهلاً بعودتك مجدداً، ييلاً. ما الذي سمعنا فعله من أجلك هذا الصباح؟ أتصور أنه نظراً للساعة التي أتيتما بها، ليست هذه زيارة مجاملة اجتماعية».

أومات أقول: «أرد التحدث إلى الجميع الآن، إن كان ذلك يناسبكم. الموضوع مهم».

لم أتمكن من منع نفسي من النظر في وجه إدوارد بينما أتكلم. كانت ملامحه متحفزة إنما مدعنة. حين عدت أنظر إلى كارلايل وجدته ينظر إلى إدوارد كذلك.

قال كارلايل: «بالطبع. لماذا لا نتحدث في الغرفة المجاورة؟».

سار كارلايل أمامنا عبر غرفة الجلوس الساطعة باتجاه غرفة الطعام مضيئاً الأنوار أثناء مروره بمحاذاة الأزوار، فرأيت الجدران مطلية باللون الأبيض والأسقف عالية تماماً كما غرفة الجلوس. كانت تحتل وسط الغرفة تحت الثريا، طاولة بيضاوية لماعة محاطة بكراسٍ ثمانية. مسح كارلايل الكرسي على رأس الطاولة لأجلس عليه.

لم يسبق لي أن رأيت عائلة كولن تستعمل طاولة غرفة الطعام، إذ لم تكن سوى من الكماليات التي لا حاجة لها. فهم لا يأكلون في المنزل.

ما إن توجهت لأجلس على الكرسي، أدركت أننا لم نكن وحدنا إذ كانت إيومي تتبع إدوارد مع باقي أفراد العائلة.

كان كارلايل يجلس إلي يميني، وإدوارد إلى يساري. وجلس بقية أفراد العائلة في أماكنهم بصمت. كانت أليس تبسم لي وقد عرفت الخطة. أما إيميت وجاسبر فبدوا فضوليين، وروزالي كانت تبسم لي بشكل تجريبي. كان ردي عبارة عن ابتسامة خجولة مماثلة، سوف يتطلب الأمر بعض العود.

أوماً كارلايل باتجاهي يقول: «الساحة لك».

ابتلعت ريقى. أعينهم المسمرة عليّ أشعرني بالتوتر. أمسك إدوارد بيدي تحت الطاولة فاسترقت نظرة نحوه، لكنه كان يراقب الآخرين فيما تبدو الحدة على ملامحه.

فبدأت أقول: «حسناً، أمل أن أليس قد أخبرتكم بما حدث في فولثيرا».

أكدت لي أليس تقول: «كل شيء».

رمتها بنظرة ذات معنى أسأله: «حتى تلك التي جرت على طريقنا إلى هناك؟».

«تلك أيضاً».

نهضت بارتياح: «جيد. إذا نحن على الموجة ذاتها».

انتظروا بصمت بينما أحاول تنظيم أفكارى. وشرعت أقول، «إذاً، أنا أمام مشكلة. أليس وعدت عائلة فولثوري بأنى سأصبح واحدة منكم. سوف يرسلون أحدهم للتحقق من الأمر. وأنا واثقة أنه أمر سيئ، ويجب تجنبه. وهكذا بات الأمر يمينكم جميعاً الآن. آسفة بشأن ذلك». حدقت في كل من الوجوه الجميلة تاركة الوجه الأجمل حتى النهاية. كانت شفتا إدوارد مزمومتين تعبران عن تقطبية. تابعت أقول: «لكن إن كنتم لا تريدونني، فلن أفرض نفسي عليكم، سواء كانت أليس تنوي فعل ذلك أم لا».

فتحت إيزمي فمها لتتكلم لكنني رفعت إصبعي في إشارة لإسكاتها. «دعيني أنهي كلامي من فضلك. تعلمون جميعاً ما الذي أريده، وأثق أنكم تعلمون كذلك رأي إدوارد. أظن أن الطريقة الوحيدة العادلة لاتخاذ القرار هي بالتصويت. إن قررتم أنكم لا تريدونني... أعتقد أنني سأعود إلى إيطاليا لوحدي، لا يمكن أن أسمع لهم بالمجيء إلى هنا بأنفسهم». تغصن جيئني وأنا أفكر بالأمر.



شعرت بهمة خافتة تثبت من صر إدوارد. لكني تجاهلته.  
«أخذت في الاعتبار» عندئذ، عدم تعريض أحدكم للخطر بأي طريقة  
كانت، أود منكم أن تصورتوا بنعم أو لا حيال مسألة تحوّلتي إلى مصامة  
دماغه».

لاحظ نصف ابتسامة على ثغري عند نطق الكلمة الأخيرة وأشرت  
إلى كارلايل لبيده.

تدخل إدوارد قائلاً: «لحظة واحدة فقط».

حملت به بعيتين ضيقين، فرفع حاجبيه واعتصر يدي.  
وقال: «لدي ما أضيفه قبل أن تبدأ عملية التصويت».  
أطلقت تهيدة.

فأكمل، «بالنسبة للخطر الذي تتحدث عنه بيلاً، لا أظن أنه يفترض  
بنا أن نفرط في القلق».

بدت ملامح وجهه أكثر احتياجاً. وضع اليد الأخرى على الطاولة  
اللماعة وانحنى إلى الأمام. وكان ينظر إلى من حول الطاولة وهو  
يتكلم: «كما نرون، هناك أكثر من سبب دفعني لعدم وضع يدي بيد آرو  
في نهاية اللقاء. هناك أمر لا يخطر لهم، ولم أبشأ أن ألقت نظرهم إليه».  
حشته أليس بالقول: «وما هو؟».

كنت متيقنة أن ملامح وجهي تعكس الريبة التي كانت تظهر على  
ملامح أليس.

«عائلة فولتوري شديدة الثقة بنفسها، وتتمتع بمنطق جيد للتفكير  
بالأمور حين يقررون العنور على أحدهم، لا يواجهون أي مشكلة. هل  
تذكرين ديميتري؟» نظر إليّ فارتعدت وفهم من ذلك أنني أتذكره.

«وظيفة العنور على الأشخاص، تلك هي الموهبة التي يبقونه من  
اجلها. طوال الوقت الذي أمضيناه لديهم، كنت أبحث في عقولهم عن

أي شيء يمكن أن ينقلنا، وأحاول الحصول على أكبر قدر مستطاع من  
المعلومات. فعرقت كيفية عمل موهبة ديميتري. إنه متقني آثار أكثر  
مهارة من جايمس آلاف الأضعاف. قلما تتوقف قدرته على ما أفعل أو  
ما يفعله آرو. إنه يلتقط الرائحة... الطعم! لا أدري كيف أصف الأمر،  
إنه يترصد السياق العام لعقل أحدهم ويتبعه. وتعمل هذه التقنية على  
مسافات بعيدة».

هز إدوارد كتفيه: «لكن بعد تجارب آرو الصغيرة، حسناً...».

قلت بفتور: «تظن أنه لن يتمكن من إيجادي».

أجاب مزهواً بنفسه: «أنا متأكد من ذلك. هو يعتمد بالكامل على  
تلك الحاسة الأخرى. وحين لا ينجح في تطبيقها عليك سيصاب الجميع  
بالعمى فيجهلون مكان وجودك».

«وكيف يحل ذلك المسألة؟».

«الأمر واضح. ستمكن أليس من إبلاغنا بموعد زيارتنا، وسأخبرك  
عندئذ. سيثقل ذلك حركتهم ويجعلهم عاجزين. سيبدو الأمر أشبه  
بالبحث عن إبرة في كومة قش». كانت كلماته تنم عن متعة وبهجة.

تبادل هو وإيميت نظرة وإبتسما مغطيتين نفسيهما.

لم يكن لكل ذلك أي معنى. وذكرته أقول: «لكنهم سيتمكنون من  
إيجادك!».

«وسأتمكن من الاهتمام بنفسي وتبديل أموري».

أطلق إيميت ضحكة ومد قبضة يده نحو أخيه من فوق الطاولة.

وقال بحماسة: «خطوة ممتازة أخي».

مد إدوارد قبضته ليلاقي القبضة الممدودة صوبه.

همست روزالي تقول: «كلا».

وقلت: «مطلقاً».

أني صوت جاسبر معجباً وهو يقول: «أمر جميل».

تعمت أليس: «يا لكم من حمقى».

واكتفت إيزمي بالحملقة في إدوارد.

استويت في مقعدي أركز. فالاجتماع كان معقوداً على شرفي في النهاية.

قلت بهدوء أعصاب: «حسناً، قدّم إدوارد لكم إحدى البدائل لتأخذوها في الاعتبار، لنصوّت».

نظرت إلى إدوارد هذه المرة، من الأفضل أن أبعد رأيه من الطريق، سألته: «هل تريدني أن أنضم لعائلتك؟».

كانت نظرة عينيه قاسية تملأها شرارات الغضب: «ليس بهذه الطريقة، مستظّلين كائناتاً بشرياً».

أومات للمرة واحدة، كنت أريد أن أحافظ على ملامح عملية بحسب الأصول، وتابعت.

«وانت أليس؟».

«أجل».

«جاسبر؟».

أجاب جاسبر بجدية ووقار: «أجل». تفاخأت قليلاً لإجابته إذ لم أتوقع ماذا سيكون رأيه، لكنني كبت رد فعلي وتابعت.

«روزالي؟».

ترددت تعض على شفتها السفلى الممتلئة الجميلة وقالت: «لا».

ظلت ملامح وجهي خالية من أي تعبير وأملت براسي قليلاً لأنابح عملية التصويت، لكنها رقت كلتا يديها وكأنها تستسلم أمام تهديد بإطلاق النار ورجعت قائلة: «أرجوك دعيني أشرح موقعي. لا أقصد أن أصدك كأخت لي، لكنه ليس نوع الحياة الذي كنت لأختاره لنفسي، أتمنى لو كان هناك من يصوت ضد تحوّلي».

أومات ببطء والتفت نحو إيميت الذي ضحك وأجاب بحماسة: «أجل حتماً! يمكننا إيجاد طريقة أخرى للإثارة نزاع مع ديميتري».

كان وجهي لا يزال متغصناً لإجابته عندما نظرت إلى إيزمي.

«بالطبع بيلاً، أنا أعتبرك أصلاً فرداً من عائلتي».

تممت وأنا التفت لكارلايل: «شكراً لك إيزمي».

أصبحت فجأة بالوتر، وتمنيت لو أنني طلبت إلى كارلايل أن يصوت أولاً. كنت واثقة أن صوته هو الأكثر أهمية، وأنه يحتسب موازياً لتصويت الأكثرية.

لم يكن كارلايل ينظر إليّ.

وقال: «إدوارد».

زمجر إدوارد يقول: «لا».

كانت عضلات فكّه شديدة الانقباض، وفعره يفتر عن تكشيرة.

أصر كارلايل يقول: «إنها الطريقة المنطقية الوحيدة. لقد اخترت ألا تعيش من دونها، مما لا يترك أمامي أي خيار آخر».

أقلت إدوارد يدي، واندفع مغادراً الغرفة يطلق صيحات مخنوقة.

تنهد كارلايل يقول: «ظننتك تعرف بمّ سأصوت».

كنت لا أزال أحرق في إثر إدوارد. وتلعمت قائلة: «شكراً».

دوى صوت يصم الآذان من الغرفة المجاورة.

جفلت وقلت بنبرة متسارعة: «هذا كل ما كنت أحتاجه. أشكر رغبتكم الاحتفاظ بي. هذا ما أشعره حيالكم تماماً». كان سيل العواطف يخنق كلماتي.

كانت إيزمي تقف بجانبني في طرفة عين تحيطني بذراعيها الباردتين.

قالت بلهفة: «بيلاً، أيتها الغالية».

قال إدوارد وأسانه تصطك: «نريش، ليس بالضرورة أن يتم ذلك الآن».

خرجت الكلمات مشوهة متقطعة وأنا أجيب: «لا شيء يمنع إتمامه الآن».

«أعتقد أن هناك بعض الموانع فعلاً».

«لا أستغرب أنك تعتقد بوجود بعضها، والآن دعني».

حرر وجهي من قبضته وثني ذراعيه فوق صدره وقال: «سيداً تشارلي البحث عنك في غضون ساعتين. ولا أتوقع أنه سيتوانى عن إقحام الشرطة في الأمر».

قطعت أقول: «هم الثلاثة».

لعل ذلك كان الجزء الأكثر قسوة في الأمر. تشارلي، رينيه والآن جايكوب. إنهم الأشخاص الذين قد أخسر، الأشخاص الذين قد أؤذي. تمنيت لو كانت هناك طريقة ما تجعلني أتحمل الألم وحدي. لكنني كنت أعلم أن ذلك مستحيل.

كنت أدرك مع ذلك أنني أعرضهم لأذى أكبر ببقائي كائناً بشرياً. إذ كنت أقحم تشارلي في حلقة الخطر المستدام لمجرد وجودي بالقرب منه. وأقحم جايكوب كذلك في دوامة خطر أكثر سوءاً عبر اجتذاب أعدائه إلى الأرض التي يشعر أنه ملزم بحمايتها. إضافة إلى رينيه، حيث لم أكن أستطيع المخاطرة في الذهاب لرؤية أمي خشية أن أجز مشاكلتي المميتة معي.

كنت أشبه بقطعة مغنطيس تجذب المخاطر. وقد تقبلت تلك الحقيقة. وعلمت أنه بتقبلي ذلك، أحتاج للتمكن من الاعتناء بنفسني وحماية من أحب من حولي، حتى لو كان ذلك يعني عدم قدرتي على التواجد معهم. احتجت لأن أكون قوية.

كانت الكلمات لا تزال تخرج من بين أسنان إدوارد التي يسمع

عانتها في المقابل. ولاحظت بطرف عيني روزالي تسمر نظرها في الطاولة أمامها، فأدركت أن كلامي قد تم تأويله.

قلت حين أفلقتني إيزمي: «حسناً أليس، أين تودين القيام بذلك؟».

حدقت أليس بي وقد اتسعت عيناها رعباً.

زمجر إدوارد يهرع عائداً إلى الغرفة: «لا لا لا لا».

بلحظة كان يقف بوجهي وينحني فوقي وقد طبع الحنق كل ملامح وجهه. وأخذ يصرخ: «هل أنت مجنونة؟ هل فقدت عقلك بالكامل؟».

انقبضت مبتعدة عنه ووضعت يدي أذني.

تدخلت أليس تقول بصوت قلق، «بيلا، لا أظنني مستعدة لذلك».

أحتاج لأن أتخضر...».

ذكرتها أحملق بها من تحت ذراع إدوارد: «لكنك وعدتني».

«أعلم بيلا... لكن صدقاً. لا فكرة لدي حول كيفية القيام بذلك من دون أن أقتلك».

شجعتها أقول: «يمكنك فعل ذلك، أنا أثق بك».

زمجر إدوارد بغضب.

أسرعت أليس تهز رأسها مرتاعة.

التفت نحو كارلايل أقول: «وأنت كارلايل؟».

أخذ إدوارد وجهي بين يديه يجبرني على النظر إليه، ومدّ راحة يده الأخرى نحو كارلايل يوقفه عن الإجابة.

تجاهل كارلايل حركة يده وأجاب عن سؤالي قائلاً: «أنا قادر على القيام بذلك. ولن تعرضني لخطر فقدان السيطرة على نفسي».

تمنيت لو أنني أستطيع رؤية ملامح إدوارد عندئذ.

«يبدو ذلك جيداً». تأملت لو أنه يستطيع أن يفهمني، وجدت صعوبة في التكلم بوضوح وهو يحكم قبضته على فكي.

صريفها واضحاً، لكنه كان ينظر إلى كارلايل هذه المرة وهو يقول:  
«المصالح بقاء القضية بعيداً عن لفت الانتباه، أقترح أن نؤجل الحديث  
بالموضوع إلى أن تنتهي بيلاً على الأقل مرحلة الدراسة الثانوية وتنقل من  
منزل تشارلي».

أشار كارسل بالقول: «إنه طلب معقول بيلاً».

فكرت في رد فعل تشارلي حين استيقظ هذا الصباح، حين وجد  
سريري فارغاً، بعدما عرضته له الحياة الأسبوع الماضي عندما خسر  
هاري والموقف الذي وضعته فيه أنا باختفائي غير المبرر. يستحق  
تشارلي ما هو أفضل من ذلك، لم يعد أمامي سوى القليل من الوقت،  
تخرجي لم يكن بعيداً.

لويت شفتي أقول: «سأفكر في الأمر».

استرخى إدوارد وارتاحت عضلات فكّيه.

من الواضح أنه كان في عجلة من أمره لإخراجه من هناك، لكنه  
قال بهدوء أكبر الآن: «ربما يجدر بي إعادتك للمنزل. في حال استيقظ  
تشارلي باكراً».

نظرت إلى كارلايل أقول: «بعد التخرج؟».

«ها إني أعطيك كلمتي».

أخذت نفساً عميقاً وابتسمت أنظر إلى إدوارد وأقول: «جسناً،  
يمكنك إعادتي للمنزل».

سارع إدوارد بخرجي من المنزل قبل أن يطلق كارلايل وعوداً  
أخرى. غادرنا من الباب الخلفي لذا لم أتمكن من معرفة ما الذي كسره  
في غرفة الجلوس. كانت رحلة العودة للمنزل هادئة. وكنت أشعر  
بالانتصار وبقليل من الإعجاب بالنفس. أحسست أنني أتصلب خوفاً  
كذلك بالطبع لكنني حاولت ألا أكر في ذاك الجزء من المسألة. لم يكن

ليسدني نغماً الفلق حبال الألم الجسدي أو العاطفي، لذا لن أقلق. ليس  
إلى أن يحين الوقت فعلياً لأفعل.

حين وصلنا إلى منزلي لم يبطئ إدوارد الخطى أو يتوقف. بل قفز  
عبر النافذة في نصف ثانية وانتزع ذراعي من حول رقبتة وألقاني على  
السرير.

ظننت أنني أعرف تماماً ما الذي يفكر فيه، لكن ملامح وجهه  
فاجأتني. بدلاً من أن تكون غاضبة كانت مستغرقة في التفكير. وكان  
يذرغ غرفتي المعتمة ذهباً وإلياً بينما أراقبه بارتباب متزايد.

أخبرته أقول: «مهما كان الذي تخطط له فلن ينجح».

«أصمتي، أنا أفكر».

تأوهت أرتمي على السرير وأسحب اللحاف فوق رأسي.

لم يكن هناك أي صوت لكنه كان بجانبني فجأة. رفع الغطاء بحيث  
يتمكن من رؤيتي. واستلقى بجانبني. مدّ يده ليزيل خصلة الشعر عن  
وجتي.

«إن لم يكن لديك من مانع. أفضل ألا تخبني وجهك. لقد عشت  
من دونه بقدر ما أستطيع التحمل. أخبريني شيئاً الآن».

سألته مرغمة: «ماذا؟».

«إن استطعت الحصول على أي شيء في العالم، أي شيء مهما  
كان، فما قد يكون؟».

تمكنت من الشعور بطيف الريبة يلوح في عيني وأنا أقول: «أنت».  
هز رأسه بنفاد صبر: «شيء لا تملكينه أصلاً».

لم أكن واثقة إلى أين يقودني، لذا فكرت ملياً قبل أن أجيب.  
وتوهلت إلى إجابة تعبر عما أريد بصدق وتحمل نوعاً من الاستحالة  
ربما.



«كنت لأرغب بالآ يفعل ذلك كارلايل... أريدك أنت أن تغتبرني»  
راقبت رد فعله بقلق متوقعة أن أشهد المزيد من نوبات الغضب التي  
رأيتها في منزله.

«ما الذي قد تضخّن به من أجل ذلك؟»

لم أصدق أذني. بهت وظهرت عليّ سيماء التغفل والجفاء وأنا  
أراقب ملامح وجهه الهادئ. وأطلقت الإجابة قبل أن أتمكن من التفكير  
بها.

«أضحى بأي شيء».

ابتسم بفثور والتوت شفتاه وهو يسأل: «خمس سنوات؟»

تغيرت ملامح وجهي لتعبّر عن شيء يتراوح بين الحزن والرعب.

ذكرني يقول: «أنت قلت أي شيء».

«أجل، لكنك... تستغل هذه الفترة لتجد مخرجاً. عليّ أن  
أضرب الحديد وهو حام. ثم أنه من الخطورة بمكان بقائي كأننا بشرياً  
بالنسبة لي على الأقل. لذا أضحى بأي شيء عدا ذلك»

قطب يقول: «ما رأيك بثلاث سنوات؟»

«لا».

«ألا يستحق الموضوع شيئاً من قبلك؟»

فكرت في مدى رغبتني بتحقيق الأمر. من الأفضل أن أخفي ذلك  
جيداً وألا أدعه يعرف بتحراقي لتحقيقه. فذلك سيكون أكثر دعماً  
لموقف. «سنة أشهر».

قلب عينيه يقول: «ليست مدة كافية».

«عام واحد إذاً. وهو الحد الأقصى».

«إنمحنيني عامين على الأقل».

«لا مجال لذلك. قد أقبل بأن أبلغ سن التاسعة عشرة، لكنني لن

ألامس عمر العشرين. إن كنت مستظّل مراحقاً للأبد، فانا كذلك سأظل  
مراقة».

فكر لحظة قبل أن يقول: «لا بأس. إنسي مسألة العمر. إن كنت  
قد اخترتني، فعليك أن تتفدي شرطاً واحداً».

مات صوتي وأنا أسأل: «شرط؟ أي شرط؟»

بدا الحذر في عينيه وهو يقول ببطء: «تزوجيني أولاً».

حدقت فيه أنتظر... «حسناً، أهذه أحدث نكتة لديك؟»

تنهد يقول: «أنت تجرحين كبرياتي بيلاً. أنا أطلب يدك وأنت  
تظنين أنني أمزح».

«كن جدياً إدوارد أرجوك».

لم يكن أي أثر للمزاح يرشح من تقاسيم وجهه وهو يمعن النظر في  
ويقول، «أنا جدي مئة بالمئة».

طبعتم لمحة من الهستيرية صوتي وأنا أرد عليه بالقول: «ما بك،  
لست سوى في الثامنة عشرة من عمري».

«أما أنا فقد بلغت المئة وعشرة أعوام وحن الوقت كي أستقر».

أشحت بنظري بعيداً محاولة السيطرة على الرعب قبل أن يسيطر  
علي.

«إسمع، لا يحتل الزواج المقام الأول على لائحة أولوياتي كما  
تعلم. إنه أشبه بالضربة القاضية لكل من تشارلي وريثيه».

«يا له من اختيار موفق للكلمات».

«تعلم ماذا أقصد».

أخذ نفساً عميقاً وحمل صوته عدم التصديق وأدركت معنى كلامه  
حين قال، «أرجوك، لا تقولي إنك تخشين الارتباط».

→ راوغت في الإجابة: «ليس هذا بالضبط. بل إنني أخشى ريثيه.  
لديها بعض الآراء المتشددة حيال الزواج قبل سن الثلاثين».

ضحك بمراة يقول: «لأنها تفضل أن تحل عليك اللعنة الأبدية على أن تتزوجي».

«أنظنها مزحة مضحكة؟».

هز رأسه يقول: «إن قارنت بين مستويي الالتزام، التزام الزواج مقابل التزام التحلي عن روحك للحصول على الأبدية كمصاصة دماء... إن لم تتمتعني بالشجاعة الكافية للقبول بالزواج بي، ف...».

قاطعت قائلة: «ماذا إن فعلت؟ ماذا لو طلبت إليك أن تأخذني إلى لاس فيغاس الآن؟ هل سأتحول إلى مصاصة دماء في غضون ثلاثة أيام؟».

ابتسم فالتصمت أسنانه في الظلام. وقال يستدعيني لأن أتبع القول بالفعل، «بالطبع، سأجلب سيارتي».

تمتعت أقول: «تياً، أمتحك ثمانية عشر شهراً».

ابتسم متشوقاً: «من دون مساومة، أحب هذا الشرط».

«حسناً، سأجعل كارلايل يقوم بذلك حين أخرج».

هز كتفيه وباتت ابتسامته كلية الملائكية وهو يقول: «حسناً، إن كان هذا ما تريدينه فعلاً».

تأوهت أقول: «أنت لا تحتمل، إنك وحش».

أطلق ضحكة يقول: «ألهذا السبب لا تريدين الزواج بي؟».

تأوهت مجدداً.

اتحنى فوقي، وقد رقت عيناه الليليتين فأطاحت بتركيزي وشفتيه.

قال بهمس: «أرجوك بيلاً؟».

نسيت كيف أتنفس للحظة. وحين تخطيت عجزتي هزرت رأسي بسرعة محاولة أن أوضح أفكارني المشوشة.

«هل كان عرضي ليلاني قبولاً أكبر لو أنني أحضرت خاتماً معي؟».

كدت أصرخ وأنا أقول: «كلا! لا خواتم!».

أردف باستسلام: «ها قد استيقظ تشارلي، يستحسن بي أن أرحل».

توقف قلبي عن الخفقان.

سبر أعماق معاني وجهي للحظة وسألني: «هل يعتبر اختبائي في خزانتك تصرفاً طفولياً؟».

همست بحماسة: «كلا، إبقى أرجوك».

ابتسم لي واختفى.

شعرت بالاضطراب وحيدة تحت جناح الظلام بينما أنتظر مجي تشارلي ليتفقدني. إدوارد يعرف ما الذي يفعله تماماً وكنت مستعدة للمرافعة على أن دهشته المجروحة كانت جزءاً من الخطة، كان لا يزال خيار كارلايل قائماً، لكنني الآن بعد أن علمت بوجود فرصة لا تحول على يد إدوارد رغبت بذلك بشدة. لقد كان غشاشاً كبيراً.

فتح باب غرفتي.

«صباح الخير أبي».

«آه بيلاً، أسعد الله صباحك».

شعر بالخجل لأنني ضبطته فقال: «لم أكن أعلم أنك مستيقظة».

قلت وأنا أنزل عن السرير: «كنت بانتظار أن تستيقظ، لأدخل وأستحم».

قال تشارلي يضغط على زر الإضاءة: «مهلاً، دعينا نتحدث قليلاً».

قبل أن تذهبي».

طرفت بعيني لامتلاء الغرفة بالنور الساطع لكنني حرصت على ألا أنظر نحو الخزانة.

لم أستطع منع تقطيعتي عن وجهي. لقد نسيت أن أسأل أليس عن عذر مقنع.

«تعلمين أنك في مأزق».

«أجل، أعلم ذلك».

«لقد أصابتي الأيام الثلاثة الأخيرة بالجنون. أتيت إلى المنزل بعد جنتازة هاري لأجد أنك رحلت. لم يقل لي جايكوب شيئاً سوى أنك هربت مع آليس كولن وأنه يظنك واقعة في مأزق».

لم تركي لي رقم هاتف لأتصل بك ولم تتصلي بي كذلك. لم أكن أعلم مكانك ومتى ستعودين وهل ستعودين أصلاً أم لا. هل تملكين أدنى فكرة كيف؟... كيف؟... لم يتمكن من إنهاء جملته، علقت في حلقه غصة وأخذ نفساً عميقاً وتابع قائلاً: «هلا تعطيني سبباً واحداً يمنعني من إرسالك في هذه اللحظة بالذات إلى جاكسونفيل؟».

ضاقت عيناها. إنه يهددني إذا؟ سألعب لعبته. جلست في السرير وسحبت اللحاف جيداً أغطي نفسي وقلت: «لأنني لن أذهب».

«انتظري لحظة واحدة آنستي...».

«إسمعني أبي، إني أتحمل مسؤولية تصرفاتي بالكامل. لديك الحق بتوبيخي كيفما تشاء ومتى تشاء. كما أنني سأقوم بكافة الأعمال المنزلية وغسل الملابس والصحون إلى أن تظن أنني تعلمت الدرس. وأظن أنه من حقك أيضاً أن تطردني من المنزل، لكن ذلك كله لن يجعلني أذهب إلى فلوريدا».

احمرّ وجهه بشدة. وأخذ بضعة أنفاس عميقة قبل أن يجيب: «هلا تشرحين لي أين كنت؟».

يا له من كلام فارغ: «حدث... أمر طارئ».

رفع حاجبيه متعجباً لشرحي المستفيض.

ملأت فمي بالهواء ونفخت تعبيراً عن الإزعاج.

«لا أعرف ماذا أقول لك أبي. كانت المسألة برمتها عبارة عن سوء فهم. مسألة قيل وقال. وخرجت الأمور من يدي».

ظل ينظر إليّ بريبة منتظراً.

«إسمع، قامت آليس بإخبار روزالي بقصة قفزي عن الصخور...».

كنت أحاول جاهدة جعل الأمر أقرب إلى الحقيقة قدر المستطاع بحيث لا يفسد عجزتي عن الكذب بشكل مقنع، العذر الذي سأقدمه. لكن قبل أن أتابع أنبأني ملامح تشارلي أنه لم يكن يعرف شيئاً عن قصة القفز عن الصخور. يا له من خطأ فادح. وكأن ما حصل لا يكفي.

غصصت أقول: «أظنك لا تعرف بتلك القصة. لا شيء مهم. كنت ألهو وأسبح مع جايك. بأي حال، قامت روزالي بإبلاغ إدوارد، فاشعر بالقلق، إذ جعلت الأمر يبدو كأنني أحاول الانتحار. ولم يكن يجيب على هاتفه فجرتني آليس إلى لوس أنجلوس لأشرح له ما حدث شخصياً».

هززت كتفي بيأس متمنية ألا يسرح كثيراً بؤلة لساني فيفوته الشرح المفصل الذي أعدهته عليه.

تجمدت تشارلي في مكانه يسأل: «هل كنت تحاولين قتل نفسك بيلاً؟».

«لا، بالطبع لا أبي. كنت أستمع بوقتي برفقة جايك. كنت أقوم بالقفز عن الصخور كما يفعل صبية لا بوش دوماً. كما قلت لك، لا شيء مهم».

انتابت تشارلي موجة غضب عارمة. وصرخ: «وما علاقة إدوارد كولن بالأمر؟ لقد تركك طوال هذا الوقت من دون أن يقول كلمة واحدة...».

قاطعته أقول: «وهذا سوء فهم آخر».

عادت الحمرة تغزو عينيته وهو يسأل: «لقد عاد إذا؟».

«لست واثقة من ذلك تماماً، لكن أعتقد أن عائلة كولن بأسرها عادت».

هز رأسه وقد ظهر الشريان على جبينه بوضوح: «أريدك أن تبقي بعيدة عنه بيلاً، أنا لا أثق بهذا الرجل. إنه لا يستحقك، ولن أدعه يقسد حياتك مجدداً».

أجبت باقتضاب: «حسناً».

عاد يقف على قدميه ويتفخ بصوت مسموع متعجباً، «ظننتك متصعين الأمور عليّ».

حدقت في عينيه مباشرة أقول: «سأفعل. أعني، حسناً، سأغادر المنزل».

جمحت عيناها وتغير لون وجهه إلى بني أرجواني قائم ممتعماً. وهنت عزيمة وبدأت أشعر بالقلق على صحتها. فهو لم يكن أصغر سناً من هاري.

قلت بنبرة أكثر رقة: «لا أريد المغادرة فعلاً، فأنا أحبك. وأعلم أنك قلق. لكن يجب أن تثق بي حيال هذا الأمر. وعليك أن تخفف قسوتك على إدوارد، إذا أردتني أن أبقي. هل تريدني أن أعيش في المنزل أم لا؟».

«هذا ليس عدلاً بيلاً. تعلمين أنني أريدك أن تبقي».

«كن لطيفاً مع إدوارد إذاً، لأنه سيكون حيث أكون أنا». قلت ذلك بثقة. كانت قوة الإيمان بما ظهر علي كبيرة.

قال تشارلي بشكل عاصف: «ليس في بيتي».

تهدت بشقل: «السمع، لن أضجرك بالمزيد من العروض النهائية الليلة، أو لهذا الصباح على ما أظن. فكر في الأمر فقط ليضعة أيام اتفقنا؟ لكن لا يغيب عن بالك أننا أنا وإدوارد في الصفقة معاً، إما نبقي معاً، أو نغادر معاً».

«بيلاً...».

أصريت أقول: «أعد التفكير في الأمر. وهلا تمتحني أثناء قيامك بذلك بعض الخصوصية؟ احتاج فعلاً للاستحمام».

بدا وجه تشارلي بغاية القראה. لكنه غادر الغرفة صافقاً الباب وراءه بعنف. وسمعت وقع خطواته الغاضبة على السلالم.

رميت الغطاء عني فرأيت إدوارد هناك يجلس في الكرسي الهزاز، وكأنه كان حاضراً على الحديث.

همست أقول: «آسفة».

تتم يقول: «أنا أستحق أكثر من ذلك. لا تتجادلي أنت وتشارلي من أجلي أرجوك».

تفتست يشقل بينما أحضر أغراض الاستحمام وبعض الملابس النظيفة وقلت له: «لا تقلق حيال هذا الشأن، سأذهب بالأمور بقدر ما تستدعي الضرورة لا أكثر ولا أقل. أم أنك تحاول أن تقول لي إنه ما من مكان أذهب إليه». واتسعت عيناها تبراها عن قلق مصطنع.

«بل ستتقلبن إلى منزل يعج بمصاصي الدماء».

ضحكت أقول: «لعله المكان الأكثر أماناً بالنسبة لشخص مثلي...» ثم، إن قام تشارلي بطردي فلن يعود هناك من داعٍ للتقيد بموعد التخرج، صحيح؟».

تصلبت عضلات فكاه وهو يتم: «أنت شديدة الحماسة للحصول على اللعنة الأبدية».

«تعلم أنك لا تصدق ما تقول».

أجاب بغضب: «أنظنين ذلك حقاً؟».

كشر بوجهي وهم ليقل شيئاً ما لكنني قاطعته.

«إن كنت تؤمن أنك قد خسرت روحك فعلاً، لكنت أدركت ما الذي يحدث على الفور حين وجدتك في قولتيرا، بدلاً من أن نظن أن



كلانا قد مات. لكنك لم تفعل، بل قلت: 'يا له من أمر مذهل، كان كارلايل على حق'. لا توال تمتلئ بالأمل في النهاية. ذكرته بنبرة المنتصر.

وجد إدوارد نفسه هذه المرة عاجزاً عن الكلام.

اقترح أن يقول: «إذا دعنا نشعم بالأمل معاً، اتفقنا؟ لا أهتم لذلك فعلاً. إن كنت ستبقى، فما حاجتي بالجنة».

نهض عن الكرسي ببطء وضم وجهي بين يديه وأمعن النظر في عيني وعاهدني يقول بقليل من الترنح: «إلى الأبد».

«هذا كل ما أطلبه». قلت ذلك ورفعت نفسي على رؤوس أصابعي لأطبع قبلة خفيفة على شفتيه.

## الخاتمة - المعاهدة

عاد كل شيء إلى طبيعته تقريباً، أعني إلى الطبيعة الهانئة التي سبقت تحوُّلي إلى شخص مسحور حلت عليه لعنة ما. وقد حدث ذلك في فترة أقل مما كنت أتوقع. عادت المستشفى تفتح ذراعيها ترحيباً بمرضى كارلايل، دون أن تكلف نفسها عناء إخفاء لرحتها لعدم إعجاب بزمي بسخط الحياة في لوس أنجلوس. لأنني فوّت امتحان مادة الرياضيات أثناء وجودي خارج البلاد، كان كل من ألبس وإدوارد في وضع يؤهلهما بشكل أفضل للتخرج مما كنت أنا عليه في تلك اللحظة. فجأة عادت الأمور في الثانوية تحتل الأولوية (كانت لا تزال الخطوة «ب» بالنسبة لي، على أمل أن يثنيني عرض إدوارد عن خيار ما بعد التخرج الذي قدمه لي كارلايل). لقد فتنني الكثير من المواعيد النهائية، لكن إدوارد كان يجبرني كل يوم على ملء كدسات من الاستثمارات. سبق له أن مشى طريق الانتساب لجامعة هارفرد لذا لم يزعجه أن نلتحق معاً في العام المقبل بجامعة بينيسولا كومونيوتي، وذلك بفضل التأجيل الدائم الذي كنت أعمد إليه.

لم يكن تشارلي راضياً عني ولا عن التحدث إلى إدوارد. لكن على الأقل كان يسمح لإدوارد بالمجيء للمنزل أثناء ساعات الزيارة المحددة، التي لم يكن يسمح له بتخطيها.

المدرسة والعمل كانا الاستثناءين الوحيدين، وباتت جذران

الصفوف الباهتة الصفراء مبهجة فجأة. وكان لذلك علاقة وثيقة بالشخص الجالس بقربي في الصف.

عاد إدوارد يتابع برنامجه الدراسي منذ بداية العام مما جعلنا نتابع معظم الصفوف معاً. كان سلوكي أثناء الفصل الدراسي الماضي بعد رحيل عائلة كولن المفترض إلى لوس أنجلوس من الجفاء بحيث لم يشغل أحد المقعد بجائبي مطلقاً، فظل خالياً. حتى مايك الذي كان مستعداً أبداً للاستفادة من أي فرصة سانحة، ظل يضع بيننا مسافة. مع عودة إدوارد إلى مكانه، بدت الأشهر الثمانية الأخيرة أشبه بكابوس.

لم تكن كابوساً بالمطلق، إذ إنني عشت حالة السجن الاختياري في المنزل. ولم أكن قبل فصل الخريف أفضل صديقة لجايكوب بلاك. لذا لم أكن أفقده في حينه.

لم أكن أتمتع بالحرية للذهاب إلى لا بوش، ولم يكن جايكوب يأتي لرؤيتي. ولم يكن يجيب على اتصالاتي الهاتفية.

كنت أتصل به في معظم الأحيان ليلاً بعد أن يخرج تشارلي بمرح مصطنع إدوارد من المنزل عند الساعة التاسعة تقريباً، ليعود ويدخل من النافذة بعد أن يتم تشارلي. كنت أختار ذلك الوقت للقيام باتصالاتي العقيمة لأنني كنت ألاحظ أن إدوارد يشمئز من كل مرة أذكر فيها اسم جايكوب. كانت ملامحه تبدو قلقة، غير راضية... وغاضبة ربما. ظننت أنه يشعر بتعصب متبادل حيال المستنثبين مع أنه لم يعبر يوماً أو يعرب عن كرهه بالطريقة التي عمد إليها جايكوب.

لذا قلما كنت أذكر اسم جايكوب.

لم يترك وجود إدوارد بجائبي المجال أمام التفكير بأمور حزينة، أو التفكير حتى بأفضل صديق سابق، الذي قد لا يكون سعيداً في هذه اللحظة... بسببي. كلما فكرت بجايكوب كنت أشعر بالذنب لأنني أهملته من قبل.

عادت إلي أحداث الرواية. عاد الأمير وحلّ السحر. لم أكن واثقة ما عساي أفعله بالشخصية المتبقية، غير المستقرة. متى ستمش هذه الشخصية سعيدة إلى الأبد؟

ومرّت الأسابيع، وجايكوب لا يزال لا يرد على اتصالاتي. وبات الأمر يشكل قلقاً دائماً بالنسبة لي. لم أتمكن من تجاهل الأمر. لقد كان كصنوبر تسرب منه المياه في مؤخرة رأسي لا أستطيع إقفاله. قطرة وراء قطرة تنادي جايكوب، جايكوب، جايكوب.

هكذا، ومع أنني كنت أقل من ذكر جايكوب، كان الإحباط والغضب يأخذان مني كل مأخذ أحياناً.

زمرت أقول حين أقلني إدوارد يوم السبت من العمل: «هذا عديم الاحترام! ومهين إلى أبعد الحدود!»، لطالما كان إظهار الغضب أسهل من الشعور بالذنب.

غيرت طريقة تعاملتي مع الأمور على أمل الحصول في المقابل على ردّ مختلف. اتصلت بجايكوب من مكان العمل هذه المرة ليزد ببلي، غير المتعاون، مجدداً.

تأفقت غاضبة وأنا أحدّق بقطرات المياه التي ترشح على الزجاج الأمامي للسيارة، «أبلغني ببلي أن جايكوب لا يريد التكلّم معي. أخبرني أنه كان هناك، لكنه لا يريد أن يتقدم ثلاث خطوات من الهاتف! عادة ما كان ببلي يقول لي إنه ليس في المنزل أو أنه منشغل، أو نائم... أو يختلق أي عذر آخر. ما أقصده هو أنني كنت أعلم أنه يكذب عليّ، لكنه كان يمكن أن يكون أكثر تهدياً على الأقل. أعتقد أن ببلي بات يكرهني الآن أيضاً. هذا ليس عدلاً».

قال إدوارد بهدوء: «لست أنت المقصودة بيلاً، لا أحد يكرهك». طويت ذراعيّ فوق صدري، وتمتمت: «يبدو الأمر كذلك، هذا ما أشعر به». لم تأت تلك الحركة سوى تعبير عن عناد. لم يكن هناك من

حفرة الآن وبالكاد كنت أتذكر الشعور بالفراغ

قال إدوارد: «يعلم جايكوب بأمر عودتنا، وأنا واثق أنه يعلم أننا معاً، وهو لن يقترب مني بأي شكل من الأشكال. العداء متجددة بيننا».

«هذه حماقة. هو يعلم أنك لست كباقي... مصاصي الدماء».

«لا تزال هناك أسباب قوية تجعله يحافظ على مسافة آمنة بيننا».

حدقت من الزجاج من دون أن أرى شيئاً، سوى وجه جايكوب تحت قناع المرارة الذي أمقته.

تابع إدوارد بسكون: «نحن ما نحن عليه بيلاً. أستطيع السيطرة على نفسي، لكنني أشك أنه يستطيع القيام بالمثل. إنه شاب يافع جداً. يرجح كثيراً أن ينقلب اللقاء بيننا إلى عراك، ولا أعلم ما إذا كنت أتمكن من ردع نفسي عن ق...». توقف عن الكلام فجأة وغيّر الكلمة ليقول: «ردع نفسي عن أذيته. ستشعرين بالحزن حيال ذلك. ولا أريد لذلك أن يحصل».

تذكرت ما قاله لي جايكوب في المطبخ، وتمكنت من سماع كلماته بوضوح تام وهو يقول بتبرته الغليظة الخشنة، «لا أظنني أمتلك من هدوء الأعصاب ما يمكنني من التعامل مع الوضع...». لعلك لن تحبذني أن أقوم بقتل صديقك». لكنه تمكن في النهاية من التعامل مع الوضع، في ذلك الوقت...

همست أقول: «إدوارد كولن، هل كنت على وشك أن تقول 'قتله'؟ هل كنت ستقول ذلك؟».

أشاح بنظره عني يحدق في المطر المنهمر. كانت إشارة المرور التي لم ألاحظ وجودها أمامنا، تتغير من الأحمر إلى الأخضر، وعاد يتنطلق بالسيارة ويقود ببطء شديد. لم يكن معتاداً على القيادة على هذا النحو.

نطق إدوارد أخيراً يقول: «كنت لأحاول... جاهدت جداً...». عدم القيام بذلك».

نظرت إليه مشدودة بعم مفتوح، لكنه ظلّ يسمر عتيه على الطريق أمامه. وتوقفت السيارة عند إشارة مرور أخرى.

خطر لي فجأة ما حصل لباريس حين عاد روميو. تعليمات المشهد المسرحي كانت واضحة: يتصارعان ويسقط باريس أرضاً. لكن ذلك كان سخيلاً. يستحيل حصوله.

أخذت نفساً عميقاً وهزّزت رأسي لأطرد الكلمات من رأسي. وقلت له: «حسناً، لن يحصل شيء من هذا، لذا لا داعي للقلق. تعلم أن تشارلي يحدق في عقارب الساعة الآن، وأنه يستحسن بك إعدادتي للمنزل قبل أن أتورط في مزيد من المشاكل بسبب تأخري».

رفعت نظري إليه أبتمس بفتور.

كل مرة أنظر فيها إلى وجهه، ذاك الوجه الفائق الوسامة، كان قلبي يخفق بقوة الحياة وأحسّ به ينبض في صدري. لكن الدقات تسارعت هذه المرة تتخطى المعتاد. وأدركت المعنى الذي تحمله تقاسيم وجهه الشبيه بالتمثال المتحوت.

همس يقول من بين شفتين بالكاد تتحرّكان: «أنت واقعة أصلاً في ورطة أكبر بيلاً».

اقتربت منه أتعلق بذراعه بينما أتابع نظراته المتنقلة لأرى ما الذي يراه هو. أصابني الحيرة، ماذا أتوقع، لعلها فيكتوريا تقف وسط الشارع بشعرها الناري يتطاير مع الهواء، أو لعلني سأرى صفناً من المبهات السوداء الطويلة... أو زمرة من المستنبيين الغاضبين. لكنني لم أر شيئاً بالمطلق.

«ماذا هناك؟ ما الأمر؟».

أخذ نفساً عميقاً يقول: «تشارلي...».

صحت قائلة: «أبي؟»

نظر إليّ فأريت أن في ملامح وجهه من الهدوء بما يكفي ليخفف حدة رعيي.

قال لي: «قد لا يكون تشارلي... ينوي قتلك، لكنه يفكر في الأمر، عاد يسرع قليلاً باتجاه الشارع المؤدي إلى منزلي لكنه تجاوزه وركن السيارة عند حافة صف الأشجار.

شبهت أقول: «ما الذي فعلته؟»

الفت إدوارد ينظر نحو المنزل. تبعت نظراته ولاحظت ذلك الشيء الذي كان مركباً في الممر إلى جانب سيارة الشرطي الجوال. شيء أحمر ساطع، يستحيل عدم ملاحظته. إنها دراجتي النارية تبرز نفسها في الممر.

أخبرني إدوارد أن تشارلي كان مستعداً لقتلي. هذا يعني أنه علم بأمر الدراجة النارية وأنها تعود لي، لا يمكن أن يكون وراء هذه الخيانة العظمى سوى شخص واحد.

شبهت مجدداً أقول: «كلا! لماذا؟ لماذا قد يفعل جايكوب بي ذلك؟» شعرت بموجة الطعن في الظهر تجتاحني. لقد وثقت بجايكوب كلياً، وأمنت على كل سر في حياتي. كان يفترض به أن يمشي ساطع الأمان بالنسبة لي، الشخص الذي أعتمد عليه دوماً. كانت الأمور بيننا متشعبة في هذه الفترة، لكن لم يخطر لي مطلقاً أن الأساس قد تززع. الأساس الذي ظننت أنه غير قابل للتغيير!

ما الذي فعلته لأستحق كل ذلك؟ سيستشيط تشارلي غضباً، بل أسوأ من ذلك، سيحس بالأذى والقلق. ألا يكفي ما لديه؟ لم يخطر ببالي مطلقاً أن يكون جايكوب بهذه الحفارة. تدفقت الدموع من عيني شلالات تحرقني، لكنها لم تكن دموع حزن. لقد تعرضت للخيانة. شعرت فجأة بالغضب بحيث بدأ رأسي يضرب بقوة وكأنه سينفجر.

همست أقول: «هل لا يزال هنا؟»

أخبرني إدوارد وهو يرمي باتجاه الممر الضيق الذي يشق قلب الغابة المعتمة.

«أجل، إنه هناك بانتظارنا».

قفزت من السيارة واندفعت نحو الأشجار وقد اشتدت قبضتي غضباً.

لماذا يجب أن يكون إدوارد أسرع مني؟

طوق خاصرتي بذراعيه قبل أن أصل، فضحكت به، «دعني أذهب! سأقتله! سأقتل ذاك الخائن!»، دوت صفة الخائن وعصفت بأشجار الغابة.

حذرني إدوارد يقول: «سيسمك تشارلي بهذه الطريقة. وسيثقل الباب بوجهي حالما تدخلين».

نظرت نحو الباب بشكل فطري، وبدا لي أن الدراجة الحمراء هي كل ما أسطيع رؤيته. كانت الدنيا أمامي تصطبغ باللون الأحمر. وعباد رأسي يخطط مجدداً.

جاهدت سدّي لأتحرر من قبضة إدوارد وأنا أقول له: «دعني أخوض جولة واحدة مع جايكوب ثم سأتعامل مع تشارلي».

لكنه قال: «جايكوب يلاك يريد رؤيتي لذا هو لا يزال هنا».

صرت قشعريرة في أوصالي وتجمدت لسماع كلماته التي أزلت كل رغبة لدي بالقتال. فقدت الإحساس بيدي.

يتعاركان ويسقط باريس أرضاً.

كنت حائقة، لكن ليس إلى هذا الحد.

سألت: «هل مستعدتان؟»

«تقريباً».

شعرت بكلماتي ترتجف وأنا أسأله: «ماذا تقصد بتقريباً؟»



أزال إدوارد خصلة شعر عن وجهي: «لا تقلقي، لم يأت لقتالي.  
إنه يلعب نوعاً ما دور...» الناطق الرسمي باسم الزمرة.  
«فهمت».

نظر إدوارد إلى المنزل مجدداً واشتد ذراعه حول وسطي وجزني  
عبر الغابة يقول: «علينا أن نسرع» بدأ صبر تشارلي يتفد.

لم تكن مضطربين للسير مسافة طويلة، إذ كان جايكوب بانتظارنا  
على بُعد خطوات من الممر. كان يستند إلى جذع شجرة معمرة مغطاة  
بالطحالب. وكان واضحاً أن القسوة والمرارة تغطيان ملامحه تماماً كما  
تصورت أن يكون. نظر إلي ثم إلى إدوارد. افترّ ثغره عن تكشيرة أكثر  
منها ابتسامة وانقضّ مبتعداً عن الشجرة. كان يقف على قدميه الحافيتين  
ينحني قليلاً للأمام ويصرّ قبضتيه المرتعشتين. بدا أكبر حجماً عما كان  
آخر مرة رأيته فيها. كان لا يزال ينمو بطريقة لا تُصدّق. كان ليبدو أشبه  
بالبرج الشاهق إذا ما وقف بجانب إدوارد.

لكن إدوارد توقف عن السير لحظة رآه، تاركاً مسافة واسعة بيننا  
وبينه. ثلوى جسم إدوارد يزيحني بحيث أصبحت وراه. أملت بجسمي  
قليلاً لأحدق في جايكوب، لأوجه له بعيني رسالة اتهام.

كنت أظن أن رؤية ملامح جايكوب المستاءة المتهكّمة ستزيد من  
حدة غضبي. لكنها بدلاً من ذلك ذكّرتني بأخر مرة رأيته فيها، والدموع  
تملاً عيني. ذاب غضبي واضمحَل وأنا أمعن النظر في جايكوب. لقد  
مضى زمن طويل على رؤيته وكرهت لقاءنا مجدداً على هذا النحو.

«بيلاً». قال جايكوب يحييتي دون أن يرفع نظره عن إدوارد.  
همست محاولة إخفاء الغصة في حلقي: «لماذا؟ كيف أمكنك أن  
تفعل بي هذا جايكوب؟».

غابت ملامح الازدراء عن وجهه لكن بقيت ملامحه متحفظة  
متصلبة. «هذا أفضل».

«ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟ هل كنت تريد أن يقوم تشارلي  
بخنقي؟ أم أنك أردته أن يصاب بذبحة قلبية كما حصل لهاري؟ مهما  
كنت غاضباً مني أنا، كيف أمكنك أن تفعل هذا بشارلي؟».

انقبض وقرب حاجبيه لبعضهما البعض، لكنه لم يجب.

تعمد إدوارد يشرح أفكار جايكوب التي لم يكن ليُبوح بها، فقال:  
«لم يكن يريد أن يؤذي أحداً، جُل ما أراد هو أن يتم توبيخك بحيث لا  
يعود يسمح لك تشارلي أن تمضي وقتاً معي».

قدَحْتُ عينا جايكوب بشرارات الكراهية وهو يحملني بإدوارد  
مجدداً.

تأوهت أقول: «آه جايك! لقد سبق أن وبّخني! ولماذا نظن أنني لم  
أذهب إلى لا بوش لأرسل ففك لأنك لا تردّ على اتصالاتي؟».

التمعت عينا جايكوب وهما تنظران إليّ مجدداً ويسودهما  
الارتباك للمرة الأولى. وسأل، «ألهذا السبب إذا؟». ثم أقفل فمه بسرعة  
وكانه تأسف لما قاله.

شرح إدوارد مجدداً: «ظننت أنا من سيمنعك وليس تشارلي».

صرخ بوجه إدوارد يقول: «كفّ عن ذلك».

لم يجبه إدوارد.

انفضّ جايكوب وصرّ أسنانه بقدر ما كان يشدّ قبضتيه، وقال من  
خلال أسنانه: «لم تكن بيلاً تبالغ عند الحديث عن قدراتك، لذا لا بد  
أنك تعلم سبب وجودي هنا».

وافقه إدوارد الرأي يقول بصوتٍ رقيق، «أجل، لكن قبل أن تبدأ  
أود أن أقول لك شيئاً».

انتظر جايكوب وكان يفتح قبضتيه ويضمهما في محاولة للسيطرة  
على الارتعاشات التي تسري في ذراعيه.

قال إدوارد بنبرة تزخر بعمق المشاعر الصادقة: «شكراً لك. لن أتمكن من التعبير لك عن مدى امتناني لك. إني مدين لك لبقية... فترة وجودي».

حدّق جايكوب فيه بملامح خالية من أي معنى وقد أوقفت الدمعة انتفاضاته. تبادلنا نظرة سريعة لكن غمامة من عدم الفهم كانت تسيطر على ملامحي.

أوضح إدوارد بصوت محموم، «لأنك أنقذت حياة بيلاً، في حين لم أتمكن أنا... من ذلك».

كنت على وشك أن أقول شيئاً لكن إدوارد رفع يده وهو لا يزال يحدّق في جايكوب: «إدوارد».

سَرت موجة من التفهم على ملامح جايكوب قبل أن يشهد عودة قناع القسوة. وقال: «لم أفعل هذا لأجلك».

«أعلم، لكن ذلك لا يزيل مشاعر الامتنان التي أكتنّها لك. ظننتك تعلم. إن كان هناك أي شيء في مقدوري فعله لك...».

رفع جايكوب أحد حاجبيه الكثيفين.

هز إدوارد رأسه يقول: «ليس هذا بمقدوري».

زمر جايكوب: «بمقدور من إذا؟».

نظر إدوارد إليّ وقال له: «بمقدورها هي، أنا أتعلم بسرعة جايكوب بلاك، ولن أرتكب الخطأ ذاته مرتين. أنا هنا إلى أن تأمرني هي بالرحيل».

سمرتني نظرات عينيّه العسليتين لحظة وقع نظره عليّ. لم يصعب عليّ فهم الكلمات المضمرّة في الحديث بينهما. الشيء الوحيد الذي أراده جايكوب من إدوارد هو رجليه.

أجبت وقد علقت نظراتي ونظرات إدوارد: «مطلقاً».

أصدر جايكوب صوتاً مكموماً.

انترعت عينيّ مرغمة عن إدوارد لأقطبهما بوجه جايكوب: «هل من شيء آخر تريده جايكوب؟ أردتني أن أتورط في المتاعب فتّم لك ما أردت. قد يرسلني تشارلي إلى المعسكر. لكن ذلك لن يبعدني عن إدوارد. لا يسعك فعل شيء حيال ذلك. ما الذي تريده بعد؟».

ظلّ جايكوب يستمرّ عينيه على إدوارد. «أردت فقط أن أذكّر مصاصي الدماء، أصدقاءك، ببعض الشقاظ الأساسية الواردة في المعاهدة. وحدها المعاهدة تمنعني من قطع عنقك في هذه اللحظة بالذات».

قال إدوارد: «نحن لم ننس». وكنت في اللحظة ذاتها أسأل: «أي نقاط رئيسية؟».

كان جايكوب لا يزال يحملني في إدوارد، لكنه أجابني مع ذلك. «نقاط المعاهدة محددة. إن قام أحدهم ببعض أي كائن بشري، تنتهي الهدنة. حتى ولو عضه وحسب، وكذلك إن قتله». أكدّ يقول. نظر إليّ في النهاية وكانت عيناه باردتين.

لم تمض ثوان قبل أن أفهم الفرق. ونظرت إليه ببرودة كذلك. «ليس هذا من شأنك».

«بحقّ الجحيم إنه...». كانت تلك هي الكلمات التي تمكّن من التلطف بها.

لم أتوقع أن تسبب كلماتي المتسارعة مثل هذا الرد القوي. على الرغم من التحذير الذي حملته قوله لا يمكن أن يكون قد علم. لا بد أنه ظن التحذير مجرد احتياطات مسبق. لم يدرك، أو لم يشأ أن يصدق أنني قد سبق وحسنت خيار، وأني أنوي فعلاً أن أصبح فرداً من عائلة كولن.

كادت إجابتي ترسل موجة من الارتجاجات في جسد جايكوب.



قضط قبضته على صدغيه بقوة وأحكم إغلاق عينيه ليتوقع على نفسه  
بشما يحاول السيطرة على تشنجاته. تغير لون وجهه ليصطبغ بالأخضر  
تحت اللون الزعفراني الصدي.

سألته بقلق: «جايك هل أنت بخير؟». مشيت نصف خطوة نحوه  
قبل أن يتمسك إدوارد بي ويرميني خلف ظهره وهو يحذرني، «انتهبي،  
إنه لا يسيطر على نفسه».

لكن جايكوب كان نجح بطريقة ما لأن يعود إلى نفسه. وما عاد  
يرتجف إلا ذراعيه. تمنع بإدوارد بكرة خالص: «لن أؤذيها البتة».

لم يفتنا أنا وإدوارد التغيير الطارئ على نبرة الصوت أو الاتهام  
الذي حمه في طياته. حفيف خافت غادر شفتي إدوارد. واشتدت  
قبضتي جايكوب بالمقابل.

هدر صوت تشارلي آتياً من قلب المنزل: «بيلاً! تعالي إلى البيت  
فوراً».

تجمدنا جميعاً كل في مكانه. وارتجف صوتي وأنا أقول: «إنه  
مجرد كلام فارغ».

زالت ملامح جايكوب الغاضبة، وتمتم قائلاً: «أسف بشأن ذلك.  
كان علي أن أفعل ما أستطيع... كان علي أن أحاول...».

محا الارتجاف في صوتي ملامح الهزة: «أشكرك».

حدثت في الممر أتوقع أن أرى تشارلي قادماً من بين نباتات  
الخنشار الرطبة كتور غاضب ينظر إلي على أنني الراية الحمراء.

نظر إدوارد إلي ثم التفت نحو جايكوب يقول: «أمر واحد بعد، لم  
نجد أي أثر لفيتوريا في معرض بحثنا. هل فعلتم؟».

علم الإجابة لحظة مَرَّتْ يخاطر جايكوب الذي قرر البوح به بأي  
حال، «آخر مرة رأيناها فيها كانت بيلاً مسافرة، نحن ندعها تظن أنها  
تفلت منا لكننا كنا نضيق الحلقة حولها استعداداً للانقضاض عليها...».

سرت قشعريرة في أوصالي.

«لكنها هربت بعدد مراتعة. نعتقد أنها اشتكت رائحتك الأنثوية  
ورحلت. ولم تعد إلى منطقنا منذ ذلك الحين».

أوما إدوارد وقال: «حين تعود، لن يكون القضاء عليها من  
اختصاصكم. سوف...».

كان صوت جايكوب أشبه بخفيف الأفعى وهو يقول: «لقد قتلت  
رئيسنا الأعلى، وهي حصتنا».

«لا...»، بدأت أعترض على كلا التصريحين.

«بيلاً! أرى تلك السيارة متوقفة في المكان وأعلم أنك هناك، إن لم  
تدخلي البيت بعد دقيقة من الآن...». لم يكلف تشارلي نفسه عناء  
إنهاء جملة التهديد.

قال إدوارد: «دعنا نذهب».

نظرت إلى جايكوب مجدداً، فرأيت مسزقاً. هل سأراه ثانية؟

قال بصوت منخفض أشبه بالهمس حتى اضطرت لقراءة شفتيه  
لأنهم أنه كان يقول، «أسف. إلى اللقاء بيلز».

ذكرته يائسة: «لقد وعدتني. سنظل صديقين، اليس كذلك؟».

هز جايكوب رأسه ببطء وشعرت بالقصة في حلقي تكاد تخنقني.

«تعلمين كم حاولت جاهداً الحفاظ على الوعد، لكنني... لا أرى  
كيف سأستمر الآن بالمحاولة، ليس الآن...». جاهد ليحافظ على  
القناع الذي يخبئ وراءه لكنه تآرجج واختفى. وهمس من دون صوت:  
«اشتقت لك».

مدّ إحدى يديه باتجاهي يمسك أصابعه وكأنه يمتنى لو أنها طويلة بما  
يكفي لتجتاز المسافة بيننا.

وهمس له في المقابل: «وأنا أيضاً».

ومددت يدي كذلك نحوه.

وكأننا كنا متصلين فعلاً، شعرت بصدى ألمه في أعماقي. كان ألمه ألي.

تقدمت خطوة منه أقول: «جايك».

أردت أن أحيطه بذراعي وأمحو آثار العذاب عن وجهه. أرجعتني إدوارد للوراء وذراعاه تمنعاني بدلاً من أن تحمياني.

تفرست في ملامح وجهه لأقرأ ما فيها بعيتين ملؤهما الثقة. ووعده أقول: «لا بأس». سيفهمني.

عجزت عن قراءة ما في عينيه وكان وجهه خالياً من أي تعبير، بارداً.

«كلا ليس الأمر كذلك».

زمجر جايكوب وقد عاد الحنق يسيطر عليه: «دعها، هي تريد ذلك».

تقدمت خطوتين جبارتين نحوي. لاح في عينيه توقع ما. وبدأ أن صدره يتنفخ وهو ينتفض.

دفعني إدوارد فأصبحت وراءه وتأهب لمواجهة جايكوب.

«إدوارد لا!..».

«إيزابيلا سوان!..».

قلت بصوت مرتعد ليس بسبب تشارلي هذه المرة: «هيا بنا. تشارلي سيجن غضباً. أسرع!».

أخذت أشده قليلاً، فاسترخى. سحبني إلى الوراء ببطء دون أن ينزع عينيه عن جايكوب للحظة واحدة بينما ننسحب.

راقبنا جايكوب والمرارة ترشح من تقاسيم وجهه. غاب التوقع عن عينيه، وتلوى وجهه ألماً قبل أن تحجبه الغابة عن ناظري.

علمت أن آخر صورة له ستظل تطاردني إلى أن أراه يتشم مجدداً. وتعمدت من هناك أني سأراه يتشم وقريباً جداً. سأجد طريقة ما أحافظ بها على أفضل أصدقائي.

ظلت ذراعاً إدوارد تشبثان بوسطي بقوة تلصقاني به. هذا فقط ما حبس الدموع في عيني ومنعها من الانسكاب.

أنا في مواجهة بعض المشاكل الخطيرة.

أفضل أصدقائي يصتفني في خانة أعدائه.

فيكتوريا لا تزال طليقة تضع كل من أحب في دائرة الخطر.

إن لم أصبح مصاصة دماء عما قريب، ستقتلني عائلة فولتوري.

وإن فعلت ذلك الآن، سيتولى المستبدون المهمة بأنفسهم، إضافة إلى محاولتهم قتل بقية أفراد عائلتي المستقبلية. لا أظن أن أمامهم خياراً آخر فعلاً، لكن هل سيقتل أفضل صديق لي نفسه أثناء المحاولة؟

مشاكل خطيرة جداً. لكن لماذا اختفت كلها وأصبحت نافذة ما إن اجتزنا آخر أشجار الغابة ولمحت رجة تشارلي الشديد الامتقاع؟

اعتصر إدوارد يدي بركة وهو يقول: «أنا هنا معك».

أخذت نفساً عميقاً.

كان ذلك صحيحاً. إدوارد كان معي، ذراعاه تحيطان بوسطي.

كنت لأواجه أي شيء في الدنيا طالما أن ذلك صحيح. استوى كنتاي ومضيت قدماً لملافاة مصري، وقدري يمضي إلى جانبي بثبات.

## الجزء الثالث متوفر أيضاً في شبكة روايتي الخسوف